COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU08168040

W. Arthur Jeffery

Jerusalem 1946.

الجزء الأول

من كتاب العلوم الفاخره فى النظر فى أمور الآخره من
تأليف العلامة النحرير والولى الصالح الشهير
سيدى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف
الثعالبى الجعفرى دفين مدينة
الجزائر رحمه الله ورضى
عنه ونفع بعلومه
آمين
م

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمترجمه السيد أحمد بن مراد ﴾
﴿ التركى وهى منقولة له من ورثة المؤلف ﴾

﴿ طبع ﴾
(بالمطبعة الحميدية المصريه)
سنة ١٣١٧ هجريه

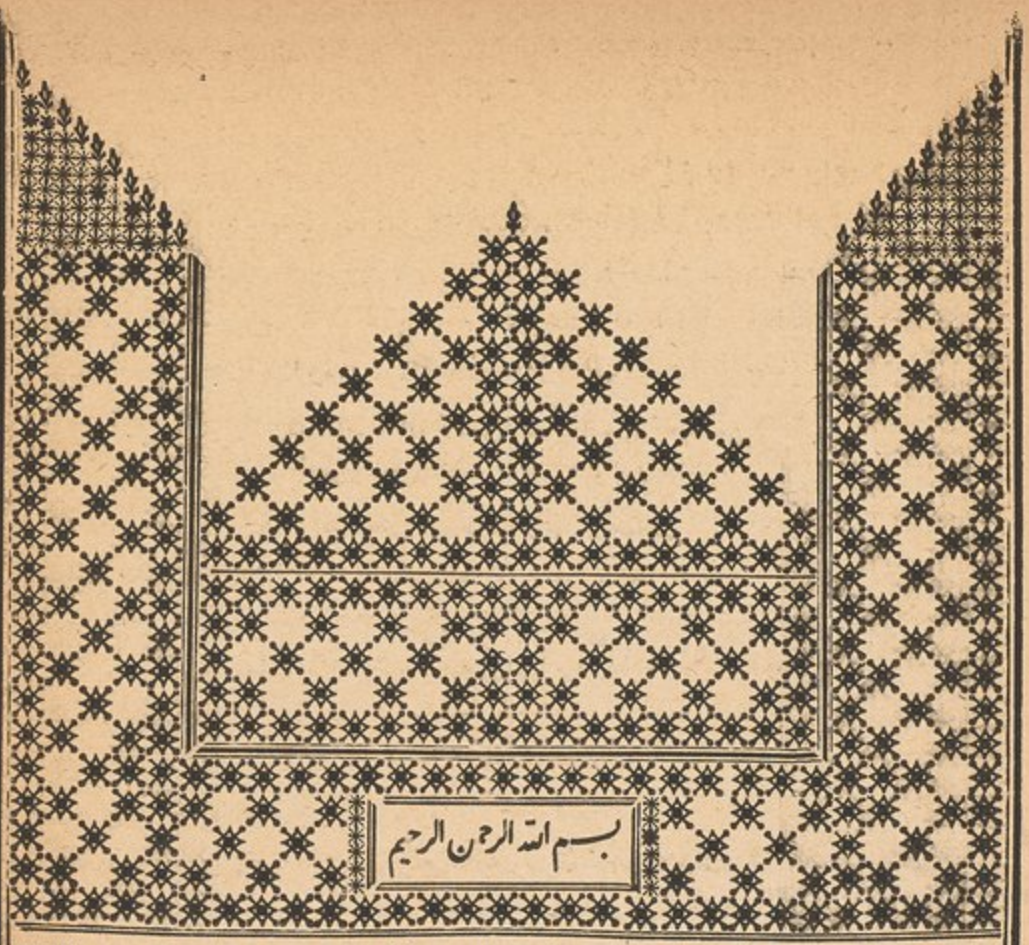

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالبقاء * الدائم الذى حكم على خلقه بالموت والفناء * ثم بالبعث الى دار الجزاء * والفصل والقضاء ليجزى قوما بما كانوا يكسبون * قسمهم قسمين * وجعلهم فريقين * هؤلاء منعمون وهؤلاء معذبون فضلا منه وعدلا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * فسبحان من جعل الموت راحة لاوليائه الاتقياء * ومبلغهم الى النعيم فى دار البقاء * وجعل القبر سجنا للاشقياء * وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين * وامام المرسلين * وقائد الغر المحجلين * صلاة ندخر أنوارها ليوم الدين * ﴿وبعد﴾ فيقول العبد الذليل الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * عبد الرحمن بن محمد الثعالبى لطف الله به اللطف الجميل * وخار له فى المقام والرحيل * لما وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا و بلغت من السنين نحوا من ثلاث وستين * وعلمت ان النفس قد قرب الحمام منها علم اليقين * وأيقنت انها راحلة فى عسكر الراحلين شرعت فى جمع كتاب أجعله تذكرة لنفسى * وأعد أنواره لظلم رمسى * فى ذكر الموت وما بعده من أمر الآخرة وقد ألف العلماء فى هذا المعنى تصانيف جليلة كأبى حامد الغزالى وأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى وأبى محمد عبد الحق الاشبيلى والمحاسبى وغيرهم وسأذكر ان شاء الله تعالى فى كتابى هذا من كلامهم وكلام غيرهم من الائمة * وثقات أعلام هذه الامة * ما تنشرح له الصدور * ويستولى عليها الضياء والنور * وابتدأت جمعه وتأليفه فى أوائل ذى القعدة من سنة تسع وأربعين وثمانمائة جعله الله عملا خالصا لوجهه ومبلغا الى مرضاته اللهم انفعنى به فى الدارين وانفع به من نظره أو سمعه أو سعى فى تحصيله آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿وسميته بالعلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة﴾

﴿باب ماجاء فى فضل ذكر الموت وحسن الاستعداد له وفى ذكر قصر الامل﴾

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى فى تذكرته وأبو محمد عبد الحق الاشبيلى فى عاقبته روى النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت ورواه الترمذى وابن ماجه أيضا ورواه أبو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات قلنا يارسول الله وماهاذم اللذات قال الموت وروى ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس وخرجه مالك وابن اسحاق فى سيرته أيضا وروى الترمذى عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالموت واعظا وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة قال الغزالى رحمه الله تعالى وانما سبب هذه الفضيلة ان ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور وينقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن ذكر الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا انتهى كلام الغزالى قال القرطبى وقال السدى فى قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا أى أكثركم للموت ذكرا وله أحسن استعدادا ومنه أشد خوفا وحذرا قال علماؤنا رحمهم الله قوله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج الى تطويل المواعظ وتزويق الالفاظ والافنى قوله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات مع قوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت مايكفى السامع له ويشغل الناظر فيه قال الغزالى فى الاحياء وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل حتى ان المنهمك فى الدنيا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا اذ يتنغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته وكل مايكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة واعلم أنه مامن ميت يموت الا ندم فقد روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن أحد يموت الا ندم قيل وماندامته يارسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لايكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لايكون نزع قلت ولله در القائل

وفى ذكر هول الموت والقبر والبلى ◆ عن الشغل باللذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الاربعين تربص ◆ وشيب فذاك منذر لك ذاعر
فكم فى بطون الارض بعد ظهورها ◆ محاسنهم فيها بوال دوائر
وانت على الدنيا مكب منافس ◆ لحظ بها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسى وتصبح لاهيا ◆ أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر
وان امرأ يسعى لدنياه جاهدا ◆ ويذهل عن أخراه لاشك خاسر
كأنك مغتر بما أنت صائر ◆ لنفسك عمدا أو عن الرشد حائر
فجد ولا تغفل فعيشك زائل ◆ وأنت الى دار المنية صائر
ولا تطلب الدنيا فان طلابها ◆ وان نلت منها فهى تلك ضائر

وكيف يلذ العيش من هو موقن * بموقف عدل حين تبلى السرائر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت * لعزة ذى العرش الملوك الجبابر

﴿فصل﴾ قال القرطبي اعلم ان ذكر الموت يورث استشعارا لانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه فى كل لحظة الى الدار الباقية ثم من فوائد ذكره ان الانسان لا ينفك عن حالتى ضيق وسعة ونعمة ومحنة فان كان فى حال ضيق ومحنة فذكر الموت يهون عليه بعض ما هو فيه لانه لا يدوم والموت أشد منه وان كان فى حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بذلك ولقد أحسن من قال

اذكر الموت هاذم اللذات * وتجهز لصرع سوف يأتى

﴿وقال آخر﴾

اذكر الموت تجده راحة * فى ادكار الموت تقصير الامل

قال الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش يومه الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظا وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب من الغد وما يكون فيه بقصر أمله فمثل هذا اذا مات سعد وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد خير فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قربت المنزل وقطعت المسافة فلا يكون اهتمامك الا بمبادرة العمل قبل انقضاء الاجل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه قال القرطبي واعلم ان الموت ليس له زمان معلوم ولا مرض معلوم فالواجب التأهب له قبل هجومه وذلك بحسن الاستعداد بأخذ الزاد * كان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى رحمه الله تعالى فقد أمير تلك البلدة صوته فسأل عنه فقيل له قد مات فأنشأ يقول

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظا متشمرا * ذا أهبة لم تلهه الآمال

وقال اللفاف من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة ومما أنشده صاحب عنوان الدراية لشيخه أبى العباس بن الغماز قال

هو الموت فاحذر ان يجيئك بغتة * وانت على سوء من الفعل عاكف
واياك ان تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
وبادر بأعمال يسرك ان ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف

﴿فصل﴾ قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه أى حاسبها وقال أبو عبيد دان نفسه أى أذلها واستعبدها واعلم ان فى ذكر الموت راحة للمقبل على آخرته ولقد أحسن القائل

واذكر الموت تجد له راحة * فى ادكار الموت تقصير الامل

قال ابن الفاكهانى رحمه الله تعالى قال بعض العلماء الذى ينبغى لكل عاقل فى طول حياته ان يكون شديد الخوف من عقاب ربه سبحانه معتبرا الذكر الموت فى جميع أحواله وان يكون أجله بين عينيه فيقصر أمله ويبادر الى التوبة ويتحلل من مظالم العباد خوفا من مجىء الموت قال ورويناه فى سنن ابن ماجه باسناد حسن ان النبى صلى الله عليه وسلم أبصر جماعة يحفرون قبرا فبكى حتى بل الثرى بدموعه وقال اخوانى لمثل هذا فاعدوا وقال ويتأكد استحباب ذكر الموت حالة المرض لانه اذا ذكر الموت رق قلبه وخاف ورجع من المظالم والمعاصى وأقبل على الطاعة وسارع الى الخيرات قال العلماء ويستحب الاكثار من حديث استحيوا من الله وهو مارواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا رسول الله انا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء قال الغزالى رحمه الله تعالى وجدير لمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده بان لا يكون له فكر الا فى الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها فى أصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ونحن نذكر ان شاء الله تعالى من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والبرزخ والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكره على التكرار وملازمته بالافتكار ليكون ذلك مع توفيق الله سبحانه محثا على الاستعداد والتأهب للرحيل بأخذ الزاد واعلم رحمك الله ان المنهمك فى لذاته المثابر على شهواته يغفل قلبه عن ذكر الموت لاستحالة تخيل ذكره واذا ذكر به كرهه ونفر عنه وهذا واشباهه من الذين قال مولانا سبحانه فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون واعلم رحمك الله ان الموت خطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه أعظم ثم من يذكره منهم ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بوساوس الدنيا فلا يؤثر ذكر الموت فى قلبه وانما الطريق النافع فيه ان يفرغ العبد قلبه من كل شئ الا من ذكر الموت الذى هو بين يديه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فحينئذ يرجى له ان يؤثر فيه وأنفع طريق يوافيه ان يذكر الانسان أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محى التراب الآن محاسنهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وقسمت أموالهم وعرضت عليهم أعمالهم وندموا على ما خلفوا ولم ينفعهم ندمهم وقرع سمعهم النداء اما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر الموفق نظر شفقة لنفسه ويعلم انه مثلهم وان غفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء رضى الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم فلازمة هذه الافكار وأشباهها هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه حتى يصير نصب عينيه فعند ذلك يرجى ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور ومهما طاق قلبه بشئ من الدنيا ينبغى ان يتذكر فى الحال انه لا بد من مفارقته ولله در القائل

وليس بعيدا ما يكون وان نأى * فكل بعيد لا محالة آت
سهام المنايا راشقات لمن ترى * تصيب الفتى فى روحه وبيات

﴿ وأنشدوا ﴾

وما هى الا ليلة ثم يومها * ويوم الى يوم وشهر الى شهر
مطايا يقربن الجديد الى البلى * ويدنين أشلاء الصحيح الى القبر
ويتركن أزواج الغيور لغيره * ويقسمن ما يحوى الشحيح من الوفر

﴿ وأنشدوا ﴾

اما آن للنفس ان تخشعا * اما آن للقلب ان يقلعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه ان يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتا * لما فات منه وما ضيعا
ويا ويلتاه لذى شيبة * يطيع هوى النفس لما دعا

قال أبو نعيم فى الحلية وكتب زر بن حبيش الى عبد الملك بن مروان يعظه وكان فى آخر الكتاب ولا يطمعك يا أمير المؤمنين فى طول الحياة ما يظهر من صحتك وأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الاولون

اذا الرجال ولدت أولادها * وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها * تلك زروع قد دنا حصادها

وروى أبو نعيم عن سفيان الثورى انه قال من بلغ سن النبى صلى الله عليه وسلم فليرتد لنفسه كفنا وأنشد صاحب عنوان الدراية لشيخه أبى عبد الله التميمى رحمه الله تعالى

الخبر أصدق فى المرأى من الخبر * فهد العذر ليس العين كالاثر
واعمل لاخرى ولا تخل بمكرمة * فكل شئ على حد الى قدر
وخل عن زمن تخشى عواقبه * ان الزمان اذا فكرت ذو غير
وكل حى وان طالت سلامته * يغتاله الموت بين الورد والصدر
هو الحمام فلا تبعد زيارته * ولا تقل ليتنى منه على حذر
ياويح من غره دهر فسر به * لم يخلص الصفو الا شيب بالكدر
أنظر لمن بادت تنظر آية عجبا * وعبرة لاولى الالباب والعبر
أين الالى جنبوا خيلا مسومة * وشيدوا ارما خوفا من الغدر
لم تغنهم خيلهم يوما وان كثرت * ولم تفد ارم للحادث النكر
بادوا فعاد وا حديثا ان ذا عجب * ما أوضح الرشد لولا سيئ النظر
تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * ان المقام بها كاللمح بالبصر

قال عبد الحق رحمه الله تعالى فى العاقبة اعلموا رحمكم الله تعالى ان الناس فى ذكر الموت على ضروب فمنهم المنهمك فى لذاته المضيع فيما لا يرجع اليه من أوقاته لا يخطر له الموت على بال ولا يحدث نفسه بزوال قد طرح أخراه واكب على دنياه واتخذ الهه هواه فاصمه ذلك وأعماه ان ذكر له الموت نفر عنه وشرد وان وعظ أنف وعند قد حاد عن سبيل نهجه ونكب عن طريق رشده مقبلا على بطنه وفرجه فتبت يداه وخسر مسعاه كأنه لم يسمع قول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وآخر قلبه معلق بالدنيا وهمه فيها ونظره مصروف اليها وهو مع ذلك من طلابها الحرومين وابنائها المكدودين لم ينل منها حظا ولا رقى منها مرقى ان ذكر له الموت تصامم عن ذكره ولم يمكنه من فكره رجاء ان يبلغ ما أمل أو يدرك بعض ما تخيل فعمره ينقص وحرصه يزيد وجسمه يخلق وأمله جديد وحتفه قريب ومطلبه بعيد فنعوذ بالله من الحرمان ومن شماتة العدو الشيطان فهذا والذى قبله ان لم تكن لهما عناية أزليه وسابقة أوليه فيمسك عليهما الايمان ويختم لهما بالاسلام والا فقد هلكا كل الهلاك فنعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء فانظر رحمك الله كيف تقر عين عاقل فى هذه الدار مع وجود هذه الاخطار ولله در القائل

وكيف تنام العين وهى قريرة * ولم تدر فى أى المنازل تنزل

ورجل آخر وقليل ما هم ممن أزيل عن عينه قذاها وأبصر نفسه وهواها وزجرها ونهاها فابى المنادى وأجاب الداعى وشمر لتلافى مافات ونظر فيما هو آت وتأهب لحلول الممات والانتقال الى محل الاموات ومع هذا فانه يكره الموت أن يشاهد وقائعه أو يرى طلائعه وليس يكره الموت لذاته ولا لانه هادم لذاته لكنه يخاف ان يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد والاكتساب ليوم الحساب ويكره ان تطوى صحيفة عمله قبل بلوغ أمله وان يبادر باجله قبل اصلاح خلله وتدارك زلله فهو يريد البقاء فى هذه الدار لقضاء هذه الاوطار فهذا ان مات يالله دره من ميت ما أفضل حياته وأطيب مماته وأعظم سعادته وأكرم وفادته وأتم سروره وأكمل حبوره واعلم ان هذا يدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه كما قد وقع مفسرا فى الحديث * ورجل آخر وهو من أقل القليل قد عرف الله تعالى باسمائه الحسنى وصفاته العليا

وشاهد ماشاهد من كمال الربوبية وجمال الحضرة الالهية فلأت عينه وقلبه واطاشت عقله ولبه فهو يحن الى ذلك المشهد ويستعجل انجاز ذلك الموعد وقد علم ان الموت حجاب بينه وبين محبوبه وستر مسدول بينه وبين مطلوبه ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ماوراءها من الوصال والاتصال والانس بذلك الجلال والجمال * ورجل آخر قد شاهد ماشاهد ذلك وربما زاد عليه لكنه فوض الامر الى خالقه وسلم الحكم لبارئه فلم يرض الا مارضى له ولم يرد الا ما أراد به وما اختار الا ما حكم فيه ان أبقاه في هذه الدار أبقاه وان أخذه أخذه قال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني الناس رجلان رجل أحب الله فأحب الموت شوقا الى لقاء الله ورجل أحب البقاء باقامة حق الله قال فوثب غلام لم يحتلم فقال ورجل ثالث فقال أبو سليمان ومن هو فقال من لم يختر لا هذا ولا هذا بل اختار ما اختار الله عز وجل فقال أبو سليمان احتفظوا بالغلام فانه صديق فهذا وأشباهه اذا مات لا يسئل عن حاله ولا يقال ما فعل به

﴿فصل﴾ قال الجوزي في الصفوة وعن أحمد بن عاصم قال قال هرم بن حيان لاويس القرني أوصني قال توسد الموت اذا نمت واجعله نصب عينيك اذا قمت وادع الله ان يصلح لك قلبك وأوصاه مرة فقال له عليك بذكر الموت فلا يفارق قلبك ما بقيت قال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا وجدته حذرا من الموت حزينا من أجله قال عبد الحق وقد أمر في النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الموت وأعاد القول فيه تهويلا لامره وتعظيما لشأنه وكثرة ذكر الموت تردع عن المعاصي وتلين القلب القاسي * وعلى العبد بقصير الامل فان من طال أمله ساء عمله ومن خاف الوعيد قرب عليه البعيد قال الغزالي في المنهاج أما طول الامل فانه العائق عن كل خير والجالب لكل فتنة وهو يقسي القلب وينسي الآخرة وانما رقة القلب وصفوته بذكر الموت والقبر والعقاب والثواب وأحوال الآخرة واذا لم يكن شئ من ذلك فمن أين يكون لقلبك رقة وصفوة قال مولانا سبحانه فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذن فانك اذا طولت أملك قلت طاعتك وكثرت معصيتك وتأخرت توبتك وأي حال أسوأ من هذه الحال وأي آفة أعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل واما ان قصرت أملك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال أقرانك الذين غافصهم الموت في وقت لم يحتسبوا وحذرت نفسك الغرور وأكثرت عليها من نحو هذه الاذكار وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار فانه يقصر أملك باذن الله وترى نفسك حينئذ تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك فتسقط معصيتك وتزهد في الدنيا وفي طلبها فيخف حسابك وتبعتك ويقع قلبك في ذكر الآخرة وما هو الا من نفس الى نفس تصير اليها وتعاينها واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجأته وأخذه على غرة فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها فان الحاجة اليها ماسة ودع عنك تضييع الوقت في القيل والقال وملاحات الرجال والله سبحانه الموفق بفضله وقال يمن بن رزق رحمه الله تعالى فاهل الطاعات قدموا بين يدي الاعمال لطيف معرفة الاسباب التي بها يستديمون صالح الاعمال ويسهل عليهم مأخذها توطينا منهم لانفسهم استصحاب يقينهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوما واحدا وليلة واحدة كلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم أو ليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنما وذكروا اليوم الماضي فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لانقضاء الاجل فيه أو في ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد فقصرت عندهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتقربوا الى الله سبحانه بالاعمال الزاكية واستقام لهم السير وقرت بالخوف أعينهم وتلذذوا بمناجات خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة وفكرهم باهوال القيامة مقبلة ومدبرة قال عبد الحق والناس في طول الامل وقصره على أحوال مختلفة فمنهم من طول في أمله فازداد في كسله ودخل الوهن في عمله وآخر قد قصر أمله وجعل التقوى بضاعته والعبادة صناعته ولم يتجاوز بأمله ساعته ومثل هذا قد رفع التوفيق عليه لواءه وألبسه رداءه وأعطاه جماله وبهاءه فانظر رحمك الله أي الرجلين

تريد أن تكون وأى العملين تريدان تعمل و بأى الرداءين تريدان تشتمل فلست تلبس هناك الا مالبسته هنا ولا تحشر هناك الا فيما كنت فيه هنا واعلم وتحقق ان طول الامل يكسل عن العمل وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان كما ان قصره يبعث على العمل و يحمل على المبادرة و يحث على المسابقة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد ذكره القاضى أبو الحسن ابن صخر فى الفوائد واعلم ان الحكايات فى هذا الباب أكثر من ان تحصر وقد دونت فى الموت والاتعاظ به الاخبار وصنعت فيه الاشعار وضربت فيه الامثال وعملت بسبب الفكر فيه الاعمال وأى أعمال ومن مستحسن ما أنشد فيه قول القائل

ألا رب ذى أجل قد حضر * كثير التمنى قليل الحذر
يجرعه الجهل كاس المنا * ويحمله فوق ظهر الغرر
وينسى المنون وريب المنون * وينسى الخطوب وينسى القبر
وكم من ملوك عهدناهم * تفانوا ونحن معا بالاثر
أخى أضعت أمورا أراك * لنفسك فيها قليل النظر
تؤمل فى الارض طول الخلود * وعمرك يزداد فيها قصر

قال ابن هشام فى السيرة المنون الموت وريب المنون ما يريب و يعرض منها قال أبو ذؤيب الهذلى

أمن المنون وريبه أتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

﴿ وأنشدوا ﴾

يا من يؤمل لا تركن الى الامل * وبادر الخير واغنم فسحة الاجل
واذكر وقوفك يوم الحشر مكتئبا * مما تقدم من جرم ومن زلل
واحذر اذا وضع الميزان من عمل * يقضى عليك بانواع من الخلل
والنار لا تنبس ما فيها لمن سلفت * منه المعاصى ولم يندم ولم يزل
شراب من حل فيها اذا الصديد ومن * زقومها أكلهم يا قبح ذا الاكل
فحاذرن من عذاب الله واكتسبن * أجرا ولا تكسلن عن صالح العمل

﴿ وأنشدوا ﴾

تولى العمر وانقرض الشباب * فما يرجى لغائبه اياب
فحتى متى التعلل بالامانى * وفيم الحرص ويحك والطلاب
أمنت حوادث الايام جهلا * وطاب لك الذى لا يستطاب
فانفقت الحياة على أمور * تمر بها كما مر السحاب

﴿ ولله در القائل ﴾

أرى المشيب فى العذار قد ألم * كان موتى عن قريب قد هجم
خط المشيب أسطرا فى هامتى * فراعنى ما خطه ومارقم
هل الفتى اذا انقضى شبابه * الا كزرع هاج سوف يحطم
شاب الفؤاد قبل شيب لمتى * وسامنى ضعف القوى مثل الصمم
و يحى من التوبيخ من ربى غدا * ويحى من السقم الشديد اذا صدم

﴿ وأنشدوا ﴾

حلول الشيب و يحكم نذير * يخبر انه قرب المسير
فلا تغرركم الدنيا بوعد * فان وعدها كذب وزور

ألم يك قد تملكها أناس * أليس بها فنى خلق كثير
تملوا برهة فيها فاسوا * وليس لهم من الدنيا مجير
أبادتهم وافتتهم جميعا * فلا ملك يؤب ولا وزير
تشتت شملهم بعد اجتماع * فلم يبق الجليل ولا الحقير
وزال نعيمهم عنها فاضحوا * رميما والقبور لهم قصور

﴿وأنشدوا﴾

ألا أيها المغرور مالك تلعب * تؤمل آمالا وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعد * سفينته الدنيا فاياك تعطب
وتعلم ان الموت ينقض مسرعا * عليك يقينا طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتامى تراهم * وأمهم الثكلى تنوح وتندب
وأقبل بالاكفان نحوك قاصد * وحث عليك الترب والعين تسكب

﴿وأنشدوا﴾

تزود من معاشك للمعاد * وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيرا * فان المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زاد

﴿وقال آخر﴾

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان أرصدا

﴿وقال آخر﴾

الموت لابد آت فاستعد له * ان اللبيب بذكر الموت مشغول
وكيف يلهو بعيش أو يلذ به * من التراب على خديه مجعول

﴿وأنشدوا﴾

ولدتك اذ ولدتك أمك باكيا * والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا * فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

﴿وروى﴾ عن الحسن انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله فقال قصروا آمالكم وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وقال أبو زكريا التيمى بينما هشام بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر مكتوب بالسان العجمى فطلب من يقرؤه فأتى بوهب بن منبه رحمه الله تعالى فقرأه فاذا فيه يا ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول املك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك وقد زال بك قدمك واسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب فلا أنت لدنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة ﴿وقد روى﴾ عن عمر مولى غفرة فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما ان الكنز كان لوحا من ذهب قد كتب فيه عجبا للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبا للموقن بالموت كيف يفرح ﴿وروى﴾ عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال ما من صباح ولا مساء الا ومنادى ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل وقال شعيم مولى ابن تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل على فقال أرحنى من حاجتك فانى أبادر فقلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت

عنه ومامثل المسوف الطويل الامل والموفق الذى استشعر قرب الاجل الا كمثل كتب الى رجل من عبيده يقول له افعل كذا وكذا وأصلح كذا وكذا وانتظر رسولى فلانا فانى سأبعثه اليك ليأتينى بك واياك ثم اياك ٧ الا وقد فرغت من أشغالك وتخاصت من أعمالك وتطرت فى زادك وأخذت ماتحتاج اليه فى سفرك وان لم تفعل ماأمرتك أحللت بك عقابى وأحللت عليك سخطى وعذابى وأمرته أن يأتينى بك مغلولة يداك مقيدة رجلاك مشمتا بك أعداك مسحوبا الى دار خزيى وهوانى وماأعددته لمن عصانى وان هو وجدك قد فرغت من أعمالك وقضيت جميع أشغالك أتى بك مكرما مرفعا مرفها الى دار رضوانى وكرامتى وماأعددته من الكرامة لمن امتثل أمرى وعمل بطاعتى واحذر أن يخدعك فلان أوفلانة عن امتثال أمرى والاشتغال عن طاعتى وكتب الى رجل آخر بمثل ذلك فأما الرجل الاول فكان مخدوعا من قبل النفس والشيطان فقال هذا كتاب الملك يأمرنى فيه بكذا وكذا وذكر لى ان رسوله يأتينى ليحملنى اليه ولم يبين لى الوقت الذى يبعثه الى فيه ولعل رسوله لا يأتينى الا الى خمسين سنة أو أكثر فأنا على مهل وسأنظر فيما أمرنى ولم يقع كتاب الملك منه بذلك الموقع فاغتر فسوف وقال والله لقد أتى كتابه الى خلق كثير بمثل ما أتانى ولم يأتهم رسوله الا بعد سنين كثيرة فأنا واحد منهم ولعل رسوله يتأخر عنى كما تأخر عنهم ثم أقبل على اشتغال نفسه بما لا يحتاج اليه وترك أوامر الملك وأعرض عنها وكلما دخلت سنة قال أنا مشغول فى هذه السنة وسأنظر فى السنة المقبلة والمسافة أمامى طويلة ثم جعل كلما دخلت سنة سوف وقال سأنظر فبينما هو على ذلك من تسويفه واغتراره بطول أمله اذ فجأه رسول الملك فى صورة المغضب عليه فكسر بابه وهتك حجابه وحصل معه فى جوف بيته وقال له اجب الملك فقال الرجل والله لقد جاءنى كتاب الملك فسوفت ولم أفعل ما أمرنى به فقال له الرسول ويلك وما الذى أبطأ بك عن امتثال ما أمرك به الملك قال لم أكن أظن انك تأتينى فى هذا الوقت فقال له ويلك ومن أين لك هذا الظن ومن أخبرك به ومن أعلمك بأنى لا آتيك الا فى الوقت الذى تظن قال ظننت ذلك ظنا وطمعت وسولت لى نفسى ومنتنى وخدعنى الشيطان والنفس فانخدعت فقال له ويلك ألم يحذرك الملك فى كتابه منهما وأمرك أن لا تسمع لهما قولا قال بلى والله لقد جاء فى هذا فى كتابه ولكننى خدعت وفتنت فافتتنت فقال له ويلك غرك الغرور أجب الملك لا أم لك قد حل بك الهوان وأحاطت بك الزبانية والاعوان وسترى من العذاب ألوانا بعد ألوان بطاعتك للنفس والشيطان فقال له أنشدك بحق الملك الا ماتركتنى حتى أفعل ما أمرنى به الملك فقال هيهات ليس الى ذلك من سبيل ثم دفعه دفعة ألقاه على وجهه ثم جمع يديه مغلولتين الى عنقه وانطلق به يجره على وجهه وأحاطت به الزبانية من كل جهاته قد اشتد غضبهم لغضب الملك عليه فلا يمرون به على محفل الا وأخبروهم بعصيانه وموجبات هوانه فلا تسأل عن سوء حاله وشدة ما يلقاه من انكاله وو بال سوء عصيانه يقصر اللسان عن وصف ما يلقاه من العذاب بسبب المخالفة والعصيان وأما الآخر الموفق الذى كتب اليه الملك بمثل ما كتب به الى هذا البائس فانه لما جاءه كتاب الملك أخذه بكلتا يديه وقبله وفرح به وجعل يقرؤه ويتصفحه ويتدبره ويعظمه ويقول أرى الملك قد كتب الى ان أعمل له كذا وكذا ومن أين سبقت لى هذه السابقة عند الملك ومن الذى عنى فى عنده ومن الذى أنزلنى منه بهذه المنزلة حتى جعلنى من خدامه والقائمين بأمره والناظرين فى أعماله والله ان هذه لسعادة ونعمة لا أقدر على القيام بشكرها ووالله ان هذه لعناية الحمد لله رب العالمين ثم نظر فى الكتاب فقال واسمع الملك يقول لى فى كتابه وانتظر رسولى فانى سأبعثه اليك ليأتينى بك وأراه لم يحدد لى وقت اتيانه الى ولعلى لا أفرغ من قراءة كتابه الا ورسوله قد أتانى ونزل على والله لا قدمت شغلا على شغل الملك ولا أنظر فى شئ الا بعد فراغى مما أمرنى به الملك وأعد زادا وامر كوبا أركبه اذا جاءنى رسوله ليحملنى اليه ثم لما فرغ من قراءة الكتاب سارع الى شغل الملك وامتثل ما فى كتابه بفرح وسرور واشتياق الى زيارة الملك اذا قدم عليه رسوله فلما أخذ فى اشتغال الملك جاءه فلان أوفلانة وقال له هون عليك الامر ولم هذه المسارعة كلها وفيم هذه المبادرة فقال له ويلك اذهب عنى أما ترى

كتاب الملك بما جاءني فقال نعم رأيته ولكنه لم يعين لك وقت مجيء الرسول وقد جاء كتابه الى فلان بهذا الذي جاءك وقد بقي منتظرا لرسوله أكثر من سبعين سنة وفلان أتاه رسوله بعد ثمانين سنة وفلان وفلان وأنت واحد منهم فلم هذه العجلة فقال له ويلك أتدلني على الغرور وماترى أنت فلانا قد جاءه كتاب الملك بهذا الذي جاءني وجاءه الرسول اثر مجيء الكتاب وفلان كذلك وفلان كذلك وفلان وفلان ممن لا يحصى كثرة فدعني من غرورك وشرك ثم أقبل على ما أمره به الملك وامتثل بقدر وسعه وطاقته وأعد ما ينبغي من الزاد لسفره وجعل ينتظر الرسول أن يأتيه ويفرح بالسفر الى حضرة الملك لما يأمله من فضل الملك واحسانه حسبما وعده في كتابه فبينما هو كذلك مشغول بخدمة الملك واذا هو برسول الملك قد أتاه بخلع الملك وأنواع التحف والهدايا والبشرى برضا الملك عنه فسلم عليه وبشره باقبال الملك عليه وان له عنده المنزلة الرفيعة وانه محبوب عند أهل حضرته وانهم منتظرون لقدومه وقال له أجب على بركة الله الملك وارتحل اليه مكرما ومعظما قال نعم قال الساعة قال بسم الله فخلع عليه خلعة الاولياء وكساه كسوة الاصفياء وأعطاه مركوبا يليق به ويحمل مثله وانطلق به في حبور وسرور الى حضرة الملك فهذا مثل حال الناس في الدنيا فمنهم بائس مفرط مغرور ومنهم مقبل على آخرته في حبور وسرور ومنتقل الى جنة مشتملة على مالا تكيفه العقول من أنواع الخيرات والحور والقصور

﴿فصل﴾ وخطب بعض الخلفاء يوما فقال عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار قرار واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز أو بالشقوة لمستحق بأفضل العدة فاتقى عبد ربه ونصح نفسه وغلب شهوته وقدم توبته فان أجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها وان ما بين أحدكم وبين الجنة والنار الا الموت أن ينزل به فيالها من حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه أيامه الى شقوة جعلنا الله وايا كم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن الطاعة معصية ولا تحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء فعال لما يشاء * وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق والطريق الى الملك الخلاق انه ما من يوم تطلع شمسه الا وملك ينادي يا أبناء الاربعين هذا وقت الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد يا أبناء الخمسين قد دنا الاخذ والحصاد يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة يقال أعذر في الامر أي بالغ فيه قال البخاري وجاءكم النذير يعني الشيب قلت هذا أحد الاقوال وقال الجمهور النذير الانبياء وسيأتي ان شاء الله تعالى لهذا مزيد بيان قال القرطبي وردفي الخبر أن بعض الانبياء صلوات الله على نبينا وعليه قال لملك الموت عليه السلام أمالك رسول يا ملك الموت تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر من مجيئك قال نعم لي والله رسل كثيرة من الاعلال والامراض والشيب والهرم وتغير السمع والبصر قال القرطبي وأكبر الاعذار بعثة الرسل ثم الشيب أو غيره كما تقدم وجعل الله سبحانه الستين غاية الاعذار لان الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع والاستسلام لله سبحانه وترقب المنية ولقاء الله فليه اعذار بعد اعذار وانذار بعد انذار الاول بالنبي صلى الله عليه وسلم والثاني بالشيب وذلك عند كمال الاربعين قال الله تعالى وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية فذكر سبحانه ان من بلغ الاربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها قال مالك رحمه الله تعالى أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يأتي لاحدهم أربعون سنة فاذا أتت عليهم اعتزلوا الناس قلت ونحو هذا عن مالك في المدخل لابن الحاج ولفظه قال مالك أدركت الناس وهم يتعلمون

العلم الى ان يصل أحدهم الى الاربعين فينقطع للعبادة و يطوى فراشه وحدث أبو بكر بن الخطيب بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا بلغ العبد أربعين سنة امنه الله تعالى من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الانابة اليه لما يحب فاذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فى أهل بيته وناداه منادمن السماء هذا أسير الله فى أرضه وحدث بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يستحى أن يعذب عبدا وأمته اذا أسنا فى الاسلام وقد أنشدوا

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم اعتقوهم قصدا بوار
وأنت يا مالكى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

وقد أكثر الناس من التحذير من طول الامل لان به يقع التسويف فى العمل فرحم الله عبدا قصر من أمله قبل حلول أجله وأخذ من يومه وأمسه ما يستضىء به فى ظلم رمسه وقد روينا فى جامع الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلث الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه الحديث رواه الترمذى

﴿باب فى ذكر الموت والوفاة ومصير الارواح بعد الممات وما يستحب من أحوال المحتضرين وفى حسن الظن بالله تعالى وتلقين الشهادة وتأنيس المحتضر باحاديث الرجاء ليحسن ظنه بربه سبحانه﴾

قال الحارث بن أسد المحاسبى رحمه الله تعالى فى كتاب التوهم افهم ما اصف لك وفرغ فيه الفكرة عقلك وادم له فهمك واشتغل بذكره يقطع كل مذكور سواه ومتوهم غيره فالعجب منك كيف تقر عينك أو يزايل الوجد قلبك وقد عصيت ربك والموت لا محالة نازل بك يكربه وغصصه ونزعه وسكراته فكأنه قد نزل بك وشيكا فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها الا الى الحشر الى ربك فتوهم نفسك وقد بدا لك الموت فجذب روحك من قدميك فوجدت الم جذبه وقلبك وجل محزون منتظر للبشرى من ربك بالرضا أو بالسخط فبينما أنت فى كربك وغمومك وألم أوجاعك اذ نظرت الى صفحة وجه ملك الموت فى أحسن صورة أو أقبحها وقد تعلق قلبك بما يفجؤك من البشرى اذ سمعت صوته أبشر يا ولى الله برضائه أو ابشر يا عدو الله بسخط الله وغضبه فتستيقن حينئذ بفوزك ونجاتك أو بعطبك وهلاكك فتوهم حينئذ وقد استطار قلبك فرحا وسرورا أو ملئ غما وحزنا قال الغزالى وعبد الحق اعلم ان المستحب من حال المحتضر عند الموت ان يكون منه الهدو والسكون ومن لسانه النطق بالشهادتين ومن قلبه حسن الظن بالله تعالى واعلم ان المطيع لله سبحانه يرى ملك الموت فى أحسن صورة وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض بها روح المؤمن قال نعم فاصرف وجهك عنى فصرف وجهه ثم نظر اليه فاذا هو بشاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت من السرور شيأ الا وجهك لكفاه ثم قال له أرنى كيف تقبض روح الكافر فقال له لا تطيق ذلك قال بلى أرنى قال اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ثم نظر اليه فاذا صورة انسان اسود زجلاء فى الارض ورأسه فى السماء كأقبح ما أنت زاء من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار فقال له والله لو لم يلق الكافر سوى نظره الى شخصك لكفاه فارغب رحمك الله الى مولاك ان يجعلك فى زمرة أوليائه واجتهد فى خدمته عساه أن يلحقك باصفيائه خرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

تبارك وتعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ أحب الى مما افترضت عليه وما زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته فتأمل رحمك الله هذا الكلام العظيم من المولى الغنى الكريم فسبحانه ما أرحمه بعباده فلو لم يكن الا هذا الحديث فى باب الرجاء لكان كافيا نسأله جلت قدرته أن يجعلنا من أوليائه الموفقين لخدمته الساعين فى مرضاته قال الغزالى ومما يراه الميت عند شخوص بصره الملائكة الكرام الحافظون قال وهب بن منبه بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا ورب عمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك حين شخوص الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا انتهى كلام الغزالى ومن كتاب روضة الحقائق المنسوب للفقيه أبى عبد الله بن الحلال قال وروى انه اذا نزل الموت بالمؤمن ودعه ملكاه اللذان كانا يكتبان حسناته فيقولان جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت تملى علينا خيرا وستلقى خيرا وأما الكافر أو الفاجر فيقولان لا جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت تملى علينا شرا فستلقى شرا ويمثل له عمله يوم القيامة اسود قبيحا فيأخذ به كل وعر وظلمة فيقول له بئس الصاحب أنت فيقول له أما تعرفنى فيقول له ما أعرفك غير أنى أراك صاحب سوء فيقول له أنا عملك كان قبيحا فى الدنيا اسود فلذلك ترانى اسود قبيحا كنت أحملك فى الدنيا فاحملنى اليوم أنت فيركبه ثم وقوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم الآية وتتلقاه عند خروج روحه ملائكة العذاب ويقولون لا مرحبا بهذه النفس الخبيثة فتغلق دونه أبواب السماء ويقول الجبار سبحانه اذهبوا به الى أمه الهاوية وأروه مقعده من النار الحديث وسيأتى لهذا مزيد بيان ان شاء الله تعالى وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فنيت أيام الدنيا عن هذا العبد المؤمن بعث الله الى نفسه من يتوفاها قال فقال صاحباه اللذان يحفظان عمله ان هذا قد كان لنا أخا وصاحبا وقد حان اليوم منه فراق فاذنوا لنا أو قال دعونا نثن على أخينا فيقال أثنيا عليه فيقولان جزاك الله خيرا ورضى عنك وغفر لك وأدخلك الجنة فنعم الاخ كنت والصاحب ما كان أيسر مؤنتك وأحسن معونتك على نفسك ما كانت خطاياك تمنعنا أن نصعد الى ربنا فنسبح بحمده ونقدس له ونسجد له ويقول الذى يتولى نفسه أخرجى أيتها الروح الطيبة الى خير يوم مر عليك فنعم ما قدمت لنفسك أخرجى الى الروح والريحان وجنات النعيم ورب عليك غير غضبان واذا فنيت أيام الدنيا عن العبد الكافر بعث الله الى نفسه من يتوفاها فيقول صاحباه اللذان كانا يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان لنا صاحبا وقد حان منه فراق فاذنوا لنا ودعونا نثن على صاحبنا فيقال أثنيا عليه فيقولان لعنة الله وغضبه عليه ولا غفر له وأدخله النار فبئس الصاحب ما كان أشد مؤنته وما كان يعين على نفسه ان كانت خطاياه وذنوبه لتمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح له ونقدس له ونسجد له ويقول الذى يتوفى نفسه أخرجى أيتها الروح الخبيثة الى شر يوم مر عليك فبئس ما قدمت لنفسك اخرجى الى الحميم وتصلية الجحيم ورب عليك غضبان قال عبد الحق اعلم ان الانسان لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من احدى الدارين وصحبه من أحد الفريقين قال وروى انه ما من ميت يموت الا ويكلمه ملكاه اللذان يكتبان عمله فى الدنيا فان كان مطيعا قالا له جزاك الله من صاحب خيرا فرب كلام حسن قد أسمعتناه ورب مجلس خير قد أجلستناه ورب عمل صالح قد أحضرتناه فنحن لك اليوم على ما تحب وان كان فاجرا قالا له جزاك الله من صاحب شر فرب كلام قبيح قد أسمعتناه ورب مجلس سوء قد أجلستناه ورب عمل سوء قد أحضرتناه فنحن لك على ما تكره قلت ورأيت فى بعض كتب التذكير ما نصه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قبض الله سبحانه روح العبد المؤمن صعد ملكاه الى السماء فقالا ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن نكتب

عمله وقد قبضت زوجه اليك فأذن لنا ان نصعد الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى سماءي مملوءة بملائكتي يسبحونني فيقولون ائذن لنا أن نسكن في الارض فيقول عز وجل أرضي مملوءة من خلقي فيقولون ربنا أين نكون فيقول عز وجل قوموا على قبر عبدي فسبحاني واحمداني وهللاني واكتبوا ثواب ذلك للعبد الى يوم القيامة وهذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية بهذه الالفاظ وفيه ولكن قوموا على قبر عبدي فسبحاني وهللاني وكبراني الى يوم القيامة واكتبوا لعبدي رواه مسعر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغزالي ان تخرج روح عبد حتى يسمع نغمة ملك الموت باحدى بشريين اما أبشر يا عدو الله بالنار واما أبشر يا ولي الله بالجنة وعن هذا كان خوف أرباب القلوب والالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كذلك ان المؤمن اذا فرح له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه قلت هذا الحديث في الصحيح وفي البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه انا لنكره الموت فقال ليس ذاك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب اليه مما امامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره اليه مما امامه وكره لقاء الله فكره الله لقاءه وأخرجه أيضا مسلم وابن ماجه من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضي الله عنهم قال الغزالي قال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء ربه عز وجل ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم موته يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه قلت وهذا كلام حسن عليه نور وقال وروى جعفر ابن محمد عن أبيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مؤمن رفيق واعلم أنه ما من أهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لانا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو اني أردت ان أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها قال جعفر بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ذكره الماوردي قال صاحب روضة الحقائق وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده ملك الموت أشد تلطفا بروح المؤمن وأكثر محافظة من الوالدة على ولدها حين ترضعه ثم ذكر انه عند خروج روحه يفوح عنه أطيب من ريح المسك وتتباشر به الملائكة ويقولون اللهم صل عليه من روح طيب وصل على جسد خرج منه ثم يدفعونه الى الملائكة فيصعدون به الى السماء ولله سبحانه خلق في الهواء لا يعلمهم الا خالقهم فيفوح لهم منه ريح أطيب من المسك فيصلون عليه ما بين الارض والسماء وتفتح له أبواب السماء ويصلي عليه ملائكة كل سماء حتى يوقف بين يدي الله سبحانه فيقول سبحانه مرحبا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه واذا قال الجبار جل جلاله مرحبا بك ورحب به كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ويقول سبحانه اذهبوا بهذه الروح الطيبة فاروها مقعدها من الجنة وما أعددت لها من النعيم المقيم قال وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أراد الله سبحانه قبض روح وليه قال يا ملك الموت اذهب فائتني بروح عبدي فحسبي من عمله فقد أعطيته فوجدته شاكرا وابتليته فوجدته صابرا فحسبي من عمله اذهب أنت وأعوانك ستجده سامعا مطيعا ذاكرا مستعدا فيأتيه ملك الموت وقد دخل التقي قلبه فيقول له ملك الموت يا ولي الله ارتحل من غموم الدنيا فانه لن يعتريك غم بعد هذا أبدا هذا آخر ما عليك ثم تحتوشه الملائكة بريحان الجنة يقولون أخرجي أيتها النفس المطمئنة الى روح وريحان ورب راض عنك غير غضبان اخرجي فنعم ما قدمت فتخرج باطيب رائحة مسك ما وجدها أحدكم قط وعلى أرجاء السماء ملائكة فيقولون سبحان الله جاء اليوم من الارض روح طيب ونسمة طيبة فلا يمر بباب الا فتح له ولا بملك الا وصلى عليه

ويشفع له حتى يؤتى به الرحمن سبحانه فتسجد له الملائكة ويقولون يارب هذا عبدك فلان قد توفيناه وأنت أعلم فيقول مروه بالسجود فتسجد النسمة ثم يدعو ميكائيل فيقول له اذهب بهذه النسمة الحديث وسيأتي بعد هذا ان شاء الله تعالى وقال الغزالي في الاحياء روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبده قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه لا يحسبني حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول جنوده مالك يا سيدنا فيقول أما ترون ما اعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم عنه فيقولون قد جهدنا به فكان معصوما قوله صلى الله عليه وسلم ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما امامه فاحب لقاء الله فاحب الله لقاءه الحديث قال الشيخ الولي ابن أبي جمرة رضي الله عنه في هذا الحديث دليل على تهوين الموت على المؤمن يؤخذ ذلك من فرحه بما امامه مما يبشر به من رضا مولاه عنه واحسانه له فانه من فرح بشئ هان عليه ما يلقى عليه أو دونه من الشدائد وهذا ندركه حسا في أهل الدنيا فانهم ما حملوا فيها من المشاق والشدائد الا لفرحهم بها وحبهم لها فكيف بذلك الفرح الذي ليس مثله فرح جعلنا الله من أهله بفضله آمين انتهى كلام ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته وبركات أمثاله فكلامه عليه نور قلت وروى ابن المبارك في رقائقه عن محمد بن كعب القرظي قال اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك وقال القرظي جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قال القرظي في تذكرته وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وعن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قال يسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه

﴿فصل﴾ في حسن الظن بالله سبحانه وتلقين الميت قال عبد الحق أما حسن الظن بالله عز وجل فواجب وقد خرج مسلم والبخاري في صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن بالله الظن وفي رواية الا وهو حسن الظن بالله قال القرظي وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله عز وجل وزاد فيه فان قوما أرداهم سوء ظنهم وقال لهم تبارك وتعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وروى ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخافه وذكره ابن أبي الدنيا أيضا وخرجه الترمذي وقال حديث غريب وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول بسنده عن الحسن انه قال بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال ربكم عز وجل لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة وخرجه البزار أيضا عن الحسن قال البزار وحدثني محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الوهاب حدثنا محمد بن عمر وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وأسند الترمذي الحكيم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه سبحانه قال يا موسى لن يلقاني عبد في خاتمة القيامة الا فتشته عما في يديه الا ما كان من الورعين فاني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب فمن استحيا من الله تعالى في الدنيا مما صنع استحيا الله سبحانه من تفتيشه وسؤاله ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين انتهى قال القرظي وحسن الظن بالله تعالى ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة وهو ان الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغي

لجلسائه ان يذكروه بذلك وقد روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى الحديث وجاء فى حديث آخر أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء قال القرطبى وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فان حسن الظن بالله ثمن الجنة وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه حسن الظن بالله فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مدلا وقال ابن مسعود رضى الله عنه والله الذى لا اله غيره لا يحسن أحد الظن بالله الا أعطاه الله ظنه وذلك ان الخير بيده وقال ابن المبارك اخبرنا سفيان أن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا رأيتم بالرجل الموت فبشره وليلق ربه وهو حسن الظن به واذا كان حيا فخوفوه وحدث ابن أبى الدنيا بسنده عن المعتمر بن سليمان قال قال لى أبى حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله وأنا حسن الظن به وحدث بسنده عن حصين بن ابراهيم قال كانوا يستحبون أن يلقن العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن ظنه بربه عز وجل وكان يحيى بن زكريا اذا لقى عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليهما عبس واذا لقيه عيسى تبسم فقال له عيسى تلقانى عابسا كأنك يائس فقال له يحيى تلقانى ضاحكا كأنك آمن فأوحى الله تبارك وتعالى ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بى ذكره الطبرى وقال زيد بن أسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال انطلقوا به الى النار فيقول يا رب أين ملائى وصيامى فيقول الله تعالى اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى وفى القرآن ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وروى أبو بكر بن الخطيب بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أمة الا بعضها فى الجنة وبعضها فى النار الا أمتى فانها فى الجنة وهذا حديث لم يذكر ابن الخطيب فيه مطعنا بوجه فهو ثابت وحدث ابن الخطيب بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لا ينوى ظلم أحد أصبح وقد غفر الله له ما جنى وحدث ابن الخطيب بسنده عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه وحدث أبو بكر بسنده المتصل عن أبى بكر بن عمارة بن رويبة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لن يلج أى لن يلج النار رجل صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فقال له رجل من أهل البصرة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال عبد الحق ولو لا حسن الظن بالله عز وجل لهلك الخلق ومرض اعرابى فقيل له انك تموت فقال فاذا مت فأين يذهب بى فقالوا الى الله سبحانه قال وما أكره أن يذهب بى الى من لا يرى خير الا من عنده وروى أبو نعيم فى حليته عن سفيان الثورى انه قال أتيت أبا حبيب البدرى أسلم عليه ولم أكن رأيته فقال لى أنت سفيان الثورى الذى يقال قال قلت نعم نسأل الله تعالى بركته ما يقال فقال لى يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من ربنا سبحانه قلت أجل قال فما لنا نكره لقاء من لم ير خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله عطاء وذلك انه لا يمنع من بخل ولا عدم وانما منعه نظرا واختيارا ثم قال يا سفيان ان فيك لآفة ومعك شغلا ثم أقبل على شأنه وتركنى وروى بعض أصحاب الحسن بن هانئ انه رآه بعد موته فى النوم فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لى قلت بماذا قال بأربعة أبيات قلتها هى فى طى الفراش فمشى الرجل الى دار الحسن فالتمسها فى الفراش فوجدها وهى

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم
ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذى يرجو المسىء المجرم
ما لى اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظنى ثم انى مسلم

وعن مالك بن دينار انه قال رأيت مسلم بن يسار فى النوم بعد موته بسنة فسلمت عليه فلم يرد على السلام فقلت له

لم لا ترد على السلام قال فكيف أرد السلام عليك وأنا ميت فقلت له وماذا لقيت بعد الموت قال ودمعت عينا مالك عند هذا القول فقال لقيت أهوالا وزلازل وعظائم وشدائد قال مالك فقلت له فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم الا الكرم قبل منا الحسنات وغفر لنا السيآت وضمن عنا التباعات كما كان حسن الظن به قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه فلبث فى غشيته أياما مريضا ثم مات من مرضه ذلك وكان يقال ان قلبه انصدع وهكذا ذكر عبد الواحد بن زيد الحكاية وانه بحضرته وقع لمالك هذا وقال أبو عمر الضرير حدثنى سهل أخو حزم قال رأيت مالك بن دينار فى النوم بعد موته بسنة فقلت له أبا يحيى ماذا قدمت به على الله سبحانه قال قدمت عليه بذنوب كثيرة فمحاها حسن ظنى به سبحانه وقال عمار بن سيف رأيت الحسن بن صالح فى منامى بعد موته فقلت له لقد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك أخبرنا بما عندك فقال لم أر شيأ مثل حسن الظن بالله سبحانه ودخل واثلة بن الاسقع رضى الله عنه على رجل فوجده فى الموت فقال له أخبرنى كيف ظنك بالله تعالى فقال الرجل أغرقتنى ذنوبى وأشرفت على الهلكة ولكن أرجو رحمة الله تعالى فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء قلت وحسن الظن بالمولى سبحانه هو رأس مال العبد ولما تكلم ابن أبى جمرة رضى الله عنه على الحذر من القنوط وان من وقعت به مصيبة وكثرت عليه فلا يقنط فيها ولا ييأس فيستحق العذاب لقوله صلى الله عليه وسلم اخبارا عن ربه عز وجل يقول لو كنت معجلا عقوبة لعجلتها على القانطين من رحمتى قلت وهذا فيه غاية الرجاء سبحان من لا نهاية لفضله جعلنا الله ممن من عليه بخيرى الدنيا والآخرة ويروى عن الحسن بن الليث قال رأيت محمد بن محمد الرازى فى المنام فقلت له يا أبا عبد الله ما فعل الله بك قال غفر لى قلت بم قال برجائى له منذ ثمانين سنة

﴿فصل﴾ وقد قدمنا أنه ينبغى لجلساء المريض أو المحتضر ان يحدثوه بأحاديث الرجاء ليموت وهو حسن الظن بالله سبحانه وأنا أذكر ان شاء الله تعالى من ذلك جملة صالحة يذكر منها ما تيسر عند المحتضر قال الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب الرجاء اعلم ان العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله سبحانه أحبهم له وليس وراء المحبة مقام والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك وردفى الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما عند الموت قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن قال الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله طالعت مقام الرحمة فاذا على يقال لى والله ليكونن من رحمة الله غدا يوم القيامة ما ينال منها ابن أبى الطواجن وكان ابن أبى الطواجن هذا قد قتل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى قال أبو نعيم فى الحلية روى مسعر بن كدام عن عطية قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما جالسا فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن عمر فكنت تصنع ماذا فقال كنت والله أومن به وأقبل بين عينيه فقال له ابن عمر أفلا أبشرك قال بلى يا أبا عبد الرحمن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اختلط حبى بقلب عبد فأحبنى الا حرم الله جسده على النار الحديث قال الغزالى وحال الرجاء يغلب بقنين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار أما الاعتبار فهو ان يتأمل الانسان جميع ما أنعم الله به سبحانه على عباده من أنواع النعم ولطفه بعباده فى الدنيا وعجائب حكمته التى أبدعها فى خلقة الانسان حتى أعده له فى الدنيا كل ما هو ضرورى له فى دوام وجوده وما هو محتاج اليه وما هو زينة له كتقويس الحاجبين واختلاف أنواع العينين وحمرة الشفتين حتى لم يرض سبحانه أن تفوتهم الزوائد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى سبحانه بسياقتهم الى الهلاك المؤبد واذا كان حال أكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليهم السلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب أن أمور الآخرة هكذا تكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو سبحانه غفور رحيم لطيف

بعباده متعطف عليهم ومن الاعتبار أيضا النظر فى حكمة الشريعة وسنتها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة فى البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله فيه أطول آية ليهدى عبده الى طريق الاحتياط فى حفظ دنياه فكيف لا يحفظ عليه دينه الذى لا عوض له منه والفن الثانى استقراء الآيات والاخبار فيما ورد فى الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون لمن فى الارض وأخبر تعالى ان النار أعدها لاعدائه الكافرين وانما خوف بها أولياءه فقال ذلك يخوف الله به عباده وقال فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفى تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وأحد من أمته فى النار وأما الاخبار فقد روى أبو موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجل عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل له هذا فداؤك من النار وفى لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دموع وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله عز و جل ثم تصيب شيأ من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار وروى فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه أن الله تعالى أوحى الى نبيه انى أجعل حساب أمتك اليك فقال لا يارب أنت خير لهم منى قال اذا لا أخزيك فيهم وروى عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم الى غيرى كى لا ينظر الى مساويهم أنت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وفى حديث أنس الطويل ان الاعرابى قال يا رسول الله من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابى فقال صلى الله عليه وسلم مما ذا ضحكت يا اعرابى فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق ألا ولا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابى وفى الخبر يقول الله عز و جل انما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما خلق الله شيأ الا جعل له ما يغلبه و جعل رحمته تغلب غضبه وفى الخبر المشهور ان الله سبحانه كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى وعن معاذ بن جبل وأنس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقى الله لا يشرك به شيأ حرم الله عليه النار ولا يدخل النار من فى قلبه وزن ذرة من ايمان وفى خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد الحديث وفى الخبر لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفى الخبر ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء أن تصيبه وفى الخبر ان لله مائة رحمة الحديث قلت خرجه مسلم والبخارى وافظ مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جعل الله

الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ولمسلم فى طريق آخر كل رحمة منها طباق ما بين السماء والارض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة وفى بعض الروايات فاذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة الى التسعة والتسعين فتكملن مائة رحمة حتى ان ابليس ليتطاول اليها رجاء ان ينال منها شيأ قال القرطبى قال ابن مسعود رضى الله عنه لن تزال الرحمة بالناس حتى ان ابليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين ونقل أبو نعيم فى حليته عن وهب بن منبه أنه قال فى الزبور يا داود هل تدرى من أسرع مرا على الصراط الذين يرضون بحكمى وألسنتهم رطبة من ذكرى هل تدرى يا داود أى المؤمنين أحب الى أن أطيل حياته الذى اذا قال لا اله الا الله اقشعر جلده فانى أكره لذلك المؤمن الموت كما يكره الوالد لولده ولا بد منه انى أريد أن أسره فى دار سوى هذه الدار فان نعيمها فيها بلاء ورخاؤها فيها شدة فيها عدو لا يألوهم خبالا يجرى منهم مجرى الدم من أجل ذلك عجلت أوليائى الى الجنة لولا ذلك ما مات آدم ولا ولده المؤمنون حتى ينفخ فى الصور انى أدرى ما تقول فى نفسك يا داود تقول قطعت عنهم عبادتك أما تعلم يا داود انى أثيب المؤمن على عثرة يعثرها فكيف اذا ذاق الموت وهو من أعظم المصائب ويرى جسده الطيب بين أطباق الثرى انما أحبسه طول ما أنا أحبسه لأعظم له الاجر وأجرى عليه أحسن ما كان يعمله الى يوم القيامة قال داود لك الحمد الهى من أجل ذلك سميت نفسك أرحم الراحمين ثم قال الهى فما جزاء من يبكى من خشيتك حتى تسيل دموعه على خديه قال جزاؤه أن أحرم وجهه على النار وروى أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أيخلق ربك خلقا ثم يعذبه فأوحى الله اليه يا موسى ازرع قال زرعت قال أحصد قال قد حصدت قال ادرس قال قد درست قال ذره قال قد ذريته قال فما بقى منه قال ما لا خير فيه قال فكذلك لا أعذب الا من لا خير فيه وروى أبو نعيم بسنده عن يحيى بن سعيد القطان عن نوفل بن مسعود قال دخلنا على أنس بن مالك رضى الله عنه فقلنا حدثنا بما سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من كن فيه حرم على النار وحرمت النار عليه ايمان بالله وحب لله وأن يلقى فى النار فيحترق أحب اليه من أن يرجع فى الكفر وفى البخارى قال ان لله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة * وانر جع الى نقل كلام الغزالى قال وقال صلى الله عليه وسلم انى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى أترونها للمصلين المتقين بل للمخلطين المتلوثين وأما الآثار فقد قال على رضى الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يكشف ستره فى الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن أبصار الملائكة كى لا تراه فتشهد عليه قلت ومن هذا المعنى ما حكاه ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى قال وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله يا من أظهر الجميل وستر القبيح ان الله عز وجل خلق تحت العرش تماثيل على صفة كل شخص من بنى آدم فاذا تحرك الآدمى بأى نوع تحرك تحرك ذلك التمثال بمثل ما تحرك به الآدمى لكن بفضل الله ان كان تحرك الآدمى بطاعة تحرك ذلك التمثال بمثلها فأبصرته الملائكة فاستغفرت له ودعت له وان كان بمخالفة أو مكروه ستر الله عز وجل ذلك التمثال عن الملائكة فلا يرونه حين يتحرك بالمعصية فسبحان من هذا حلمه بعد علمه قال ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى وقال عليه السلام من أصبح وأمسى لا ينوى ظلما لأحد غفر له ما جنى قال الغزالى ولقى مالك بن دينار أبانا فقال الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لارجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كسائى هذا من الفرح وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف

الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وهو عنى غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون فلا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه قلت وقد ذكرنا هذه الحكاية فى كتابنا الانوار فى معجزات النبى المختار صلى الله عليه وسلم عن ابن القطان والسهيلى وفيه قال ربعى مات أخى فسجيناه وجلسنا حوله فبينما نحن كذلك اذ كشف عن وجهه ثم قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال انى لقيت ربى فتلقانى بروح وريحان وهو عنى غير غضبان وكسانى ثيابا خضرا من سندس واستبرق أسرعوا بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أقسم أن لا يبرح حتى أدركه وآتيه وان الامر أهون مما تذهبون اليه فلا تغتروا قال الغزالى وفى الاثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة فاذا أدخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألنى النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤله قال الغزالى وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل كما قدمنا لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله سبحانه فاعظموا الرغبة وسلوا الله الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شئ وقال بكر بن سليمان الصواف دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال لا أدرى ما أقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله سبحانه ما لم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه رضى الله عنه وقد نقلها عبد الحق فى العاقبة ولفظه وقال مالك بن أنس لمن حضره وقد نزل به الموت ليعاين الناس غدا من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشر قال كشف له رضى الله عنه من سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظيم تجاوزه ما أوجب ان قال هذا قلت وقد روى أبو نعيم فى الحلية عن مسعر بن كدام عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله سبحانه بعثنى بالحق لبشرين الناس يوم القيامة من رحمة الله سبحانه شيأ لم يخطر على قلب ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا عبد صالح قلت وهذا حديث عظيم وقد أثنى سفيان الثورى وسفيان بن عيينة وشعبة بن الحجاج وغيرهم على مسعر وتوفى مسعر فى حياة سفيان الثورى قال على بن المدينى قال يحيى بن سعيد القطان ما رأيت أثبت من مسعر وقال شعبة كنا نسمى مسعرا المصحف وقال سفيان الثورى كنا اذا اختلفنا فى شئ اتينا مسعرا فسألناه قال سفيان قيل للاعمش ان مسعرا يشك فى حديثه فقال شك مسعر كيقين غيره وقال أبو حاتم الرازى شك مسعر أحب الى من يقين غيره وقال ابن داود كل قد أوهم فى حديثه غير مسعر وقال ابن عيينة سمعت مسعرا يقول التدليس دناءة قال الغزالى ورأى الاستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاج فى المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له فكيف حالك فقال وجدنا الامر أسهل مما توهمنا ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة فقال له يا أستاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى وحكى ان أبا العباس بن سريج رأى فى مرض موته فى منامه كأن القيامة قد قامت فاذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض الجواب وأراد جوابا آخر فقلت أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه قال فاذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال قلت وقد أطال الغزالى فى أسباب الرجاء وها أنا أستدرك ان شاء الله تعالى بعض أحاديث الرجاء المقوية لحسن الظن بالله سبحانه معززة لمخرجيها لانى أميل الى العز واذبه يثلج الصدر وبه تنشرح الصدور ويستولى عليها الضياء والنور وقد روى أبو نعيم فى الحلية عن يونس بن ميسرة قال دخلنا على يزيد بن الاسود عائدين ودخل واثلة بن الاسقع رضى الله عنه فلما نظر اليه يزيد مد يده فأخذ يده

فسح

فمسح بها وجهه وصدره لانه بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا يزيد كيف ظنك بربك فقال حسن قال ابشر فانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد روى البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم سبى على النبى صلى الله عليه وسلم فاذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى اذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى تقدر على أن لا تطرحه قال الله أرحم بعباده من هذه بولدها وروى أبو داود عن عامر الرامى رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل وعليه كساء وفى يده شئ قد التف عليه فقال يا رسول الله مررت بغيضة فسمعت فيها أصوات فراخ طير فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن بكسائى فهى معى قال ضعهن فوضعهن فأبت أمهن الا لزوفهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون لرحم أم الافراخ بفراخها والذى بعثنى بالحق الله أرحم بعباده من أم الافراخ بفراخها ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن فرجع بهن وروى البخارى ومسلم واللفظ لمسلم عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ ردفه على الرحل قال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله ألا أخبر به الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فأخبر به معاذ عند موته تأثما أى خروجا من الاثم وروى مسلم والبخارى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه الا مؤخرة الرحل فقال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدرى ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ ثم سار ساعة فقال يا معاذ بن جبل فقلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم وفى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال أعطانى النبى صلى الله عليه وسلم نعليه قال اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة الحديث قال صاحب التذكرة وروى أبو القاسم اسحق بن ابراهيم الختلى فى كتاب الديباج له عن ابن عباس وعلى بن حسين رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخبرنى جبريل عليه السلام أن لا اله الا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله فيسود وجهه قال وحدثنى يحيى بن عبد الحميد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا فى قبورهم ولا فى منشرهم كأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وينبغى للعبد أن يعود نفسه البكاء على آخرته لعل الله سبحانه ينجيه من هول ما بعد الموت روى أبو نعيم فى الحلية عن ابى ريحانة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال حرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين دمعت من خشية الله وقال الثالثة فنسيتها قال أبو شريح بعد ذلك وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله وروى أبو نعيم عن كعب الاحبار قال ما من رجل يبكى من خشية الله فتسيل دموعه على الارض فتقطر فتصيبه النار أبدا حتى يرجع قطر السماء اذا وقع على الارض الى السماء ولأن أبكى من خشية الله تعالى فتسيل دموعى على وجنتى أحب الى من أن أتصدق بوزنى ذهبا أو بجبل من ذهب

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ولو قالها يوما من الدهر أصابه قبل ذلك ما أصابه وأسند عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من مات وهو يشهد أن لا اله الا الله أو قال لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة وخرج البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من خرج من عينيه مثل جناح ذباب دموعا من خشية الله لم يدخل النار حتى يعود اللبن في ضرعه وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله عز وجل وعينا سهرت في سبيل الله وعينا خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل وفي صحيح مسلم عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال دخلت عليه وهو في الموت فبكيت فقال لي مهلا لم تبكي والله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لاشفعن لك ولئن استطعت لانفعنك ثم قال والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقد خرجه أيضا أبو عيسى الترمذي بهذا السياق وفيه وسأحدثكموه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في غزوة تبوك لما جمعوا مابقي من أزوادهم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم قال فأخذوا في أوعيتهم حتى ماتركوا في العسكر وعاء الا ملؤه وأكلوا وشبعوا وفضلت فضلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة وفي رواية له غير شاك فيهما الا دخل الجنة وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي اللهم أمتي وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك هذا لفظ مسلم ورواه أيضا النسائي وقال أبو الليث السمرقندي وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اغرورقت عينا عبد من خشية الله تعالى الا حرم الله تعالى حدقتيه على النار وان سالت الدموع على خديه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ومامن شئ الا له ثواب ووزن الا الدمعة من خشية الله تعالى فانها تطفئ بحورا من نار جهنم ولو أن عبدا بكى من خشية الله تعالى في أمة من الأمم لنجى الله تلك الامة ببكاء ذلك العبد وقد حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان قطرة من الدموع تطفئ سبعة أبحر من نار جهنم ثم قال قال الحسن البصري حاكيا عن غيره والله ما بكت العيون حتى بكت القلوب وقد نقل الجوزي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم نحو ما تقدم ولفظه قال رحمه الله ما اغرورقت عين بمائها الا حرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ومامن شئ الا له جزاء الا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولو أن باكيا بكى في أمة لحرم الله تلك الامة على النار وروى الترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود

اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخر أبدا قال النسائى ويروى فى جوف أبدا قال الترمذى وفى الباب عن أبى ريحانة وابن عباس قال وهذا حديث صحيح وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله وروى أبو بكر بن الخطيب بسنده عن أم كلثوم بنت العباس عن العباس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وحدث ابن الخطيب بسنده عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله طلست ما فى صحيفته من السيآت حتى يعود الى مثلها وحدث بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم كأنى أنظر اليهم اذا انفلقت الارض عنهم يقولون لا اله الا الله وحدث بسنده عن محمد الموصلى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يارسول الله ان يحيى بن الحمانى حدثنا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عنك صلى الله عليك انك قلت ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى منشرهم وكأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن فقال صدق ابن الحمانى وقال القشيرى فى التحبير الله أرحم بعباده من كل أحد قال وفى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بعض أسفاره فمر بامرأة تخبز ومعها صبى لها فقالت يارسول الله بلغنى انك تقول ان الله سبحانه أرحم بعبده من الوالدة بولدها أفهو كما قيل لى فقال صلى الله عليه وسلم نعم فقالت فان الام لا تلقى ولدها فى هذا التنور فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله تعالى لا يعذب الا من أبى أن يقول لا اله الا الله وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين سهل قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اغرورقت عينا عبد من خشية الله تعالى فتمسه النار ذكره أبو منصور المهرانى وعن عتبان بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشهد أحد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فيدخل النار أو تطعمه النار قال أنس بن مالك فأعجبنى هذا الحديث فقلت لابنى اكتبه فكتبه رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة وينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وأنت لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال فانك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وطاشت معناه خفت والسجل الصحيفة والبطاقة القطعة وروى أبو نعيم عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر بشر الناس من قال لا اله الا الله دخل الجنة قلت وحدثنا الشيخ عبد الواحد الغريانى اجازة بسنده عن عبد الرزاق عن مالك عن الزهرى عن سالم عن أبيه رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلى الذنوب عن أمتى كما تبلى الابدان حتى يخرجون من قبورهم وما لأحدهم ذنب وبهذا السند عن عبد الرزاق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتى أمة مرحومة يدخلون القبور بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنب فقيل

بماذا يارسول فقال بطول البلى واستغفار الحى للميت قال القرطبى فى تذكرته وفى الخبر أنه اذا خفت حسنات المؤمن أخرج النبى صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت فيقول أنا نبيك وهذه صلاتك التى كنت تصلى على قد وفيتك اياها أحوج ماتكون اليها قال ذكره القشيرى فى تفسيره وروى أبو نعيم من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت قال القرطبى قال الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم وقال صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التباعات تواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتى قال الغزالى فى آخر كتاب الاحياء قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته يوم القيامة فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره وروى مسلم فى صحيحه عن أبى بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لايموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا اله الا هو ثلاث مرات ان أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فحلف له وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من لقى الله لايشرك به شيأ دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار وروى مسلم عن المعرور بن سويد قال سمعت أبا ذر رضى الله عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبريل عليه السلام فبشرنى أنه من مات من أمتك لايشرك بالله شيأ دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وروى مسلم أيضا عن أبى الاسود الدؤلى ان أبا ذر رضى الله عنه حدثه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم أتيته فاذا هو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فجلست اليه فقال مامن عبد قال لااله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر قال فخرج أبو ذر وهو يقول وان رغم أنف أبى ذر رواه أيضا البخارى ولفظه عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى آت من ربى فاخبرنى أو قال بشرنى أنه من مات من أمتى لايشرك بالله شيأ دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وروى أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن واسع عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحرم النار على كل هين لين سهل قريب وروى أبو نعيم عن مالك بن دينار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أنه يقول وعزتى وجلالى ووحدانيتى وفاقة خلقى الى واستوائى على عرشى وارتفاع مكانى انى لأستحيى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن أعذبهما ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى عند ذلك فقلت مايبكيك يانبى الله فقال بكيت لمن يستحيى الله منه ولايستحيى من الله عز وجل وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى فى اليوم ثنتى عشرة ركعة حرم الله عز وجل لحمه على النار قال فما تركتها بعد وذكر أبو نعيم فى الحلية ان رجلا سأل وهب بن منبه فقال له حدثنى رحمك الله عن زبور داود قال نعم وجدت فى آخر ثلاثين سطرا [يا داود اسمع منى والحق أقول من لقينى وهو يحبنى أدخلته الجنة

يا داود اسمع منى والحق أقول من لقينى وهو يخاف عذابى لم أعذبه يا داود اسمع منى والحق أقول من لقينى وهو مستحى من معاصيه أنسيت حافظيه ذنوبه ولم أسأله عنها يا داود اسمع منى والحق أقول لو أن عبدا من عبادى عمل حشو الدنيا ذنوبا مشارقها ومغاربها ثم ندم حلب شاة واستغفرنى مرة واحدة فعلمت من قلبه أنه لا يريد أن يعود اليها ألقيتها عنه أسرع من هبوط المطر من السماء الى الارض يا داود اسمع منى والحق أقول لو أن عبدا أتانى بحسنة واحدة حكمته فى جنتى قال داود يارب من أجل ذلك لا يحل لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك] قلت وهذا الكلام هكذا وجدته أنا أيضا فى آخر زبور داود وفيه زيادة بعد قوله حكمته فى جنتى فقال داود يارب وما تلك الحسنة قال [يا داود تفرج عن كل مكروب بقدرة] وروى أبو نعيم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يبعث مناد عند حضرة كل صلاة فيقول يا بنى آدم قوموا فاطفؤا عنكم ما أوقدتم على أنفسكم فيقومون فيتطهرون فتسقط خطاياهم من أعينهم ويصلون فيغفرلهم مابينهما فاذا حضرت العصر فمثل ذلك فاذا حضرت المغرب فمثل ذلك فاذا حضرت العتمة فمثل ذلك فينامون وقد غفر لهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فدلج فى خير ومدلج فى شر قلت وأحاديث الرجاء كثيرة وهذا القدر منها كاف وقصدنا من جمعها أن يذكربها المحتضر لعله يموت وهو يحسن الظن بالله سبحانه ويحسن أن يذكربها من غلب عليه الخوف وخيف عليه القنوط نسأل الله سبحانه ان يعاملنا واياكم بالحسنى ويبلغنا واياكم من مقامات أوليائه المحل الاسنى انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿فصل فى تلقين الميت﴾ روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقنوا موتاكم لا اله الا الله قال القرطبى وذكر ابن أبى الدنيا عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه أنه قال اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه مامن عبد يختم له بها الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالا ترون وروى أبو نعيم عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أحضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع وان الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع الحديث قلت وروى أبو داود والحاكم فى المستدرك على الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد وحدث أبو بكر أحمد بن على بن ثابت شهربان الخطيب بسنده المتصل عن نافع قال قلت لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما أكثر ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرخصة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لارجو أن لا يموت أحد يشهد أن لا اله الا الله مخلصا من قلبه فيعذبه الله عز وجل وخرج الطبرانى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر فى عضو من أعضائه فلم يجد حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيأ ثم فتك عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فقال وجبت لك الجنة بقولك كلمة الاخلاص قلت وعمدة الامر حسن الظن بالله سبحانه فمولانا كريم سبحانه وقد روى أبو نعيم فى حليته عن أبى الجوزاء أنه قال لجلسائه لو أن ناسا من فقهائكم وأغنيائكم انطلقوا الى رجل فقيه غنى فسألوه كوزا من ماء أكان يعطيهم قالوا يا أبا الجوزاء ومن ذا يمنع كوزا من ماء قال أبو الجوزاء والله لله تعالى أجود بجنته من ذلك الرجل بذلك الكوز من الماء قلت

وهذا ظن حسن جميل يليق بكرم المولى سبحانه وقد روى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من بلغ الثمانين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وروى أبو نعيم عن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يعلم ماله عند الله فليعلم ما لله عنده وروى أبو نعيم عن ابن السماك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات فى طريق مكة لم يعرض ولم يحاسب أى قاصدا للحج أو العمرة وروى مسلم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات وهو يعلم لا اله الا الله دخل الجنة قال الغزالى رحمه الله وانما معنى هذه الكلمة ان يموت العبد وليس فى قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه على محبوبه غاية النعيم فى حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذتها وكانت الكلمة على طرف اللسان دون القلب وقع الامر فى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله عز وجل بالقبول قال القرطبى قال علماؤنا وتلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل به المسلمون وذلك ليكون آخر كلامه لا اله الا الله فاذا قالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر منها فان تكلم بكلام ثان أعيد عليه التلقين وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر أبو نعيم الحافظ ان أبا زرعة لما كان فى السوق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبى زرعة فقالوا تعالوا نتذاكر الحديث فقال محمد بن مسلم حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى ولم يجاوزه وقال أبو حاتم حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى ولم يجاوزه والباقون سكوت فقال أبو زرعة وهو فى السوق حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى غريب عن كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى رواية حرمه الله على النار وتوفى رحمه الله قال ابن الفاكهانى قوله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله أى مع قول محمد رسول الله فيلقن الشهادتين معا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله أى مع الشهادة الاخرى وهو محمد رسول الله قال وهذا أمر لا ينبغى أن يختلف فيه اذ لا يكون العبد مسلما الا بهما فينبغى أن يلقنهما جميعا ليموت عليهما

﴿فصل﴾ وعن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرؤها على موتاكم رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك على الصحيحين وهذا لفظ النسائى وهو عند الباقين مختصر قال ابن الفاكهانى وجاء أيضا فى بعض الآثار أن المحتضر اذا قرئت عليه سورة يس بعث الله عز وجل له ملكا الى ملك الموت أن هون على عبدى الموت وروى أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل ابيات من جيرانه الادنين انهم لا يعلمون الا خيرا الا قال الله تعالى قد قبلت قولكم أو قال شهادتكم وغفرت له ما لا تعلمون وروى أبو نعيم بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاصك بلا اله الا الله أن تحجزك عما حرم الله عليك وقال سهل بن عبد الله ليس لمن يقول لا اله الا الله ثواب الا النظر الى الله سبحانه والجنة ثواب الاعمال

﴿باب ما يدعو به العبد قبل موته﴾

ومن كتاب الاحياء للغزالى والعاقبة لعبد الحق قالا روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أنه قال لما

احتضر أبو بكر الصديق رضى الله عنه أتاه ناس من أصحابه فقالوا له ياخليفة رسول الله انا نراك لما بك فأوصنا بوصية وزودنا بموعظة فقال من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدى العرش فيه رياض وأشجار وأنهار تغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعله الله فى ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقنى بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله فى طاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتى أن أشاء ما يقربنى اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلنى من ساكنى جنتك اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم وأردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحينى بعد الممات حياة طيبة وقربنى اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى نقته ورجاؤه غيرك فأنت نقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر رضى الله عنه وهذا كله فى كتاب الله عز وجل وروى الحاكم فى المستدرك على الصحيحين عن سعد بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أيما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى أجر شهيد وان برئ برئ وقد غفر الله له جميع ذنوبه قلت ومن أكثر من قراءة قوله تعالى الذى خلقنى فهو يهدين الى قوله بقلب سليم فى مرضه كان ملطوفا به فاعرفه وادع لى وقال الغزالى رحمه الله تعالى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيى ويميت وهو حى لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان أنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وروى الترمذى عن الأغر أبى مسلم قال أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما انهما شهدا على النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله والله أكبر صدقه ربه وقال لا اله الا أنا وأنا أكبر واذا قال لا اله الا الله وحده قال يقول الله لا اله الا أنا وحدى واذا قال لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى واذا قال لا اله الا الله له الملك وله الحمد قال الله لا اله الا أنا لى الملك ولى الحمد واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال الله لا اله الا أنا ولا حول ولا قوة الا بى وكان يقول من كان يقولها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار رواه النسائى عن أبى هريرة وحده مرفوعا قال من قال لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله له الملك وله الحمد لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يعقدهن خمسا بأصابعه ثم قال من قالهن فى يوم أو ليلة أو شهر ثم مات فى ذلك اليوم أو فى تلك الليلة أو فى ذلك الشهر غفر له ذنبه وفى الحديث الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ربكم رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان عملها كتبها الله سيئة واحدة أو يمحوها ولا يهلك على الله الا هالك فهذا حديث صحيح عظيم من أعظم أحاديث الرجاء

﴿باب مايقال عند المريض وفى اغماضه ومن يحضره﴾

روى مسلم وغيره عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فان الملائكة يؤمنون على ماتقولون قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ان أبا سلمة قد مات قال قولى اللهم اغفرلى وله واعقبنى منه عقبى حسنة قالت فقلت فأعقبنى الله من هو خير لى منه محمدا صلى الله عليه وسلم قلت هذا الحديث رواه الجماعة الا البخارى وأعنى بالجماعة الكتب الستة البخارى ومسلما وأبا داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال ان الروح اذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لاتدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ماتقولون ثم قال اللهم اغفر لابى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفرلنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه قوله فى الغابرين أى الباقين قال القرطبى واستحب العلماء ان يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه ويلقنوه ويدعوا له قال أبو داود تغميض الميت انما هو بعد خروج الروح سمعت محمد بن محمد المقرى قال سمعت أبا ميسرة وكان رجلا عابدا قال غمضت جعفرا المعلم وكان رجلا عابدا فى حالة الموت فرأيته فى منامى يقول أعظم ما كان على تغميضك لى قبل أن أموت وروى ان العبد اذا كان عند موته قعد عنده شيطانان أحدهما على صفة أبيه يقول له يابنى مت على دين النصارى وهو خير الاديان والآخر على شماله على صفة أمه يقول له يابنى مت على دين اليهود فهو خير الاديان قال الغزالى فى الدرة الفاخرة فاذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة وقيل جبريل عليه السلام فيطرد الشياطين عنه ويمسح الشحوب عن وجهه فيتبسم الميت لامحالة وكثيرمن يرى متبسما فى هذا المقام فرحا بالبشير الذى جاءه رحمة من الله تعالى فيقول يافلان أما تعرفنى أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة الجليلة فما شئ أحب اليه وأفرح منه بذلك الملك وهو قوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ثم يقبض روحه وروى ابن المبارك وسفيان عن ليث عن مجاهد قال مامن ميت الا يعرض عليه أهل مجالسته الذين كان يجالس ان كانوا أهل لهو فأهل لهو وان كانوا أهل ذكر فأهل ذكر قال الجوزى رحمه الله تعالى وليكن المؤمن منتظرا عند الموت بشارة الملك بتسليم الحق سبحانه عليه قال ابن مسعود رضى الله عنه اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال له ربك يقرئك السلام قلت وحديث ابن المبارك المتقدم ذكره أيضا ابو نعيم فى الحلية عن مجاهد

﴿فصل﴾ ورأيت ان أذكر وصية فمن وفقه الله للعمل بها فى حياته يرجى له حسن الخاتمة والفرح عند مماته أذكر ذلك معزوا لاولياء الله تعالى الناظرين بعين البصيرة المستضيئين بأنوار الشريعة قال الغزالى رحمه الله تعالى لما تكلم على أمر الخاتمة واذا ان لك أمر الخاتمة وهو مخوف فاشتغل الآن بالاستعداد له وواظب على ذكر الله واحرس عن فعل المعاصى جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصى ومشاهدة أهلها جهدك فان ذلك أيضا يؤثر فى قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول سأستعد له اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من أنفاسك خاتمتك اذ قد يمكن ان تخطف فيه روحك فراقب فى كل تطريفة قلبك واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا مادمت فى يقظتك وأما اذا نمت فاياك أن تنام الا بطهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ولست أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم

قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه ولا تبعث من نومك الا على ما غلب على قلبك فى نومك والموت والبعث يشبه النوم والتيقظ فكما لا ينام العبد الا على ما كان عليه فى يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه فى نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه فتحقق قطعا ويقينا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك واياك أن تغفل عن الله طرفة عين ثم قال بعد كلام واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فلو دنعته يوما بيوم فى تسويفك وغفلتك اختطفت فجأة فى وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك وقال رحمه الله تعالى فعليك فى بياض نهارك أن لا تشتغل الا بما ينفعك فى معادك أو معاشك الذى لا تستغنى عن الاستعانة به على معادك وحاسب نفسك ورتب أورادك فى ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تودع فيه سواه فبه تظهر بركة الاوقات واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح بركعتين فركعتان فى جوف الليل كنزان من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك فلن تغنى عنك كنوز الدنيا شيأ اذا مت ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك وقد قرب الموت منك وألزم نفسك الصبر أياما قلائل فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخره وان سوفت وتساهلت جاءك الموت فى وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسرا لا آخره وعند الصباح يحمد القوم السرى ولتعلن نبأه بعد حين وقال يمن بن رزق رحمه الله وأنا أوصيك بان تطيل النظر فى مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات ثم قال ولا تفرح بكثرة العمل مع قلة الحزن واغتنم قليل العمل مع الحزن فان قليل حزن الآخرة الدائم فى القلب ينفى كل سرور ألفه من سرور الدنيا والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته وعلامة ثبات اليقين فى القلب استدامة الحزن فيه وعلامة ثبات حزن الآخرة فى القلب أنس العبد بالوحدة ﴿تنبيه﴾ ولما تكلم عبد الحق على أمر الخاتمة وما يخاف منها قال اعلم رحمك الله ان لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابا ولها طرق وأبواب وأعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض عن الاخرى والاقدام بالمعصية على الله سبحانه واعلم ان سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون بفضل الله لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله وانما تكون لمن يكون له فساد فى العقد واصرار على الكبائر واقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل عليه الموت قبل التوبة ويثب عليه قبل الانابة ويأخذه قبل اصلاح الطوية فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أو يكون لمن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ويأخذ فى غير طريقه فيكون ذلك سبب السوء خاتمته والعياذ بالله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء اللهم اختم لنا بما ختمت به من السعادة لاوليائك وانعم علينا بما أنعمت به من الكرامة لاصفيائك قال ابن الفاكهانى فى شرحه للاربعين حديثا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن مسعود ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه الحديث وفيه فوالذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه مسلم والبخارى قال ابن الفاكهانى ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانما منعه من دخول الجنة سابق القدر الذى ظهر عند الخاتمة وأما العامل المذكور فى كتاب الايمان فى صحيح مسلم ورواه البخارى ايضا الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما

يبدو للناس وهو من أهل النار فانه لم يكن عمله صحيحا فى نفسه وانما كان رياء وسمعة فيستفاد منه الحض على اخلاص العمل والتحذير من الرياء ويستفاد من حديث ابن مسعود الحض على ترك العجب بالاعمال والركون اليها وانما التعويل على كرم الله سبحانه ورؤية المنة له حيث وفقه للعمل وقال عياض رحمه الله تعالى فى حديث ابن مسعود ومافى معناه المراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع فى نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ان من لطف الله تعالى وسعة رحمته ان انقلاب الناس من الشر الى الخير فيه كثرة وأما انقلابهم من الخير الى الشر ففى غاية الندور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالى ان رحمتى سبقت غضبى أو غلبت غضبى قلت وهذا والحمد لله هو الذى يعتقد وسيأتى من كلام الغزالى مايوضح هذا المعنى والله الموفق بفضله نسأل الله سبحانه أن يمن علينا وعليكم بحسن الخاتمة وأن يحشرنا فى زمرة أوليائه والصالحين من عباده آمين

﴿ باب جامع لمواعظ وفى ذكر الخاتمة والحث على الاستعداد للآخرة وماجاء فى ذلك من كلام أولياء الله العارفين نظما ونثرا وماجاء فى الشيب ﴾

ومن كتاب أبى عمر أحمد بن عبد ربه المسمى باليتيمة قال كتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى عظنى وأوجز فكتب اليه أما بعد فان فيما أمرك الله شغلا عما نهاك عنه والسلام قال ابن عبد ربه قال الفضيل بن عياض وعد من الله سبحانه لمن خافه أن يدخله الجنة وتلا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وهذا انتزاع حسن وفى معناه قوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى قال ابن عبد ربه وقال اعرابى لاخيه ياأخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ماقد كفيته فكان ماغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه فامهد لنفسك وأعد زادك وخذ فى جهازك وقال اعرابى لرجل أى أخى ان ايسار النفس خير من ايسار المال فان لم ترزق غنى فلا تحرم تقى وحسن ثنى قرب شبعان من النعم غرثان من الكرم واعلم ان المؤمن على خير ترحب به الارض وتستبشر به السماء ولن تسىء اليه الارض فى بطنها وقد أحسن على ظهرها وقال اعرابى مابقاء عمر تقطعه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات ولقد عجبت من المؤمن يكره الموت وهو ينقله الى الثواب الذى أحيا له ليله وأظمأ له نهاره وينبغى للعبد أن يكثر التفكر فى أمر آخرته ليستعد لها فقد قيل التفكر نور والغفلة ظلمة وقد قال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له قال عبد الحق رحمه الله تعالى فى باب مايحذر من سوء الخاتمة أعاذنا الله من سوء الخاتمة بفضله اعلم رحمك الله ان أمر الخاتمة اذا ذكر حقيقة ذكره انفطرت له القلوب وتشققت وانصدعت له الاكباد وتقطعت ففى الخبر الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وانما الاعمال بالخواتم قلت هذا الحديث رواه مسلم من حديث سهل ابن سعد الساعدى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا وفى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رجل لايدع للمشركين شاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال أما انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقال رجل من القوم أنا لكم به فخرج فى طلبه حتى جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أهل النار فتل نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة الحديث مختصر قال عبد الحق فانظر رحمك الله كيف تقر عين عاقل فى هذه الدار وكيف يستقر له فيها قرار مع هذه

الحال وتوقع هذا المثال لكن حجاب الغفلة الذى غطى على القلوب كثف فلا ترى ماوراءه والوقر الذى فى الآذان عظم فلا تسمع من ناصح دعاءه وقد بكى أولو الالباب على هذا فاكثروا وسهروا من أجله الليالى الطويلة وأسهروا وارام عاذلوهم كفهم عما هم فيه فلم يقدروا وذلك للعلم الذى لاح لهم والتأييد الذى شملهم والتوفيق الذى يسر لهم وزبما هبت عليهم نفحات الرجاء فاستبشروا وسكنوا من ذلك الهيجان وفتروا فلتسلك رحمك الله على منهاج هؤلاء العقلاء ولتمش على آثار هؤلاء الفضلاء وأدم حسرتك وأمزج بدم الفؤاد عبرتك وابك على نفسك ثم ابك وصل البكا بالبكا والاسى بالاسى حتى تنكشف لك هذه الغاية وبكى سفيان الثورى رحمه الله تعالى ليلة الى الصباح فقيل له أبكاؤك هذا على الذنوب فأخذ تبنة من الارض فقال الذنوب أهون من هذا انما أبكى خوف الخاتمة وبكى غير سفيان وانه الامر يبكى عليه و يصرف الاهتمام كله اليه وقد قيل لاتكف دمعك حتى ترى فى المعاد ربعك وقيل لايخصب لك جناب ولاتأنس بكعاب حتى ترى ماخط لك فى أم الكتاب وتستبين لك العاقبة والمآب وقيل يا ابن آدم الاقلام على تجرى وأنت فى غفلة لاتدرى يا ابن آدم دع عنك التنافس فى هذه الدار حتى ترى مافعلت فى أمرك الاقدار سمع بعض الصالحين منشدا ينشد * أيا راهبى نجران مافعلت هند * فبكى ليلته الى الصباح فسئل عن ذلك فقال قلت فى نفسى مافعلت الاقدار فى وماذا جرت به على وقد علمت رحمك الله ان الناس صنفان صنف مقرب مصان وآخر مبعد مهان صنف نصبت لهم الاسرة والحجال والارائك والكلل وجمعت لهم الرغائب والآمال وآخرون أعدت لهم الاراقم والصلال والمقامع والاغلال وضروب الاهوال والانكال وأنت لاتعلم من أيهما أنت ولافى أى الفريقين كتبت

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل * ونزلت بالبيداء أبعد منزل
وتقلبوا فرحين تحت ظلالها * وطرحت بالصحراء غير مظلل
وسقوا من الصافى المعتق زيهم * وسقيت دمعة واله متململ

أعاذنا الله من فريق أهل النار وكتبنا الله من فريق أهل السعادة الاخيار

﴿فصل﴾ قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وذكر الغزالى فى آخر كتاب قواعد العقائد عن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يحلف بالله ما أمن أحد أن يسلب ايمانه الا سلبه قلت وهذا أمر عظيم يجب على العبد أن يكون خائفا من مولاه مادام فى هذه الدار ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وذكر أبو نعيم فى الحلية عن أبى ادريس الخولانى أنه قال ما على ظهرها من بشر لايخاف على ايمانه أن يذهب الا ذهب قلت وهذا نحو ما تقدم عن أبى الدرداء اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين قال الغزالى ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله منها وقيل هى عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء قال الغزالى رحمه الله ان كنت طالبا لسعادة الآخرة فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر فى الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك ان تحظى من محبة مولاك والمعرفة به بنزر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له قال و بحر المعرفة لاساحل له وكلما كثرت المعرفة بالله سبحانه وصفاته وأفعاله وأسرار مملكته وقويت كثر النعيم فى الآخرة وعظم قال واعلم ان أسعد الخلق حالا فى الآخرة أقواهم حبا لله سبحانه فان الآخرة معناها القدوم على الله سبحانه ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب اذا قدم على حبيبه قال وأصل الحب لاينفك عنه مؤمن لانه لاينفك عن أصل المعرفة الا ان بين المؤمنين فى ذلك تفاوتا قال فأصل السعادة هى المعرفة التى عبر الشرع عنها بالايمان اللهم أدم لنا الايمان وانعم علينا بالعرفان وتوفنا على الاسلام اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين قلت وروى أبو نعيم فى حليته عن الحكم

ابن عمير الثمالى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا فى الدنيا أضيافا واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا التفكر والبكاء ولا تختلفن بكم الاهواء تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وروى أبو نعيم عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك قال الغزالى كانت شعوانة تقول فى دعائها الهى ما أشوقنى الى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عملى فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك الهى انك لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ولقد رجوت ممن تولانى فى حياتى باحسانه أن يشفعنى عند مماتى بغفرانه الهى كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتى ولم تولنى الا الجميل فى حياتى الهى ان كانت ذنوبى أخافتنى فان محبتى لك قد أجارتنى فتول من أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله الهى لو أردت اهانتى لما هديتنى ولو أردت فضيحتى لما سترتنى فتعنى لما له هديتنى وأدم لى ما به سترتنى الهى ما أظنك ترد فى حاجة أفنيت فيها عمرى الهى لو لا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولو لا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك قال محمد بن معاذ بن جبل حدثتنى امرأة من المتعبدات قالت رأيت فى منامى كأنى أدخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقيل لى خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التى زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة قالوا أمة سوداء من أهل الايلة يقال لها شعوانة فقلت أختى والله قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيب يطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديتها يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألحقنى بك قالت فنظرت الى وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين ألزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى مت قال صاحب التذكرة روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت اذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قبل موته بعام ملكا فسدده ووفقه حتى يقول الناس مات فلان خيرا ما كان فاذا حضر ورأى ثوابه تهوعت نفسه فذلك حين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه واذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته بعام شيطانا فأضله وفتنه حتى يقول الناس مات فلان شرا ما كان فاذا حضر ورأى ما ينزل به من العذاب تمثلت نفسه فذلك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه وخرج الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا استعمله فقيل كيف يستعمله يا رسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت قال أبو عيسى هذا حديث صحيح قال القرطبى ومنه الحديث الآخر اذا أراد الله بعبد خيرا عسله قالوا يا رسول الله وما عسله قال يفتح الله له عملا صالحا بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله وروى ابن جرير عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة فى تفسير قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان ويقول قدما الى الله عز وجل وأما الكافر فيقول ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت الآية وعن قتادة فى تفسير قوله تعالى فروح وريحان قال الروح الرحمة والريحان يتلقاه عند الموت وقال ابن عطية الروح الرحمة والسعة والفرج ومنه روح الله والريحان الطيب وهو دليل النعيم وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الريحان الاستراحة قال ابن عطية وبالجملة فالريحان ما تنبسط اليه النفوس ونقل الثعلبى عن أبى العالية أنه قال لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمها ثم يقبض روحه فيها ونحوه عن الحسن

﴿فصل﴾ قال أبو حامد رحمه الله تعالى اعلم انك ان أمهلت نفسك شردت ولم تظفر بها وان لازمتها

بالتوبيخ والمعاتبة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المرجوة للدعوة أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها وقل لها يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فيما أمرك مهمل واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها كما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين الحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولا لبد ولا حطب فانه قادر على ذلك أفتظنين ان زمهرير جهنم أخف بردا أو أقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين ان العبد ينجو من جهنم من غير سعي هيهات هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر جهنم وبردها الا بحصن التوحيد والطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك التحصن ويسر لك أسبابه لافي ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان من كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك الى طريق استخراجها من بين حديد وحجر حتى تدفعي برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الجبة والحطب مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلقه سبيا لاستراحتك فطاعتك ومجاهدتك أيضا هو يستغني عنهما وانما هي طريق الى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن عمي فعليها والله غني عن العالمين فنفس آخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأكم تعودون وسنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فشمر عن ساق الجد وتزود للرحيل واعتبر بمن مضى من اخوانك أتظن انك تشيع جنائزهم وأنت باق بعدهم أتظن انهم دعوا الى الآخرة وأنت من الخالدين هيهات هيهات ما أنت يا مسكين الا في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك قال رحمه الله والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور وعرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فاعمل وفقك الله في أيام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره فما دام لك نفس من عمرك فالامر بيدك والاستعداد بيدك يسرنا الله واياكم لعمل الصالحات وأنعم علينا وعليكم بالفرح به والسرور عند الممات ومن كتاب توبيخ النفس للمحاسبي قال رحمه الله تعالى وتوبيخ نفسك فتقول لها ويحك أنت اليوم مهملة وعن قريب تنقطع هذه المدة وكأنك بالموت قد غشيتك سكراته وحضرك الندم حيث لا ينفع الندم وأعطيت التوبة الصحيحة حيث لا تقبل ويحك أتدرين عما يكشف لك عنه الغطاء حينئذ ويحك تكلفي الحزن واطلبيه لعلك به من الحزن الاكبر تحجبين ويحك فكري فيما سلف منك من الذنوب وتعودي البكاء عسى أن لا تسيل الدموع منك في نار جهنم ويحك استغيثي بارحم الراحمين واشتكي اليه وأديمي الاستغاثة ولا تملي فانه سيغيثك وان من اغاثته لك أن من عليك بالاستغاثة فألحي بالطلب فان المطلوب اليه كريم والمستغاث به رؤف رحيم ويحك أقبلي على مولاك عسى أن يقبلك واستغيثي به فان المستغيث مأذون له في الاستغاثة وان الداعي موفق للدعاء فما كان الكريم سبحانه يمن بالاستغاثة ويهيج على الطلب وهو يريد بمن فعل ذلك به أن لا يجيبه ولكن لما لم يشكر المتفضل عليه بالدعاء على تمام نعمائه ولم يلح بطلب على قدر مسكنته فلذلك زد أكثر الداعين وخيب أكثر المستغيثين فأما من فتح الله له بالاستغاثة ومن عليه بالتضرع اليه فعظم منته بذلك شكرا وعلم انه أعطى ما لم يستأهل ثم أدام وواظب على الطلب لم يخيب الله عز وجل دعوته ولم يمسك عن اغاثته اجابته ألم تسمع قول عبد الله من أدام قرع باب الملك أوشك ان

يفتح له ويحك لم تخاف من عذاب الله سبحانه ولم ترجى نفسك أما تشتاقين الى جوار مولاك فى جنته ودار نعيمه لا يبيد وقرة عين لا تنقطع فوق الأمانى مما تشتهيه الأنفس مع البقاء واليقين بالرضوان وأعظم من ذلك رؤية المولى سبحانه أما تشاقين أن ترى مولاك وتسمعى كلامه فتنظرين الى من لا شبيه له سبحانه ويحك فى هذه الدار وجب ذلك للعمال وفى هذه حل الحرمان من ذلك كله للعصاة الجهال فعيشك غنيمة وبقية عمرك نعمة من المولى عليك فارحى نفسك واشكرى مولاك أن لا يكون الموت عاجلك ويحك ان الدنيا تجارة لله بقدر ما تتحملين من المكروه فيها لله تعالى تعوضين وبقدر ما تتركين من المحبوب تجزين ويحك ان الخائفين بذلوا الأحزان فى الدنيا فورثوا فى الآخرة دوام السرور وأطالوا البكاء فى الدنيا فدام فى الآخرة فرحهم تعبوا لله ونصبوا فورثوا راحة الابدان ورفضوا الشهوات فتزوجوا الحور الحسان وتنادموا بالخمور مع السادة الابرار وصاروا الى كل منية وغاية من اللذات ﴿قلت﴾ روى أبو نعيم الحافظ فى الحلية عن محمد بن واسع أنه قال من مقت نفسه فى ذات الله أمنه الله من مقته وذكر الغزالى حديثا عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى آخره وصل على الجنائز فان ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله سبحانه وذكر أبو نعيم فى حليته عن الحكم بن حجل أنه قال لما مات ابن سيرين حزنت عليه ثم رأيته فى المنام فى قصر على أحسن حال فقلت له أى أخى قد أراك فى حال تسرنى فما صنع الحسن بن أبى الحسن البصرى قال رفع فوقى بسبعين درجة قلت وبم ذلك قال ذاك بطول حزنه قال أبو نعيم قال عامر بن عبد الله بن قيس رأيت نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وصحبتهم فحدثوا ان أصفى الناس ايمانا يوم القيامة أشدهم محاسبة لنفسه فى الدنيا وان أشد الناس فرحا فى الدنيا أشدهم حزنا يوم القيامة وان أكثر الناس ضحكا فى الدنيا أكثرهم بكاء يوم القيامة وحدثوا ان الله تعالى فرض فرائض وسن سننا وحد حدودا فمن عمل بفرائض الله وسننه واجتنب حدوده دخل الجنة بغير حساب ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ثم تاب استقبل الشدائد والاهوال والزلازل ثم يدخله الله الجنة ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ثم مات مصرا على ذلك لقى الله مسلما ان شاء غفر له وان شاء عذبه قال أبو نعيم قال عبد الواحد بن زيد لاصحابه يا اخوتاه ألا تبكون شوقا الى الله تعالى ألا انه من بكى شوقا الى الله لم يحرمه النظر اليه يا اخوتاه ألا تبكون خوفا من النار ألا انه من بكى خوفا من النار أعاذه الله منها قال عبد الواحد بن زيد قلت لحوشب بن مسلم يا أبا بشر ان قدمت على ربك قبلنا فقدرت على أن تخبرنا بالذى صرت اليه فافعل فمات فسألته فى النوم فقلت له كيف حالكم فقال نجونا بعفو الله سبحانه قال قلت فالحسن قال ذاك فى عليين لا نراه ولا يرانا قلت فما الذى تأمرنا به قال عليكم بمجالس الذكر وحسن الظن بمولاكم يلقاكم بهما خير وروى أبو نعيم عن الفضيل بن عياض انه قال ما بكت عين عبد قط حتى يضع الرب عز وجل يده على قلبه ولا بكت عين عبد قط الا من فضل رحمة الله

﴿فصل﴾ قال ابن العربى الحاتمى واعلم ان الناس منذ خلقهم الله عز وجل وأخرجهم من العدم الى الوجود لم يزالوا مسافرين وليس لهم حط عن رحالهم الا فى الجنة أو النار قال والمواطن وان كثرت فانها ترجع الى ستة الاول موطن ألست بربكم وقد انفصلنا عنه الثانى موطن الدنيا الذى نحن الآن فيه والثالث موطن البرزخ الذى نصير اليه بعد الموت والرابع موطن الحشر بأرض الساهرة والخامس موطن الجنة والنار والسادس موطن الكثيب بريد مار واه أبو هريرة رضى الله عنه ان أهل الجنة يجتمعون فى كل يوم جمعة على كثيب من كافور فيرون الله سبحانه ويكونون فى القرب منه على قدر مسارعتهم فى الدنيا الى الجمعة قال ابن العربى وفى كل موطن من هذه المواطن مواضع هى مواطن فى المواطن ليس فى قوة البشر الاحاطة بها لكثرتها وعجائب الآخرة لا تحيط بها العقول وذكر أبو نعيم فى الحلية ان رجلا دخل

على داود الطائى فقال له أوصنى بوصية فقال له صم عن الدنيا وافطر على الموت حتى اذا كان عند المعاينة أتاك رضوان الجنان بشربة من ماء الجنة فشربتها على فراشك فخرجت من الدنيا وأنت ريان لاتحتاج الى حوض من حياض الانبياء عليهم السلام حتى تدخل الجنة وأنت ريان قال الغزالى رحمه الله تعالى فأعلم العلماء وأعرف الحكماء ينكشف له عقب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط ببال ولا اختلج به ضمير فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر فى خطر تلك الاحوال وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا

﴿فصل﴾ ومما أنشده الشيخ الولى أبو بكر محمد بن قسوم رحمة الله تعالى علينا وعليه فى الوعظ بأمور الآخرة

لايلهينك مال لا ولا ولد * وجد مادمت حيا للذى تجد
لا المال يغنى ولا الاهلون عنك اذا * أودعت قبرا وواري جسمك اللحد
لم يغن من قبلنا ماخلفهم تركوا * وكل ماقدموا من صالح وجدوا

﴿وله رحمة الله علينا وعليه﴾

لعمرك ماأهوى الجنان للذة * سوى نظرى فيها الوجه الهى
ولا رغبتى طول الحياة لبغية * سوى ذكر ربى حين غيرى لاهى

﴿ وله ﴾

سهام المنايا راشقات لمن ترى * تصيب الفتى فى روحه وبيات
وليس بعيدا مايكون وان نأى * فكل بعيد لامحالة آت

﴿ وله ﴾

تزود لدار الخلد ان كنت عاقلا * ولا تك معتوها عن العدل عادلا
ثمار الذى قدمت تجنى فلا تكن * بدنياك مغترا والخلد آملا
أتطمع فى الاخرى ولم تمس قائما * ولم تغد صواما ولم تعط سائلا
سيحوى قصورا فى الجنان عليه * فتى كان بالطاعات لله عاملا
فلا تك مشغوفا بدنياك والها * وتطمع فى سكنى الفراديس باطلا

﴿ وقال رحمه الله تعالى ﴾

ذهب العمر وما آن * لك فى التوبة مذهب
ماترى عمرك يطوى * ماترى يومك يذهب
فتأدب أيها العبد مع المولى تأدب

﴿ وله رحمه الله تعالى ﴾

ألا بالله أنسك ياأخى * فعد عن البنية والبنى
ألا بالله أنسك فانتصحنى * وخذ فى طاعة الصمد العلى
أراك تخوض فى دنياك جهلا * فما تنفك عن نشر وطى
ألم تعلم بأنك سوف تفنى * عن اللذات والعيش الرخى
فان أحببت أن تحيا سليما * فدونك فاتبع أثر النبى

صلى الله عليه وسلم تسليما (وله رحمه الله) يرثى شيخه الفقيه الولى العارف المنقطع الى الله سبحانه أبا عمران

موسى بن حسين القيسي رحمه الله فقال في رثائه

أموسى بن عمران خلفتني * حزينا لفقدك ما دمت حي
أقمت قناتي بعد اعوجاج * وعلمتني بعد جهل وغي
وأعجب أمري اني حثو * ت عليك التراب بكفا يدي
أتيتك أشكو ألم اشتياقي * فلم يغن ذاك عن النفس شيّ
فلم لا تجيب خليلا دعاك * ولم لا ترد سلامي على
وقد ما عهدتك هش النقا * تحن وتدنو ارتياحا الي
لعمري لوعظك لي ميتا * كوعظك بالامس اذ أنت حي

﴿ وقال أيضا يرثي أبا عمران ﴾

أحق أبو عمران صار لربه * فلست الذي ألقاه ما عشت في الدنيا
سقى الله لحدا حل فيه عشية * من القطر هطال الغمائم وسميا
فلي واعظ منه متى أنا زرته * وأعجب لميت في الثرى يعظ الحيا

﴿ ومن انشاد الشيخ أبي عمران موسى بن حسين القيسي رحمه الله ﴾

ولما أطل الشيب والشيب مؤذن * بقرب حمامي وانقضاء شبابي
بكيت على نفس تداني حمامها * فأفنيت دمعي وانقلبت لبابي
وليس بكائي رهبة الموت انما * أخاف بذنبي أن يطول حسابي

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

فقدت أحبتي ونقدت صحبي * وبادجميعهم وبقيت وحدي
بكيت لفقدهم اذ صرت فردا * فمالي بعد من يبكي لفقدي
فساعدني أخي أبكي لنفسي * وأنعاها الى بكل جهدي
على ان البكاء يثير وجدا * ويستلب العزاء وليس يجدي
وما يجدي البكاء عليّ شيأ * اذا أودعت ويحي قعر لحدي
ووسدت التراب وصرت رهنا * بما قدمت من غي ورشدي
فيا مولاي كن لي فيه عونا * على خصمي وامددني بأيد
وهب لي منك عفوا لا تدني * بما أسلفت من خطئي وعمدي

﴿ وله رحمة الله علينا وعليه ﴾

اذا ما حللت القبر أسماني له * أهيلي وأصحابي وكنت به وحدي
ولم أر فيه صاحبا لي مؤنسا * ولم يغن عني ما أخلفه بعدي
سوى عملي ان كنت قدمت صالحا * فما رغبتي فيما سواه وما يجدي
سأصرم عني ما سواه بعزمة * أرجي لها من ليس يخلفني وعدي
وأقطع أيامي بخلة صاحب * يكون به أنسي اذا ضمني لحدي
وينقذني في العرض من كل شدة * تعرض لي والناس في غاية الجهد
فيارب يسر لي ذلك وكن معي * ويسره لي يا من يمن ولا يكدي

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

الهي أظهرت الجميل تفضلا * ولم تبد سوآت تكن الضمائر

فأبق على الستر حيا وميتا * ولا تفضحنى يوم تبلى السرائر
وهب لى غفرانا لذنبى ماحيا * فانك ياموالاى للذنب غافر

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

ياغافلا عن صروف الدهر فى سنة * والدهر ينقض بالآيات والعبر
كم ذا تنام وعين الدهر ساهرة * له حوادث فى الغدوات والبكر
لاتأمن الدهر واحذر من تقلبه * فشيمة الدهر شوب الصفو بالكدر
وارغب بنفسك عما سوف تتركه * فعل اللبيب أخى التحقيق والنظر
ماذا يغرك من دار الفناء ومن * عمر يمر كمثل اللمح للبصر
اعمل لدار بقاء لافناء بها * ولاتشكى من سقم ولاضرر
فامهد لنفسك فالساعات فانية * والعمر منتقص والموت فى الاثر

﴿ وله رضى الله عنا وعنه ﴾

وان بقاء المرء يعمل صالحا * ويدخر زادا ساعة لمكثير
اذامات لم يعمل وأودع ملحدا * يوافيه فيه منكر ونكير
يسار به قد خامر الذعر قلبه * اليه مروعا والفؤاد يطير
فكيف يلذ العيش من كان ذاحجا * وقد غاب عنه ماإليه يصير
فجد وشمر لما ذى أنت صائر * ولاتن واجهد فالثواء يسير

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

أشكو اليك من جنايات الكبر * ثقل سمع وكلا لا بالبصر
وشعلات مع بهر وسهر * وشنجا بالجلد منى قد ظهر
أشكولك اللهم ذالا لبشر * والموت يأتى بعد ذا على الاثر
وموعد الساعة أدهى وأمر * هون على يا الهى المنتظر
واختم بخير وأجرنى من سقر * مالى سواك يا الهى من وزر

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

قصر العمر فاقصر * ودنا الموت فشمر
وأتى الشيب نذيرا * وكفى بالشيب منذر
أيها الشيخ الى كم * تتعامى لست تبصر
وطريق الرشد باد * واضح للعين نير
فأنب واستغفر اللهم من ذنبك يغفر

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

يامن اليه جميع الخلق يبتهل * فيك الرجاء ومنك الخوف والوجل
حقق رجائى وأمن ماأخاف غدا * بحيث لاقوة تنجى ولاحيل
ومن بالعفو ياه ولاى منك وان * جلت ذنوبى وساء القول والعمل

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

الى كم أقول ولا أفعل * وكم ذا أحوم ولا أنزل
وأزجر نفسى فلا ترعوى * وأنصح نفسى فلا تقبل

وكم ذا تعلل لى ويحها * بعل وسوف وكم تعلل
وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لايغفل
وفى كل يوم ينادى بنا * منادى الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل
كأنى بى وشيكا الى مصرعى * يسار بنعشى ولا أمهل
فياليت شعرى الام المصير * وماذا أجيب اذا أسئل
ويالبت شعرى بعد السؤال * وطول الحساب لما انقل
ويا عجبا عند ذكرى لذا * وعلى به كيف لاأذهل
كأن المراد بنا غيرنا * أوانا سوام فلا نعقل
ولو أنها علمت بالذى * علمناه لم يهنها ما كل
ولم نك نأكل منها اذا * سمينا ولكنها تجهل
بحق أقول أخال القلو * ب رين عليها فلا تقبل
فنستغفر الله من حالنا * ونسأله توبة تقبل

﴿ وله عفا الله عنا وعنه ﴾

يانفس جدى فقد جد الرحيل بنا * واستشعرى التوب لايزرى بك الامل
ولاتطيعى الأمانى فهى كاذبة * كم حال دون الأمانى ويحك الأجل

﴿ وله رضى الله تعالى عنا وعنه ﴾

ألم المشيب وبان الشباب * ولم أحظ منه بغير الندم
وليس المشيب بشئ يدوم * وهل هو الا نذير ألم
قد اذننى بوشيك الرحيل * وان قصارى وجودى عدم
ولاشك فى البعث من بعده * حساب وهول يشيب اللمم
ونار تسعر للمجرمين * ومأوى العصاة ومن قد ظلم
فيانفسى ذوبى لذا حسرة * وياعينى سحى عليه بدم
وتوبى لربك مما اجترحت وقومى له فى دياجى الظلم
بسرب مروع ودمع هتون * وقلب بنار الاسى مضطرم
قيام امرئ واله قلبه * كثير النحيب حليف السدم
وقولى الهى رب العباد * ومولى الانام وبارى النسم
عبيدك موسى كثير الذنوب * يخاف العقاب ويرجو الكرم
فأمنه يوم يقوم العباد * عراة حفاة لهول عظم
ومن بعفوك عما أتى * وعما جناه وعما اجترم
فليس له أمل فى سوا * ك وأنت الشهيد وأنت الحكم
يقول اذا اشتد كرب به * وكادت عرا الصبر أن تنفصم
الهى كريم اذا مادعى * أجاب وان سئل والى النعم

السرب لفظ مشترك يطلق على القلب وعلى المال وعلى القوم وقوله حليف السدم قال فى مختصر العين السدم هم فى ندم يقال رجل سادم نادم وسدمان ندمان والسدم الماء الذى كادينضق لوقوع الاقشة فيه

ومياه اسدام ومنهل سدوم وقد سدم وسدوم مدينة من مدائن قوم لوط وكان يسمى قاضيها بسدوم

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

يا غافلا والمنايا غير غافلة * عنه تزيدك فى ذاويك مايزع
عليك نفسك فاجهد فى تخلصها * مادمت حيا وفى الايام متسع
وعل يومك هذا الست تكمله * لاتذهبن بك الأطماع والخدع
فى كل مانفس تخشى بوادرها * فاحذر فانك لاتدرى متى تقع

﴿ وله رضى الله تعالى عنا وعنه ﴾

تغر بدنيانا وتخدع بالمنى * ونلهو كمايلهو الوليد ويرتع
وآخر هذا كله الموت والذى * نعاين بعد الموت أدهى وأفظع
فياليت اناقد تركنا ولم نكن * نعاين بعد الموت مايتوقع

﴿ وله رضى الله تعالى عنا وعنه ﴾

هو الموت آت ليس للموت مدفع * ولا شئ منه لا أبالك يمنع
فكن آخذا بالجد والحزم أهبة * له ولما من بعده يتوقع
وقدم من الدنيا لنفسك عدة * لغيرك ماتبنيه فيها وتجمع
فلو جئت تبغى الوارثين قلامة * من المال لابل دونها كنت تمنع

﴿ وله رضى الله تعالى عنا وعنه ﴾

عجبت للمرء والآمال تطمعه * وكل ماهو فيه الموت يقطعه
فى كل يوم يناديه ويسمعه * منه المنادى به لو كان يسمعه
لئن تصامم عنه دون ماصمم * عما قليل يوافيه فيصرعه
وليس ينجيه أهل لا ولا ولد * منه ولا كل ماقد كان يجمعه
فخذله عدة مادمت فى مهل * ولا تكن ممن الآمال تخدعه

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

اذا ماازددت يوما زدت نقصا * فعمرى كل يوم فى انتقاص
وحادى الموت يحدونى اليه * وليس عن المنية من مناص
واغفل لا أعد ليوم فقرى * كأنى قد أمنت من القصاص
وأطمع فى الخلاص بغير زاد * ومن لى ويح نفسى بالخلاص
وان أمامنا يوما عصيبا * ومطلعا تشيب له النواصى

﴿ ومما أنشده بعض الفضلاء رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

يانائما وجنود الموت زاحفة * أنتك منه على التحقيق جيشان
فانظر لنفسك والايام مسعدة * ودع هوى النفس من قبل ومن كان
فانما العمر أنفاس مقدرة * تأتى وتذهب أحيانا بحسبان
نصحت فى ذا الذى قد قلت فاستمعوا * وعوا فقد جئت فى نصحى ببرهان
هل يسمع الوعظ قلب غافل ثمل * أو هل ترى الشمس جهرا عين عميان
نام الفؤاد فلم يسمع منافعه * آها لقلب نؤوم غير نبهان

﴿ فصل ﴾ قوله سبحانه وجاءكم النذير قد تقدم ان قول الاكثر من العلماء انه الرسول قال القرطبى وقال

ابن عباس وسفيان ووكيع والبراء والطبرى هو الشيب قال الشاعر

رأيت الشيب من نذر المنايا * لصاحبه وحسبك من نذير

﴿ وقال آخر ﴾

فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسوّدا وجه النذير

﴿ وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

كم تصابى وقد علاك المشيب * وتعامى عمدا وأنت اللبيب

كيف تلهو وقد أتاك نذير * وشيات الحمام منك قريب

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل أو تنتظر

وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى أو فما تزدجر

تمر ليالى مرّا حثيثا * وأنت على ما أرى مستمر

فلو كنت تعقل ما ينقضى * من العمر لاعتضت خيرا بشر

﴿ وللفقيه أبى عبد الله محمد بن أبى زمنين رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

الموت فى كل حين ينشر الكفنا * ونحن فى غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا

أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

وذكر محمد بن محمد بن داود الصنهاجى فى شرحه لحرز الامانى عن أبى سعيد السيرافى قال رثى اليزيدى الكسائى ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبى حنيفة وكانا قد خرجا مع الرشيد الى خراسان فماتا فى الطريق فقال فيهما

تصرمت الدنيا فليس خلود * وما قد ترى من بهجة سيبيد

لكل امرئ كاس من الموت منهل * وما ان لنا الا عليه ورود

ألم ترشيبا شاملا ينذر البلى * وان الشباب الغض ليس يعود

سيأتيك ما أفنى القرون التى مضت * فكن مستعدا بالفناء عتيد

أساءت على قاضى القضاة محمد * فأذرت دمعى والفؤاد عميد

وقلت اذا ما الخطب أشكل من لنا * بايضاحه يوما وأنت فقيد

وأفجعنى موت الكسائى بعده * وكادت بى الارض الفضاء تميد

وأذهلنى عن كل عيش ولذة * وأرّق عينى والعيون هجود

هما علمانا أوديا وتخرّما * فالهما فى العالمين نديد

فحزنى ان يخطر على القلب خطرة * بذكرهما حتى الممات جديد

قال أبو نعيم فى الحلية كان عبد الله بن ثعلبة كثير البكاء وكان ينشد

لكل اناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد

وما ان تزال دارحى قد اخربت * وبيت لبيت بالفناء جديد

فهم حيرة الاحياء أما مزارهم * فدان وأما الملتقى فبعيد

قال أبو نعيم قال عبد الرحمن بن مهدى لو قيل لحماد بن سلمة انك تموت غدا ما قدر أن يزيد فى العمل شيأ وقال

موسى بن اسماعيل لوقلت لكم انى ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا قط لصدقتكم كان مشغولا بنفسه اما أن يحدث واما أن يقرأ واما أن يسبح واما أن يصلى كان قد قسم نهاره على هذه الاعمال قال أبو نعيم وعاد حماد بن سلمة سفيان الثورى فقال سفيان يا ابن سلمة أترى يغفر الله لمثلى فقال حماد والله لو خيرت بين محاسبة الله اياى وبين محاسبة أبوى لاخترت محاسبة الله وذلك أن الله سبحانه أرحم بى من أبوى قلت وهذا ظن جميل وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال ان ربكم رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان عملها كتبها الله سيئة واحدة أو محاها ولا يهلك على الله الا هالك قال القرطبى يحكى عن بعض العلماء أنه كان يميل الى الراحات كثيرا وكان يخلو فى بستان له مع أصحابه فلا يأذن لاحد سواهم فبينما هو فى البستان رأى شخصا يتخلل الشجر فغضب وقال من أذن لهذا وجاء الرجل فجلس أمامه وقال ما ترى فى رجل ثبت عليه حق فزعم ان له منافع تدفعه فقال يتلوم له الحاكم بقدر ما يرى قال السائل قد ضرب له الحاكم آجالا فلم يأت بمنفعة له ولا أقلع عن المدد والمدافعة قال يقضى عليه قال فان الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة فأطرق الفقيه وتحدر عرق وجهه وذهب السائل ثم ان العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل فقال البواب ما دخل اليكم ولا خرج من عندكم أحد فقال لاصحابه انصرفوا فما كان يرى بعد ذلك الا فى مجلس يذكر فيه العلم قال القرطبى وقد رأيت ان أصل بهذه الحكاية حكايات فى الشيب على سبيل الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير * كان لبعض أبناء الدنيا جارية يحبها قال صاحبها فنظرت الى شعر رأسها يوما فاذا فيه شعرتان بيضاوان فأخبرتها فارتاعت وقالت أرنى فأريتها فقالت جاء الحق وزهق الباطل ثم قالت ياسيدى لولم تعترض على طاعتك لما أويت اليك فدعنى لليلى أو نهارى لأتزود فيه لآخرتى فقلت لا ولا كرامة فغضبت وقالت أتحول بينى وبين ربى وقد آذننى بلقائه اللهم بدل حبه لى بغضا قال فبت وما شئ أحب الى من بعدها عنى وعرضتها للبيع فأتانى من أعطانى فيها ما أريد فلما عزمت على البيع بكت فقلت لها أنت أردت ذلك فقالت والله ما اخترت عليك شيأ من الدنيا هل لك الى ما هو خير من ثمنى قلت ما هو قالت تعتقنى لله عز وجل فانه أملك لك منك لى وأعود عليك منك على فقلت قد فعلت فقالت أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف عملك قال فبغض الله الى الدنيا وأقبلت على الآخرة ببركة الجارية وهربت بها الى الله سبحانه وقال عبد الله بن أبى نوح رأيت كهلا بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال ينفض الغبار عن جدرانه بسعفة فسألت عنه فقيل لى انه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وان له أولادا وموالى ونعمة وافرة وانه اطلع يوما فى مرآته فصرخ وجن ولزم المسجد كما ترى فاذا أراد أهله أخذه ليداووه ويصونوه عاد بالقبر المكرم فتركوه فرقبته نهارا فلم أر منه اختلالا ورقبته ليلا فلما ذهب جنح الليل خرج من المسجد فتبعته حتى أتى البقيع فقام يصلى ويبكى حتى قرب طلوع الفجر فجلس يدعو وجاءت اليه دابة لا أدرى أشاة أم ظبية أم غيرها وقامت عنده وتفاجت فالتقم ضرعها فشرب ثم مسح ظهرها وقال اذهبى بارك الله فيك فولت تمرح فانسلت فسبقته الى المسجد فأقمت ليالى أخرج بخروجه الى البقيع ولا يشعر بى وسمعته يقول فى مناجاته اللهم انك أرسلت الى ولم تأذن لى فان كنت قد رضيتنى فأذن لى وان لم ترضنى فوفقنى لما يرضيك قال فلما حان رحيلى أتيته مودعا فتجهمنى فقلت أنا صاحبك منذ ليال بالبقيع أصلى بصلاتك وأؤمن على دعائك قال هل أطلعت على ذلك أحدا قلت لا قال انصرف راشدا قلت ما الرسول الذى أرسل اليك قال اطلعت فى المرآة فرأيت شيبة فى وجهى فعلمت أنها رسول الله الى فقلت ادع لى فقال ما أنا بأهل لذلك ولكن تعال نتوسل الى الله سبحانه برسوله صلى الله عليه وسلم فقمت معه تجاه القبر

فقال ما حاجتك قالت العفو فدعا دعاء خفيفا فأمنت ثم مال على جدار القبر فاذا هو ميت رحمة الله عليه فتنحيت عنه حتى فطن له الناس وجاء أولاده ومواليه فاحتملوه وجهزوه وصليت عليه فيمن صلى عليه رضي الله عنه ويقال ان ملكا من ملوك اليونان استعمل على ملبسه أمة أدبها بعض الحكماء فألبسته يوما ثيابه وأرته المرآة فرأى في وجهه شعرة بيضاء فاستدعى بمقراض فقصها فأخذتها الامة وقبلتها ووضعتها على كفها وأصغت أذنها اليها فقالت انى سمعت هذه المبتلاة بفقد كرامة الملك تقول قولا عجيبا فقال لها الملك ما هو قالت لا يجترئ لساني على النطق به قال قولي آمنة ما لزمت الحكمة فقالت ما معناه انها قالت أيها الملك المسلط انى خفت بطشك بي فلم أظهر حتى عهدت الى بناتي أن يأخذن بثاري وكأنك بهن قد خرجن عليك فاما أن يعجلن القتل بك واما أن ينغصن قوتك وشهوتك وصحتك حتى تعد الموت غنما فقال لها اكتبي كلامك فكتبته فتدبره ثم نبذ ملكه في حديث طويل وفي الاسرائيليات ان ابراهيم عليه السلام لما رجع من تقريب ولده الى ربه عز وجل رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء وكان عليه السلام أول من شاب فأنكرتها وأرته اياها فجعل يتأملها وأعجبته وكرهتها سارة وطالبته بازالتها فأبى وأتاه ملك فقال السلام عليك يا ابراهيم وكان اسمه ابرام فزاد في اسمه هاء والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم ففرح بذلك وقال أشكر الهي واله كل شئ فقال له الملك ان الله سبحانه قد صيرك معظما في أهل السموات وأهل الارض وقد وسمك بسمة الوقار في اسمك وفي خلقك اما اسمك فانك تدعى في أهل السماء وأهل الارض ابراهيم وأما خلقك فقد أنزل وقارا ونورا على شعرك فأخبر سارة بما قال الملك وقال هذا الذي كرهتيه نور ووقار قالت فاني كارهة له قال لكني أحبه اللهم زدني نورا ووقارا فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الآثار النبوية من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة قلت وروى أبو داود في سننه بسند صحيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وفي رواية الا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة قال القرطبي وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليستحي أن يعذب ذا شيبة وقد تقدم هذا المعنى والاخبار في هذا كثيرة وللقاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمة الله تعالى علينا وعليه

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى أو فما تزدجر
تمر لياليك مرا حثيثا * وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة المنو * ن وتعلم أن ليس منها وزر
فاما الى جنة أزلفت * واما الى سقر تستعر

﴿وله أيضا رحمة الله تعالى علينا وعليه﴾

كم تصابى وقد علاك المشيب * وتعامى عمدا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير * وشيات الحمام منك قريب
يا مقيما قد حان منه رحيل * بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها * لا يداويك ان أتتك طبيب
كم توانى حتى تصير رهينا * ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم * فاعملن جاهدا لها يا أديب

﴿ غيره ﴾

رأيت الشيب من نذر المنايا * لصاحبه وحسبك من نذير

﴿ وقال آخر ﴾

فقلت لها المشيب نذير عمري * ولست مسوّدا وجه النذير

قلت وبعض هذه الابيات قدمناها ولكن هذا المحل هو الاليق بها فلا حرج فى تكرارها لان القصد بها المبالغة فى الوعظ عسى الله ان ينفع بها مطالعها

﴿ باب ماجاء أن التوبة تقبل مالم يغرغر ﴾

روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله سبحانه يقبل توبة العبد مالم يغرغر لان عند الغرغرة و بلوغ الروح الحلقوم يعاين الموت و يعاين مايصير اليه من رحمة أو هوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا ايمان وانما صحت منه التوبة قبل المعاينة والغرغرة لان الرجاء اذذاك باق فيصح الندم والعزم على ترك الفعل وعن الحسن قال لما أهبط ابليس قال بعزتك لا أفارق ابن آدم مادام الروح فى جسده فقال الله تعالى فبعزتى لا أحجب التوبة عن ابن آدم مالم يغرغر نفسه قلت وهذا الحديث صحيح رواه أبو عبد الله الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ولفظه على مارواه صاحب الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ابليس قال لربه عز وجل وعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم مادامت الارواح فيهم فقال له ربه فبعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم مااستغفرونى والتوبة فرض باتفاق العلماء والذنوب التى يتاب منها اما كفر أو غيره فتوبة الكافر ايمانه مع ندمه على سالف كفره وليس مجرد الايمان نفس توبة وغير الكفر اما حق لله واما حق لغيره فحق الله تعالى يكفى فيه الاقلاع عن السيئات وفعل الصالحات مع الندم على مافات وأما حقوق الآدميين فلابد من ايصالها الى مستحقيها فان لم يوجدوا تصدق بها عنهم ومن لم يجد السبيل لخروج ماعليه لاعساره فعفو الله سبحانه عنه مأمول وفضله سبحانه مبذول فكم ضمن سبحانه من التباعات وبدل من السيئات بالحسنات وعليه أن يكثر من الاعمال الصالحات و يستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات وليحذر العبد من القنوط من رحمة الله تعالى بل يقبل بقلبه على ربه وهو يحسن الظن به راجيا عفوه آملا فضله قال أبو نعيم فى الحلية قال وهب بن منبه أوحى الله سبحانه الى بعض أنبيائه بعيني مايتحمل المتحملون من أجلى ومايكابد المكابدون فى مرضاتى فكيف بهم اذا صاروا الى دارى وتبحبحوا فى رياض رحمتى هناك فليبشر المصغون لى أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب أترانى انسى لهم عملا فكيف وأنا ذو الفضل العظيم أجود على المولين عنى فكيف بالمقبلين على وماغضبت على شئ كغضبى على من أخطأ خطيئة فاستعظمها فى جنب عفوى ولو تعاجلت بالعقوبة أو كانت العجلة من شأنى لعاجلت القانطين من رحمتى ولو رأوا فى خيار المؤمنين كيف أستوهبهم ممن اعتدوا عليه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم ماانتهموا فضلى وكرمى فأنا الديان الذى لا تحل معصيتى وأنا الذى أطاع برحمتى ولا حاجة لى بهوان من خاف مقامى ولو رأوا فى عبادى يوم القيامة كيف أرفع قصورا تحار فيها الابصار فيسألونى لمن هذا فأقول لمن وهب لى من لم يجمع على نفسه معصيتى والقنوط من رحمتى وأنا مكافئ على المدح فامدحونى وروى أبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يعلم ماله عند الله فليعلم مالله عنده قلت وهذا حديث معناه صحيح وقد روى الحاكم فى المستدرك على الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه قال الحاكم

هذا حديث صحيح الاسناد وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليعمل الذنب فاذا ذكره أحزنه فاذا نظر الله اليه قد أحزنه غفر له ما صنع قبل أن يأخذ في كفارته بلا صلاة ولا صيام وروى أبو نعيم عن العمري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أذنب ذنبا فعلم أن الله تبارك وتعالى ان شاء أن يعذبه عليه عذبه وان شاء أن يغفر له غفر له كان حقا على الله أن يغفر له قال صاحب التذكرة وقد روى مرفوعا في صفة التائب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في جماعة من أصحابه أتدرون من التائب قالوا الله لا قال اذا تاب العبد ولم يرض خصماءه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير نفقته وزينته فليس بتائب ومن تاب ولم يغير فراشه ورداءه ووساده فليس بتائب ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب ومن تاب ولم يوسع قلبه وكفه فليس بتائب ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا تاب على هذه الخصال فذلك تائب حقا قال القرطبي قال العلماء ارضاء الخصوم بأن يرد ما أخذ منهم من مال ويتحللهم مما اغتابهم أو شتمهم فان انقرضوا رد ما أخذ من المال لورثتهم وان لم يعرف لهم وارثا تصدق به عنهم ويستغفر لهم ويدعو لهم عوض الذم والغيبة لا خلاف في هذا وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ما عليه من الحرام بالحلال وان كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأطمار متوسطة وتغيير المجلس هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والاحداث ويجالس العلماء والفقراء والصالحين وأهل مجالس الذكر ويتقرب الى قلوبهم بالخدمة وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجتنب المتشابه ويقصد بأكله التقوى على العبادة وتغيير النفقة هو بترك الحرام وكسب الحلال والزينة بترك التزين بالاثاث والبناء والثياب والتأنق في الطعام والشراب وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض من البطالات وتغيير الخلق هو بان ينقل خلقه من الشدة الى اللين ومن الضيق الى السعة ومن الشكاسة الى السماحة ونحو ذلك وتوسيع القلب هو والله أعلم بحمل الأذى والصبر على الجفا ويوسع كفه بالسخاء والايثار بالعطاء ونحو ذلك واذا كملت التوبة بهذه الاوصاف المذكورة في الحديث فانه يرجى من فضل الله تقبلها وأن ينسى حافظيه وبقاع الارض خطاياه وذنوبه وفي مسند أبي داود الطيالسي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الندم توبة وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وفي القرآن ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما قال القرطبي وعلى هذا جماعة من العلماء ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر فالصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الصدق وقوله الحق وأما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها قال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار أو عذاب أو لعنة أو ما أشبه ذلك

﴿فصل﴾ والواجب على من له عناية بنفسه وشفقة عليها أن يبادر بالتوبة والاعمال الصالحات قبل هجوم صولة الممات والحلول بعجلة الاموات ويا بشرى من أطاع الله سبحانه واستقام على منهاج الكتاب والسنة بكرامات في الدنيا والآخرة قال الغزالي رحمه الله تعالى وقد تأملت ما يعطيه الله سبحانه للعبد اذا أطاع الله سبحانه ولزم خدمته وسلك طريق الاستقامة عمره فوجدتها على الجملة أربعين كرامة وخلعة منها عشرون في الدنيا وعشرون في الآخرة أما التي في الدنيا فمنها أن يذكره الله تعالى ويثني عليه وأكرم بعبد يذكره الله ويثني عليه ومنها أن يشكره جل جلاله ويعظمه ومنها أن يحبه سبحانه ومنها أن يكون له وكيلا يدبر أموره ومنها أن يكون برزقه كفيلا يوجهه اليه من غير تعب ومنها أن يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء ومنها أن يكون له أنيسا لا يستوحش ولا يخاف التغير والاستبدال

ومنها عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها ومنها رفع الهمة عن التلطخ بقذر الدنيا وأهلها غير ملتفت لزخارفها وملاهيها ترفع العقلاء عن ملاعب الصبيان والنساء ومنها غنى القلب فيكون أغنى من كل غنى فى الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا تفزعه حزة ولا يهمه عدم ومنها نور قلبه يهتدى بنور قلبه الى علوم وأسرار وحكم لا يهتدى الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد ومنها شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشئ من محن الدنيا ومنها المهابة والموقع فى النفوس يخدمه الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبار ومنها المحبة فى القلوب يجعل لهم الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه ومنها البركة العامة فى كل شئ من كلام أو نفس أو فعل أو ثوب أو مكان حتى انه يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما أو بانسان صحبه ورآه حينا ومنها تسخير الارض له من البر والبحر حتى ان شاء سار فى الهواء أو مشى على الماء أو قطع وجه الارض بأقل من ساعة ومنها تسخير الحيوان له من الوحوش والسباع والهوام وغيرها ومنها ملك مفاتيح الارض فحيثما ضرب برجله فله عين ان احتاج وأينما نزل فله مائدة تحضره ان قصد ومنها القيادة والوجاهة على باب رب العزة فيبتغى الخلق الوسيلة الى الله بخدمته وتستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركته ومنها اجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو أقسم على الله لأبره فيما شاء حتى ان منهم من لو أشار الى الجبل لزال فلا يحتاج الى السؤال باللسان ولو خطر بباله شئ لحضره ولا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه كرامات الدنيا وأما التى فى الآخرة فمنها أن يهون عليه سكرات الموت حتى ان منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال للظمآن قال الله سبحانه الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ومنها التثبيت على المعرفة والايمان وهو الذى منه الخوف والفزع وعليه كل البكاء والجزع قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومنها ارسال الروح والريحان بالبشرى له والامان لقوله سبحانه ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون الآية فلا يخاف ما يقدم عليه فى العقبى ولا يحزن على ما خلف فى الدنيا ومنها الخلود فى الجنان ومنها سرور روحه بما يبشر به ويثنى به عليه عند مروره على ملائكة السموات وتلقيهم له بالالطاف والاكرام ويشيعه من كل سماء مقربوها ومنها الامان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيأمن من ذلك الهول ومنها توسيع القبر وتنويره فيكون فى روضة من رياض الجنة الى يوم القيامة ومنها ايناس روحه ونسمته واكرامها فتجعل فى أجواف طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله ومنها الحشر فى العز والكرامة من حلل وتاج وبراق ومنها بياض الوجه ونوره قال الله سبحانه يوم تبيض وجوه وقال سبحانه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ومنها الامن من أهوال يوم القيامة قال تعالى أم من يأتى آمنا يوم القيامة ومنها أخذ الكتاب باليمين ومنهم من كفى الكتاب رأسا ومنها تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب أصلا ومنها ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للميزان أصلا ومنها ورود الحوض على النبى صلى الله عليه وسلم فيشرب شربة لا يظمأ بعدها أبدا ومنها جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار ومنها الشفاعة فى عرصة القيامة نحوا من شفاعة الانبياء والرسل ومنها ملك الابد فى الجنة ومنها الرضوان الاكبر ومنها رؤية رب العالمين سبحانه بلا كيف وهو أعظم الكرامات وغاية الامنيات قال الغزالى رحمه الله تعالى وانما ذكرت هذا العدد على سبيل الاجمال ولو فصلت بعض ذلك ما احتمله الكتاب ألا ترى انى جعلت ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها لارتفعت عن أربعين خلعة من نوع الحور والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا علام الغيوب سبحانه وأى مطمع لنا فى ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم

نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد قال المفسرون فى قوله سبحانه لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ان هذه الكلمات التى يقول الله عز وجل لاهل الجنة فى الجنة باللطف والاكرام ومايكون حاله هكذا فأنى يحيط به علم مخلوق ألا لمثل هذا فليعمل العاملون قلت ثم أهل السعادة فى الآخرة متفاوتون قال مولانا سبحانه وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكل ماتراه من الحكايات والاحاديث فى اختلاف الدرجات فى الاشخاص انما ذلك بحسب اختلاف الاعمال قال الغزالى رحمه الله تعالى وانما اختلفت الاحوال للسالكين فى الآخرة لاختلاف أحوالهم فى الدنيا قلت ولما تكلم بعض المفسرين على قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا قال قال الواسطى لما اختلفت أحوالهم فى الدنيا اختلفت أشربتهم فى الآخرة الهى حالى لايخفى عليك فارحم ذلى يوم وقوفى بين يديك

أيا كاشف الكرب العظيم بفضله * حنانيك فى عبد أضر به الكرب
فوالله ماأدرى على أى حالة * يكون مرادى حين يوقفنى الرب
أفكر فى عفو الاله وأرتجى * وأنظر فى ذنبى فيوحشنى الذنب

اللهم ارزقنا حسن الاتعاظ روى أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن سيرين أنه قال اذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه يأمره وينهاه وروى أبو نعيم عن أبى قلابة قال ما من أحد يريد خيرا أو شرا الا وجد فى قلبه آمرا وزاجرا آمرا بالخير وزاجرا ينهى عن الشر قلت وفى الحديث مايشهد لهذا فان البر ماطمأنت اليه النفس والاثم ماحاك فى النفس وان للملك لمة وللشيطان لمة وروى أبو نعيم عن أحمد بن أبى الحوارى قال قال رجل لعبد الله بن عبد العزيز العمرى عظنى فأخذ حصاة من الارض فقال مثل هذا من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الارض قال له زدنى قال كما تحب ان يكون لك غدا فكن له أنت اليوم

﴿ باب كيفية التوفى للموتى واختلاف أحوالهم فى ذلك وكيف يصعد بالروح وفرح الملائكة والموتى بالمؤمن المطيع وذكر ماقيل فى الروح ﴾

وقد قدمنا من هذا الباب جملة صالحة فى باب ذكر الموت وأنا أذكر الآن مالم يتقدم له ذكر من ذلك غالبا وربما أعدت الحديث لزيادة معنى وحصول فائدة ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كنت فى الجسد الطيب أخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء يعنى السابعة واذا كان رجل سوء قال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث أخرجى ذميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانها لاتفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير الى القبر وهذا حديث صحيح الاسناد رجاله رجال الصحيحين وخرجه أيضا ابن أبى شيبة عن أبى هريرة وخرجه أيضا عبد بن حميد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله

عليه

عليه وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجي أيتها الروح الطيبة
فذكره وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اذا خرجت روح العبد تلقاها ملكان يصعدان بها
قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل
الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به الى ربه ثم يقول انطلقوا به الى آخر الاجل
وان الكافر اذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء روح خبيثة
جاءت من قبل الارض قال فيقال انطلقوا به الى آخر الاجل قال أبو هريرة فرد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ريطة كانت عليه على أنفه هكذا وقد خرج البزار في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن الميت اذا حضرأتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر
ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضيا
عنك الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه
الحريرة وذهب به الى عليين وان الكافر اذا حضرأتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا
شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا خرجت
روحه وضعت على تلك الجمرة ويطوى عليها المسح ويذهب به الى سجين وروى النسائي بسنده عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة
بيضاء فيقولون أخرجي راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب
ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي
جاءتكم من الارض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه
ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقولون دعوه فانه كان في غم الدنيا فاذا قال لهم أما أتاكم فلان فانه قد مات
فيقولون ذهب به الى أمه الهاوية الحديث وروى ابن اسحق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في
حديث الاسراء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض
عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه خيرا ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من
جسد طيب ويقول لبعضها اذا عرضت عليه أف ويعبس بوجهه روح خبيثة خرجت من جسد
خبيث قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فاذا مرت به روح المؤمن
منهم سر بها وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب واذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها
وساءه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث وفي بعض طرق حديث أنس في صحيح مسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال
فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت
يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة
والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال السهيلي في
الروض الأنف وكان آدم عليه الصلاة والسلام في السماء الدنيا لانه تعرض عليه أرواح ذريته البر
والفاجر فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم
أبوابها كما قال الله تعالى

﴿فصل﴾ في ذكر حديث البراء المشهور الجامع لاحوال الموتى عند قبض أرواحهم وكيف حالهم
في قبورهم وقد نقله عبد الحق والقرطبي على الكمال قال القرطبي وقد خرجه أبو داود الطيالسي وعبد
ابن حميد في مسنديهما وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية وهناد بن السري في زهده وأحمد بن حنبل

فى مسنده وغيرهم وهو حديث صحيح له طرق كثيرة تهمم بتخريج طرقه على بن عبد حدثوا كلهم بأسانيدهم وبعضهم يزيد على بعض * عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير قال فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يرفع بصره وينظر الى السماء ويخفض بصره وينظر الى الارض ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول أخرجى أيتها النفس المطمئنة الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه كما يسيل قطر السقاء وان كنتم ترون غير ذلك وينزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر فاذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين قال فذلك قوله تعالى توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت على وجه الارض فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند من الملائكة فيما بين السماء والارض الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقال هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه فاذا انتهوا الى السماء الدنيا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقال هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه فتفتح له أبواب السماء ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى به الى السماء السابعة قال فيقال اكتبوا كتابه فى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فيكتب كتابه فى عليين ثم يقال ردوه الى الارض فانى وعدتهم منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فيرد الى الارض وتعاد روحه فى جسده قال ويبعث اليه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام فيقولان ما نقول فى هذا الرجل فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال وذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال وينادى منادمن السماء أن قد صدق عبدى فألبسوه من الجنة وافرشوا له من الجنة وأروه منزله من الجنة قال فيلبس من الجنة ويفرش له من الجنة ويرى منزله من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قال فيقول له ابشر بما أعد الله لك من الكرامة هذا يومك الذى كنت توعد أبشر برضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير ومن أنت رحمك الله فوجهك الذى جاء بالخير قال فيقول أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك الا سريعا فى طاعة الله بطيأ عن معصية الله فجزاك الله عنى خيرا فيقول يارب أقم الساعة كى أرجع الى أهلى ومالى قال عبد الحق فى هذا الحديث قال الاعمش وهو سليمان بن مهران حدثنى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقال له ثم قال فينام نومة لا نامها نائم قط حتى توقظه الساعة ثم رجع الى حديث البراء قال وان كان فاجرا وكان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فقال أخرجى أيتها النفس الخبيثة الى غضب الله وسخطه فتفرق روحه فى جسده قال فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبلول قال وتنزل ملائكة من السماء سود الوجوه معهم مسوح من نار فيجلسون منه مد البصر فاذا وقعت فى يد ملك الموت قام اليه الملائكة فلم يتركوها فى يده طرفة عين قال ويخرج منه ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والارض الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون هذا فلان بأسوء أسمائه قال فاذا انتهوا به الى السماء الدنيا أغلقت دونه فلم تفتح دونه وينادى منادان اكتبوا كتابه فى سجين وارجعوه الى الارض فانى وعدتهم ان منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فيرمى به من السماء قال وتلا هذه الآية ومن يشرك

بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق قال فيعاد روحه فى جسده و يأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه و ينتهرانه قال فيقولان له من ربك ومادينك فيقول لاأدرى فيقولان ماتقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فلا يهتدى لاسمه فيقال محمد فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون ذلك فيقولان له لادريت قال وذلك قوله تعالى و يضل الله الظالمين و يفعل الله مايشاء قال و ينادى منادمن السماء أن قد كذب فالبسوه من النار وافرشوا له من النار وأروه منزله من النار قال فيكسى من النار و يرى منها منزله قال و يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال و يمثل له عمله فى صورة رجل قبيح المنظر قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذى يسوءك ابشر بغضب من الله وسخطه وفى طريق ابشر بعذاب الله وسخطه هذا يومك الذى كنت توعد هذا يومك الذى كنت تكذب قال فيقول له و يلك ومن أنت فوالله لوجهك الوجه الذى جاء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فوالله ماعلمتك الا بطيئا عن طاعة الله سريعا الى معصية الله فجزاك الله عنى شر الجزاء قال فيقول يارب لاتقم الساعة مما يرى مما أعد الله له وفى بعض طرق هذا الحديث عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيقيض له أصم أبكم ومعه مرزبة لوضرب بها جبل صار ترابا أوقال رميما فيضربه ضربة يسمعها الخلائق الا الثقلين ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى وفى بعض طرقه فاذا خرجت روحه لعنه كل ملك فى السماء وكل ملك فى الارض وروى ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولامشغوب ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت فى الاسلام فيقال ماهذا الرجل فيقول محمد رسول الله الحديث وسيأتى ان شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ وروى أبونعيم فى الحلية عن سعيد بن جبير قال قرئت عند النبى صلى الله عليه وسلم ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فقال أبو بكر رضى الله عنه ان هذا لحسن فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما ان ملك الموت يقولها لك عند الموت قال صاحب روضة الحقائق جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله تعالى قبض روح وليه قال يامك الموت اذهب فأتنى بروح عبدى فحسبى من عمله فقد أعطيته فوجدته شاكرا وابتليته فوجدته صابرا فحسبى من عمله اذهب باسم الله أنت وأعوانك ستجده سامعا مطيعا ذاكرا مستعدا فيأتيه ملك الموت وقد دخل التقى قلبه فقال له ملك الموت ياولى الله ارتحل من غموم الدنيا فانه لن يعتريك غم بعد هذا أبدا هذا آخر ماعليك ثم تحتوشه الملائكة بريحان الجنة يقولون أخرجى أيتها النفس المطمئنة الى روح وريحان ورب راض عنك غير غضبان أخرجى فنعم ماقدمت فتخرج بأطيب رائحة مسك وجدها أحدكم قط وعلى أرجاء السماء ملائكة فيقولون سبحان الله جاء اليوم من الارض روح طيب ونسمة طيبة فلا يمر بباب الا فتح له ولا بملك الا وصلى عليه وشفع له حتى يؤتى به الرحمن سبحانه فتسجد له الملائكة ونقول يارب هذا عبدك فلان قد توفيناه وأنت أعلم فيقول مروه بالسجود فتسجد النسمة ثم يدعو ميكائيل فيقول له اذهب بهذه النسمة وضع جسده فى قبره ووسع عليه سبعين فى سبعين و يبث فيه الريحان و يستر بالحرير فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره والا جعل معه مثل نور الشمس و يستأذن الروح والجسد فى الثناء فيؤذن لهما فيثنى كل واحد منهما على صاحبه فيقول الروح للجسد جزاك الله خيرا فنعم الاخ أنت ونعم الصاحب كنت لى فيما علمت سريعا الى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فقد نجوت أستودعك الله ربى واقرئ عليك السلام حتى نلتقى يوم القيامة فيقول جبريل عليه السلام للارض ربك يأمرك ان تستوصى بجسد وليه خيرا فتتعطف عليه الارض وتحن عليه

وتقول قد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فكيف بك اليوم اذ صرت في بطني فتحفظه كما تحفظ الوالدة ولدها وتبكي عليه موضع صلاته من الارض ومن السماء الباب الذي يصعد منه عمله وهو معنى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض ويصير عمله كأحسن رجل خلق الله سبحانه يمشي معه كلما مشى وكلما فزع بشره وكلما عثر أقامه فيقول حزاك الله من زجل عني خيرا فلا عهد لي بصاحب خير منك فيقول له أما تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الذي كان في الدنيا حسنا فلذلك تراني حسنا وكان جميلا فلذلك تراني جميلا اركب علي فقد حملتني في الدنيا فاليوم أحملك ثم ذكر في الكافر والفاجر نحو ما تقدم في حديث البراء قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن آجروم في شرحه لحرز الاماني وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال من قرأ القرآن وعمل به فحضرته الوفاة جاءه القرآن فوقف على رأسه وهم يغسلونه فاذا فرغ من غسله دخل بين صدره وكفنه فاذا وضع في قبره جاءه منكر ونكير خرج القرآن فصار بينه وبينهما فيقولان اليك عنا فانا نريد ان نسأله فيقول والله ما أنا بمفارقه حتى أدخله الجنة فان كنتما أمرتما فيه بشيء فشأنكما فيسألانه ويثبته الله تعالى ويؤنسه القرآن فاذا فرغا من سؤاله وفتنته قال له القرآن أما تعرفني فيقول له لا فيقول له أنا القرآن الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك وأمنعك شهواتك فستجدني اليوم من الاخوان أخا صدق ومن الاخلاء خليل صدق فابشر فما عليك من بأس ولا هم ولا حزن بعد مسئلة منكر ونكير فيصعد القرآن الى الله عز وجل فيسأل له فراشا ودثارا وقنديلا من نور الجنة وياسمينا من ياسمين الجنة فيؤمر له بذلك كله فيحمله اليه ألف ملك من مقربي ملائكة الله سبحانه فيسقهم اليه القرآن فيقول هل استوحشت بعدي فاني لم أزل من الساعة التي خرجت من عندك أسأل الله ربي حتى أمر لك بفراش ودثار ونور من نور الجنة فتأتي به الملائكة يحملونه حتى يضعوه على شفة الايمن ثم يخرجون عنه فيستلقي عليه فلا يزال ينظر الى الملائكة حتى يلجوا في السماء ثم يدفع القرآن في قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء الله تعالى ثم يحمل الياسمين من عند صدره فيجعله عند أنفه فيشمه غضا الى يوم ينفخ في الصور ثم يأتي أهله كل يوم مرتين غدوة وعشية يخبرهم ويدعولهم بالخير فان تعلم أحد من ولده القرآن بشره بذلك وان كان عقبه عقب سوء أتى الدار غدوة وعشية فبكى عليه وفي بعض الروايات وان كان عقبه عقب سوء دعا لهم بالفلاح

﴿فصل﴾ قال صاحب التذكرة وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه كان يقول اذا قتل العبد في سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه الى الارض كفارة للخطايا ثم يرسل الله عز وجل بريطة من الجنة فيقبض فيها روحه وصورة في الجنة فتركب فيها روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء روح من الارض طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا ملك الا صلى عليها ودعا لها ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن سبحانه فيقولون يا ربنا هذا عبدك توفيته فيسجد قبل الملائكة ثم تسجد الملائكة بعد ثم يطهر ويغفر له ثم يؤمر فيذهب به الى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة في أنهار الجنة فاذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه يجدون في لحمه طعم كل رائحة ويبيت الثور في أفناء الجنة فاذا أصبح غدا عليه الحوت فوكزه بذنبه فيذكيه فيأكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ثم يعودون وينظرون الى منازلهم من الجنة ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة واذا توفي العبد المؤمن بعث الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بخرقة من الجنة فقالا

أخرجي أيتها النفس الطيبة أخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح من مسك ماوجدها أحد بأنفه قط والملائكة على أرجاء السماء يقولون قدجاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلاتمر بباب الافتح لها ولابملك الادعا لها وصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن سبحانه فتسجد الملائكة ثم يقولون هذا عبدك فلان قدتوفيته وكان يعبدك لايشرك بك شيأ فيقول مروه فليسجد فتسجد النسمة ثم يدعو ميكائيل فيقول اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذله فيه الرياحين ويستر بالحرير فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن معه جعل الله فى قبره نورا مثل نور الشمس ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه قال فيقوم من نومه كأن لم يشبع من نومته واذا تو فى العبد الفاجر أرسل الله اليه ملكين وأرسل بقطعة من بجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فقالا أخرجي أيتها الروح الخبيثة أخرجي الى جهنم وعذاب ورب عليك غضبان أخرجي وساء ماقدمت لنفسك فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحد بأنفه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون قدجاء من الارض روح خبيثة ونسمة خبيثة فتغلق دونها أبواب السماء ولا تصعد الى السماء ثم يؤمر فيضيق عليه قبره وترسل عليه حيات أمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لاتذر على عظمه لحما ويرسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بمطاطيس من حديد لايسمعون صوته فيرحمونه ولا يبصرونه فيرحمونه ولايخطؤنه حين يضربونه ويعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشيا يدعو بأن يدوم ذلك ولايخلص الى النار وخرج أبو داود الطيالسى قال حدثنا حماد عن قتادة عن أبى الجوزاء عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمن فتسلم وتسل نفسه فى حريرة بيضاء فيقولون ماوجدنا ريحا أطيب من هذه أى فيأتون به أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون ارفقوا به فانه خرج من غم الدنيا فيقولون مافعل فلان مافعلت فلانة قال وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الارض ماوجدنا ريحا أنتن من هذه فيهبط الى أسفل الارض وروى أبو نعيم فى حليته عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال تخرج نفس المؤمن وهى أطيب ريحا من المسك فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون السماء فيقولون من هذا معكم فيقولون فلان ويذكرونه بأحسن عمله فيقولون حيا كم الله وحيا من معكم فتفتح لهم أبواب السماء قال فيشرق وجهه قال فيأتى الرب تعالى وأوجهه برهان مثل الشمس ولما حضر أبا موسى الوفاة دعا ابنيه فقال اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا فجاؤا وقالوا قدحفرنا وأوسعنا وأعمقنا فقال والله انها لاحدى المنزلتين اما اليوسعن على قبرى حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعا ثم ليفتحن لى باب الى الجنة فلأنظرن الى أزواجى ومنازلى وماأعد الله لى من الكرامة ثم لا كونن اهدى الى منزلى منى اليوم الى بيتى ثم ليصيبنى من ريحها وروحها حتى أبعث وان كانت الاخرى ونعوذ بالله منها ليضيقن على قبرى حتى أكون أضيق من القناة فى الزج ثم ليفتحن لى باب من أبواب جهنم فلأنظرن الى سلاسلى وأغلالى وقرنائى ثم لأكونن الى مقعدى من جهنم أهدى منى اليوم الى بيتى ثم ليصيبنى من سمومها وحميمها حتى أبعث انتهى ماننقله أبو نعيم عافانا الله من عذابه بمنه

﴿فصل﴾ قلت ظاهر الاحاديث ان روح المؤمن هى التى يرقى بها فى السموات وان أرواح الكفار والفجار تغلق دونها أبواب السماء قال القرطبى قال أبو الحسن القابسى المذهب الصحيح والذى عليه أهل السنة ان الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله عز وجل فيسألها فان كانت من أهل السعادة قال لهم سبحانه سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيروا بها فى الجنة على قدر مايغسل الميت

فاذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده فاذا حمل على النعش فانه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فاذا وصل الى قبره وصلى عليه ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى اللهم ثبتنا واجعل أنسنا في الدارين بك وعاملنا بفضلك ولا تكلنا الى أنفسنا في الدنيا والآخرة طرفة عين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين اللهم آمين زاد في حديث عمرو بن دينار وانه يقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك رواه الحافظ أبو نعيم وقال الغزالي في الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة فاذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه عليهما أثواب حسنة ولهما رائحة طيبة فيلفونها في حريرة من حرير الجنة وهي على قدر النحلة شخص انساني ما فقد من عقله ولا من علمه المكتتب له في دار الدنيا شيأ فيعرجون به في الهواء فلا يزال يمر بالامم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر منهم من يعرف ومنهم من لا يعرف حتى ينتهوا به الى سماء الدنيا الحديث وفيه ويمر بملأ من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه بالسلام ويثنون عليه بمحاسن عمله وفي كل سماء يمر بملائكة يصافحونه ويسلمون عليه حتى ينتهي الى سدرة المنتهى ويوقف بين يدي الله عز وجل ويحاسب عبده بعض المحاسبة ثم يعفو سبحانه عنه الحديث وروى ان يحيى بن أكثم القاضي رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني ربي سبحانه بين يديه ثم قال يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا فقلت يا رب ما بهذا حدثت عنك قال فبم حدثت عني يا يحيى فقلت حدثني الزهري عن معمر عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك أنك قلت اني لاستحي ان أعذب شيبة شابت في الاسلام فقال يا يحيى صدقت وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك وعن ابن نبانة وقد رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني سبحانه بين يديه وقال أنت الذي تخلص كلامك حتى يقال ما أفصحه قلت سبحانك اني كنت أصفك قال قل كما كنت تقول في دار الدنيا قال فقلت أبادهم الذي خلقهم وأسكنهم الذي أنطقهم وسيوجدهم كما أعدمهم ويجمعهم كما فرقهم قال لي صدقت اذهب فقد غفرت لك

﴿فصل﴾ ومن تأليف الفقيه شاكر بن مسلم الاوريولي وهو من أئمة الاندلس ذكر في كتابه هذا حكاية أنه رأى النجم الذي له ذنب في عام تسعة وتسعين وأربعمائة فعلمت أنه في عصر الغزالي ونظرائه ولقد أحسن في كتابه هذا وأكثر أحاديثه ينقلها بالمعنى على طريق المحاسبي في كتاب التوهم وانما عرفت به لاني عزمت على نقل ما استحسنته من كلامه فيكون نقلا عن معلوم لا مجهول قال رحمه الله اعلم ان ملك الموت عليه السلام له أعوان وارسال من الملائكة قد سخرهم الله له وأمرهم بطاعته والاستماع لامره وهما صنفان ملائكة خلقوا للرفق والرأفة والرحمة لمن وجبت له بسعادته الرحمة وملائكة خلقوا للعنف والغلظة والنقمة لمن وجبت له بشقاوته النقمة ثم قال رحمه الله قال الحسن وغيره من العلماء اذا كان الانسان على انفصال من عمله واتصال بوفاة أجله ووالت الدنيا عنه مدبرة ودنت الآخرة منه مقبلة وحان قبض روحه وتصييره الى ضريحه فعند ذلك تنزل الملائكة لقبض روحه وانتزاع نفسه فيشق له عن بصره حتى يراهم ويميل بنظره اليهم ويكشف له عن غطائه حتى يراهم فذلك حين يشخص ببصره متطلعا اليهم ويقبل بنظره الحديد عليهم قال بعض العلماء ورواه بعضهم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فان كان من أهل السعادة دخلت عليه ملائكة الرحمة بالرضا والثواب فقبضت روحه وصيرته الى محل السعادة والنعيم والمقر الكريم وان الملك الموكل يقبض روحه يقعد عند رأسه ويقول أيتها النفس المطمئنة الكائنة في الجسد الطاهر الطيب أخرجي حميدة

وار جعي الى ربك عزيزة سعيدة أخرجي الى رحمة من ربك ورضوان ومغفرة منه وأمان وأبشري برحمة من الله ورب ريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال الملك يقول لها ذلك والروح تسل من جسده سلا وتجذب جذبا سهلا حتى يبدو له الروح من الحلقوم فيمد الملك يده فيتناول الروح ويسله سلا ويجذبه جذبا سهلا كما تسل الشعرة من العجين فى أسرع حين فيخرج الروح من الجسد يسيل سيلا كالقطر من الماء اذا قطر من السقاء فيأخذه الملك بيمينه وله رائحة طيبة كأطيب ريح مسك ومعه سائر ملائكة الرحمة كأن وجوههم الشمس حسنا وضياء لهم ورأيح طيبة فيصعدون به وكلما مروا فى طريقهم ذلك بملأ من الملائكة فى السماء قالوا من هذا الروح الطيب فلقد خرج من جسد طيب فيقولون لهم هذا روح فلان بن فلان عبد صالح تقى وانسان طائع لله ولى فيسمونه لهم باسمه ويصفونه بأحسن صفاته ويذكرون محاسنه وخصاله الجميلة فتقول الملائكة مرحبا به وأهلا وبكم يا ملائكة الرحمة فنعم ما به جئتم فتستقبله ملائكة كل سماء بالترحيب والتبجيل والتحية والتسليم والدعاء الجميل ويصعدون به الى السماء السابعة ثم الى عليين ثم يأتون به الى تحت العرش وكلما مروا بملأ من ملائكة كل سماء أو فوج من ملائكة السابعة أو حملة العرش تلقوه بالتحية والسلام والبشرى والترحيب فيستقرون به تحت العرش ويستأذنون فيه رب العزة سبحانه فيقول الله سبحانه اكتبوا لعبدى كتابا فى عليين وأروه مقعده من الجنة ومنزلته من رضوانى الى يوم الدين الحديث قال وروى عن ابن عباس وأبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما وجماعة من التابعين ان روح المؤمن تخرج من جسده وهو يفوح كأطيب ريح مسك فتقبضه ملائكة الرحمة فيأخذه الملك الموكل به منهم فيصعد به الى السماء ومعه ملائكة الرحمة الذين يتولونه فتتلقاهم ملائكة كل سماء فيسألونهم ويقولون لهم من هذا الذى نزلتم اليه ولمن هذا الروح الطيب الذى جئتم به فيقولون لفلان بن فلان العبد الصالح فيسمونه لهم وينسبونه ويذكرونه بأحسن ذكر ويصفونه بأجل صفاته فتقول لهم الملائكة مرحبا به وبكم يا ملائكة الرحمة سيروا به الى رحمة ربه وكرامته فيسيرون به على سبيله الذى كان منه يصعد عمله الصالح ودعاؤه وذكره لله سبحانه ومنه الى الجنة ليرى منزله منها الذى ينزله اذا صار اليه ثم يؤمر برده الى الارض حتى اذا جهز حضره روحه وعمله الصالح حتى يسأله الملكان فى قبره وقال ابن حبيب وغيره من العلماء اذا قبض روح المؤمن قبلته ملائكة الرحمة فعرجوا به الى سماء الدنيا فتفتح له أبوابها وتهيأ له أسبابها وتتلقاه ملائكتها وحجابها ويبادرونه بالتحية والسلام والتبجيل واطف الكلام والمبرة والاكرام فلا يزالون كذلك حتى ينتهوا به الى عليين ويستأذنون لرب العالمين فيؤذن لهم فيه ويكتب لهم نزله وكرامته ونعيمه الى يوم الدين ثم يؤمر به الى الارض فيرد اليها حتى يقبر جسده فيها فيكون روحه مع جسده حتى يفرغ من سؤال الملكين ثم يذهب به الى عليين عند جنة المأوى وانما سميت جنة المأوى لان اليها تأوى أرواح المؤمنين السعداء الصالحين والاولياء والشهداء وتكون بها حتى ترد الى أجسادها يوم القيامة فتكون فى عليين منعمة الى يوم يبعثون فى صدور طير بيض تذهب بهم الطير حيث يشاؤن وتأوى الى ما شاءت من أشجارها وتتناول ما شاءت من أزهارها وثمارها وتنظر كل غداة وعشى الى منازلها من الجنة ومقعدها ومستقرها اذا هى عادت الى أجسادها يوم البعث ثم تأوى الى جنة المأوى فى قناديل من نور معلقة بالعرش فلا تزال كذلك الى يوم الدين وقال ابن حبيب أيضا وغير واحد من العلماء وهو مروى أيضا عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم رواه بعضهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قبض روح المؤمن عند حضور الموت حضرته ملائكة الرحمة فقبضه الملك بيده ولفه فى حرير من حرير الجنة فتنتشر منه ريح طيبة أذكى من المسك فتصعد به الملائكة الى السماء الدنيا

فتفتح له أبوابها وتتلقاه ملائكتها وحجابها فيقبلون عليه بالبشرى والترحيب والسلام والمبرة والاكرام ويهنؤنه ويدعون له ويجلونه فيمرون به كذلك على السماء حتى يأتوا به على منتهاها وجميع أملاكها ثم يمرون به كذلك من سماء الى سماء حتى ينتهوا به الى تحت العرش الى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى وفيها أرواح الاولياء والانبياء والشهداء واليها تأوى أرواحهم فيستأذنون به على رب العزة سبحانه فينزل اليهم ملك من قبل العرش وبيده صحيفة مكتوب فيها من نور بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد هذا عبدنا عمل بطاعتنا فرضيناله بذلك ورضينا عنه بحسن ثنائنا عنه ونوابنا له واحساننا اليه أروه منزله من الجنة ومقعده فيها من الكرامة ومانبعثه اليه يوم القيامة فيسيرون به حتى يرى ذلك كله وينظر اليه ثم يمرون به كذلك على أرواح المؤمنين الذين توفاهم الله قبله وهم مجتمعون في أندية لهم هنالك جماعات جماعة في تفرقة بقدر منازلهم من الكرامة فيلقونه بالتحية والبشرى والترحيب ويسألونه عمن يعرفونه من أهليهم وأصحابهم واخوانهم وجيرانهم الذين تركوهم بعدهم أحياء فيقولون له أتعرف فلانا أتعرف فلانة وما فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوج فلان وهل تزوجت فلانة فيخبرهم عنهم ويحدثهم بما يعلمه منهم فاذا أخبرهم بالعمل الصالح والفعل الجميل سرهم ذلك وفرحوا به واستبشروا ودعوا له بالتوفيق والعصمة وحمدوا الله على ذلك وقالوا الحمد لله اللهم فثبته ووفقه واعصمه حتى تميته على ما هو الآن عليه وتقبض روحه على ذلك فانك ذو وفاء ورحمة واسعة وكن له حافظا انك على كل شئ قدير وان قال لهم ان فلانا هذا أو فلانة هذه مات قبلي فلا أدري ما صنع به لم يكونوا رأوه قبل ذلك ولا مر بهم روحه علموا أنه ليس من أهل السعادة وانه مات على الحالة المكروهة فكان من أهل الشقاوة فساءهم ذلك وحزنهم أمره وقالوا هيهات عمل والله عملا غير أعمالنا فسلك به غير طريقتنا فسفل به الى الهاوية فبئست والله الام هي وبئست المربية انا لله وانا اليه راجعون لقد خسر خسرانا مبينا انتهى ما نقلناه من كتاب شاكر بن مسلم قوله في الروح تسل كما تسل الشعرة من العجين صحيح وعند أبي الليث السمرقندي فتسل روحه كما تسل الشعرة من العين وهو حسن قريب في المعنى من الذي قبله وفيه أيضا فتخرج وتسيل كما تسيل القطرة من السقاء وقوله فتخرج الروح من الجسد تسيل سيلا كالقطر من الماء اذا قطر من السقاء هو نحو ما في حديث البراء المتقدم حيث قال فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء وعند الغزالي في الدرة الفاخرة والنفس تسل سليل القطر من السقاء والفاجر تسل نفسه كالشوك من الصوف المبلد هكذا حكى صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ولفظه في كتاب الاحياء وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان المؤمن اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين فيقال أيتها النفس المطمئنة أخرجي راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين ثم ذكر في الكافر نحو ما تقدم في الاحاديث وقد قدمنا هذا الحديث بعينه من رواية البزار وروى أبو نعيم في حليته عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المؤمن اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومن ضبائر الريحان وتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضيا عنك فطويت عليها الحريرة ثم يبعث بها الى عليين

﴿فصل﴾ وذكر صاحب كتاب التشوف ان سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل على رجل من أصحابه وهو في النزع فسلم فسمع رد السلام عليه ولم ير شخصا فقال سلمان يا ملك الموت ارفق بصاحبنا فقال انى رفيق بكل مؤمن نقيل ليحيى بن معين يا أبا بكر هل يصح هذا الحديث فقال رواه شبابة وليس ينكر أن يكون لسلمان مثل هذا ذكر هذا في جملة كراماته رضي الله عنه وهذا يقوى ما رواه الماوردي عن جعفر

وقد تقدم فى باب ذكر الموت والوفاة فى أول كتابنا هذا

﴿فصل﴾ قال الغزالى فى كتاب الاحياء قال محمد بن على ما من ميت يموت الا مثل له عند موته أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته و يطرق عن سيئاته قال الغزالى رحمه الله تعالى حكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين حضره الموت فقلت اللهم هوّن عليه سكرات الموت فانه كان وكان وذكرت محاسنه فأفاق وقال من المتكلم فقلت أنا فقال أن ملك الموت عليه السلام يقول لى انى بكل سخى رحيم ثم طفى رحمه الله وقد تقدم من كلام الغزالى فى صفة ملك الموت قال وأما المطيع فانه يرى ملك الموت فى أحسن صورة وأجملها ثم ذكر ان ابن عباس ذكر ان ابراهيم عليه السلام قال للملك الموت يا ملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عنى فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب رائحته فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه أى كان يكفيه لما يجده من الفرح والسرور برؤيته جعلنا الله ممن أنعم عليه بخيراته فكل الخيرات والمسرات منه سبحانه لا اله الا هو وبالجملة فمن حصل له رضا الله سبحانه وأقبل عليه باحسانه أقبلت عليه الموجودات وأظهرت له الفرح والمسرات قال الغزالى قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك المتكبرين يسير فى جنده وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاء رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته وقال ان لى اليك حاجة قال اذكرها قال هى سر فأدنى اليه رأسه فسارّه وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع الى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك أبدا فقبض روحه وخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة قال هات فسارّه فقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته عنى فوالله ما كان فى الارض غائب أحب الىّ أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب الىّ من لقاء الله تعالى فقال اختر على أى حالة تريد أن أقبض روحك قال وتقدر على ذلك قال نعم وانى أمرت بذلك فقال دعنى حتى أتوضأ وأصلى فاقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال عبيد بن عمير أهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم فذكر ما تقدم وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وروى أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلى قالوا انا لله ذهب به الى أمه الهاوية

﴿فصل﴾ قال الغزالى فهذه الاخبار تدلك على أن الموت ليس عبارة عن اعدام الروح وانعدام ادراكها وانما هو مفارقة الروح للجسد فالذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها للجسد لخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها تبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد و يتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقتها للجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى أن يعاد الروح الى الجسد فالانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام

والملذات وذلك لايموت ولاينعدم فمعنى الموت انقطاع تصرف الروح للبدن وخروج البدن عن أن يكون له آلة قال واعلم انه ينكشف للعبد بالموت مالم يكن منكشفا له فى الحياة كما ينكشف للمستيقظ مالم ينكشف له فى النوم فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ماينكشف له مايضره وماينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا فى كتابه مطويا فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يود أن يخوض غمرات النار للخلاص من تلك الحسرة وينكشف له كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران فراق كل ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا دون ما أراد منها الاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة اذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا قدر الضرورة وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القبر أول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وهذا نص صريح فى ان الموت معناه تغير حال فقط وأن ماسيكون من شقاوة الميت أو سعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض أنواع العذاب أو الثواب دون أصله قلت ورأيت فى بعض كتب التذكير مانصه ذكر فى بعض الاخبار ان العبد اذا مات أحضر عمله كله عند رأسه خيرا كان أو شرا فاذا صلى عليه ودفن وانصرف عنه الناس بقى عمله معه فى قبره ولا يزال معه فى قبره الى يوم مبعثه من قبره فاذا أخرج أخرج معه فاذا قام الى الحساب اجتمع عليه كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه وخلافه ووفاقه ويجد الكل مجموعا لم ينس منه شيأ لا من الكبائر ولا من الصغائر ولا من الظواهر ولا من السرائر

﴿فصل﴾ قال القرطبى رحمه الله تعالى تأمل يا أخى وفقنى الله واياك جميع ماتقدم من الاحاديث ترشدك الى أن الروح والنفس شئ واحد وانه جسم لطيف متشابك للاجسام المحسوسة يجذب ويخرج وفى أكفانه يلف ويدرج وبه الى السماء يصعد ويعرج لايموت ولايفنى وهو مماله أول وليس له آخر وهو بعينين ويدين وانه ذو ريح طيبة أو خبيثة وهذه صفة الاجسام لاصفة الاعراض وقد قال بلال فى حديث الوادى الشهير أخذ بنفسى يارسول الله الذى أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث الوادى من رواية زيد بن أسلم يا أيها الناس ان الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها الينا فى حين غير هذا وقال صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا قبض تبعه البصر وقال وذلك حين يتبع بصره نفسه وهذه الاحاديث الصحيحة غاية فى البيان ولا عطر بعد عروس وقد اختلف الناس فى الروح اختلافا كثيرا وأصح مافيه ماذكرناه لك وهو مذهب أهل السنة انه جسم وقد قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها فنال أهل التأويل يريد الارواح وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم يعنى النفس عند خروجها وهذه صفة الجسم وكل من يقول ان الروح تموت وتفنى فهو ملحد قلت قال ابن راشد فى كتابه المسمى بالمرقبة أخبرنى شيخى القرافى عن ابن دقيق العيد انه رأى كتابا لبعض الحكماء فى حقيقة النفس وفيه ثلاثمائة قول قال رحمه الله وكثرة الخلاف تؤذن بكثرة الجهالات والذى عليه المحققون من المتأخرين انها جسم نورانى شفاف سار فى الجسم سريان النار فى الفحم والدليل على أنها فى الجسم قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم فلولم تكن فى الجسم لما قال ذلك وقد أخبرنى الفقيه الخطيب أبو محمد البرجينى رحمه الله تعالى عن الشيخ الصالح أبى الطاهر الركراكى رحمه الله تعالى قال حضرت عند ولى من الاولياء حين النزع فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من جسده ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته ثم صعدت الى السماء وصعدت نفسى معها فلما انتهينا الى السماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة عليه فأزال ذلك الملك رجله وقال لنفس ذلك الولى اصعدى فصعدت فأرادت نفسى أن تصعد معها فقال لها

ارجعي قد بقي لك وقت قال فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسمي وقائل يقول مات وآخر يقول لم يمت فدخلت من أنفي أو قال من عيني قلت وهذه الحكاية صحيحة ورجال اسنادها ثقاة معروفون بالفضل فابن راشد معروف هو شارح ابن الحاجب الفرعي والبرجيني معروف عند أهل افريقية وأبو الطاهر الركراكي من أكابر الاولياء معظم عند أهل تونس مزاره وقبره معروف في جبل الزلاج وقد زرته رحمه الله تعالى

﴿فصل﴾ قال ابن عطية رحمه الله تعالى جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة وروى أنهم في قبة خضراء وروى أنهم في قناديل من ذهب الى كثير من هذا ولا محالة انها أحوال الطوائف أو للجميع في أوقات متغايرة قلت وهذا هو الصواب وكذا أشار شبيب بن ابراهيم في كتاب الافصاح الى ان المنعمين على جهات مختلفة أي بحسب مقاماتهم وتفاوتهم في أعمالهم فمنها ماهو طائر يعلق من شجر الجنة ففي الموطأ انما نسمة المؤمن طائر يعلق من شجر الجنة ومعنى يعلق يأكل ومنها ماهو في حواصل طير خضر ومنها ما يأوي في قناديل تحت العرش ومنها ماهو في حواصل طير بيض ومنها ماهو في حواصل طيور كالزرازير ومنها ماهو في أشخاص صور من صور الجنة ومنها ماهو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم ومنها ما يسرح ويتردد الى جثتها تزورها ومنها ما يتلقى أرواح المقبوضين ومن سوى ذلك ماهو في كفالة ميكائيل عليه السلام ومنها ماهو في كفالة آدم عليه السلام ومنها ماهو في كفالة ابراهيم عليه السلام الى غير ذلك قال القرطبي وهذا قول حسن فانه يجمع الاخبار حتى لا تتدافع قلت وهذا هو المسلك الحسن من التأويل لان المطيعين لما اختلفت أعمالهم اختلفت أحوالهم ومن المطيعين من يحمل بجسده كعامر ابن فهيرة وغيره والحكايات الصحيحة في هذا كثيرة جدا قد ذكرت منها في غير هذا التصنيف جملة والواجب التصديق بجميع ماجاء به الشارع صلى الله عليه وسلم ولا مدخل للعقل في أمور الآخرة وقوله صلى الله عليه وسلم في حواصل طير رواه مسلم ولا وجه لمن أنكرها قال القرطبي الرواية الصحيحة في مسلم بنقل العدل عن العدل فيحتمل أن تكون الفاء بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل أي على جذوع النخل ﴿قلت﴾ وتأولها شيخنا أبو عبد الله الأبي على ان الحوصلة تكون للروح كالقبة الشفافة والطير مركب له يسخره حيث شاء والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب في حمل الجنازة الى القبر وكلامها وفضل اتباعها والصلاة عليها وما جاء في حسن الثناء عليها﴾

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير صالحة قالت ياويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها عليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم وفي رواية لمسلم فان كانت صالحة قربتموها الى الخير وان كانت غير ذلك كان شرا تضعونه عن رقابكم وروى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين وفي رواية له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد وفي رواية لما سمع ابن عمر

بحديث أبي هريرة أرسل خبابا الى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع اليه فيخبره بما قالت فسألها فقالت عائشة صدق أبو هريرة فقال ابن عمر لقد فرطنا في قراريط كثيرة وروى مسلم عن عائشة وأنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه مسلم عن كريب مولى أبي العباس رضي الله عنهما عن عبد الله بن عباس انه مات له ابن بقديد أو بعسفان فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قال نعم قال أخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيأ الا شفعهم الله فيه مسلم والبخاري عن أنس رضي الله عنه قال مر بجنازة فأثني عليها خيرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثني عليها شرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت وجبت فقال عمر فداك أبي وأمي مر بجنازة فأثني عليها خيرا فقلت وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثني عليها شرا فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الارض أنتم شهداء الله في الارض أنتم شهداء الله في الارض وفي رواية للبخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد قال عبد الحق في العاقبة هذا الحديث مخصوص والله أعلم والذي قبله يعطي العموم وان من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة والله أعلم وغير مستنكر اذا أحب الله عبدا يلقي على ألسنة المسلمين حسن الثناء عليه وفي قلوبهم المحبة له قال الله تبارك وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وذكر في البغضاء مثل ذلك رواه مالك وغيره قلت ولفظ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال اني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل فيقول اني أبغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الارض وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد الا له صيت في السماء فان كان صيته في السماء حسنا وضع له في الارض حسنا وان كان صيته في السماء سيأ وضع له في الارض سيأ قال أبو داود بعضه لم أنقله جيدا أخرجه في كتاب الزهد وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال يارسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال لا تغضب وأتاه آخر فقال متى أعلم اني محسن قال اذا قال جيرانك انك محسن فانك محسن واذا قالوا انك مسيء فانك مسيء وروى أبو بكر بن أبي شيبة انه قال قال صلى الله عليه وسلم في خطبته توشكوا أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار أو قال خياركم من شراركم قالوا بم يارسول الله قال بالثناء الحسن وبالثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض وروى البزار عن أنس رضي الله عنه قال قيل يارسول الله من أهل الجنة قال من لا يموت

حتى تملأ مسامعه مما يحبه قيل فمن أهل النار قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يكره ورواه ابن المبارك أيضا فى رقائقه وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن قال أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد وقد قال المفسرون فى قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا أى يحببهم و يحببهم الى الناس وقاله مجاهد وابن عباس ثم أسند أبو عمر عن كعب انه قال والله ما استقر لعبد ثناء فى أهل الدنيا حتى يستقر له فى أهل السماء قال كعب وقرأت فى التوراة انه لم تكن محبة لأحد من أهل الارض الا كان بدؤها من الله سبحانه ينزلها على أهل السماء ثم ينزلها على أهل الارض ثم قرأت القرآن فوجدت فيه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وأسند أبو عمر عن قتادة قال قال هرم ابن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله سبحانه الا أقبل الله بقلوب أهل الايمان عليه حتى يرزقه مودتهم و رحمتهم وحدث مالك عن زيد بن أسلم انه كان يقول اتق الله ابن آدم يحبك الناس وان كرهوا قال ابن رشد ومعنى قوله وان كرهوا أنهم مغلوبون على محبته قال القرطبى وعن عبد الله بن السائب قال مرت جنازة على ابن مسعود فقال لرجل قم فانظر أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار فقال الرجل وما يدريني أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار قال انظر ما ثناء الناس عليه فانهم شهداء الله فى الارض قال ابن رشد فى البيان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء قلت ومن كلام العارفين ألسنة الخلق أقلام الحق نسأل الله سبحانه أن يمن علينا بستر عوراتنا وتأمين روعاتنا روى أبو نعيم فى حليته بسنده عن زيد بن الحرث الايامى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أسروا ما شئتم فوالله ما أسر عبد ولا أمة سريرة الا ألبسه الله رداءها خيرا فخيرا وشرا فشرا حتى لو أن أحدكم عمل خيرا من وراء سبعين حجابا لأظهر الله ذلك الخير حتى يكون ثناؤه فى الناس خيرا ولو أن أحدكم أسر شرا من وراء سبعين حجابا لأظهر الله ذلك الشر حتى يكون ثناؤه فى الناس شرا وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه انه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فقال مستريح ومستراح منه قالوا يارسول الله ما المستريح وما المستراح منه قال العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وفى رواية يستريح من أذى الدنيا الى رحمة الله عز وجل

﴿ باب فى أحوال القبر وسؤال الملكين وفى دخول عمل المؤمن عليه فى أحسن صورة اذا كان العمل صالحا ﴾

قال المحاسبى رحمه الله واذكر القبر بهول مطلعه وعظيم روعه وسؤال الملكين فيه اياك عن ايمانك ثبت من الله سبحانه بالقول الثابت أو متحير شاك مخذول وتوهم أصواتهما اذ ينباديانك فتجلس لسؤالهما اياك فتوهم جلستك فى ضيق لحدك وشخوصك ببصرك الى صورتهما فان رأيتهما فى أحسن صورة حس قلبك بالفوز والنجاة وان كان غير ذلك حزن قلبك وحس بالهلاك والعطب وتوهم تثبيت الله اياك ان ثبتك أو بحسرة ان حيرك واقبالهما عليك ان ثبتك بالسرور وانفراج جوانب قبرك واتساعه عليك ونظرك الى الملكين بفرح وقولهما لك عند ذلك باللين واللطف وانظر الى ما صرفه الله عنك فيزداد قلبك سرورا وفرحا بسلامتك من النار وتوهم ضربهما بأرجلهما جوانب القبر وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها وقولهما لك أنظر ياعبد الله ما أعد الله لك فهذا منزلك واليه

مصيرك وتوهم سرور قلبك وفرحتك عند ماعاينت من نعيم الجنان انك سائر اليها وان تسكن الأخرى والعياذ بالله فتوهم قولهما لك انظر الى ماأحرمك الله عند معاينتك الجنة وتوهما لك انظر الى ماأعد الله لك من النار فهذا منزلك واليه مصيرك فيزداد عليك غمك وحزنك وروى ابن ماجه عن هانئ بن عثمان قال كان عثمان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه وأخرجه الترمذى وقد تقدم الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه نجانا الله سبحانه من عذابه وروى ابن ماجه عن البراء رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على شفير قبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال ياإخوانى لمثل هذا فاعدوا ومن كتاب الفائق فى اللفظ الرائق من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف القاضى أبى القاسم التنيسى رحمه الله قال حاكيا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القبر أول منزل من منازل الآخرة وقال أيضا القبر آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه وقال القبر أفظع المنازل وقال القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار والواجب على العبد التزود لآخرته والبكاء لما يلقاه فى حفرته وقد روى أبونعيم فى حليته عن المطلب بن زياد قال كان فى وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطان أسودان من البكاء وروى أبو نعيم عن أبى رجاء العطاردى قال كان هذا الموضع مجرى الدموع كأنه الشراك البالى من الدموع فعليك رحمك الله بكثرة ذكر القبر وقد روى الحافظ أبونعيم فى حليته عن ثابت البنانى انه كان يقول طوبى لمن ذكر ساعة الموت قال وماأكثر عبد ذكر الموت الارأى ذلك فى عمله وروى مسلم فى حديث خسوف الشمس من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أمابعد مامن شئ لم أكن رأيته الاقد رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار وانه قد أوحى الى انكم تفتنون فى القبور قريبا أومثل فتنة المسيح الدجال لاأدرى أى ذلك قالت أسماء فيؤتى أحدكم فيقال ماعلمك بهذا الرجل فاما المؤمن أوالموقن لاأدرى أى ذلك قالت أسماء فيقول هومحمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات فيقال له نم قد كنا نعلم انك لمؤمن به نم صالحا وأما المنافق أو المرتاب لاأدرى أى ذلك قالت أسماء فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيأ فقلته ورواه أيضا البخارى ومالك وخرج البخارى وغيره عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد انه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قدأبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع الى حديث أنس قال وأما المنافق أوالكافر فيقال له ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى كنت أقول مايقول الناس فيقال لادريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وروى أبو بكر البزار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه

أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده فقال ماتقول فى هذا الرجل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول صدقت ثم يفتح له باب الى النار فيقول هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما اذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب الى الجنة فيريد أن ينهض اليه فيقول له اسكن ويفسح له فى قبره واما كان كافرا أومنافقا يقول له ماتقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيأ فيقول له الملك لادريت ولاتليت ولااهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول هذا منزلك لوآمنت بربك فأما اذ كفرت فان الله قد أبدلك به هذا ويفتح له باب الى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم الا الثقلين فقال بعض القوم يارسول الله مامن أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق الاهبل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء وروى مسلم والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى عذاب القبر يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبيى محمد فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة اللهم ثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بفضلك وجودك آمين وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أوقال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا فيفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون شيأ فقلت مثله لاأدرى فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك وروى عبد بن حميد عن عائشة رضى الله عنها قالت جاءت يهودية فاستطعمت على بابى فقالت أطعمونى أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال فلم أزل أحبسها حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماتقول هذه اليهودية قال وماتقول قلت تقول أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال قالت عائشة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ثم قال أما فتنة الدجال فانه لم يكن نبى الا وقد حذره أمته وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبى أمته انه أعور وان الله ليس بأعور بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن وأما فتنة القبر فبى تفتنون وعنى تسئلون فاذا كان الرجل الصالح أجلس فى قبره غير فزع ولا مشغوب فيقال له فيم كنت فيقول فى الاسلام فيقال ماهذا الرجل الذى كان فيكم فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فآمنا به وصدقناه قال فيقال له هل رأيت الله فيقول ماينبغى لاحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر الى ماوقاك الله ثم يفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك منها ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله واذا كان الرجل السوء أجلس فى قبره فزعا مشغوبا فيقال له فيم كنت فيقول لاأدرى فيقال ماهذا الرجل الذى كان فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له انظر الى ماصرف الله

عنك ثم يفرج له فرجة الى النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له هذا مقعدك منها على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله ثم يعذب قوله ماينبغى لاحد أن يرى الله يعنى فى الدنيا وأما فى الآخرة فيرى سبحانه على ماسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وروى على بن معبد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال اذا وضع الميت فى قبره أتاه آت من ربه فيقول له من ربك فان كان من أهل التثبيت ثبت وقال الله ربى ثم يقال له مادينك فيقول الاسلام فيقال من نبيك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيرى بشراء و يبشر فيقول دعونى أرجع الى أهلى فأبشرهم فيقال نم قرير العين ان لك اخوانا لم يلحقوا وان كان من غير أهل الحق والتثبيت قيل له من ربك فيقول هاها كالواله ثم يضرب بمطراق يسمع صوته الخلق الا الجن والانس و يقال له نم كنومة المنهوس قال القرطبى المنهوس بالسين المهملة هو الملسوع نهسته الحية أى نهشته ومن تصنيف شاكر بن مسلم قال وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع فى قبره وذهب عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم فأتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد بن عبد الله فأما المؤمن الموقن فيقول أشهد أنه عبد الله جاء بالبينات والهدى فآمنا وصدقنا واتبعناه فيقال نم صالحا قد علمنا انك لموقن ثم يقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا فيفسح له فى قبره سبعين ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم القيامة وهذه الزيادة فى صحيح مسلم من قول قتادة والحديث على ألفاظ ففى بعض الحديث زيادة قال فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير مرعوب ولا فزع فيفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه وفى حديث آخر فيعاد روحه فى جسده و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله و يقولان من نبيك فيقول نبى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء فيقول صدق عبدى افرشوا له من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من طيبها و روحها و يفسح فى قبره مد البصر ذكره أبو عمر فى التمهيد وصححه و روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان عمل المؤمن يدخل عليه فى قبره قبل الملكين فى صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب حسن الكلام فيقول له يا ولى الله اثبت على مادمت عليه فى دار الدنيا من دين الاسلام وتصديق النبى عليه السلام فانك على الحق والهدى فالآن يدخل عليك الملكان فلا يروعنك مايروعانك به ولا تنظر اليهما فانك لا تطيق ذلك ونكس رأسك وغض بصرك

﴿فصل﴾ قال شاكر بن مسلم وقد قال غير واحد من العلماء ونحوه لابن حبيب اذا حانت الانسان حضرته الملائكة فان كان من أهل السعادة صعدت بروحه ملائكة الرحمة الى عليين وان كان من أهل الشقاء هبطت به ملائكة الغضب الى سجين فاذا قبر الميت حضر روحه معه فى قبره وقيل على شفير قبره وقيل على صدره فاذا ووارى التراب أعيد روحه فى جسده فيدخل عليه ملك من ملائكة الرحمة على أحسن حال وأجل هيئة وأعذب كلام وأطيب ريح وأحسن وجه وألطف خطاب فيقول له السلام عليك أيها العبد الصالح المؤمن الولى الموقن فانك كنت بالله مؤمنا و بوحدانيته موقنا وانك مت على ملة الاسلام وشريعة محمد عليه السلام فابشر على ما كنت عليه والزم ما مت عليه فانك على الحق والهدى والآن يدخل عليك فتانا القبور وهما منكر ونكير ملكان صفتهما كذا وكذا وأمرهما كذا وكذا يصف له من حالهما وشأنهما أسودان أزرقان كريها المنظر كريها المخبر لأعينهما لمعان كالبرق الخاطف ولأصواتهما ارجاف يدوى كالرعد القاصف ولأنفسهما هزيز كالريح العاصف بيد كل واحد منهما مقمعة من حديد وسيسألانك و يختبرانك فلا

ترتع لقولهما ولا تجزع لحالهما ولا يروعنك ماتراه من شنيع خلقتهما ولا ماتسمعه من فظيع قولهما
ولا ما به يروعانك مما به يكلمانك ولا تنظر اليهما فانك لاتطيق ذلك ولاتستطيعه ونكس رأسك
وغض بصرك واسمع كلامهما وافهم خطابهما ورد عليهما جوابهما فاذا قالا لك كذا وكذا فقل لهما
كذا وكذا فانهما سيقنعان بذلك ويرجعان راضيان بذلك عنك والله يثبتك ويسددك وهو لك
ومعك ثم يخرج عنه الملك فيدخل عليه الملكان منكر ونكير وقيل انما يدخل عليه بدل هذا الملك
عمله الصالح فى صفة ملك فيكلمه ويؤنسه ويسكنه ويبشره ويقول له من حسن القول نحو ماتقدم
فى أحسن هيئة وأجل كمال وأطيب ريح ثم يخرج عنه فيدخل عليه منكر ونكير فاذا خرجا عنه
عاد اليه عمله الصالح فكان معه فى قبره يؤنسه قلت قال صاحب شعب الايمان ورد فى الحديث ان
من أدخل على مؤمن سرورا خلق الله من ذلك السرور ملكا يدخل عليه فى قبره يؤنسه الى يوم
القيامة قال الشيخ عبد الجليل فانظر لما كان السرور يطيب قلب المؤمن ويزيل همه ويؤنسه كان
الجزاء على ذلك فى محل الوحشة موافقا لعمل العبد فدخل عليه ملك فى أحسن صورة لان السرور
أحسن شئ واستدل بهذا كله على سائر الاعمال حسنها وقبيحها وذكر الجوزى فى كتاب سلوة
الاحزان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أدخل على مؤمن
سرورا فقد سرنى ومن سرنى فقد اتخذ عند الله عهدا ومن اتخذ عند الله عهدا فلن تمسه النار أبدا
وادخال السرور على المؤمن من أعظم الخيرات وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أقر عين
مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان من أحب الاعمال الى الله سبحانه ادخال
السرور على المؤمن وأن تفرج عنه غما أو تقضى عنه دينا أو تطعمه من جوع وقال صلى الله عليه
وسلم خصلتان ليس فوقهما شئ من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ
من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال الامام الفخر كان بعض المشايخ يقول مجامع الخيرات محصورة
فى أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق وقال شاكر بن مسلم اذا دفن الميت أحياه الله سبحانه فى
قبره كيف شاء بقدرته وأعاد اليه حياته كيف شاء بحكمته وقيل يعاد روحه فى جسده ثم يدخل
عليه الملكان فيجلسانه ويكلمانه فأما المؤمن التقى الموقن فيراهما فى دخولهما عليه فيرعب منهما
ويخاف سطوتهما ثم ينزل عليه من ربه التسديد والتوفيق والتثبيت فيرجع الى يقينه ويثبت فيسألانه
ويقولان له من ربك فيقول ربى الله لااله الا هو وحده لاشريك له ويقولان له من نبيك فيقول محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى ودين الحق ودعانا الى الاسلام فاجبنا وآمنا
وصدقنا فيقولان له ومادينك فيقول ديني الاسلام وملة محمد عليه السلام فيقولان له وماقبلتك فيقول
الكعبة بيت الله الحرام فيقولان له وما كتابك فيقول القرآن كلام الله المنزل على رسوله هو امامى
فى الدين فيقولان له وما عملك بهذا الرجل الذى بعث فيكم وما كنت تقول فيه فيقول هو محمد رسول
الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وصدقنا فيقولان له وماعملك بذلك فيقول قرأت كتاب الله وقرئ
على وقرأت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت بذلك أمر الله وثبتت عندى رسالة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فآمنت بالله ورسوله وصدقت واتبعت وسمعت وأطعت فينادى المنادى من
قبل الله سبحانه صدق عبدى فى مقالته ويقول له الملكان صدقت قد كنت كذلك فنم صالحا قد
علمنا انك لموقن فينادى المنادى من قبل الله عز وجل أمنوا عبدى وسكنوه فاتركوه كريما واخرجوا
عنه مغفورا له مرحوما وافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفعل به ذلك
ويفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى ماانجاك الله منه برحمته وأنقذك منه بعصمته وهذا مقعدك

من النار وقد أبدلك الله منه مقعدا من الجنة ويفتح له باب الى الجنة بقدر مد البصر ويقال له انظر الى ما أعد الله لك من الخير الجسيم والنعيم المقيم وهذا مقعدك من الجنة حتى يبعثك الله اليه فيأتيه من طيبها وريحها وبردها وينظر الى منزله ومقعده من الجنة ويوسع قبره مد البصر وتأتيه ملائكة الرحمة فتبشره وتؤنسه ويأتيه عمله الصالح فى صورة رجل حسن الوجه والهيئة طيب الريح حسن الثياب فيسلم عليه ويقول له ابشر بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك ابشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فى الدنيا وأنا جليسك وأنيسك الى يوم البعث فيقول له الميت مرحبا بك ومن أنت وما أحسنك وما أجملك وما أكرمك وما أفضلك فمثلك من بشر بالخير وجهك وجه من يجىء بالخير ويبشر به فيقول له أما تعرفنى أنا عملك الصالح الذى كنت تعمل به فى دار الدنيا فيفرح المؤمن ويبتهج ويسر بما جاءه من البشرى ثم يقول يارسول ربى وبارحمة ربى أقيما عندى وامكثا معى حتى أرجع الى أهلى ومالى فيقول له الملك أما أهلك فى الدنيا فليسوا لك الآن بأهل وقد أبدلك الله خيرا منهم حتى تلحقوا بك عند الله ان شاء الله من بعدك وأما مالك فليس لك بمال وقد تركته لغيرك يرثه عنك من بعدك حتى تأتى ربك فلك عنده فى الجنة مال ترضاه فى الدنيا ويقول أى رب أقم الساعة وعجل بعثى الى الجنة الحديث قال شاكر بن مسلم ويروى مثل هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وان عمله الصالح يكون معه مع ملائكة الرحمة ويبشره بعاقبة أمره ومصيره عند موته وفى قبره وعند بعثه وهو قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة الآية لان الله عز وجل يرسل اليه عمله وملائكته بالرحمة فيثبته بذلك عند السياق وعند المسئلة فى القبر وعند البعث والحشر يلهمه الحجة والجواب ﴿قلت﴾ وروى القاضى أبو نصر الشهير بابن ودعان عن قيس بن عاصم رضى الله عنه قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد من بنى تميم فقال لى اغتسل بماء وسدر ففعلت ثم عدت اليه فقلت يارسول الله عظنا موعظة ننتفع بها فقال ياقيس ان مع العز ذلا وان مع الحياة موتا وان مع الدنيا آخرة وان لكل شئ حسيبا وعلى كل شئ رقيبا وان لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا وان لكل أجل كتابا انه لابد لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وأنت ميت فان كان كريما أكرمك وان كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تبعث الا معه ولا تسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان كان صالحا لم تأنس الا به وان كان فاحشا لم تستوحش الا منه وهو فعلك قال شاكر بن مسلم واستحب بعض العلماء أن يلقن الميت عند موته الشهادتين ويلقن حجته عند مفارقة نفسه جسده وعند انزاله فى قبره وعند ما يسوى عليه فيلهم الى ذلك كله ويقال له لا تنس ما كنت عليه فى دار الدنيا وما فارقتنا عليه واذكر ما كنت عليه ويدعى له هنالك بنحو ذلك وقاله ابن حبيب أيضا وقال ابن حبيب وغير واحد من العلماء اذا تفرق الناس من دفن المؤمن فى قبره ذهبت ملائكة الرحمة بروحه الى عليين جنة عالية وعيشة راضية فيها تجتمع أرواح السعداء كل يوم من أيام الدنيا ثم ذكر فى الميت الشقى نحو ما تقدم فى حديث البراء وغيره من أنواع العذاب عافانا الله من عذابه بفضله انتهى كلام شاكر بن مسلم

﴿فصل﴾ فى معنى ما تقدم قال القرطبى وروى نقلة الاخبار عن ابن عباس رضى الله عنهما فى خبر الاسراء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل وما ذانك قال منكر ونكير الحديث وفيه أنهما يأتيان الانسان اذا وضع فى قبره وترك وحيدا فيسألانه وفيه أنهما يقولان له انك فى البرزخ فاعقل حالك واعرف مكانك وانهما يقولان من ربك ومادينك فان كان مؤمنا بالله لقنه الله حجته فيقول الله ربى ونبيى محمد ودينى الاسلام وفيه أنهما يعيدان عليه السؤال والتهديد ويعيد هو الجواب ثلاث مرات

وان الله سبحانه يلقنه الامان ويدرأعنه الفزع فلا يخافهما فاذا فعل ذلك سبحانه بعبده المؤمن استأنس اليهما وأقبل عليهما بالخصومة يخاصمهما ويقول تهددانى كيما أشك فى ربى وتريدان أن أتخذ غيره ولما أشهد أن لااله الاالله وهو ربى وربكما ورب كل شئ ونبيى محمد ودينى الاسلام ثم ينتهرانه ويسألانه عن ذلك فيقول ربى الله فاطر السموات والارض اياه كنت أعبد ولم أشرك به شيأ ولم أتخذ غيره أحدا أفتريدان أن تردانى عن معرفة ربى عز وجل وعبادتى اياه نعم هو الله الذى لا اله الا هو قال فاذا قال ذلك ثلاث مرات مجاوبة لهما تواضعاله حتى يستأنس اليهما آنس ما كان فى الدنيا الى أهل وده ويضحكان اليه ويقولان له صدقت وبررت أقر الله عينك وثبتك ابشر بالجنة وبكرامة الله ثم عان عنه عذاب القبر هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر ويفتحان له بابا الى الجنة فيدخل عليه من روح الجنة وطيب ريحها ونضرتها ماتعرف به كرامة الله فاذا رأى ذلك استيقن بالفوز فحمد الله ثم بفرشان له فراشا من استبرق الجنة ويضعان له مصباحا من نور عند رأسه ومصباحا من نور عند رجليه يزهران فى قبره ثم تدخل عليه ريح أخرى لحين يشمها يغشاه النعاس فينام فيقولان له ارقد رقدة العروس قرير العين لاخوف عليك ولاحزن ثم يمثلان له عمله الصالح فى أحسن مايرى صورة وأطيب ريح فيكون عند رأسه ويقولان هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك فى أحسن ماترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك فى قبرك فلا تكون وحيدا ويدرأعنك هوام الارض وكل دابة وكل أذى فلا يخلص فى قبرك ولافى شئ من مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى فنم سعيدا طوبى لك وحسن مآب ثم يسلمان عليه ويطيران عنه وذكر بقية الحديث ومايلقى الكافر من الهوان الشديد والعذاب الاليم وحسبك ماتقدم عافانا الله من عذابه وعاملنا بفضله معاملة أوليائه اللهم ثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والطف بنا فى الدارين برحمتك ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين قال صاحب التذكرة وهذا الحديث وان كان فى اسناده مقال فهو حديث مرتب على أحوال مبينة ومحتو على أمور مفسرة قال الشيخ بن أبى جمرة رضى الله عنه حكى عن بعض الصالحين انه كان خطيبا بأحد الامصار بجامعها الاعظم فلما انتقل رآه صاحب له فى النوم فسأله مافعل بك الملكان فى القبر فقال سألانى فارتج على فلم أدر ماأجاوبهما فبقيت متحيرا ساعة فاذا أنا بشاب حسن الصورة خرج من جانب القبر فلقننى الحجة فلما جاوبتهما وذهبا عنى أراد أن ينصرف فتعلقت به فقلت من أنت يرحمك الله الذى أغاثنى الله بك فقال أنا عملك فقلت وما أبطأك عنى حتى بقيت متحيرا فقال لى كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطنة فقلت والله ماأكلت منها شيأ وانما كنت أتصدق بها فقال لو أكلتها ماأتيتك ولاخذلك اياها أبطأت عنك اللهم عاملنا برحمتك وروى عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك ياعمر اذا جاءك منكر ونكير اذامت وانطلق بك قومك فقاسوا ثلاثة اذرع وشبرا فى ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم أهالوا عليك التراب فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما بينهما مرزبة من حديد لواجتمع عليها أهل الارض لم يقلوها فقال عمر يارسول الله ان فرقنا فحق لنا أن نفرق أنبعث على مانحن عليه قال نعم قال اذا أكفيكهما وفى رواية عن عمر رضى الله عنه أنه قال يارسول الله أيرجع الى عقلى قال نعم قال اذا أكفيكهما والله لئن سألانى لاسألنهما فأقول لهما أنا ربى الله فمن ربكما أنتما ﴿ذات﴾ قال السمرقندى وروى أبو حازم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر كيف بك لو جاءك

فتانا القبر منكر ونكير ملكان أسودان أزرقان يفحصان الارض بأنيابهما ويطآن فى شعورهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف قال عمر يارسول الله أمعى عقلى على ماأنا عليه اليوم قال نعم قال اذا أكفيكهما باذن الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عمر مؤمن موقن فلما مات عمر رؤى فى المنام فقيل له ماذا قالت لمنكر ونكير قال أخذت بلابتيهما وقلت لهما اعرضا على اسلامكما ففرا وفى رواية أخذت بعضديهما وقلت لما رأيتهما من ربكما ومن نبيكما قال القرطبى وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما فتانى القبر فقال عمر رضى الله عنه أترد الينا عقولنا يارسول الله فقال نعم كهيئتكم اليوم فقال عمر فى فيه الحجر ولما ذكر الغزالى فى الاحياء حديث عمر وقوله أيكون عقلى معى مثل الآن يارسول الله قال نعم قال اذا أكفيكهما لا أبالى بهما الحديث قال وهذا نص صريح فى ان العقل لا يتغير بالموت وانما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شئ وليس العقل المدرك للاشياء هذه الاعضاء بل هو شئ باطن هو المدرك للاشياء ولو تناثرت أعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك للاشياء لكان الانسان العاقل بكماله باقيا قائما لان هذا الجزء لا يحيله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال سهل بن عمار رأيت يزيد بن هرون فى المنام بعد موته فقلت مافعل الله بك فقال انه أتانى فى قبرى ملكان فظان غليظان فقالا مادينك ومن نبيك فأخذت بلحيتى البيضاء وقلت أمثلى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا وقالا أكتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم فقالا انه كان يبغض عثمان فابغضه ﴿قلت﴾ قال الجوزى فى الصفوة وعن عاصم بن على قال كان يزيد بن هرون اذا صلى العتمة لا يزال قائما حتى يصلى الغداة بذلك الوضوء نيفا وأربعين سنة وعن نافع ابن بنت يزيد بن هرون قال كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلان فقال أحدهما ياأبا عبد الله رأيت يزيد بن هرون فى المنام فقلت له أبا خالد مافعل الله بك فقال غفر لى وشفعنى وعاتبنى قلت غفر لك وشفعك قد عرفت ففيم عاتبك قال قال لى ياأبا يزيد أتحدث عن جرير بن عثمان قال قلت يارب ماعلمت الا خيرا قال ياأبا يزيد انه كان يبغض أبا الحسن على بن أبى طالب قال وقال الآخر وأنا رأيت يزيد بن هرون فى المنام فقلت هل أتاك منكر ونكير قال أى والله وسألانى من ربك ومادينك ومن نبيك قال فقلت أمثلى يقال هذا وأنا كنت أعلم الناس هذا فى الدنيا فقالا لى نم نومة العروس لا بأس عليك قال الجوزى وعن حوثرة بن محمد قال رأيت يزيد بن هرون فى المنام بعد موته بأربع ليال فقلت مافعل الله بك فقال تقبل منى الحسنات وتجاوز عنى السيئات ووهب لى التباعات قلت وما كان بعد ذلك قال وهل يكون من الكريم الا الكرم غفر لى ذنوبى وأدخلنى الجنة قلت بم قال بمجالس الذكر وقولى الحق وصدقى فى الحديث وطول قيامى فى الصلاة وصبرى على الفقر قلت منكر ونكير حق قال أى والله الذى لا اله الا هو لقد أقعدانى وسألانى من ربك ومادينك ومن نبيك فجعلت أنفض لحيتى البيضاء من التراب فقلت مثلى يسئل أنا يزيد بن هرون الواسطى وكنت فى دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس فقال أحدهما صدق هو يزيد بن هرون نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم فقال أحدهما كتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم وكان ثقة فى الحديث قال ثقة ولكنه كان يبغض عليا أبغضه الله ﴿قلت﴾ فما حكاه القرطبى انه يبغض عثمان يحتمل ان يكون تصحيفا من النساخ والله سبحانه أعلم

﴿فصل﴾ منه وذكر الغزالى رحمه الله تعالى فى الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة من

حديث يذكره عن ابن مسعود رضى الله عنه وفى بعض النسخ عن ابن عباس انه قال يارسول الله ماأول مايلقى الميت اذا أدخل قبره فقال يا ابن مسعود لقد سألتنى عن شئ ماسألنى عنه أحدالا أنت فأول مايناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول له ياعبدالله اكتب عملك فيقول ليس معى قرطاس ولادواة فيقول هيهات كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب وان كان غير كاتب فى الدنيا ويتذكر حينئذ حسناته وسيآته كيوم واحد ثم يطوى الملك تلك القطعة ويعلقها فى عنقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه أى عمله فاذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر وهما ملكان أسودان أزرقان يخرقان الارض بأنيابهما لهما شعور مسدولة يجرانها على الارض كلامهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما كالريح العاصف بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لواجتمع عليه الثقلان مارفعاه ولوضرب به اعظم جبل لجعله دكا فاذا أبصرتهما النفس رعبت ووات هاربة فتدخل فى منخر الميت فيحيا الميت من الصدر ويكون كهيئته عند الغرغرة ولايقدر على حراك غيرانه يسمع ويبصر فيبتدئانه بعنف وينتهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيث تحرك النفس فيه ووجد فرجة فيقولان له من ربك ومادينك وماقبلتك فمن وفقه الله تعالى وثبته بالقول الثابت قال من وكلكما علىّ ومن أرسلكما الىّ وهذا لايقوله الاالعظماء الاخيار وفى نسخة الاالعلماء الاخيار فيقول أحدهما للآخر صدق واقدكفى شرنا ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة ويفتحان له بابا الى الجنة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من حريرها ورياحينها ويدخل عليه من نسيمها وروحها وريحانها ويأتيه عمله فى صورة أحب الاشخاص اليه فيحدثه ويؤنسه ويملاقبره نورا ولايزال فى فرح وسرور مابقيت الدنيا حتى تقوم الساعة فليس شئ أحب اليه من قيامها ودونه فى المنزلة المؤمن العامل الخير ليس معه حظ من العلم ولامن أسرار الملكوت يلج عليه عمله عقيب رومان فى أحسن صورة طيب الريح حسن الثياب فيقول له أما تعرفنى فيقول من أنت الذى من الله على بك فى غربتى فيقول أنا عملك الصالح لاتحزن ولاتوجل فعما قليل يلج عليك منكر ونكير يسألانك فلاتدهش ثم يلقنه حجته فبينما هو كذلك اذدخلا عليه فينتهرانه ويقعدانه مستندا ويقولان له من ربك نسق الاول فيقول الله ربى ومحمد نبيى والقرآن امامى والكعبة قبلتى وابراهيم أبى وملته ملتى غير مستعجم فيقولان له صدقت ويفعلان به كالاول الاانهما يفتحان له بابا الى النار فينظر الى حياتها وعقاربها وسلاسلها وأغلالها وحميمها ويحمومها وجميع غمومها فيفزع فيقولان له لاعليك سوء هذا موضعك قدأبدله الله تعالى لك بموضعك هذا فى الجنة ويقولان له نم سعيدا ثم يغلقان عنه باب النار فلايدرى ماهو عليه من السرور والاعوام والدهور ثم ذكر بقية الحديث فيمن أريد به الشقاء وقدمضى من ذلك مافيه موعظة لمن اهتم بخلاص نفسه اللهم بفضلك اجعلنا من السعداء ولاتجعلنا من الفجرة الاشقياء قال الثعلبى عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وهى شهادة أن لااله الاالله وفى الآخرة يعنى القبر يلقنهم كلمة الحق عند سؤال الملكين وقيل فى الحياة الدنيا فى القبر عند السؤال وفى الآخرة اذا بعث قال مقاتل وذلك ان المؤمن اذامات بعث الله اليه ملكا يقال له رومان فيدخل قبره فيقول له انه يأتيك الآن ملكان أسودان فيسألانك من ربك ومن نبيك ومادينك فاجبهما بما كنت عليه فى حياتك ثم يخرج ويدخل الملكان وهما منكر ونكير أسودان أزرقان فظان غليظان أعينهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف معهما مرزبة من حديد فيقعدانه ويسألانه ولا يشعران بدخول رومان فيقول ربى الله ونبيى محمد ودينى الاسلام فيقولان له عشت سعيدا ومت شهيدا ثم يقولان اللهم ارضه

كما أرضاك ويفتح له فى قبره باب من الجنة تأتيه منه التحف فاذا انصرفا عنه قالا نم نومة العروس فهذا هو التثبيت ويضل الله الظالمين يعنى لا يلقنهم ثم ذكر ما يفعل بالظالم من النكال وما يلقاه من عظيم الاهوال وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية ان المؤمن اذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة فاذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس فاذا دفن أجلس فى قبره فيقال له من ربك فيقول ربى الله ويقال له من رسولك فيقول محمد فيقال له ما شهادتك فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيوسع له فى قبره مد بصره وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه مدبرين فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصيام عن يساره وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة ما قبلى مدخل فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات ما قبلى مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له اخبرنا عما نسألك عنه فيقول وعم تسألونى فيقال أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه فيقول أيمحمد فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وانه جاء بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك فيزداد غبطة وسرورا ثم تجعل نسمته فى النسيم الطيب وهى طير تعلق بشجر الجنة

﴿فصل﴾ قال صاحب التذكرة جاء فى حديث البخارى ومسلم سؤال الملكين وكذلك فى الترمذى ونص على اسميهما وجاء فى حديث أبى داود سؤال ملك واحد وفى حديثه الآخر سؤال ملكين ولا تعارض فى ذلك والحمد لله بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيانه جميعا ويسألانه جميعا فى حال واحدة عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهول والفتنة فى حقه أشد وأعظم وذلك بحسب ما اقترف من الآثام واجترح من سيئ الاعمال وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف فى السؤال وأقل فى المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الاعمال وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما ولا يأتيه واحد منهما على ما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى واختلفت الاحاديث أيضا فى كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل عن كلها فلا تناقض أى وكذلك ما جاء فى الاحاديث فى سعة القبور ففى بعضها سبعون ذراعا فى سبعين وفى بعضها مد بصره وفى بعضها أربعون ذراعا هو بحسب اختلاف أحوال الناس قال القرطبى سمعت بعض علمائنا يقول ان حفارا كان بقرافة مصر يحفر القبور فحفر ثلاثة أقبر فلما فرغ غشيه النعاس فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه اكتب فرسخا فى فرسخ ووقفا على الثانى فقال أحدهما اكتب ميلا فى ميل ثم وقفا على الثالث فقال اكتب فترا فى فتر ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه به فدفن فى القبر الاول ثم جيء برجل آخر فدفن فى القبر الثانى ثم جيء بامرأة متوفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت فى القبر الضيق الذى ضعته فترى فتر والفتر ما بين الابهام والسبابة نعوذ بالله من ضيق القبر وعذابه

﴿فصل﴾ قال عبد الحق والقرطبى ذكر أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه

حتى تقوم الساعة ولوان تنينا منها نفخ فى الارض ماأنبتت خضراء وقد روى أبوهريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الكافر نحوه فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ماالتنين تسع وتسعون حية لكل حية سبعة أرؤس ينفخن فى جسده ويلسعنه ويخدشنه الى يوم القيامة ويحشر فى قبره الى موقفه أعمى وفى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما موقوفا ثم يؤمر به يعنى الكافر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات كامثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لاتذر على عظمه لحما ويرسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بغطاطيس الحديث قال القرطبى رحمه الله واختلاف الاحاديث فى تنويع عذاب الكافر بحسب اختلاف أحوال الكفار أى فى طغيانهم ومعاصيهم المضافة الى كفرهم قال فان قيل كيف تنقلب الاعمال أشخاصا وهى فى نفسها اعراض فالجواب ان الله سبحانه يخلق من ثواب الاعمال أشخاصا حسنة وقبيحة لان العرض نفسه ينقلب جوهرا وهذا هوالجواب عن كل ماورد فى هذا الباب والله سبحانه أعلم وسيأتى ان شاء الله تعالى لهذا مزيد بيان ومن كتاب الاحياء قال الغزالى قال أبوهريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعين ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ماالتنين تسع وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشنه وينهشنه وينفخن فى جسمه الى يوم يبعثون قال أبوحامد ولاينبغى أن تتعجب من هذا العدد فان أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات المذمومة ثم قال وهذه الصفات هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب حيات وعقارب والقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقارب وما بينهما يؤذى ايذاء الحيات وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية فيجب التصديق بهذه الظواهر والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر فى قبره ونراه ولانشاهد شيأ من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك مقامات فى التصديق بامثال هذا أحدها وهو الاظهر والاصح والاسلم بان تصدق بانها موجودة وهى تلدغ الميت ولكنك لاتشاهد ذلك فان هذه العين لاتصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل مايتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أماترى الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل عليه السلام وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشاهده فان كنت لاتؤمن بهذا فتصحيح أصل ايمانك بالملائكة عليهم السلام والوحى أهم عليك وان آمنت به وجوزت أن يشاهد النبى عليه الصلاة والسلام مالاتشاهده الامة فكيف لاتجوز هذا فى الميت وكما أن الملائكة لاتشبه الآدميين فكذلك الحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من حيات عالمنا بل هى جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى ومثال ثان أن تتذكر أمر النائم وانه قد يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه فى النوم يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وأنت تشاهده وترى ظاهره ساكنا ولاترى حواليه حية والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل له ولكنه فى حقك غير مشاهد واذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلافرق بين حية تتخيل أوتشاهد قلت والمثال الاول هوالمعول عليه وهوجواب أبى بكر الباقلانى رحمه الله تعالى وقد شوهدت حيات عيانا ودفنت مع الميت فى بعض الحكايات وسنذكر ان شاء الله من ذلك ماتيسر قال الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء وقد علم على القطع أن العبد بعد الموت لايخلو من عذاب

عظيم أو نعيم مقيم فينبغي ان يكون شغله الاستعداد لذلك فاما البحث عن كيفية ذلك ففضول وتضييع زمان بلا فائدة فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسيف أو بموسى أو بسكين وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا قال ابن أبي جمرة رضي الله عنه في هذا الحديث دليل على ان من حين خروج الميت من هذه الدار يلقى عمله والمجازاة عليه خيرا كان أو ضده يؤخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم قد أفضوا الى ماقدموا كما نبهنا عليه في الحديث قبل يعني في قوله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله ويبقى عمله قال وقد قال صلى الله عليه وسلم في العمل ان كان صالحا لم يأنس الا به وان كان سيأ لم يستوحش الا منه وقد جاء ان العمل اذا كان صالحا دخل على المرء في قبره في صورة شخص حسن الصورة طيب الرائحة نورانيا فيأنس به من وحشة القبر فيقول له من أنت الذي من الله علي بك فيقول له أما تعرفني فيقول له لا أعرفك فيقول له أنا عملك الصالح في دار الدنيا لا أفارقك وان كان العمل سيأ دخل عليه في صورة وحشة منتنة ذو ظلمة فيستوحش منه زيادة على ماعنده من وحشة وضيقة فيقول من أنت الذي روعتني فيقول له أما تعرفني فيقول له لا أعرفك فيقول له أنا عملك السيئ في دار الدنيا لا أفارقك عافانا الله من سيئ الاعمال بمنه قال صاحب التذكرة وبالجملة فاحوال المقابر على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا وهذا مالا خلاف فيه ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف ماهنالك والذين جاؤا بهذه الاخبار هم الذين جاؤا بالصلوات الخمس وغيرها من الاحكام فكما وجب تصديقهم فيما نقلوه من الاحكام وجب تصديقهم فيما نقلوه من أمور الآخرة ولما تكلم ابن أبي جمرة رضي الله عنه على حديث الرؤيا المشتمل على أحوال الآخرة قال فيه من الفقه الايمان بالبعث بعد الموت وبكل ماورد من الاخبار في ذلك اليوم العظيم والتصديق بذلك انه حق كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولا يتعرض الى الكيفية في كل ما جاء من أمر الساعة فانه أمر لا تسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف في الايمان فانما يجب الجزم بالتصديق كما أخبر صلى الله عليه وسلم

﴿باب ماجاء في كلام القبر وضغطته وماينجي من ضغطته وفتنته﴾

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى اناسا يكتشرون فقال أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى يعني الموت فاكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما ان كنت لأحب من يمشي على ظهري فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما ان كنت لابغض من يمشي على ظهري الى فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابعه فادخل بعضها في جوف بعض قال ويقيض له تسعون تنينا أو قال تسعة وتسعون لو أن واحدا منها نفخ في الارض ما أنبتت شيأ ما بقيت

الدنيا فينهشنه حتى يفضى به الى الحساب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار قال أبوعيسى هذا حديث حسن غريب وخرج هنادبن السرى قال حدثنا حسن الجعفى عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال يجعل الله للقبر لسانا ينطق به يقول ابن آدم كيف نسيتنى أماعلمت انى بيت الا كلة وبيت الدود وبيت الوحدة قال وحدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال ان القبر ليبكى يقول فى بكائه أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الدود وروى أبوعمر بن عبدالبر فى التمهيد بسنده عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عبدالله بن عمرو بن العاص نحوه وفيه فان كان مؤمنا يوسع له قبره ويجعل منزله أخضر ويعرج بروحه الى السماء قال عبد الحق وروى أبوالحجاج المالى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت اذا وضع فيه ويحك يا ابن آدم ماغرك بى ألم تعلم انى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ماغرك بى اذ كنت تمر بى فدادا قال فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر فانى اذا أعود عليه خضرا ويعود جسده نورا ويصعد روحه الى رب العالمين ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم فى كتاب الكنى وذكره أيضا قاسم ابن أصبغ قال قيل لابى الحجاج ماالفداد قال الذى يقدم رجلا ويؤخر رجلا يعنى الذى يمشى مشية المتبختر وقال مجاهد أول مايكلم ابن آدم حفرته تقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الغربة هذا ماأعددت لك يا ابن آدم فماذا أعددت لى وقال بعض العلماء أربعة أبحر لاربع الموت بحر الحياة والنفس بحر الشهوات والقبر بحر الندامات وعفو الله بحر الخطيآت قال القرطبى وذكر ابن المبارك قال أخبرنا داود بن ناقد قال سمعت عبدالله بن عبيد بن عمير يقول بلغنى ان الميت يقعد فى حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شئ أول من حفرته فتقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت صنيعى وظلماتى ونتنى وهولى هذا أعددت لك فما أعددت لى الوخط سرعة السير فى المشى وقال سفيان الثورى من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وروى عن الحسن البصرى أنه قال كنت خلف جنازة فاتبعتها حتى وصلوا بها الى حفرته فنادت امرأة فقالت ياأهل القبور لو عرفتم مانقل اليكم لاعززتموه قال الحسن فسمعت صوتا من الحفرة يقول قد والله نقل الينا باوزار كالجبال وقد أذن لى ان آكله حتى يعود رميما قال فاضطربت الجنازة فوق النعش وخر الحسن مغشيا عليه

﴿فصل﴾ روى النسائى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه قال النسائى يعنى سعد بن معاذ ومن حديث شعبة بن الحجاج باسناده الى عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو نجا منها أحد نجا منها سعد بن معاذ ولما ذكر السهيلى هذا الحديث قال وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله ماانتفعت بشئ منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال لها ياعائشة ان ضغطة القبر على المؤمنين أوقال ضمة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وصوت منكر ونكير كالكحل فى العين ولكن ياعائشة ويل للشاكين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطة البيض على الصخر ذكره أبوسعيد بن الاعرابى فى كتاب المعجم وروى من حديث أبى العلاء بن يزيد بن عبدالله ابن الشخير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى يجيزوه الصراط قال

صاحب التذكرة هذا حديث حسن غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي قلت وقد رواه أبو نعيم في حليته بهذه الالفاظ قلت وقد من الله سبحانه على من يشاء من عباده فتضمه الارض ضم رحمة كما تضم الوالدة ولدها شفقة و رحمة كما قد ورد الاثر بذلك كما قدمنا قال ابن أبي جمرة رضي الله عنه وقد جاء عن الارض انها تضم المؤمن اذا جعل في قبره ضمة رحمة وتقول له ما أحب ما كنت فيك حين تمشي على ظهري فكيف اليوم وأنت في بطني والكافر بضد ذلك

﴿ باب مايقال عند وضع الميت في قبره واستحباب الوقوف قليلا بعد الدفن والدعاء له بالتثبيت ﴾

روى مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهدي قال حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت الحديث وفيه فاذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا ثم أقيموا حول قبري قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسول ربي عز وجل قال عبد الحق قوله حتى أستأنس بكم يريد أن يستأنس بدعائهم و بذكرهم لله عز وجل وروى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل قلت ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح الاسناد وخرج أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول له عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن ميتا وقف وسأل له التثبيت وكان يقول مايستقبل المؤمن من هول الآخرة الا والقبر أنقطع منه وخرجه أبو نعيم الحافظ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قبر رجل من أصحابه حين فرغ منه فقال انا لله وانا اليه راجعون اللهم انه نزل بك وأنت خير منزول به اللهم جاف الارض عن جنبه وافتح أبواب السماء لروحه واقبله منك بقبول حسن وثبت عند المسائل منطقه غريب من حديث عطاء الخراساني قلت وذكره صاحب سلاح المؤمن وقال رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وفيه اللهم جاف الارض عن جنبه الحديث قال القرطبي قال الآجري أبو بكر محمد بن الحسين في كتاب النصيحة له يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات فيقال اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الحياة الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره وقال الترمذي الحكيم الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة لان الصلاة بجماعة المسلمين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل الميت لانه يستقبل هول المطلع وسؤال وفتنة فتاني القبر

﴿فصل﴾ قال عطاء الخراساني أرحم مايكون الرب بعبده اذا أخل قبره وتفرق الناس عنه وأهله وروى عن ابن عباس مرفوعا وروى أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه والمفظ لابي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع الميت في قبره قال بسم الله وعلى سنة رسول الله صلى الله وعليه وسلم وفي رواية وعلى ملة رسول الله وفي رواية لابن حبان واحدى رواية النسائي اذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا ورواه الحاكم في المستدرك من طريق آخر ولفظه الميت اذا وضع في قبره فليقل الذين يضعونه بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله وروى الحاكم في المستدرك عن أبي أمامة رضي الله عنه قال لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله صلى

الله عليه وسلم فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى بسم الله فى سبيل الله وعلى ملة رسول الله فلما بنى عليها لحدها طفق صلى الله عليه وسلم يناولهم و يقول سدوا خلال اللبن ثم قال صلى الله عليه وسلم أما ان هذا ليس بشئ ولكنه يطيب نفس الحى وعن مجاهد رحمه الله انه كان يقول بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله اللهم افسح له فى قبره ونور له فيه وألحقه بنبيه وأنت عنه راض غير غضبان وروى ابن أبى شيبة فى مصنفه عن خيثمة بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال كانوا يستحبون اذا وضعوا الميت فى قبره أن يقولوا بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله اللهم أجره من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر الشياطين وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن سعيد بن المسيب قال حضرت ابن عمر رضى الله عنهما فى جنازة فلما وضعها فى اللحد قال بسم الله وفى سبيل الله فلما أخذ فى تسوية اللحد قال اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر فلما سوى عليها قام الى جانب القبر ثم قال اللهم جاف الارض عن جنبها وصعد روحها ولقها منك رضوانا فقلت لابن عمر أشيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيأ قلته من رأيك قال انى اذا لقادر على القول بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجه ابن ماجه أيضا فى سننه وروى الترمذى الحكيم بسنده عن عمرو بن مرة قال كانوا يستحبون اذا وضعوا الميت فى اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم وروى عن سفيان الثورى أنه قال اذا سئل الميت من ربك تزيا له الشيطان فى صورة فيشير الى نفسه انى أنا ربك قال الترمذى الحكيم فهذه فتنة عظيمة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بالثبات فيقول اللهم ثبت عند المسئلة منطقه وافتح أبواب السماء لروحه فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال القرطبى فهذا تحقيق لما روى عن سفيان

﴿باب تلقين الميت بعد الدفن وذكر ماينجى من أهوال القبر وفتنته وعذابه﴾

قال عبد الحق روى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم فسويتم التراب عليه فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يافلان بن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يافلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكنكم لاتسمعون فيقول اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد نبيا و بالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما و يقول انطلق بنا مايقعدنا عند هذا وقد لقن حجته و يكون الله حجيجهما دونه فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف أمه قال ينسبه الى أمه حواء قال القرطبى هذا الحديث ذكره عبد الحق ولم يسنده كعادته وهذا والله أعلم نقله من احياء علوم الدين للغزالى وهو حديث غريب خرجه الثقفى وقد أنبأنا به الشيخ المسن الراوية أبو محمد عبد الوهاب المعروف بابن رواج والشيخ أبو الحسن على بن هبة الله الشافعى ثم ذكر سنده المتصل الى سعيد الازدى قال دخلت على أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه وهو فى النزع فقال لى ياسعيد اذا أنامت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصنع بموتانا فقال اذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يافلان بن فلانة فانه سيسمع فليقل يافلان بن فلانة سيقول أرشدنى رحمك الله فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا عبده و رسوله وأن الساعة آتية لاريب فيها وان الله باعث من فى القبور فان منكرا ونكيرا عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد

صاحبه ويقول مانصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله حجيجهما دونه حديث أبي أمامة في الترغيب من حديث حماد بن زيد ما كتبناه الا من حديث سعيد الازدي قال عبد الحق وقال شبيب بن شيبة أوصتني أمي عند موتها فقالت لي يابني اذا دفنتني فقم عند قبري وقل ياأم شيبة قولي لااله الا الله قال فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت ياأم شيبة قولي لااله الاالله ثم انصرفت فلما كان من الليل رأيتها في المنام فقالت لي يابني كدت ان أهلك لولا ان تداركتني لااله الا الله فلقد حفظت وصيتي يابني ويروى عن بعض الصالحين انه قال مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت له ياأخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعاني لهلكت قال القرطبي قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي رضي الله عنه ينبغي أن يرشد الميت في قبره حين وضعه الى جواب السؤال ويذكر بذلك فيقال له قل الله ربي والاسلام ديني ومحمد رسولي فانه عن ذلك يسئل كما جاءت به الاخبار وقد جرى العمل عندنا بقرطوبة كذلك فيقال قل هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب وقد صح ان الميت يسمع مايقال وقد قال صلى الله عليه وسلم انه ليسمع قرع نعالهم ذكره البخاري وغيره (قلت) وقد قدمنا من كلام شاكر بن مسلم نحو هذا وقد نقله النووي من الشافعية أعني استحسان التلقين بعد الموت ونقل استحسانه عن ابن الصلاح قال وبه جرى العمل عندنا

﴿فصل﴾ ونقل القرطبي في تذكرته ان مما ينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه خمسة أشياء الاول الرباط روى مسلم عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجري عليه عمله الذي يعمله وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان قال القرطبي فالرباط من أفضل الاعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الحديث خرجه مسلم وكذلك مارواه أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا اجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحة تلحقه بعد موته وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وخرجه أبو داود بمعناه وقال ويؤمن من فتان القبر قال القرطبي وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الاعمال الصالحة وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله آمنا من الفزع قال القرطبي وفي هذا الحديث وحديث فضالة بن عبيد قيد ثان وهو الموت حالة الرباط والله سبحانه أعلم وروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها قلت ورواه أبو نعيم في الحلية ولفظه عن عثمان رضي الله عنه

قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها
و يصام نهارها و روى عن أبى ابن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أعظم أجرا من عبادة
مائة سنة صيامها وقيامها و رباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين من شهر رمضان أفضل
عند الله وأعظم أجرا أراه قال من عبادة ألفى سنة صيامها وقيامها فان رده الله الى أهله سالما لم
تكتب عليه سيئة ألف سنة و يكتب له من الحسنات و يجرى له أجرا لرباط الى يوم القيامة فدل هذا
الحديث على ان رباط يوم فى شهر رمضان يحصل له الثواب الدائم وان لم يمت مرابطا والله سبحانه
أعلم الثانى الشهيد روى النسائى بسنده عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا (2)
قال يارسول الله مابال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه
فتنة وخرج ابن ماجه فى سننه والترمذى فى جامعه وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة و يرى
مقعده من الجنة و يجار من عذاب القبر و يأمن من الفزع الاكبر و يوضع على رأسه تاج الوقار
الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها و يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين و يشفع فى
سبعين من أقاربه هذا لفظ الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقال ابن ماجه يغفر له فى
أول دفعة من دمه قال و يحلى حلة الايمان بدل و يوضع على رأسه تاج الوقار قال ابن ماجه حدثنا
هشام بن عمار قال حدثنا اسماعيل بن عياش قال حدثنى محمد بن سعد عن خالد بن معدان عن
المقدام بن معدى كرب فذكره قال القرطبى ووقع فى جميع نسخ الترمذى وابن ماجه ست خصال
وهى فى متن الحديث سبع وعلى ماذكر ابن ماجه و يحلى حلة الايمان تكون ثمانيا وكذا ذكره أبو
بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن المقدام بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للشهيد عند الله ثمانى خصال الثالث قراءة تبارك الذى بيده الملك فقد روى الترمذى عن ابن عباس (3)
رضى الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب
انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله
ضربت خبائى على قبر وانا لا أحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى
صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر قال حديث حسن غريب وخرج
الترمذى أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم ان من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها وروى
انها المجادلة تجادل عن صاحبها فى القبر وروى ان من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان وروى عن ابن
عباس رضى الله عنهما انه قال لرجل الا أتحفك بحديث تفرح به فقال الرجل بلى يا ابن عباس
رحمك الله قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك احفظها وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك
فانها المنجية المجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها ان ينجيه من
عذاب النار اذا كانت فى جوفه و ينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو ددت انها فى قلب كل انسان من أمتى وقد روى القرطبى هذا الحديث عن اشياخه من
طريقين قال ابن عطية وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرؤها عند أخذ مضجعه رواه جماعة
مرفوعا و روى انها تنجى من عذاب القبر وتجادل عن صاحبها حتى لا يعذب قال وروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وددت ان سورة تبارك الذى بيده الملك فى قلب
كل مؤمن قلت وقد خرج مالك رحمه الله تعالى فى الموطأ انها تجادل عن صاحبها وقد خرج أبو داود

والترمذى والنسائى وأبو الحسن بن صخر وأبو ذر الهروى وغيرهم أحاديث فى فضل هذه السورة نحو مانتقدم وحدث الشيخ أبو الفتح محمد بن على بن همام فى كتابه سلاح المؤمن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم فى المستدرك على الصحيحين وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى واللفظ له حديث حسن وقال الحاكم صحيح الاسناد (قلت) والاحاديث فى كونها تجادل عن صاحبها كثيرة وقد أطنب الغافقى فى سياق الاحاديث فيها بهذا المعنى وقد رأيت بركتها عيانا كنت فى صغرى ربما اعترانى الكابوس الذى يأخذ الانسان فى النوم فكنت اذا قرأتها يمنعنى الله سبحانه منه وربما نسيت قراءتها عند النوم فاذا أحسست به وأنا نائم قرأتها فى قلبى فى تلك الحال فهرب عنى وقد تقدم ان قراءة الانسان قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه ينجى من فتنة القبر ومن ضغطته (قلت) ونقل صاحب نزهة الاسرار ولوامع الانوار فى فضل الصلاة على النبى المختار عن أبى القاسم بن بشكوال عن الشبلى رحمه الله انه قال مات رجل من جيرانى فرأيته فى المنام فسألته عن حاله فقال ياشبلى مررت بى أهوال عظيمة وذلك انه ارتج على عند السؤال فقلت فى نفسى من أين أتى على ألم أمت على الاسلام فنوديت هذه عقوبة اهمالك لسانك فى الدنيا فلما هم بى الملكان حال بينى وبينهما رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكرنى حجتى فذكرتها فقلت من أنت يرحمك الله فقال شخصّ خلقت من كثرة صلاتك على محمد صلى الله عليه وسلم وأمرت ان أنصرك فى كل كرب قال وذكر ابن بشكوال فى كتاب القربة عن محمد بن أبى سليمان قال رأيت أبى فى المنام فقلت ياأبت مافعل الله بك فقال غفرلى فقلت بماذا فقال بكتابتى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقال أبو العباس الخياط رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال احضر مجلس ابن رشيق فانه يصلى على فيه كذا وكذا مرة ورئى ابن رشيق رحمه الله تعالى بعد موته فى المنام فى حالة حسنة فقيل له بما نلت هذا فقال بكثرة صلاتى على النبى صلى الله عليه وسلم ورئى أبو حفص الكاغدى بعد وفاته فى المنام وكان سيدا كبيرا فقيل له مافعل الله بك قال رحمنى وغفرلى وأدخلنى الجنة فقيل له بماذا قال لما أوقفنى سبحانه بين يديه أمر الملائكة بحسبوا ذنوبى وحسبوا صلاتى على المصطفى صلى الله عليه وسلم فوجدوها أكثر فقال لهم جلت قدرته حسبكم ياملائكتى لاتحاسبوه واذهبوا به الى الجنة وعن جعفر بن على قال سمعت خالى الحسين بن محمد يقول رأيت أحمد بن حنبل فى المنام فقال لى ياأبا على لو رأيت صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتب كيف تزهر بين أيدينا وذكر ابن بشكوال فى كتاب القربة عن محمد بن الحسن النقاش عن بعض المتصوفة انه قال رأيت الملقب بمسطاح بعد وفاته فى المنام وكان رجلا ماجنا فى حياته فقلت مافعل الله بك قال غفرلى قلت بأى شئ قال استمليت على بعض المحدثين حديثا مسندا فصلى الشيخ على النبى صلى الله عليه وسلم فصليت أنا ورفعت صوتى فصلى أهل المجلس عليه فغفر لنا كلنا فى ذلك اليوم الرابع روى ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات مريضا مات شهيدا ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة (قلت) وفى الحلية لابى نعيم من مات مريضا فى سبيل الله مات شهيدا رواه عبد العزيز بن أبىّ رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية عن جابر من مات مريضا أو غريبا مات شهيدا وخرج النسائى عن جامع ابن شداد قال سمعت عبد الله بن يسار يقول كنت جالسا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلا مات ببطنه فاذاهما يشتهيان ان يكونا شهدا جنازته فقال أحدهما للآخر ألم

يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتله بطنه لم يعذب فى قبره وأخرجه أبوداود الطيالسى فى مسنده فقال حدثنا شعبة قال أخبرنى جامع بن شداد فذكره وزاد فقال الآخر بلى قال القرطبى قوله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا عام فى جميع الامراض لكن يقيد بقوله من يقتله بطنه أى صاحب الاسهال وقيل صاحب الاستسقاء (قلت) وبقاؤه على عمومه أصوب ان شاء الله لان الاصل العموم ولان فضل المولى عظيم وجوده عميم فيحمل على مايقتضى عموم الاحسان وقد نقل الغزالى هذا الحديث فى الاحياء ولم يقيده فقال قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة ولما تكلم ابن أبى جمرة رضى الله عنه على قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدث بها الا من يحب الحديث أى اذ لعل من لايحب يعبرها على الوجه المكروه قال وأما أمره صلى الله عليه وسلم لمن يرى مايكره أن يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل ثلاثا ولايحدث بها فقد قال العلماء ان الرؤيا اذا كانت تدل على شر ولم تكن حلما وامتثل صاحبها السنة كما أخبر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث انها لاتضره ببركة اتباعه السنة وهو الحق الذى لاغبار عليه لان الله عز وجل يقول وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وهذا لفظ عام باق على عمومه لان ذلك فضل من الله تعالى وما كان من طريق الربوبية يعتقد فيه أكمل وجوه الخير لان ذلك هو الاليق بجلاله سبحانه جعلنا الله ممن تمسك بالكتاب والسنة وتوفنا على ذلك مغفورا لنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم انتهى كلام هذا الولى بلفظه أعاد الله علينا من بركاته وبركة أمثاله فافهم هذه القاعدة المباركة وبالله التوفيق الخامس روى الترمذى عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة الاوقاه الله فتنة القبر قال حديث حسن غريب وليس اسناده بمتصل لانا لانعرف لربيعة بن سيف سماعا من عبد الله بن عمرو قال القرطبى رحمه الله تعالى قد خرجه أبو عبدالله الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول متصلا عن ربيعة بن سيف الاسكندانى عن عياض بن عقبة الفهرى عن عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر وخرجه على بن معبد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة وقى فتنة القبر وأخرجه أبونعيم الحافظ عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ليلة الجمعة أويوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء غريب من حديث جابر

﴿فصل﴾ وروى أبونعيم عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة حديث غريب قال القرطبى رحمه الله تعالى اعلم رحمك الله ان هذا الباب الذى فرغنا منه الآن لايعارض ماتقدم من الابواب بل يخصها ويبين من لايسئل فى قبره ولايفتن فيه ممن يجرى عليه السؤال ويقاسى تلك الاهوال وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولامجال للنظر فيه ولله در العاملين بطاعة ربهم لقد حاز واخير الدارين وأنشدوا

أين الذين الى مولاهم هربوا * وكابدوا الليل والاحزان وانتحبوا
أين الذين تخلوا عن ديارهم * وخلفوا الاهل والاموال واغتربوا
أين الذين اذا جن الظلام بهم * قاموا يجدعلى الاقدام وانتصبوا

أين الذين اذا ماتوا بكى لهم * شمس النهار وبدر الليل والكوكب
أين الذين بكت صم الجبال لهم * عند الممات وسهل الارض والعشب
أين الذين حباذو العرش جنته * وزادهم من عطاء كل ماطلبوا
فاسكنوا أبدا فى الخلد منزلهم * فيها فواكه دار الخلد والعنب

وروى أبو نعيم فى الحلية عن زيد بن أسلم أنه قال من يكرم الله بطاعته يكرمه بجنته ومن يكرم الله تعالى بترك معصيته أكرمه الله بان لايدخله النار

﴿باب ماجاء ان الميت يعرض عليه مقعده وعرض الاعمال على الموتى وفرحهم بالحسنات والاعمال الصالحات﴾

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة ويروى عرض على مقعده قال القرطبى قيل هذا العرض انما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من الجسد ويجوز أن يكون مع جميع الجسد فترد اليه الروح كما ترد عند المسألة وجاء فى القرآن فى حق الكافرين النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فاخبر سبحانه ان الكافرين يعرضون على النار كما ان أهل السعادة يعرضون على الجنان

﴿فصل﴾ وروى ابن المبارك عن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويسائون قال يقول أبو الدرداء اللهم انى أعوذ بك ان أعمل عملا يخزى به عبد الله بن رواحة وفى رواية اللهم انى أعوذ بك من عمل يخزينى عند عبد الله بن رواحة وروى ابن المبارك من حديث أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال تعرض عليهم أعمالكم يعنى أعمال الاحياء قال فان رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذه نعمتك على عبدك فاتمها وان رأوا شرا قالوا اللهم راجع بعبدك ولفظ الغزالى فى الاحياء قال قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفضحوا أمواتكم بسيئ أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ولذلك قال أبو الدرداء رضى الله عنه اللهم انى أعوذ بك ان أعمل عملا أخزى به عند عبد الله ابن رواحة وكان قد استشهد وهو خاله وعن سعيد بن جبير أنه قال مامن أحد له حميم الا ويأتيه أخبار أقاربه فان كان خيرا سر به وفرح وهنى به وان كان شرا ابتأس به وحزن حتى انهم ليسئلون عن الرجل اذا مات فيقال أولم يأتكم فيقولون لا خولف به الى أمه الهاوية وقال وهب بن منبه ان لله سبحانه فى السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الارواح فيسائلونه عن أخبار الدنيا كما يسائل الغائب أهله اذا قدم اليهم ذكره أبو نعيم وخرج الترمذى الحكيم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان خيرا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لاتمتهم حتى تهديهم لما هديتنا وخرج بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تعرض الاعمال على الله سبحانه يوم الاثنين ويوم الخميس وتعرض على الانبياء وعلى الآباء يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وشرقة فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أرواحكم اذا مات أحدكم تعرض على عشائركم

فيقول بعضهم لبعض دعوه يستريح فانه كان فى كرب ثم يسألونه ماعمل فلان وما عملت فلانة فان ذكر خيرا حمدوا الله واستبشروا وان كان شرا قالوا اللهم أغفر له الحديث وقدتقدم هذا المعنى نسئل الله سبحانه أن يمن علينا باعمال مرضية يدخل بها السرور على أوليائنا بجوده وكرمه

﴿فصل﴾ قال ابن أبى جمرة فى قوله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه مقعده أى موضعه قال رحمه الله وفيه بحث وهو أن يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم بالغداة والعشى وليس فى الاخرة ليل ولا نهار والجواب والله أعلم أن يكون المراد قدر مابين الغداة والعشى فى هذه الدار كما قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال العلماء قدر مابين الغداة والعشى فى دار الدنيا

﴿باب جامع لاحوال الموتى وما يحكى فى ذلك من العجائب وتبشير الملائكة للعبد وما ينكشف له عقب الموت﴾

قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله قال الحكيم ياابن آدم لاعبادة لك بعد موتك فاغتنم أيام حياتك واستعد لقدوم الموت عليك وتذكره فى كل وقت فليس بغافل عنك قال وقال الحكيم من أراد أن ينجو من عذاب الله وعذاب القبر فليلتزم أربعة أشياء يلازم محافظة الصلوات الخمس والصدقات وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فهذه الاشياء تضئ القبر وتوسعه ويجتنب أربعة أشياء الكذب والخيانة والنميمة ويتحرز من البول فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر من البول (قلت) وقد روى أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أكثر عذاب القبر فى البول وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لايستتر من بوله الحديث وفى سنن أبى داود لايستنزه من بوله وفى حديث هناد بن السرى لايستبرئ من البول وقال البخارى وما يعذبان فى كبير وانه لكبير أى وما يعذبان فى كبير تركه أو فى كبير بالنسبة الى الكفر ثم قال وانه لكبير أى لكبير فى نفسه وخرجه أبو داود الطيالسى وفيه انهما ليعذبان الآن انهما يعذبان فى الغيبة والبول الحديث مختصر وفى رواية أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس وأما الآخر فكان صاحب نميمة وروى الطحاوى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال على م جلدتنى قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره وقال أبو الليث ذكر عمرو بن دينار أن رجلا من أهل المدينة ماتت أخته فدفنها ثم ذكر انه سقط له كيس فى قبرها فرجع واستعان برجل من أصحابه فنبشا القبر فوجد الكيس ثم قال لصاحبه تنح عنى حتى أنظر الى أى حال صارت اليه أختى فرفع بعض ماعلى اللحد فاذا القبر مشتعل نارا فرده وسوى القبر وقال لامه أخبرينى عن حال أختى ما كانت تصنع فقالت له كانت تؤخر الصلاة ولا تصليها بطهارة تامة وتأتى أبواب الجيران فتلقى اذنها فتخرج حديثهم يعنى تمشى بالنميمة وهو أحد أسباب عذاب القبر قال أبو الليث فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة ويترك سائر الذنوب لعله تسهل عليه مسائلة منكر ونكير (قلت) ونحو هذا ماذكره القاضى أبو عبد الله محمد المقرى بتشديد القاف قال كان الشيخ العالم العامل أبو زرهون عبد العزيز الغزوى صاحبنا رحمه الله تعالى يحدثنا ان فقيرا مات بعد شهر فوجدوا عنده صرة دراهم فدفعوها الى مؤذن

المدشر حتى يفرغوا من أمره فسقطت من المؤذن فى قبره لما نزل لاحداده فلما وارو ه تذكر فاستصرخهم فى الكشف عنه لقرب الامر فوجدوها قد صارت فى جسدة وهى بادية فحاولوا قلع درهم منها فتحرك عن ريح منتنة فتركوه على حاله وانصرفوا عنه وكان الفقيه يذكر انه شاهد ذلك (قلت) وقد جاء فى الحديث فى الذى غل بردة ثم أصابه سهم فمات فقالوا هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان البردة التى غلها من خيبر لتلتهب عليه نارا فكذلك الفقير الذى يسئل و يستكثر من أموال الناس ويكثر هو غال وقد حدثت ان شخصا كان مع التزك فى طريق الحج فمات فوجدوا عنده نحو الستين دينارا وعهد اليهم أن يدفنوه بها ففعلوا لانهم كانوا يعتقدونه فتخلف واحد ممن علم بالحال ونبش قبره فوجدوها مستمرة فى لحمه فلم يستطع زوالها فقطع جانبا منه أظنه قال ذراعه وما والاه حتى أرى أصحابه ذلك وهذا الميت وان فرضنا ان ذهبه اجتمع من حلال فهو عاص بامره بدفنها معه لان الحق فيها للورثة أو لبيت المال نسئل الله العافية والستر فى الدارين و روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم

﴿فصل﴾ ذكر الواثلى الحافظ فى كتاب الابانة له من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينا أنا أسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من الارض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود فقال ياعبدالله اسقنى فقال ابن عمر لاأدرى أعرف اسمى أوكما يقول الرجل ياعبد الله فقال لى الاسود لاتسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل الارض قال ابن عمر فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال أوقد رأيته ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة وقد رواه أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد بسنده بالكل من هذا عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال خرجت مرة فمررت بقبر من قبور الجاهلية فاذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا فى عنقه سلسلة ومعى اداوة من ماء فلما رآنى قال ياعبد الله اسقنى قال فقلت عرفنى فدعانى باسمى أوكلمة تقولها العرب ياعبد الله اذ خرج على أثره رجل من القبر فقال ياعبدالله لاتسقه فانه كافر ثم أخذ السلسلة فاجتذبه فادخله القبر قال ثم اضافنى الليل الى بيت عجوز الى جانبها قبر فسمعت من القبر صوتا يقول بول وما بول شن وما شن فقلت للعجوز وما هذا قالت كان زوجا لى وكان اذا بال لم يتق البول وكنت أقول له ويحك ان الجسد اذا بال تفاح وكان يأبى فهو ينادى من يوم مات بول وما بول قلت فما الشن قالت جاء رجل عطشان فقال اسقنى فقال دونك الشن فاذا ليس فيه شئ فخر الرجل ميتا فهو ينادى منذ يوم مات شن وما شن فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده قال أبو عمر هذا الحديث فى اسناده مجهولون ولم نروه للاحتجاج به ولكن للاعتبار وما لم يكن حكم فقد تسامح الناس فى روايته عن الضعفاء

﴿فصل﴾ فى بيان قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الآية قال الثعلبى تتنزل عليهم الملائكة أى عند الموت أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا قال وكبيع والبشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث ونحوه عن سفيان وفى البخارى تتنزل عليهم الملائكة أى عند الموت قال ابن العربى فى أحكامه تتنزل عليهم الملائكة قال المفسرون عند الموت وأنا أقول كل يوم وآكد الايام يوم الموت وحين القبر و يوم الفزع الاكبر وفى ذلك آثار بيناها فى مواضعها قال ابن عطية قوله تعالى أن لاتخافوا ولاتحزنوا أمنة عامة فى كل هم مستأنف

وتسلية تامة عن كل فائت ماض وقال مجاهد المعنى لاتخافوا ماتقدمون عليه ولاتحزنوا على ماخلفتم من دنياكم وقوله سبحانه نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة المتكلم بنحن أولياؤكم هم الملائكة القائلون لاتخافوا ولا تحزنوا أى يقولون للمؤمن عند الموت وعند مشاهدة الحق نحن كنا أولياؤكم فى الدنيا ونحن هم أولياؤكم فى الآخرة قال السدى المعنى نحن حفظتكم فى الدنيا وأولياؤكم فى الآخرة وروى أبو نعيم فى حليته عن ثابت البنانى فى هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا الى آخر الآية قال بلغنا انه اذا انشقت الارض يوم القيامة عن هام الرجال وعن هام النساء نظر المؤمن الى حافظيه قائمين على رأسه يقولون ياولى الله لاتخف اليوم ولاتحزن أبشر ياولى الله بالجنة التى كنت توعد نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أبشر ياولى الله انك سترى اليوم أمرا لم يرمثله فلايهولنك فانما يراد بغيرك قال ثابت فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة الاوهى للمؤمن قرة عين بما هداه الله فى الدنيا وبما كان يعمله (قلت) ولله در العاملين روى أبو نعيم عن هشام الدستوانى قال قرأت فى كتاب بلغنى انه من كلام عيسى عليه السلام تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لاترزقون فيها الا بالعمل فاعمل رحمك الله وحسن ظنك بربك وابشر وقد روى أبو نعيم فى حليته عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو احداهن يارسول الله قال أو أحداهن

﴿فصل﴾ قال الغزالى فى الاحياء قال يزيد الرقاشى بلغنى ان الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله عز وجل فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا ثم ذكر الغزالى والقرطبى عن كعب ان العبد الصالح اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلاسبيل لكم عليه فقد أطال بى القيام لله عز وجل فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لاسبيل لكم عليه فقد طال ظمأه لله عز وجل فى دار الدنيا فلا سبيل لكم اليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء وجه الله تعالى فلا سبيل لكم اليه فيقال هنيئا لك طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ومدادا من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره (قلت) ومما أنشد فى العمل الباقى مع الميت فى قبره قول القائل

تزود قرينا من فعالك انما * قرين الفتى فى القبر ماكان يفعل
وان يصحب الانسان من بعد موته * الى قبره غير الذى كان يعمل
الا انما الانسان ضيف لاهله * يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

قال الغزالى رحمه الله تعالى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن ليلة الا ينادى مناد ياأهل القبور من تغبطون قالوا نغبط أهل المساجد لانهم يصومون ولانصوم ويصلون ولانصلى ويذكرون الله ولانذكر وروى أبو نعيم فى الحلية عن معروف الكرخى أنه قال توكل على الله حتى يكون هو معك وأنيسك وموضع شكواك وليكن ذكر الموت جليسك لايفارقنك واعلم ان الشفاء من كل بلاء ينزل بك كتمانه لان الناس لاينفعونك ولا يضرونك قال أبو بكر الحياط رأيت معروفا فقلت أبا محفوظ ماصنع بك ربك أوليس قدمت قال بلى ثم أنشأ يقول

موت التقى حياة لانفاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس احياء

﴿فصل﴾ قال الغزالى واعلم ان الموقن ينكشف له عقب الموت من سعة الله سبحانه ماتكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لايبلغ طرفاه فيه أنواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهى العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا لرجل مات فقال أصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضى فلا يسره الرجوع الى الدنيا كما لايسر أحدكم ان يرجع الى بطن أمه فعرفك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذ رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا انتقل الى ربه سبحانه لم يحب أن يرجع الى الدنيا كما لايحب المولود أن يرجع الى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قدمات فقال مستريح أومستراح منه أشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح أهل الدنيا منه (قلت) وقدمنا هذا الحديث فى الصحيح وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن عبد يموت له عند الله عز وجل خير يسره أن يرجع الى الدنيا وان الدنيا له ومافيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وروى الترمذى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وفى الباب عن عبد الله بن عمرو قال أبو عيسى واللفظ له هذا حديث حسن صحيح

﴿فصل﴾ قال الغزالى رحمه الله تعالى قال عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ خير الا فى عمل الآخرة أى فتجب المبادرة قبل هجوم المنية وليحذر العبد آفة التأخير ويقصر أمله ولايطوله فيختل عمله قال الغزالى واعلم ان من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما فى غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أوسنة فانما يستعد لمن ينتظر قدومه فى غد فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فانهم ومن انتظر مجىء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ماوراء المدة ثم يصبح كل يوم ينتظر السنة بكمالها لاينقص منها اليوم الذى مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فافهم ومر داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال له دعنى انما آبادر خروج روحى واجتهد أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه قبل موته اجتهادا عظيما فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها والذى بقى من أجلى أقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات قال عبد الحق فى العاقبة اعلم ان أهل القبور انما يندمون على مايتركون ويفرحون بما يقدمون فما عليه أهل القبور يندمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وقال بعض الحكماء ما انتقصت ساعة من يومك الا بقطعة من عمرك ونصيب من جسمك وقال لقمان لابنه يابنى أمر لاتدرى متى يلقاك فاستعد له قبل أن يفجأك ويجب على من له عقل وتمييز أن يبادر بالتوبة ويجتهد فى خلاص نفسه قبل حلول رمسه ويتأمل هذه الاخبار الواردة فيما يلقاها الميت مادام فى قيد الحياة وقبل حصول الوفاة دخل جماعة من الفضلاء على شيخهم فاهتموا بامر آخرتهم فقالوا لشيخهم وهو حبيب العجمى ليتنا لم نخلق فقال قد وقعتم فاحتالوا وفى هذا المعنى قيل

ماينفع المرء قول المرء من جزع * ليت ابن آدم لم يخلق ولم يكن

قد كان ذلك فاجهد فى الخلاص عسى * تنجو غدا من عظيم الكرب والمحن

وروى أبو نعيم فى حليته عن حماد بن زيد عن عاصم الاحول قال قال لى الفضيل بن زيد الرقاشى وكان غزا مع عمر رضى الله عنه سبع غزوات لايشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم واياك ان يذهب نهارك بقطعه ههنا وههنا فانه محفوظ عليك وما رأيت شيأ قط أحسن طلبا ولا أسرع ادرا كا من حسنة حديثة لذنب قديم وفى رواية سفيان عنه لايلهينك الناس عن ذات نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقطع النهار بكيت وكيت فانه محفوظ عليك ماقلت ولم نرشيأ أحسن طلبا ولا أسرع ادرا كا من حسنة حديثة لذنب قديم

﴿فصل﴾ قال الشيخ ابن أبى جمرة رضى الله عنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة الليل تنور القبر قال الغزالى رحمه الله تعالى و بالجملة فالمرضى عند العقلاء ان تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله عزوجل و بين يديك الموت والعرض والحساب فتشتغل بما يعنيك مما بين يديك وتدع عنك ماسواه ولله در من أقبل على مايعنيه واعتبر بمن مضى من اخوانه قال ابن اسحاق لما أخرج عمرو بن الحارث الجرهمى من مكة فانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن فجزنوا على فراق مكة حزنا شديدا فقال عمرو بن الحارث

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا * صروف الليالى والجدود العوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

قال ابن اسحاق وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر ساكنى مكة الذين خلفوا بها بعدهم

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا
حثوا المطى وأرخوا من أزمتها * قبل المنات وقضوا ماتقضونا
كنا اناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فانتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام حدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل فى العرب وانها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن ولم يسم لى قائلها وروى الترمذى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه الحديث قال أبو عيسى هذا حديث حسن قال أبو الليث السمرقندى روى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله انه قيل له لو جلست حتى نسمع منك شيأ فقال انى مشغول باربعة أشياء لو تفرغت منها جلت لكم قيل له وما هى قال انى تفكرت فى حين أخذ الله الميثاق من بنى آدم فقال سبحانه هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى فلم أدر من أى الفريقين كنت وتفكرت فى الولد حين ينفخ فيه الروح فى بطن أمه فيقول الملك يارب أشقى أم سعيد فلم أدر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت والثالث حين الموت لاأدرى حال الخاتمة والرابع تفكرت فى قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلا أدرى من أى الفريقين أكون جعلنا الله واياكم ممن ختم لنا بالسعادة وأنعم عليه بحسن الخاتمة آمين فتأمل رحمك الله ماتنتجه الفكرة المستقيمة وقد روى الحافظ أبو نعيم فى الحلية عن سفيان بن عيينة عن الثقة عنده ان النبى صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا بثلاث فقال اكثر ذكر الموت يسلك عما سواه وعليك بالدعاء فانك لاتدرى متى يستجاب لك وعليك بالشكر فان الشكر زيادة وقال سفيان بن عيينة الفكرة نور تدخله قلبك وكان يتمثل بهذا البيت

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

وقال التفكر مفتاح الرحمة الا ترى انه يتفكر فيتوب ولما فرغ الغزالى رحمه الله تعالى من الكلام فى صفة جهنم واهوالها نجانا الله منها برحمته قال واعلم ان النار خلقها الله تعالى باهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضى وفرغ منه والعجب منك كيف تضحك وتلهو ولست تدرى ان القضاء بماذا سبق فى حقك فان قلت فليت شعرى الى ماذا مرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فاعلم ان لك علامة تستأنس بها وتصدق رجاؤك بسببها وهو ان تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا وتتيسر لك أسبابه فاعلم انك مقضى عليك بها فان دلالة هذا الامر على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار وقد قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت مستقرك من الدارين

﴿ باب ﴾

روى البخارى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا قال فان رأى أحد رؤيا قصها فيقول ماشاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى أحد منكم رؤيا قلنا لا قال لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فاخذا بيدى فاخرجانى الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخل ذلك الكلوب فى شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا الى ثقب مثل التنور اعلاه ضيق وأسفله واسع تتوقد تحته نارا فاذا اقتربت ارتفعوا حتى كاد ان يخرجوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ماهذا فقالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فاقبل الرجل الذى فى النهر فاذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ماهذا فقالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة فادخلانى دارا لم أر قط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجانى منها فصعدا بى الشجرة فادخلانى دارا هى أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت طوفتمانى الليلة فاخبرانى عما رأيت قالا نعم الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به الى يوم القيامة والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله تعالى القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به الى يوم القيامة وأما الذى رأيته فى الثقب فهم الزناة والذى رأيته فى النهر آكل الربا والشيخ فى أصل الشجرة ابراهيم عليه السلام والصبيان حوله فاولاد الناس والذى يوقد النار مالك خازن النار والدار الاولى التى دخلت الجنة دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا فوقى مثل السحاب قالا ذاك منزلك فقلت دعانى أدخل منزلى فقالا انه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملته دخلت منزلك انتهى الحديث بكماله وكرره البخارى فى كتاب الرؤيا وفيه أما الرجل

الاول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه رجل يأخذ القرآن فيرفضه و ينام عن الصلاة المكتوبة قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه فى هذا الحديث من الفقه جواز جلوس الامام فى مصلاه اذا أدار وجهه الى الجماعة وان هذا هو السنة لا مايراه بعض من ينسب الى التشديد فى الدين من الأئمة حتى انه يقوم من حين فراغه من صلاته كانما ضرب بشئ يؤله ويجعل ذلك من الدين و يفوته بذلك خيران أحدهما استغفار الملائكة له مادام فى مصلاه الذى صلى فيه مالم يحدث يقولون اللهم اغفر له اللهم أرحمه والثانى مخالفته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى نص فى الحديث حيث قال كان اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه ليس الاول يذكر انه قام ولو قام لاخبر به لانهم رضى الله عنهم باقل من هذا من فعله يخبرون به وعلى هذا أدركت بالاندلس كل من لقيت من الائمة المقتدى بهم فى غالب الامر يقبلون بوجوههم على الجماعة من غير قيام (قلت) وهذا الذى قاله رضى الله عنه هو الصواب الذى لامحيد عنه وعليه أدركنا الائمة فى الجوامع المعظمة وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس الحديث وهذا نص جلى موافق لما تقدم (قلت) وحديث سمرة بن جندب المتقدم ذكره جماعة وفى بعض طرقه زيادات ففى طريق فانطلقت معهما فاتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر عليه بكلوب من حديد واذا هو ياخذ أحد شقى وجهه فيشرشر شدقه الى قفاه وعينه الى قفاه ومنخره الى قفاه الحديث وفيه فانطلقت معهما فاتينا على بيت مبنى مثل بناء التنور اعلاه ضيق وأسفله واسع الحديث وفيه فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المرأى كأكره ماأنت راء رجلا واذا هو عنده نار يحشها و يسعى حولها فقلت لهما ماهذا وفيه فانطلقنا فاتينا على روضة خضراء منعمة فيها من كل لون نور الربيع واذا شجرة عظيمة الحديث وفيه وأما الذى أتيت عليه يشرشر شدقه وعينه ومنخره الى قفاه فانه رجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة الحديث وفيه وأما الرجل الذى عند النار الكريه المرأى فانه مالك خازن النار وفيه قال فسما بصرى صعدا فاذا قصر مثل الربابة البيضاء قالا لى هاهو ذا منزلك وأنا جبريل وهذا ميكائيل فقلت بارك الله فيكما أدخل دارى فقالا انه قد بقى لك عمر لم تستكمله ولو استكملته دخلت دارك (قلت) والربابة السحابة قال الزبيدى والرباب السحاب واحدته ربابة

﴿ باب جامع فى أرواح الشهداء وغيرهم واختلاف أحوالهم بحسب اختلاف مقاماتهم عند الله سبحانه وكم عدد الشهداء ﴾

ولما تكلم ابن عطية على قوله سبحانه ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الآية قال أخبر الله سبحانه عن الشهداء انهم فى الجنة احياء يرزقون وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يطلع على الشهداء فيقول ياعبادى ماتشتهون فازيدكم فيقولون يارب ناكل فوق ماأعطيتنا هذه الجنة نأكل منها حيث نشاء لكنا نريد أن ترددنا الى الدنيا فنقاتل فى سبيلك فنقتل مرة أخرى فيقول سبحانه قد سبق انكم لاترددون قال الفخر والروايات فى هذا الباب كلها بلغت حد التواتر ثم قال قال بعض المفسرين أرواح الشهداء أحياء وهى تركع وتسجد تحت العرش الى يوم القيامة (قلت) والعقيدة ان الارواح كلها احياء لافرق بين الشهداء وغيرهم الا ماخص الله به الشهداء من زيادة المزية والحياة التى ليست بمكيفة وفى صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا عبدالله ابن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون

قال أما انا قد سألنا عن ذلك يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن يسئلوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا وروى ابن وهب باسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الشهداء على بارق نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا قال القرطبى قال علماؤنا الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعهم انهم يرزقون وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا وغدى وريح عليه برزقه وهذا نص فى أن الشهداء مختلفوا الحال وسيأتى كم الشهداء ان شاء الله وقد روى ابن المبارك بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال أرواح المؤمنين فى صور طير كالزرازير يتعارفون يرزقون فى الجنة وفى رواية عن عبدالله بن عمرو انه سئل عن أرواح المسلمين أين هى حين يتوفون فقال انها صور طير بيض فى ظل العرش وأرواح الكافرين فى الارض السابعة الحديث قال القرطبى فهذه حجة من قال ان أرواح المؤمنين كلهم فى الجنة وقد قال بعض العلماء ان أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى وانما قيل لها جنة المأوى لانها تأوى اليها أرواح المؤمنين وهى تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها وهى فى الجنة تسرح وتأوى الى قناديل من نور تحت العرش وقد تقدم ان درجات المنعمين مختلفة بحسب تفاوتهم فى الاعمال وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

﴿فصل﴾ وأما عدد الشهداء فهو كما نذكره فقد روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله عز وجل وقال حديث حسن صحيح وروى النسائى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله المطعون والمبطون والغرق والحرق وصاحب ذات الجنب والذى يموت تحت الهدم والمرأة تموت بجمع قيل هى التى تموت من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه وقيل اذا ماتت من النفاس فهى شهيدة سواء ألقت ولدها أم لا وقيل التى تموت بكرا وروى الترمذى وأبو داود والنسائى عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وروى النسائى من حديث سويد بن مقرن رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قتل دون مظلمته فهو شهيد وروى الآجرى وغيره عن أبى مالك الاشجعى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قصل فى سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأى حتف شاء الله انه شهيد وان له الجنة وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة بمعناه عن عبدالله بن عتيك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم موت غربة شهادة وأخرجه الدارقطنى ولفظه موت الغريب شهادة وذكره أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وصححه وأخرجه أبو بكر الخرائطى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات شهيدا وخرجه أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم من مات غريبا مات شهيدا وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا وروى الترمذى عن معقل بن يسار رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسى فكذلك قال حديث حسن غريب وذكر الثعلبى عن يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ آخر سورة الحشر الى آخرها لو أنزلنا هذا القرآن على جبل فمات من ليلته مات شهيدا وروى الآجرى عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ياأنس ان استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وروى الشعبى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر فى حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد وخرجه أبو نعيم وروى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم من حديث أبى هريرة وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا قال وبعضهم يقول ليس بينه وبين الانبياء الا درجة واحدة وروى مسلم من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه قال وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه وخرج الترمذى الحكيم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أحد الا وله كرائم من ماله يأبى لهم الذبح وان لله خلقا من خلقه يأبى لهم الذبح أقوام يجعل موتهم على فرشهم ويقسم لهم أجور الشهداء وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان فناء أمتى بالطعن والطاعون قالت فقلت أما الطعن فقد عرفناه فما الطاعون فقال غدة كغدة البعير تخرج من المراق والاباط من مات منها مات شهيدا خرجه أبو عمر فى التمهيد والاستذكار

﴿فصل﴾ ومن الاحاديث الصحيحة فى فضل الشهداء ما رواه مالك فى الموطأ انه بلغه ان عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ستة وأربعون سنة قال أبو عمر فى التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد متقارب وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو ابن عمه ثم أسند أبو عمر عن جابر رضى الله عنهما قال لما أراد معاوية ان يجرى العين باحد نودى بالمدينة من كان له قتيل فليأت قتيله قال جابر فاتيناهم فاخرجناهم رطابا يتثنون فاصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت دما قال أبو سعيد الخدرى لاينكر بعد هذا منكر أبدا وفى رواية فاستخرجهم يعنى معاوية بعد ست وأربعين سنة لينة اجسادهم تتثنى اطرافهم قال أبو عمر الذى أصابت المسحاة أصبعه حمزة رضى الله عنه ثم أسند عن جابر قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كانهم رجال نوم حتى اذا أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانثعبت دما قال ابن عطية والشهادة ماحية لكل ذنب الا مظالم العباد وقد روى ان الله عز وجل يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه اللهم اختم لنا بما ختمت به

للشهداء واجعلنا منهم بفضلك قال شاكر بن مسلم قال ابن حبيب قال مالك لما انهدم الجدار الذى فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما فى مسجده وكانت رجل عمر رضى الله عنه قد انتهت الى رأس الجدار من ناحية الشرق فانكشفت رجله فلقد رأيت رجله صحيحة سالمة كما كانت اذ دفنت يستبين عليها أثر شراك النعل وذلك فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين من الهجرة وعمر بن عبد العزيز يومئذ أمير على المدينة

﴿ باب ماشوهد للموتى فى قبورهم ﴾

روى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم تبع جنازة فلما صلى عليها دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول لا تطلعوا فى القبر فانها امانة فلعلى يحل العقد فيرى حية سوداء متطوقة فى عنقه فانها امانة واعلم يؤمر به فيسمع صوت السلسلة قال القرطبى ولقد أخبرنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن أحمد القصرى رحمه الله انه توفى بعض الولاة بقسطنطينية فحفر له فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوا الميت القبر اذا بحية سوداء داخل القبر فهابوا ان يدخلوه فيه فحفروا له قبرا آخر فلما أرادوا ان يدخلوه اذا بتلك الحية فيه فلم يزالوا يحفرون له نحوا من ثلاثين قبرا واذا بتلك الحية تعترض لهم فى القبر الذى يريدون ان يدفنوه فيه فلما أعياهم ذلك سألوا ما يصنعون فقيل لهم ادفنوه معها نسئل الله العافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة اللهم عاملنا بالستر فى الدارين وأجعلنا من خير الفريقين آمين (قلت) قال السمرقندى وروى عن عبد الحميد ابن محمود أنه قال كنت جالسا عند ابن عباس رضى الله عنهما اذ أتاه قوم فقالوا له خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا الى ذى الصفاح فمات فجهزناه جهاز الميت ثم انطلقنا نحفر له القبر فاذا نحن بأسود قد ملأ اللحد يعنى حية فتركنا القبر وحفرنا له مكانا آخر فاذا نحن بأسود قد ملأ القبر فتركناه وحفرنا له ثالثا فاذا نحن بأسود قد ملأ القبر فتركناه وأتيناك فقال لهم ابن عباس ذلك الغل الذى يغل به انطلقوا به وأدفنوه فى بعضها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتموه فيها وأخبروا قومه قالوا فانطلقنا الى أهله بعد ما دفناه فى بعضها بمتاع كان له معنا فقلنا لامرأته ما كان عمل زوجك قالت كان يبيع الطعام تعنى الحنطة وكان يأخذ منه كل يوم قوته ويأخذ من الحثالة مثله فيلقيه فيه قال السمرقندى وفى هذا دليل على ان الخيانة أى والغش سبب لعذاب القبر

﴿ باب ماجاء ان البهائم تسمع عذاب القبر ﴾

وقد تقدم من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنازة يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولو سمعه الانسان لصعق وفى صحيح مسلم بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له اذ جالت به فكادت تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال من يعرف أصحاب هذه الاقبر فقال رجل انا قال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا فى الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فلولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع ثم قال تعوذوا بالله من عذاب القبر الحديث وفيه أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم ان أهل القبور يعذبون عذابا تسمعه البهائم قال عبد الحق حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله انهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرق أشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم واذا بالدابة أقبلت مسرعة الى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة ثم عادت الى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة كذلك فعلت ذلك مرة بعد أخرى قال أبو الحكم رحمه الله

فذكرت عذاب القبر وقول النبي صلى الله عليه وسلم انهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت (قلت) وحدثني من أثق به عن بعض الطلبة الاخيار قال مات وزير من الوزراء فدفن في مدفن كان معدا للملوك ببناء المدرسة قال فلما كان في جوف الليل ونام الناس فاذا أنا أسمع بحس ضربه وهو يعوى كالكلب قال ثم أخرجوه بتابوته على وجه الارض وهم يضربونه وهو يعوى ويجرون التابوت قال وأنا أسمع وكاد عقلي يزايلني ثم انهم صعدوا بتابوته يجرونه في الدرج قال واذا بالحس يقرب فدق على الباب وقال لي قائل قم قم هذا فلان يعذب أو كما قال ثم رجعوا به وهم يضربونه قال فبت في فزع وكرب لايعلمه الا الله وما قدرت على النوم حتى أذن مؤذن الصبح وانتشر الناس للوضوء فمت الى أن تبين لي الضوء فقمت للصلاة فلما طلع النهار ومشيت الى شيخ صالح كان ساكنا معنا في المدرسة فدخلت عنده فشرعت في الكلام وقلت له ياسيدي بت في كرب فقال لي اسكت قضية فلان عرفتها أو كما قال نسئل الله سبحانه النجاة من هذه الآفات ومن ارتكاب السيآت الموجبات لهذه العقوبات قال أبو محمد عبد الحق وروى ان بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا فلما كشف عن الميت فاذا بنار تحرق الميت فأهوت اليه منها شرارة فهرب وتاب الى الله عز وجل وروى عن أبي بكر بن أبي الدنيا عن بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته ماسبب توبتك وزجوعك الى الله عز وجل قال نبشت انسانا فوجدته قد سمر بمسامير في جميع جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه وقيل لآخر ما كان سبب توبتك فقال رأيت جمجمة انسان قد صب فيها الرصاص وقد جاء في الصحيح من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون أوهم يفرون به منه صب في أذنه الانك يوم القيامة رواه البخاري ولعل هذا ممن كان يفعل ذلك (قلت) حدثني بعض الاخوان وكان مسنا فقلت له اخبرني عن أغرب مارأيت في عمرك من أحوال الآخرة فقال لي اغرب مارأيت بارض النوبة انا دفنا انسانا فلما فرغنا من دفنه وانقلبنا عنه واذا نحن بالنار قد خرجت على وجه القبر نجانا الله من عذابه بمنه

﴿ باب ماجاء في زيارة القبور والسلام على أهلها وقراءة القرآن والدعاء لهم والصدقة عليهم وان ذلك كله يصل اليهم وان الميت يعرف من زاره ويستأنس به ﴾

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وروى ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وزيارة القبور للرجال متفق عليه وأما النساء فيباح للقواعد منهن ويحرم على الشواب اللواتي يخشى منهن الفتنة قال العلماء رحمة الله تعالى عليهم ليس للقلوب أنفع من تذكار الموت وزيارة القبور وقيل لبعض الزهاد ماأبلغ العظاة فقال النظر الى محلة الاموات قال الغزالي في الاحياء قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب بارا وعن ابن سيرين قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وقال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ويروى ان عائشة رضي الله عنها شكت اليها امرأة قسوة قلبها فقالت لها اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة ومن زار

القبور فليكف لسانه عن الفضول وقد روى النسائي عن بريدة بن حصيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يزور قبرا فليزره ولا تقولوا هجرا قال الغزالي ولا ينبغي أن يتمسك بالامر بزيارة القبور فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يبقى خير زيارتهن بشرهن ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج فهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال الناظرين عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر (قلت) وما قاله الغزالي رحمه الله تعالى هو عين الصواب لا ينبغي ان يختلف فيه قال الغزالي وقال أبو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكربها الآخرة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله سبحانه الحديث وروى أبو نعيم في حليته عن يونس بن ميسرة أنه قال مكتوب في اللوح المحفوظ بين يدي الله تعالى انني أنا الله لا اله الا أنا الرحمن الرحيم أرحم وأترحم سبقت رحمتي غضبي وعفوي عقوبتي وآذنت لمن جاء بواحدة من اثنتين وثلاثمائة شريعة ان أدخله جنتي قال أبو نعيم وكان يونس بن ميسرة يمر على المقابر يوم الجمعة ثم يبكي فسمع قائلا يقول هذا يونس قد هجر تحجون وتعتمرون كل شهر وتصلون كل يوم خمس صلوات أنتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل قال فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه فقال سبحان الله أسمع كلامكم وأسلم فلا تردون قالوا قد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات

﴿فصل﴾ وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يارسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى دعاه قال أبي وأبوك في النار وفي حديث مسلمة بن يزيد الجعفي فلما رأى ما دخل علينا قال وأمي مع أمكما قال القرطبي وقد خرج أبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق وأبو حفص عمر ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ له حديثا باسناد يهما عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه نزل فقال ياحميرا استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث طويلا ملبا ثم انه عاد الي صلى الله عليه وسلم وهو فرح متبسم فقلت له بابي وأمي يارسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يارسول الله ثم انك عدت الي وأنت فرح متبسم فعم ذا يارسول الله فقال ذهبت بقبر آمنة أمي فسألت الله ربي أن يحييها فأحياها فآمنت بي وقال فآمنت وردها الله عز وجل وهذا لفظ الخطيب وقد ذكر السهيلي في الروض الانف باسناد فيه مجهولون ان الله تعالى أحيا له أباه وأمه وآمنا به قال القرطبي ولا تعارض والحمد لله بين هذا وبين ماتقدم لمسلم لان حديث احيائهما متأخر بدليل حديث عائشة ان ذلك في حجة الوداع وكذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما تقدمه من الاخبار وذلك ان فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته صلى الله عليه وسلم فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه وليس احياؤهما وايمانهما به بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد في القرآن والاثر احياء قتيل بني اسرائيل واخباره ببقاتله وكان عيسى صلى الله على نبينا وعليه يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيى الله تعالى له على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ماورد من الخبر في ذلك وقد قبل الله سبحانه ايمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب فيما ذكر في بعض الاقوال وهو ظاهر القرآن

﴿فصل﴾ قال القرطبي ينبغي لمن عزم على زيارة القبور ان يتأدب بآدابها ويحضر قلبه في

اتيانها ولايكون حظه منها التطواف على الاجداث فقط فان هذه حالة تشاركه فيها البهيمة بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح قلبه ونفع الميت بدعائه وما يتلو عليه من القرآن على ماسيأتى ان شاء الله تعالى ويسلم اذا دخل المقابر ويخاطبهم خطاب الحاضرين فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون رواه أبو داود وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول وكنى بالدار عن عمارها واذا وصل الى قبر ميته الذى كان يعرفه سلم عليه أيضا ويأتيه من تلقاء وجهه ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب قال أبو محمد عبد الحق روى أبو عمر بن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن رجل مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام ويروى هذا أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه موقوفا فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام ويروى من حديث عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم وكل ماجاء من الاحاديث بالسلام على الموتى تدل على ان الميت يعرف سلام من سلم عليه ودعاء من دعا له (قلت) رأيت حكاية لبعضهم وهى فى الاحياء للغزالى قال أبو حامد قال رجل من آل عاصم الجحدرى رأيت عاصما فى منامى بعد موته بسنين فقلت له أليس قدمت قال بلى فقلت ما فعل الله بك وأين أنت فقال لى أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزنى فنتلاقى كما يتلاقى أحياؤكم وفى رواية فنتلقى أخباركم فقلت له اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجساد وانما تتلاقى الارواح فقلت هل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الخميس ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل الجمعة وعظمها وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى الاثنين فقال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة انتهى كلام الغزالى قال القرطبى وقد قيل ان الارواح تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة وبكرة السبت فيما ذكر العلماء قال ابن رشد فى البيان والتحصيل وقد جاء فى الارواح انها بافنية القبور وانها تطلع رءوسها وان أكثر اطلاعها يوم الخميس وليلة الجمعة وليلة السبت (قلت) والحكايات فى هذا الباب كثيرة ومما وقع بعجاية فى عام أربعة وثمانمائة وكنت اذ ذاك بها ان رجلا من الاكابر توفى واسمه سعيد العلمى فحدثنى من أثق به عشية دفنه أنه قال له يوما يافلان خرجت من باب السور ومررت بقبر أخيك فسلمت عليه فأجابنى وقال لى عليكم السلام ياسعيد ياعلمى ومن كرامات هذا الرجل ماحدثنى عنه الثقة أنه قال له كنت ضيفا بالبادية فصليت المغرب وجلست أتلو سورة يس وبازائى قبر فاذا صاحب القبر قد خرج من قبره وجلس بازائى يستمع قراءتى قال فبقى كذلك يستمع قراءتى الى أن صاح بى صاحب المنزل للطعام فلما سمع الصياح رجع الى قبره والحكايات كثيرة فى هذا الباب واياك ان تنكر شيأ من حكايات أولياء الله سبحانه فتجمع بين افلاسك منها والتكذيب لها

﴿فصل﴾ قال القرطبى وروى من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرأ بسورة يس خفف عنهم وكان له بعدد من فيهم حسنات فاجتهد رحمك الله قبل الموت وأنشدوا

أمر على المقابر كل حين * ولا أدرى بأى الارض قبرى

وأفرح بالغنا ان زادمالى * ولاأبكى على نقصان عمرى

قال عبد الحق روى النسائى عن معقل بن يسار رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اقرؤا يس عند موتاكم وهذا يحتمل ان تكون هذه القراءة عند الموت فى حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره و يروى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه أمر ان يقرأ عند قبره سورة البقرة وقد روى اباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن و يروى أيضا ان أحمد بن حنبل رجع الى هذا بعد ما كان ينكره قال الغزالى وقال أحمد بن حنبل اذا دخلتم المقابر فاقرؤا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم قال القرطبى وقد خرج السلفى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطى من الاجر بعدد الاموات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال خير الناس وخير من يمشى على جديد الارض المعلمون كلما خلق الدين جددوه اعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبى وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار ذكره الثعلبى قال القرطبى أصل هذا الباب الصدقة التى لا اختلاف فيها فكما يصل للميت ثوابها فكذلك يصل اليه قراءة القرآن والدعاء والاستغفار اذ كل صدقة فان الصدقة لا تختص بالمال وقد قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصر الصلاة حالة الامر انها صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقه ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ولهذا استحب العلماء زيارة القبور لان القراءة تحفة للميت من زائره (قلت) وقد ألف الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن قاسم بن على الجذامى تأليفا حسنا فى أن ثواب القرآن وغيره كالصوم والحج يصل الى الموتى قال وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه رواه مسلم وغيره وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل خرجه مسلم وغيره وذكر ابن الاعرابى من حديث جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس واسناده حسن وأحق الناس وأحوجهم الى منفعة أخيه ومعونته من قد مات لانه عاين ماوصل اليه من تفريطه فلو امكنه الرجوع لاصلاح حاله واستدراك مافاته لرجع ولذلك ورد فى الخبر المعروف الذى رواه الترمذى وغيره أنه ليس من أحد يموت الا و يندم فالمحسن يندم ان لم يكن زاد فى احسانه والمسىء يندم على اساءته وهذه الاخبار وان كانت عموما فى الميت والحى فالميت أحق لاحتياجه لمنفعة أخيه اياه وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الآيات من تأليفه باسناد صحيح ان ثابتا البنانى دخل هو ورجل آخر على مطرف بن عبد الله بن الشخير يعودانه فوجداه مغمى عليه قال ثابت فسطع ثلاثة أنوار أولها من رأسه وأوسطها من وسطه وآخرها من رجليه قال فهالنا ذلك قال فلما أفاق قلنا له كيف أنت يا أبا عبد الله لقد رأينا شيأ هالنا قال وما هو فاخبرناه قال و رأيتم ذلك قلنا نعم قال تلك تنزيل السجدة وهى تسع وعشرون آية سطع أولها من رأسى وأوسطها من وسطى وآخرها من رجلى قد صعدت تشفع لى وهذه سورة تبارك تحرسنى قال فمات رحمه الله وذكر أيضا نحو ذلك عن مورق العجلى قال عدنا رجلا قد أغمى عليه فخرج نور من رأسه حتى أتى السقف فخرقه فمضى ثم خرج نور من سرته حتى فعل مثل ذلك وآخر من رجليه ثم أفاق فقلنا له هل علمت بما كان منك قال نعم أما النور

الذى خرج من رأسى فاربع عشرة آية من أول الم تنزيل السجدة وأما النور الذى خرج من صدرى فآية السجدة وأما النور الذى خرج من رجلى فانه آخر سورة السجدة ذهبن يشفعن لى و بقيت تبارك عندى تحرسنى وكنت أقرأهما كل ليلة قال محمد بن قاسم وهذا وان كان فى حق من قرأهما لنفسه فقد أخبرنا الشارع أنه لافرق بين ماينفع به المرء نفسه أوغيره اذا قصد نفعه وسواء فى ذلك الدعاء والقراءة وغير ذلك أو يفعل المؤمن من ذلك مايفعل ثم يهب ماوعده الله تعالى عليه من الاجور لمن شاءوقد قال بالقراءة على الميت علماء جلة كعمر بن الخطاب رضى الله عنه أجازها وأوصى بها فى حق نفسه ان تفعل عليه وكذلك العلاء بن الحلاج وأمر بها أحمد بن حنبل وأجازها أيضا أبو سليمان الخطابى ولا اعلم لمن منع منها حجة الا قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ماسعى ولاحجة له فيها وقد اختلف الناس فى هذه الآية هل هى منسوخة أو محكمة فقال ابن عباس رضى الله عنهما هى منسوخة بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال فادخل الله سبحانه الابناء بصلاح الآباء الجنة رواه أبو داود فى ناسخ القرآن ومنسوخه باسناد حسن عنه وحكاه عنه أيضا مكى فى الهداية بنحوه قال وهو اختيار الطبرى وقد روى أبو نعيم حديث ابن عباس فى حلية الاولياء بنحوه واتبع هذا القول هبة الله فى الناسخ والمنسوخ من تأليفه وذكر نسخها بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية وزاد ولولا هذه الآية لبطلت الشفاعة وقال قوم هى محكمة ثم اختلفوا فمنهم من زعم أنها مخصوصة فى رجل كافر يريد انها فى عمل الكافر وليست فى عمل المسلم فى الخير وقال آخرون بل هى عامة وهى فى الاعمال السيئة أى ان الاعمال السيئة هى التى يجازى عليها بغير زيادة ويكون المعنى وان ليس على الانسان مثل قوله تعالى وان أسأتم فلها وهذا حسن ووجه آخر أن الآية يجوز أن تكون خبرا عن شريعة ابراهيم وموسى وانه سبحانه أخبر أن تلك الامم ليس لهم الا ماسعوا فيه وخصت هذه الامة بوصول النفع اليهم من سعى غيرهم تفضلا من الله سبحانه وفى الآية تأويلات غير ماذكر

﴿فصل﴾ قال القرطبى قال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب هذه الاجساد البالية والعظام النخرة خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منى الا كتب له بعددهم حسنات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماالميت فى قبره الا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقد حكى ان امرأة جاءت الى الحسن البصرى رحمه الله فقالت ان ابنتى ماتت وقد أحببت ان أراها فى المنام فعلمنى صلاة أصليها لعلى أراها فعلمها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل فى عنقها والقيد فى رجلها فارتاعت لذلك فاخبرت الحسن فاغتم عليها فلم تمض مدة حتى رآها الحسن فى المنام وهى فى الجنة على سرير وعليها تاج فقالت له ياشيخ أما تعرفنى قال لا قالت أنا تلك المرأة التى علمت أمى الصلاة فرأتنى فى المنام قال فما سبب أمرك قالت مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فى المقبرة خمسمائة وستون انسانا فى العذاب فنودوا ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لرأيت انه سيضر بنى به والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة وقد ذكر فى هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب عيون الاخبار له حكاية فيها طول رأينا ذكرها لاشتمالها على وعظ وتذكير وتخويف وتحذير وتضرع وابتهال ودعاء بالموت والانتقال قال روى عن الحارث بن نبهان أنه قال كنت أخرج

الى الحيوانات أترحم على أهل القبور وأتفكر وأعتبر وأنظر اليهم سكوتا لا يتكلمون وقد صار لهم من بطن الارض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادى ياأهل القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أو زاركم وسكنتم دار البلى فتورمت أقدامكم قال و يبكى بكاء شديدا ثم يميل الى قبة فيها قبر فينام فى ظلها قال فبينما أنا نائم الى جانب القبر اذا أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر اليه والسلسلة فى عنقه وقد ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول ياويلى ماذا حل بى لو رآنى أهل الدنيا ماركبوا معاصى الله أبدا طولبت والله بالذات فأو بقتنى وبالخطايا فاغرقتنى فهل من شافع أو مخبر أهلى بامرى قال الحارث فاستوقظت مرعوبا وكاد أن يخرج قلبى من هول مارأيت فمضيت الى دارى و بت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت فلما أصبحت قلت دعنى أعود الى الموضع لعلى أجد به أحدا من زوار القبور فاعلمه بالذى رأيت قال فمضيت الى المكان الذى كنت به بالامس فلم أر أحدا فاخذنى النوم فنمت فاذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب على وجهه و يقول ياويلتاه ماذا حل بى ساء فى الدنيا عملى وطال فيها أملى حتى غضب على رب الارباب فالويل لى ان لم يرحمنى ربى قال الحارث فاستيقظت وقد توله عقلى مما رأيت وسمعت فمشيت الى دارى و بت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر لعلى أجد أحدا من زوار القبور فاعلمه بما رأيت ثم نمت فاذا أنا بصاحب القبر قد قرن بين قدميه وهو يقول ماأغفل أهل الدنيا عنى ضوعف على العذاب وتقطعت عن الحيل والاسباب وغضب على رب الارباب وغلق فى وجهى كل باب فالويل لى ان لم يرحمنى ربى العزيز الوهاب قال الحارث فاستيقظت من منامى مرعوبا وهممت بالانصراف فاذا أنا بثلاث جوار قد أقبلن فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكى أسمع كلامهن فتقدمت الصغرى و وقفت على القبر وقالت السلام عليك ياأبتاه كيف هدوك فى مضجعك وكيف قرارك فى موضعك ذهبت عنا بوجهك وانقطع عنا سؤالك فما أشد حزننا عليك ثم بكت بكاء شديدا ثم تقدمت الاثنتان فسلمتا على القبر ثم قالتا هذا قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا T نسئ الله بملائكة رحمته وصرف عنك عذابه ونقمته ياأبانا جرت بعدك أمور لو عاينتها لاوهمتك ولو اطلعت عليها لاحزنتك كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترتها قال الحارث فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعا اليهن فسلمت عليهن وقلت لهن أيها الجوارى ان الاعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها فما كان عمل أبيكن المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره ماأحزننى واطلعت من حاله على ماألمنى قال الحارث فلما سمعن كلامى كشفن وجوههن وقلن أيها العبد الصالح وما الذى رأيت قلت لهن لى ثلاثة أيام وأنا أختلف الى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه قال فلما سمعن ذلك منى قلن بشارة ماأضرها ومصيبة ماأحزنها نحن نقضى الاوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار فوالله لاقر بنا قرار ولا ضمنا لذة العيش دار ونتضرع للجبار فلعله أن يعتق أبانا وينقذه من النار ثم مضين يعسرن فى اذيالهن قال الحارث فمضيت الى دارى و بت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبنى النوم فنمت فاذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال وفى رجليه نعلان من ذهب ومعه حور وغلمان قال الحارث فسلمت عليه وقلت له رحمك الله من أنت فقال أنا الرجل الذى عاينت من أمرى ماأحزنك وأطلعت منه على ماأفجعك فجزاك الله خيرا فما أيمن طلعتك على فقلت له وكيف حالك فقال لى لما اطلعت على وأخبرت بناتى بالامس بحالى أعرين أبدانهن وأسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن فى التراب وأهملن دموعهن بالانسكاب واستوهبتنى من العزيز الوهاب فغفر لى الذنوب والاوزار وأنقذنى من النار وأسكننى دار القرار بجوار محمد المختار فاذا رأيت بناتى فاعلمهن بامرى وما كان من قصتى ليزول عنهن روعهن ويفارقن

حرثهن وتعلمهن انى قد صرت الى جنات وحور ومسك وكافور وعندى غلمان وسرور وقد عفا عنى العزيز الغفور قال الحارث فاستيقظت فرحا مسرورا بما رأيت وسمعت ثم مضيت الى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الاقدام فسلمت عليهن وقلت أبشرن قد رأيت أباكن فى خير عظيم وملك عظيم وقد أعلمنى ان الله أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن وقد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاكن قال فقالت الصغرى اللهم يا مؤنس القلوب ويا ساتر العيوب ويا كاشف الكروب ويا غافر الذنوب ويا عالم الغيوب ويا مبلغ الامل المطلوب قد علمت ما كان من مسئلتى ورغبتى واعتذارى فى خلوتى واستقالتى من زلتى وتفضلى من خطيئتى وأنت اللهم تعلم همتى والمطلع على نيتى والعالم بطويتى ومالك رقبتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى طلبتى ورجائى عند شدتى ومؤنسى فى وحدتى وراحم عبرتى ومقيل عثرتى ومجيب دعوتى فان كنت قصرت عما أمرتنى وركنت الى ما عنه نهيتنى فحلمك حملتنى وبسترك سترتنى فبأى لسان أذكرك وعلى أى نعمة أشكرك ضاق بكثرتها ذرعى فيا أكرم الاكرمين ومنتهى غاية الطالبين ومالك يوم الدين الذى يعلم ما أخفى فى الضمير ويدبر أمر الصغير والكبير فان كنت قضيت الحاجة بفضلك وشفعتنى فى عبدك فاقبضنى اليك انك على كل شئ قدير ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها قال ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها يارب يارب فرج كربتى وخلص من الشك قلبى يا من أقامنى من صرعتى وأقالنى من عثرتى ودلنى من حيرتى وأعاننى فى شدتى ان كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فالحقنى بأختى ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها قال ثم قامت الثالثة فنادت بأعلى صوتها يا أيها الجبار الاعظم والملك الاكرم والعالم بمن سكت وتكلم لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم فالعزيز من أعززته والذليل من أذللته والشريف من شرفته والسعيد من أسعدته والشقى من أشقيته والقريب من أدنيته والبعيد من أبعدته والمحروم من أحرمته والرابح من أوهبته والخاسر من عذبته أسئلك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذى بعد عن ادراك الافهام وغمض عن مناولة الاوهام وباسمك الذى جعلته على الليل فدجا وعلى النهار فاضاء وعلى الجبال فتدكدكت وعلى الرياح فتناشرت وعلى السموات فارتفعت وعلى الاصوات فخشعت وعلى الملائكة فسجدت اللهم انى أسئلك ان كنت قضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فالحقنى بصواحباتى ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها وعلى جميع المسلمين

﴿فصل﴾ قال أبو محمد عبد الحق حدثنى أبو الوليد اسماعيل بن أحمد عرف بابن فرقد وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لى أبو الوليد مات أبى رحمه الله فحدثنى بعض اخوانه ممن يوثق بحديثه قال لى زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزبا من القرآن ثم قلت له يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لى قال فهبت على نفحة مسك غشيتنى وأقامت معى ساعة ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى الا وقد مشيت نصف الطريق وقال القرطبى رحمه الله ولا يبعد فى كرم الله أن يلحق الميت ثواب القراءة والاستماع جميعا ويلحقه ثواب ما يهدى اليه من قراءة القرآن وان لم يسمعه كالصدقة والدعاء والاستغفار لان القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما تقرب المتقربون الى الله سبحانه بشئ مثل القرآن وأما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فقيل عن ابن عباس انها منسوخة وقال الربيع بن أنس وان ليس للانسان الا ما سعى يعنى الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما يسعى له غيره قال القرطبى وكثير من الاحاديث تدل على هذا القول وتشهد له وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم

للذى حج عن غيره قبل أن يحج عن نفسه حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وروى ان عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد موته وأعتقت عنه وقال سعد للنبى صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أفا أتصدق عنها قال نعم قال فأى الصدقة أفضل قال سقى الماء وفى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس أن تمشى عنها وقد ذكر الخرائطى قال سنة فى الانصار اذا حملوا الميت ان يقرؤا معه سورة البقرة ولقد أحسن من قال

زر والديك وقف على قبريهما * فكأننى بك قد حملت اليهما
وقرأت من آى الكتاب بقدرما * تسطيعه وبعثت ذاك اليهما

قال القرطبى وانما أطلت النفس فى هذا الباب لان الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام كان يرى انه لا يصل الى الميت ما يقرأ محتجا بالآية المقدمة وان ليس للانسان الا ما سعى فلما توفى رحمه الله رآه بعض أصحابه فقال له انك كنت تقول انه لا يصل الى الميت ثواب القراءة فكيف الامر فقال له كنت أقول ذلك فى دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله فى ذلك وانه يصل اليه ذلك وقد قدمنا فى الفصل قبل هذا فى وصول ثواب القرآن وغيره ما فيه كفاية والذى أدركنا عليه مشايخنا بتونس والديار المصرية استحباب قراءة القرآن على الموتى وعلى القبور وحدثنا شيخنا أبو عبد الله الابى ان شيخه ابن عرفة ختم على زوجه ليلة ماتت قريبا من ختمة ونصف أو أزيد قال وكنا نقرأ عليها معه قال وكان يصلى عنها وذكر غيره انه كان له مولى صالحا يصلى عنه مجاورا لمكة وقد شاهدنا أحباسه على القراء بجامع الزيتونة

﴿فصل﴾ فى الصدقة قد تقدم انه لا خلاف فى وصول ثواب الصدقة الى الميت وروى أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تصدقوا فان الصدقة فكاككم من النار وقد قدمنا عن أبى نعيم انه أسند الى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال سبع يجرى أجرهما للعبد بعد موته وهو فى قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وتقدم انه خرجه ابن ماجه من حديث الزهرى انه قال حدثنى أبو عبد الله الاغر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحة تلحقه بعد موته (قلت) وقد تكلم أبو عبد الله محمد بن قاسم الجذامى على هذا الحديث وزاده وضوحا فقال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة أشياء من صدقة جارية أو علم كان بثه ينتفع به أو ولد صالح يدعو له قال وألحقنا به حديث ابن شهاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يلحق الله بالميت ثمانية من العمل فذكر الثلاثة وأضاف اليها خمسة أحدها رجل أورث كتاب الله فله مثل أجر من قرأ به أى كتب مصحفا أو استأجر عليه أو اشتراه ثم خلفه من بعده قاصدا ان يقرأ فيه فله الاجر سواء حبسه أم لا ويدخل فى ذلك من أورث سنة النبى صلى الله عليه وسلم والثانى قوله ورجل أجرى نهرا أو أنبط عينا فله مثل أجر من ورد عليه يعنى له أجر فى شرب من شرب منه أو توضأ منه أو اغتسل أو غير ذلك من منافع الماء والثالث قوله ورجل غرس غرسا لا يصيب الطير ولا السباع ولا الذر ولا الدياب ولا ابن السبيل من ثماره شيأ الا كتب الله له به صدقة وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال مامن مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق له منه صدقة وما أكل السبع فهوله صدقة وفي رواية مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا الحديث الرابع قوله من بنى مسجدا فله مثل أجر من ذكر الله وصلى وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة وروى من بنى مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة الخامس رجل بنى بيتا لابن السبيل فله مثل أجور من سكن فيه فهذا يسوغ ان يقال فيه لما بناه لابن السبيل صار بمنزلة من حبسه فهو كحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسيأتى ان شاء الله تعالى ومعنى قوله أجرى صدقة أى جعلت الصدقة فى أصل يتصدق من غلته أو ثمره وخرج الطحاوى من حديث سهل بن معاذ أن من بنى بيتا فى غير ظلم ولا اعتداء أوغرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء كان أجره جاريا ما انتفع به أحد من خلق الرحمن عز وجل ولم يذكر فى هذا الحديث انه قصد ببنيانه ابن السبيل ولا غيرهم الا انه بناه لانتفاعه به على ماشرط فكل من انتفع بشئ من ذلك فلصاحبه أجره حيا وميتا مادام ذلك ينتفع به وذكر أبو نعيم فى حليته عن الاوزاعى قال سألت محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم عن قوله عز وجل يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فقال نعم حدثنيه أبى عن جده على بن أبى طالب قال سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا أبشرك بها ياعلى فبشر بها أمتى من بعدى الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر الوالدين وصلة الرحم يحول الشقاء سعادة ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء وروى أبو نعيم عن بشر بن الحارث الحافى أنه كان يقول الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد ثم قال ذلك يركب ويرجع ويراه الناس وهذا يعطى سرا لايراه الا الله عز وجل وقد ذكر بعض العلماء وهو أبو الحسن بن سلمون انه قال من كثرت ذنوبه فعليه بكسب الضياع يعنى ان صاحب الضيعة لايخلو من أجور تدخل عليه باختياره وعلمه وقد تدخل بعلمه بغير اختياره وقد تدخل لا باختياره ولا بعلمه وأيضا فانها باقية الزمان الطويل فياعجبا وياسعادة لهذه الاحوال الميت اشلاء ممزعة فى قبره والاجور تترادف عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولئن شكرتم لازيدنكم نسئل الله ان يوزعنا شكر هذه النعم علينا وعلى جميع المسلمين ولنذكر حديث عمر رضى الله عنه الذى وعدنا به وقد روى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ان المائة سهم التى لى بخيبر لم أصب قط مالا أعجب الى منها قد أردت ان أتصدق بها وفى رواية قد أردت ان أتقرب بها الى الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس أصلها وسبل ثمرتها وورد مفسرا كيف يعمل فيه من حديث ابن عمر أيضا قال أصاب عمر أرضا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصبت مالا بخيبر لم أصب قط مالا أنفس عندى منه فكيف به قال ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها فتصدق بها عمر انها لايباع اصلها ولا يوهب ولا يورث تصدق بها فى الفقراء والغزى والرقاب وفى سبيل الله وابن السبيل والضيف لاجناح على من وليها ان يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه ويروى غير متأثل مالا وكتب عمر ابن الخطاب فى ذلك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماأوصى به عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ان حدث به حدث أن ثغما وصرمة بن الاكوع والعبد الذى فيه والمائة السهم التى بخيبر ورقيقه الذى فيه والمائة التى أطعمه محمد صلى الله عليه وسلم بالوادى تليه حفصة ماعاشت ثم تليه ذا الرأى من أهلها ان لايباع ولا يشترى بنفقة من وليه حيث يرى من السائل والمحروم وذى القربى ولا حرج على من وليه ان أكل أو آكل أو يشترى رقبة منه وهذا خبر صحيح فى قصة عمر رضى الله

عنه خرجه البخارى ومسلم وغيرهما ممن يخرج الصحيح مطولا ومختصرا اخترنا أحسن ألفاظه وفيه الارض والرقيق والغرس ولا يبعد أن يكون فيه الدار للسكنى والزرع والدواب وغير ذلك وقال الترمذى عند تخريجه لهذا الحديث العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لانعلم بين المتقدمين منهم فى ذلك اختلافا فى اجازة وقف الدور والارضين وغير ذلك انتهى مانقلناه من كتاب الاعلام بفضل الله على عباده لابن عبد الله محمد بن قاسم ونقل أبو نعيم فى حليته عن طاوس اليمانى أنه قال ان الموتى يفتنون فى قبورهم سبعا فكانوا يستحبون أن يطعم عندهم تلك الايام

﴿فصل﴾ قال القرطبى وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتتصدق عن ميتك صدقة فيجيء بها ملك من الملائكة فى اطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادى ياصاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا لك هذه الهدية فاقبلها قال فيدخلها اليه فى قبره ويفسح له فى مداخله وينور له فيه فيقول جزى الله أهلى عنى خيرا فيقول لزيق ذلك القبر أنا لم أخلف لى ولدا ولا أحدا يذكرنى بشئ فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة وقال بشار بن غالب رأيت ربيعة العدوية فى المنام وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يابشار هديتك تأتينا فى اطباق من نور عليها مناديل الحرير وهكذا يابشار دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا لاخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال هذه هدية فلان اليك وقال اسماعيل بن رافع مامن ذى رحم أوصل لذى رحمه من رجل اتبع ذا رحم بحج أوعتق أوصدقة قال أبو محمد عبد الحق اعلم ان الميت كالحى فيما يعطاه ويهدى اليه بل الميت أكثر وأكثر لان الحى قد يستقل مايهدى اليه ويستحقر مايتحف به والميت لايستحقر من ذلك شيأ ولو كان مقدار جناح بعوضة أو وزن مثقال ذرة لانه يعلم قيمته وكان يقدر عليه فضيعه وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم وما ذلك الا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل اليهم ويأتيهم والله سبحانه أعلم قال واعلم ان زيارة قبور الصالحين لاتخلو من بركة وان زائرها والمسلم عليها والقارئ عندها والداعى لمن فيها لاينقلب الا بخير ولايرجع الا باجر وقد يوجد لذلك أمارة وتبدو منها له بشارة حدثنى أبو محمد عبد الله البكرى ويعرف بالمغاور وكان من الصالحين مشهورا بالصدق والخير قال زرت قبر الزبير ابن العوام رضى الله عنه بالبصرة قال فبينما أنا عند قبره اذ رأيتنى قد صب على ماء ورد من الجو حتى بل مرقعتى رأيت ذلك وأنا حاضر الذهن مفتوح العين وروى يحيى بن سعيد عن شعبة بن الحجاج قال فتن الناس بعبد الله بن غالب كان يوجد منه ريح المسك وقال مالك بن دينار ذهبت الى قبر عبد الله بن غالب فأخذت من ترابه فاذا مسك أو كأنه مسك وقال حماد بن زيد حدثنى سعيد ابن زيد قال أدخلت يدى فى قبر عبد الله بن غالب الى المرفق فاخرجت منه ترابا فاذا ريحه ريح المسك وقصة هذا القبر صحيحة مشهورة ولما خيف على الناس منه الفتنة سوى (قلت) ورأيت قبور الشهداء بالمهدية على شاطئ البحر عام عشرة وثمانمائة فوجدت لها رائحة عطية عطرة فعددت القبور فاذا هى نحو ثمانية وعشرين قبرا ورائحتهم رائحة واحدة الا انهم يتفاوتون فى قوة الرائحة فاما قبر ان مما يلى المدينة فرائحتهما فى غاية القوة وهذه القبور بقرب موجة البحر ووجدت على هذه القبور بنيانا دائرا بقى أثره ثم انى سافرت الى المشرق وبقيت نحو ثمان سنين ورجعت فوجدت على هذه القبور بنيانا جديدا وبابا مغلقا ففتح لى الباب فوجدت القبرين اللذين هما شديدى الرائحة قد جصص عليهما ووجدت فى أحدهما موضعا تدخل منه أصابعى فاخرجت شيأ من ترابه

وشممته فاذا الرائحة الحسنة التى عهدت لم تتغير فحصلت لى عبرة واكتسبت من ذلك موعظة جديدة قال صاحب كتاب الاعلام ذكر البخارى ومسلم فى صحيحهما ومالك فى الموطأ عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أمى افلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت أفأتصدق عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفى بعض الطرق أفلها أجران تصدقت عنها قال نعم وروى النسائى عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ان أمى ماتت أفأتصدق عنها قال نعم قلت فاى الصدقة أفضل قال سقى الماء زاد فى رواية فتلك سقاية سعد بالمدينة ورواه أبو داود أيضا وزاد فى بعض طرقه فحفر سعد بئرا وقال هذه لام سعد ورواه الدارقطنى وفيه أينفع أمى ان أتصدق عنها وقد ماتت قال نعم قال فماذا تأمرنى قال أسق الماء وروى الطبرى فى تهذيب الآثار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عطية فبكيت فقال مايبكيك فقلت يارسول الله كان لامى من عطائى نصيب تتصدق به وتقدمه لآخرتها وانها ماتت ولم توص بشئ قال فلا تبك فلعل عينك يامعاذ أتريد أن تؤجر أمك فى قبرها قلت نعم يارسول الله قال فانظر الذى كان يصيبها من عطائك فامضه عنها وقل اللهم تقبل من أم معاذ وفى بعض التصانيف وهو فى مسند بقى بن مخلد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماعلى أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شئ قال وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قد اختلف فى صحته والذى يعول عليه من ذلك أن الراوى عن عمرو اذا كان ثقة فالحديث صحيح لاتصال سماع بعضهم من بعض وثقتهم وقد عزم على هذا من يعول عليه من الأئمة والراوى عنه فى هذا الحديث هو الاوزاعى فالحديث صحيح

﴿باب جامع﴾

روى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وذكره ابن العربى فى سراج المريدين وقال فيه صحيح حسن قال القرطبى انما كان الموت كفارة لما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والاوجاع وقد قال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيآته كما تحط الشجرة ورقها خرجه مسلم وفى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفى الخبر المأثور يقول الله تعالى انى لا أخرج أحدا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما فى جسده ومصيبة فى أهله وولده وضيقا فى معيشته واقتارا فى رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقى عليه شئ شددت عليه الموت حتى يفضى الى كيوم ولدته أمه وعزتى وجلالى لاأخرج عبدا من الدنيا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة فى جسده وسعة فى رزقه ورغد فى عيشه وأمن فى سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقى له شئ هونت عليه الموت حتى يفضى الى وليس له حسنة يتقى بها النار وروى أبو نعيم فى حليته عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وفى رواية أبى ذر الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره وان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره

﴿فصل﴾ روى مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه وروى الواثلى فى كتاب الابانة له عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أحسنوا أكفان موتاكم فانهم يتباهون ويتزاورون فى قبورهم وقال ابن المبارك أحب الى أن يكفن فى ثيابه التى كان يصلى فيها (قلت) وقد أول العلماء قوله صلى الله عليه وسلم فانهم يتباهون وانه ليس على ظاهره لان المباهات هناك انما تكون بالاعمال الصالحة وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا مات لاحدكم الميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته واعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله هل ينفع الصالح فى الآخرة قال هل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال كذلك ينفع فى الآخرة وقد خرج أبو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفنوا موتاكم بين قوم صالحين فان الميت يتأذى بالجار السوء وروى اسحاق بن ابراهيم الحنظلى فى كتاب الهيباج له عن طاوس اليمانى انه قدم حاجا فمر بالابطح عند المقابر مع رفقائه قال فبينما أنا أصلى فى جوف الليل وعلى برد أخذته باليمن بسبعين دينارا وقبر قريب منى محفور اذ رأيت شمعا قد أقبل به مع جنازة فاذا قائل يقول فى قبر قريب من القبر المحفور اللهم انى أعوذ بك من الجار السوء قال فركعت ثم سجدت وسلمت ثم خرجت حتى لقيت أصحاب الجنازة فسلمت عليهم وقلت لا تقربونا وتنحوا عنا عافاكم الله قالوا ما نستطيع ذلك وقد حفرنا قبرنا هذا ولا نستطيع أن نذهب الى غيره فقلت من أولى بالجنازة فقالوا هذا ابنه فقلت له هل لك ان تنحى عنا وتناولنى ثوبك هذا الذى عليك فالبسه وأعطيك بردى هذا فانى قد أخذته باليمن بسبعين دينارا وهو ههنا خير من سبعين فان كان على أبيك دين قضيته عنه وان لم يكن انتفع بذلك الورثة وتكف عنا ما نكره قال فانكر القوم قولى ان يكون على برد ثمنه سبعون دينارا فاحتجت الى أن أخبرهم من أنا فقلت لهم تعرفون طاوس اليمانى قالوا نعم قلت فانا طاوس اليمانى وما قلت لكم فى البرد الا حقا فناولنى الرجل رداءه وأخذ ردائى وانصرف عنا وأقبلت حتى وقفت على صاحب القبر فقلت ما كان لجارك جار تكرهه وأنا أستطيع رده ثم عدت الى صلاتى قال أبو محمد عبد الحق ويستحب لك أن تقصد ببيتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير وان تجتنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجاورته والتألم بمشاهدة حاله فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الميت ليتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الحى (قلت) قال الجوزى رحمه الله تعالى قال بعض السلف ماتت لى ابنة فدفنتها فرأيتها فى المنام فقالت ياأبت قد مهد لرجل عندى قبر وهو من أهل النار فسلهم أن ينحوه عنى فلما أصبح أتيت الحفار وهو يحفر فمنعته فقال تمنعنى من مقابر المسلمين فاخبرته بما رأيت فاغتم أهل الميت فلما كان الليل رأيت ابنتى فى المنام فقالت ياأبت كذا أمرتك ان تهتك ستر رجل من المسلمين أما ان الله قد رحمه بهتكك اياه

﴿فصل﴾ فائدة ينفع الله بها من استعملها قال الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب العزلة وليكن العبد كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه بالوحدة وليتحقق ان من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله سبحانه ومعرفته ما يأنس به انه لا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت فان من أنس بذكر الله تعالى ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله تعالى عليه كما قال تعالى فى الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله سبحانه فى جهاد

نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قالت الصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فعليك رحمك الله بحمل النفس على التزود للمعاد والاعراض عن الدنيا وما قد رلك منها لا يفوتك روى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى (قلت) قال ابن اسحاق زعم ليث بن أبي سليم انهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيآت وتجزون الحسنات أجل كما يجنى من الشوك العنب

﴿فصل﴾ روى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مشيعي الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهتمون محزونون حتى اذا أسلموه في ذلك القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى به وهو يقول ارجعوا أنساكم الله موتاكم وينسون ميتهم ويأخذون في شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم

﴿فصل﴾ روى أبو نعيم بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفي غفلة مما خلقه الله عز وجل ان الله لااله غيره اذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه وأثره وأجله وأكتب شقيا أوسعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيآته فاذا جاءه الموت ارتفع ذانك الملكان ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا أدخل حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عنه ملك الحسنات وملك السيآت فانشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم أمرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم قال أبو نعيم هذا حديث غريب ﴿تنبيه﴾ ذكر أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري أنه قال ان الملكين يجد ان ريح الحسنات والسيآت اذا عقد القلب (قلت) فرحم الله عبدا أعرض عن العرض الفاني واشتغل باخذ الزاد ليوم المعاد واتكل على مولاه في الرزق المضمون واستعد لآخرته قبل أن يفاجئه المنون وروى أبو نعيم في حليته عن شعبة ابن الحجاج عن عمرو بن مرة عن شقيق بن سلمة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن مارافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لايدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لاتبور مما نقله أبو نعيم من أنشاد ذي النون قوله في حب الله تعالى

أموت وماماتت اليك صبابتي * ولاقضيت من صدق حبك أوطاري
منائي المنا كل المنا أنت لي المنا * وأنت الغنا كل الغنا عند اقتاري
وأنت الذي أرجو وغاية رغبتي * ومرضع شكواي ومكنون اضماري
فمنني بعفو منك أحيي بقربه * وغثني بسر منك يطرد اعساري

ألست دليل الركب ان هم تحيروا * ومنقذ من أشفى على جرف هار
أنرت الهدى للمتقين ولم يكن * من النور في أيديهم عشر معشار

وبعض هذه الابيات انا أصلحته قال أبو نعيم قال بعض الحكماء من نظر الى الدنيا بعين المحبة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك النظرة ومن أنار الله قلبه بضوء مصابيح العبر لم يمل من الفكر ومن لم يملها لم تطف مصابيح عبره وكان يقول احذر ايثار الدعة والميل الى الهوينا وقد اجتمع عمال الدنيا وعمال الآخرة على بذل المجهود وترك الدعة ليظفروا بمطلوبهم ويستريحوا من تعبهم وان أولى الفريقين بك ان تقتدي بعمال الآخرة لتظفر بالراحة الابدية والعيشة الهنية المرضية والحياة السرمدية مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ياهذا أين الذي جمعته من الاموال وأعددته للشدائد والاهوال لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفرا وبدلت من بعد غناك وعزك ذلا وفقرا فكيف أصبحت يارهين أو زاره ويامن سلب من أهله وداره أما علمت انه لابد لك من الارتحال في يوم شديد الاهوال وليس ينفعك ثم قيل ولا قال بل يعد عليك بين يدي الملك الديان مابطشت به اليدان ومشت فيه القدمان وكل مانطق به اللسان وعملته الجوارح والاركان فان رحمك سبحانه نعمت في الجنان وان كانت الاخرى أصليت حر النيران ياغافلا عن هذه الاحوال الى كم هذه الغفلة والتوان لجد رحمك الله في أخذ الزاد ليوم المعاد

لله در عصابة مازرتهم * الاشجاني منهم ماأسمع
قوم اذا غسق الظلام حسبتهم * عودا تحن الى الفصال وتنزع
حسروا الاكف وشمروا عن سوقهم * وغدت بهم هم تخب وتسرع
يازارع التفريط في غفلاته * مهلا فانك حاصد ماتزرع
ماحسرتي الالاني حاصد * زرعي وليس يفوتني ماأزرع
فالحول حولك سيدي ومدبري * تعطي الفضائل من تشاء وتمنع
ان لم أكن لحلول فضلك موضعا * ربي فانت لكل فضل موضع

قال أحمد بن حرب ياعجبا لمن يعلم ان الجنة تزين فوق رأسه والنار تسعر تحته كيف ينام بينهما

أخلصت قوما فنالوا منك ماطلبوا * ولم يشب جدهم لهو ولا لعب
شدوا اليك مطايا عزمهم نهضوا * مكابدين على الاقدام واقتربوا
فالليل ألفهم والحزن أنسهم * والدمع مأؤهم لو انهم شربوا
لكنهم رفضوا الدنيا وزخرفها * فحالهم راحة الا اذا تعبوا
وأسبلوا دمعة من نار أفئدة * تكاد عند اشتعال الحزن تلتهب
ألبابهم بلباب الذكر طاعمة * وقوت أجسامهم في عيشها العشب

﴿ غيره ﴾

رعى الله أقواما رعوا حق ربهم * فما أخلفوا وعدا ولا نقضوا عهدا
فما صحبوا الايام الا تعففا * وما وجدوا من حب سيدهم بدا
أفاضل صديقين أهل ولاية * الى سيد السادات قد جعلوا القصدا
هم قطعوا حبل التواني بعزمهم * وقاموا على الاقدام واستعملوا الكدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا * على بلغ الاقوات واستقربوا البعدا
تحلل عقد الصبر من كل صابر * وماحلت الايام من عقدهم عقدا

اللهم اختم بالسعادة آجالنا وأقرن بالعافية غدونا وآصالنا واجعل الى جنتك مصيرنا وما آل لنا واجبر برحمتك أحوالنا واجعل بطاعتك اشتغالنا الهنا قطرة من بحار جودك تكفينا وغرفة من بحار فضلك واحسانك تغنينا هانحن اسراء الذنوب ببابب فضلك واقفون وعلى ماوعدتنا من وابل فضلك واحسانك معولون وأنشدوا

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذى يرجى سواك ويتقى * ومالك فى فصل القضاء مخالف
فيامالكى لاتخزنى فى صحيفتى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسى فى ظلمة القبر عندما * يصد ذو ود ويجفو الموالف
لئن ضاق عنى عفوك الواسع الذى * أرجى لافلاسى فانى لتالف
وحاشاك يامولاى تقطع راجيا * على بابك المأمول قلبه واقف

يامقيدا بقيود العصيان يامغلولا بسلاسل الحرمان يامن رضى لنفسه بالذل والهوان أما تخشى ويحك على بضاعة عمرك الخسران قد آن أوان الرحيل ان كنت وسنان أما كان لك عبرة بمن مضى من الاخوان أماتحدث نفسك بسلوك طريق أهل العرفان أما يهزك شوق الى ساكن الجنان أماتخشى ويحك على نفسك من لهب النيران فان أردت النجاة فشمر عن ساق الجد من غير توان الهى أشكو اليك تخلفى عن الرفاق الهى فاتنى القوم فى السباق الهى هل أطمع فى اللحاق الهى ان أوزارى قد أوثقتنى بوثاق الهى شوقى الى الحضرة دائم باق الهى بك علقت أملى وعلى جودك وفضلك متكلى الهى قد قرب منى الرحيل وما الى التخلف عنه من سبيل الهى اليك أشكو مالايخفى عليك فارحم ذلى يوم وقوفى بين يديك الهى لما دنى أجلى ضعفت فى عملى الهى حالى لايخفى عليك منك أطلب الوصول اليك * روى أبو نعيم فى حليته عن سليمان بن داود عن محمد بن يوسف الاصبهانى قال قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة الثناء الحسن وقال محمد بن يوسف لبعض أصحابه اغتنم ساعتك فانك ان اغتممتها اشتغلت عن غيرها كان محمد بن يوسف عروس الزاهدين ومن أئمة المتقين قال سليمان بن داود وقف محمد بن يوسف على قاص يجيد فجعل محمد بن يوسف يتغير لونه ويردد دموعه جهده فقلت ياأبا عبدالله لو أرسلت قال هذا أدوم للحزن قال فرجعت الى يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى فقالا لى أى شئ استفدت اليوم فاخبرتهما بمقالة محمد بن يوسف فقالا لى لولم تستفد الاهذا لكفاك وكان محمد بن يوسف كثيرا مما ينشد

اذا كنت فى دار الهوان فانما * ينجيك من دار الهوان اجتنابها

وكتب محمد بن يوسف الى بعض اخوانه تزود لآخرتك وتجافى عن دنياك واستعد للموت وبادر الفوت واعلم ان أمامك أهوالا وانزاعا قد رعبت منها الانبياء والرسل وكتب أيضا الى بعض اخوانه أما بعد فانى محذرك تحولك من دار مهلكتك الى دار اقامتك وجزاء أعمالك فتصير فى باطن الارض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك ويبتهران فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فأعاذنا الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تتبعك صيحة النفخ فى الصور وبروز الخلق والوقوف بين يدى الجبار تعالى لفصل القضاء خلت الارض من أهلها والسموات من سكانها وبرزت الاسرار وسعرت النار ووضعت الموازين وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم

بالحق وهم لا يظلمون فكم من مقتضح ومستور وكم من هالك ومثبور وكم من معذب ومرحوم فيالليت شعري ماحالي وحالك يومئذ ففي هذا ماهدم اللذات وسلى عن الشهوات وقصر الامل وبعث على العمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الآخرة من قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فانما نحن به وله وقال رحمه الله لو أن رجلا سمع برجل أطوع لله منه أو عرفه كان ينبغي له أن يحزنه ذلك وقال غيره لو أن رجلا سمع برجل أو عرفه أطوع لله منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بعجب وقال اذا كان يحزنك مانزل بك من نفسك فقلبك حي بعد

تمر الليالي بنفسي ومالي * فياقوم مالي عن الموت سالي
نهاري جدال وليلي انجدال * وحولي رجال على مثل حالي
يبيعون رشدا صحيحا بغي * فبؤسا وسحقا لهم من رجال
قطعت لعمري بساعات عمري * بزيد وعمرو وقيل وقال
فياصاح مهلا أسلك جهلا * واتبع غيا سبيل الضلال
أفي الموت ريب أيجمل عيب * لمن لاح شيب له في القذال
شبابي فروشيبي يكر * وما أن تمر المنون ببالي
طريق طويل وزادي قليل * وحملي ثقيل فكيف احتيالي
أرى عظم ذنبي فيشتد كربي * ولكن ربي عظيم النوال
فياذا الجلال وياذا الجمال * وياذا المعالي عليك اتكالي
فكن عند ظني ولا تسلمني * ولا تخذلني بسوء فعالي
فانت الرجاء ومنك العطاء فهب لي سؤالي

ويجب على العاقل أن يبادر الى طاعة ربه مشتغلا بنفسه مراعيا لخطراته مستأنسا بخلواته مستغرقا في ذكر ربه راجيا لثوابه ومشفقا من عذابه من غير قنوط من رحمته ذكر أبو نعيم في حليته عن الفضيل بن عياض أنه قال مامن ليلة الا نادى الجليل جل جلاله من أعظم مني جودا والخلائق لي عاصون وأنالهم مراقب أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم أجود بالفضل على العاصي وأتفضل على المسيء من ذا الذي دعاني فلم أجبه ومن ذا الذي سألني فلم أعطه أم من ذا الذي أناخ ببابي فنحيته أنا الفضل ومني الفضل وأنا الجواد ومني الجود وأنا الكريم ومني الكرم ومن كرمي اني أغفر للعاصي بعد المعاصي ومن كرمي اني أعطي العبد ماسألني ومالم يسألني ومن كرمي اني أعطي التائب كأنه لم يعصني فاين عني يهرب الخلائق وأين عن بابي يتنحى العاصون وزاد في طريق فيابؤس القانطين من رحمتي ويا شقوة من عصاني وتعدى حدودي وقال حسين بن زياد أخذ الفضيل بن عياض بيدي وقال ياحسين ينزل الله تبارك وتعالى الى سماء الدنيا في كل ليلة يقول سبحانه كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ها أنا ذا مطلع على أحبائي اذا جنهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة وكلموني على حضور غدا أقر أعين أحبائي في جناتي وذكر أبو نعيم عن بعض أصحاب منصور بن عمار قال اشتريت من الله عز وجل حوراء على صداق ثلاثين ختمة فختمت منها تسعا وعشرين ختمة فأنا في الثلاثين اذ حملتني عيناي فرأيت كان حوراء قد خرجت علي من المحراب فلما رأتني أنظر اليها انشأت تقول برخيم صوتها

اتخطب مثلي وعني تنام * ونوم المحبين عني حرام

لانا خلقنا لكل امرئ * كثير الصلاة براه الصيام

فانتبهت وأنا مذعور ياأخي لايبيع الباقي بالفاني الامن هو في بيعه خاسر اياك والانس بما ترحل عنه فتبقى في بحر الندامة حائر رافق ويحك من يؤنسك في المقابر رفيق التقوى معين ورفيق البطالة غادر مهر الآخرة يسير قلب مخلص ولسان ذاكر ومهر الدنيا ذبح بالشهوات وطعن في الحناجر

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

فسبحان من اختار أولياءه لخدمته واصطفاهم لمناجاته وسلك بهم سبيل مرضاته خلع عليهم خلع الرضى فكانوا أهل حضرته شغلهم بعبادته فكانوا أهل صفوته متع أسرارهم بذكره فما رضي لهم دارا سوى جنته نهارهم صيام وليلهم قيام فأهلا بهم من سادة وخيرة من خلقه اذا أقبل الليل نصبوا أقدامهم وعفروا في التراب جباههم كل منهم مسبل لعبرته والمحروم المسكين غافل عن حفرته متردد في دياجي غفلته تائه في تيه أمانه وأودية حيرته فسبحان من قسمهم قسمين وجعلهم فريقين فهذا يسعى لسعادته وهذا مضرم لنار شقوته

يا أيها ذا الذي قد غره الامل * ودون ما يأمل التنقيص والاجل

ألا ترى انما الدنيا وزينتها * كمنزل الركب حلوا ثم ارتحلوا

حتوفها نكد وعيشها نكد * وصفوها كدر وملكها دول

تظل تفزع بالروعات ساكنها * فما يسوغ لها لين ولا جذل

كأنه للمنايا والردى غرض * تظل فيه بنات الدهر تنتضل

والنفس هازبة والموت يتبعها * وكل عثرة رجل عندها زلل

﴿ باب مارئي من عجائب الموتى ورفع بعضهم الى السماء وكلامهم واخبارهم بما أنعم الله سبحانه به عليهم ﴾

قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى لما أصيب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ببير معونة كان فيمن أصيب عامر بن فهيرة رضي الله عنه فكان عامر بن الطفيل الكافر يقول من رجل لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قال السهيلي في الروض الانف هذه رواية البكائي عن ابن اسحاق وروى يونس بن بكير عنه بهذا الاسناد ان عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك فقال للنبي صلى الله عليه وسلم من رجل يامحمد لما طعنته رفع الى السماء فقال هو عامر بن فهيرة وروى عبد الرزاق وابن المبارك ان عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ فقد فيرون ان الملائكة رفعته أو دفنته وذكر أبو سعيد النيسابوري ان عامر بن الطفيل قال لعمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه هل تعرف أصحابك قال نعم فطاف فيهم يعني في القتلى وجعل يسئله عن أنبائهم فقال هل تفقد من أحد قال نفقد مولى لابي بكر رضي الله عنه يقال له عامر بن فهيرة قال كيف كان فيكم قال قلت كان من أفضلنا وأول أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبرك خبره وأشار له الى رجل وقال هذا طعنه برمح ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل علوا في السماء حتى والله ماأراه قال عمرو فقلت له ذلك عامر بن فهيرة وكان الذي قتله رجل من كلاب يقال له جبار بن سلمى ثم أسلم جبار بن سلمى وقال دعاني الى الاسلام مارأيته من

مقتل عامر بن فهيرة ورفعه الى السماء قال عياض فى الشفاء وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى رضى الله عنه قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت (قلت) وكذلك ذكره ابن القطان والحديث ذكره يعقوب بن شيبة قال عياض وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه ان زيد بن خارجة خرميتا فى بعض أزقة المدينة فرفع وسجى اذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان (قلت) هكذا ذكره عياض رحمه الله تعالى مختصرا وذكره ابن القطان والسهيلى وغيرهما مطولا قال ابن القطان روى عن سعيد بن المسيب ان زيد بن خارجة الانصارى ثم من بنى الحارث بن الخزرج توفى زمان عثمان رضى الله عنه فسجى بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم انه تكلم فقال أحد أحد فى الكتاب الاول صدق صدق وأبو بكر الضعيف فى جسمه القوى فى أمر الله فى الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوى فى أمر الله الامين فى الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت سنتان أتت القيامة وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر اريس وما بئر اريس قال سعيد بن المسيب هلك رجل من بنى خطمة فسجى بثوب فسمعت جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال ان أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق قال السهيلى وهذا الحديث رواه ثقات المحدثين لايختلفون فى ذلك (قلت) وقد روى أصل الحديث ابن عبد البر وغيره وقصة بئر اريس ان عثمان بن عفان رضى الله عنه كان جالسا فى بعض الايام فى زمان خلافته على شفة بئر اريس وكان فى يده خاتم النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يتداوله الخلفاء قبله أعنى كان بيد النبى صلى الله عليه وسلم ثم بيد أبى بكر رضى الله عنه ثم بيد عمر رضى الله عنه ثم بيد عثمان رضى الله عنه فجعل عثمان وهو على شفا البئر يحرك الخاتم فى أصبعه وربما أخذ ينقله من أصبع الى آخر ونحو هذا فوقع له فى بئر اريس فأمر بالنزول اليه واستهون أمر الماء فنزحوا الماء فغلبهم حتى أعجزهم فبقى الخاتم هنالك ثم كان من أمر عثمان رضى الله عنه ما كان من هيجان الفتنة ولم يذكر ابن القطان هنا أبا بكر كما ذكره عياض وغيره قال ابن القطان وقد روى مثل هذه القصة لاخى ربعى بن حراش أيضا أعنى انه تكلم بعد الموت وفى كلامه من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماينعطف آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان فى كلامه المذكور انه قال اسرعوا بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أقسم أن لايبرح حتى أدركه وألحقه فان كلام ميت يذكره وذكر ماينتظره والامر بقضاء بغيته صلى الله عليه وسلم أمر خارق للعادة فى حقه صلى الله عليه وسلم (قلت) وقد ذكر هذه الحكاية الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب الرجاء من احياء علوم الدين ولفظه وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وهو عنى غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه قال أبو سعيد النيسابورى روى النعمان بن بشير رضى الله عنه قال توفى اسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما فكان الناس ينتظرون

عثمان ليصلى عليه قال فقمت أصلى ركعتين فكشف الثوب عن وجهه والقوم يتكلمون فقال سلام عليكم فقلت سبحان الله سبحان الله فقال انصتوا انصتوا محمد رسول الله صدق صدق أبو بكر الصديق ضعيف فى جسده قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الاول صدق صدق هكذا ذكره النيسابورى أسامة بن زيد والله أعلم وما قدمناه عن عياض وابن القطان هو الصواب لان اسامة ابن زيد عاش بعد عثمان واعتزل الفتنة وما ذكرناه عن ابن القطان والغزالى ذكره السهيلى ولفظه قال وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن حراش أخى ربعى بن حراش قال ربعى مات أخى فسجيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك اذ كشف عن وجهه ثم قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال انى لقيت ربى فتلقانى بروح وريحان وهو غير غضبان وكسانى ثيابا خضرا من سندس واستبرق وأسرعوا بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أقسم أن لايبرح حتى أدركه أو آتيه وان الامر أهون مما تذهبون اليه فلا تغتروا ثم والله لكأنما كانت نفسه حصاة ألقيت فى طست ومن هذا الباب ماذكره أبو الفضل عياض وابن القطان ولفظهما سواء قال أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بئية له فى وادى كذا فانطلق معه النبى صلى الله عليه وسلم الى الوادى وناداها باسمها يافلانة أجيبى باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لاحاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما وعن أنس رضى الله عنه ان شابا من الانصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء أن يعينى على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا أن كشف عن وجهه فطعم وطعمنا وعاش بعد ذلك ذكر هذه الحكاية عياض وابن القطان قال ابن القطان وروى أيضا عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للغريعة ان ابنك ابراهيم قد مات قالت ومات يارسول الله قال نعم فقالت الحمد لله اللهم انك تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك وذكر بقية الحديث قال فأحياه الله تعالى عند ذلك فأكل وطعم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابراهيم بن نبيط (قلت) وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتابه قال روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرجنا مع العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه حين خرج الى البحرين قال فبينما نحن فى سفرنا اذ عطش الناس فأخبروه فقال هل عندكم من ماء أتوضأ به قال فأوتى بماء قليل فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا فقال ياعلى ياعظيم ياحكيم ياحليم ياعليم أغثنا واسقنا فاذا نحن بسحابة قد نشأت ثم صبت فشربت أصحابه وسقوا دوابهم قال ثم انتهينا الى خليج فطلب السفن لنعبر الى عدونا فلم نقدر عليها فتوضأ ثم صلى ثم دعا مثل دعائه الاول ثم قال لتأخذوا برؤس دوابكم فأخذنا ثم مضينا على البحر فجاوزناه وما جاوز الماء حوافر الدواب قال وما خيض ذلك البحر قبل يومئذ قال ثم ان العلاء مرض فمرضناه ثم مات فدفناه وقلنا أرض رملة ولم نعمق قبره فكشفنا عنه التراب فطلبناه فلم نجده فى قبره فما ندرى أى أموره أعجب رحمه الله أى أمره فى الصحابة أم فى البحر أم فى قبره حيث لم نجده فيه (قلت) وأما الحكايات عن الموتى فى هذا الباب فكثيرة وسأذكر منها ماتيسر فمن ذلك قصة عمر بن الفارض دخل يوما بعض مدارس مصر فوجد شيخا يتوضأ ويقدم ويؤخر فى أعضاء وضوئه فأنكر عليه وقال له ياشيخ تكون فى هذا السن ولا تحسن أمر دينك فرفع اليه رأسه وقال له مكاشفا ياعمر لايفتح عليك هنا وانما يفتح عليك بمكة فسر اليها فعلم عمر انه من أولياء الله وانما خلط فى وضوءه سترا لحاله قال عمر فقلت ياسيدى كيف أسير الى مكة وليس هنا مسافرون ونحو

هذا من الكلام قال فأشار لى الى مكة فرأيتها من مصر وجعلت أمشى حتى دخلتها ثم ان عمر ابن الفارض بقى بمكة زمانا فحضرت الوفاة الشيخ البقال قال فنادانى من مصر وقال احضر وفاتى قال فجئته فقال اذا مت فادفنى هنالك وأشار الى الجبل المقطب فرأيت المكان الذى أشار اليه قال فلما مات وحملته الى قبره ووضعته فاذا أنا برجل من أولياء الله تعالى فقال لى تقدم ياعمر وصل بنا قال ونزلت طيور وفيها طير كبير قال فتقدمت وصليت قال فجاء الطير الكبير الى الشيخ البقال فالتقمه حتى صار فى حوصلته ثم طار وطارت تلك الطيور خلفه فالتفت الى الولى الذى صلى معى فقلت ياسيدى ماهذا فقال ياعمر أما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر أولئك شهداء السيوف وأما شهداء المحبة فهم بأرواحهم وأجسادهم وهذا الشيخ منهم وقد كنت ياعمر بلغت هذه المنزلة ثم زللت زلة فانزلت عن هذه المنزلة وأنا أرجو من الله سبحانه الرجوع اليها وفى قبر هذا الشيخ البقال دفن عمر بن الفارض وهو معلوم مزاره نقلت هذه الحكاية بالمعنى وفى كتاب الصفوة للجوزى قال ومنهم أحمد بن نصر الخزاعى رحمه الله تعالى كان من كبار العلماء والآمرين بالمعروف سمع الحديث من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم وامتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول مخلوق فقتله فى رمضان سنة احدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى وصلب جسده هناك وأنفذ رأسه الى بغداد وعن أحمد بن حنبل وذكر أحمد بن نصر فقال رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه وعن ابراهيم بن اسماعيل بن خلف قال كان أحمد خالى فلما قتل فى المحنة وصلب رأسه أخبرت ان الرأس يقرأ القرآن فمضيت فبت بقرب من الرأس مشرفا عليه وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا إن يقولوا آمنا وهم لايفتنون فاقشعر جلدى ثم رأيته بعد ذلك فى المنام وعليه السندس والاستبرق وعلى رأسه تاج فقلت مافعل الله بك ياأخى قال غفر لى وأدخلنى الجنة الا انى كنت مغموما ثلاثة ايام قلت ولم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بى فلما بلغ خشبتى حول وجهه عنى فقلت له بعد ذلك يارسول الله قتلت على الحق أو على الباطل فقال أنت على الحق ولكن قتلك رجل من أهل بيتى فاذا بلغت اليك أستحى منك قال الشيخ أبو محمد فى العاقبة ويروى عن عمرو بن عثمان بن شعبة قال رأيت فى بعض الليالى فى المنام كأن قائلا يقول لى اذا كان غدا فات مصلى خولان تصلى عن ولى لنا قال فخرجت قبل طلوع الفجر خوف أن يفوتنى ثم قعدت الى قريب من غروب الشمس فلم يؤت بميت الى ذلك المصلى قال فانصرفت فبينما أنا بين الاكام فاذا بميت على رأس حمال على فرد باب وعليه عباءة فقال لى الحمال ياهذا ان هذا الميت رجل غريب فهل لك أن تصلى عليه فقلت فى نفسى أنا قاعد منذ اليوم من أجله قال فصليت عليه ثم قال لى الحمال ادخل معى حتى نواريه فنزلت فى قبره فصوبه على فأضجعته وحللت العقدة عن رأسه فالتفت الميت الى بوجهه متبسما وقال سوف أشكرك عنده غدا أبا عمرو ثم عاد كما كان قال ويروى عن ابن على الروذبارى قال قدم علينا فقير فمات فدفنته فكشفت عن خده فجعلته على التراب ليرحم الله غربته ففتح عينيه وقال ياأبا على أتذلنى بين يدى من لايذلنى فقلت ياسيدى أحياة بعد الموت فقال بلى أنا محب لله وكل محب لله فهو حى يارودبارى لانصرنك غدا بجاهى وقال أبو سعيد الخراز كنت بمكة فمررت بباب بنى شيبة فرأيت به شابا حسن الوجه ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى ياأبا سعيد أما علمت ان الاحباء أحياء وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار قال الشيخ عبد الحق حدثنى الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى القرشى رحمه

الله تعالى عليه قال لما مات أبى غسله المقرئ أبو الحسن بن عظيمة فقال لى أبو الحسن لما كشفت الثوب عن وجهه لاغسله ضحك فى وجهى لاأشك فى ذلك ولا ارتاب قال صاحب التشوف الى رجال التصوف وهو يوسف بن يحيى التادلى ومنهم أبو بكر التوجى من أهل سجلماسة من أكابر الاولياء ثم ذكر عنه عظيم الكرامات وانه اذا خرج بالليل من البلد تنفتح له الابواب الى غير ذلك قال صاحب التشوف حدثنى الثقة ان أبا بكر التوجى بات فى مسجد بباب صنهاجة فاصبح فيه ميتا رحمه الله تعالى فذهبوا لينظروا فى تجهيزه الى قبره فطلبوه فلم يجدوه فضجوا وأعولوا وقالوا لو أراد الله بنا خيرا لتولينا تجهيز هذا العبد الصالح الى قبره قال صاحب التشوف وحدثنى على بن عيسى عن شيوخ أخبروه عن رجل صالح كان بتامرورت وكان له باغماة وريكة صديقان يعرف أحدهما بابن اللواتى ويعرف الثانى بابن الفقيه فماتا فدفنا قبلى مدينة اغماة فلما احتضر هذا الرجل الصالح أوصى أن يدفن بجوار قبرى صديقيه فلما مات تنازع الناس فى دفنه قال قوم انما ندفنه عندنا لننال من بركاته وقال آخرون انما ندفنه حيث أوصى أن يدفن وهم الفريقان بالقتال على ذلك فمكث ثلاثة أيام لم يدفن وهو فى البيت فدخلت بين الرجال امرأة وجعلت على ظهرها أثوابا وأوهمتهم ان ذلك ولدها على ظهرها وخرجت به وهم يظنون ان الذى على ظهرها ولدها فحمله أصحابه ليدفنوه فى مقابر اغماة جوار قبرى صديقيه فكانوا اذا وضعوه بالارض يسمعون حوله كدوى النحل يرفعون أصواتهم بالتهليل فيشير هو معهم بسبابته الى التوحيد فيعجبون من ذلك وذكر أبو نعيم فى حليته ان خالد بن معدان كان يسبح فى اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى مايقرأ من القرآن فلما مات وضع على سريره ليغسل فجعل يحرك أصبعيه يعنى بالتسبيح وملت وهو صائم قال صاحب التشوف وسمعت داود بن عبد الخالق يقول سمعت غير واحد من أصحاب الفقيه يغمور بن خالد يقول جاءنى أبو مهدى وكان من أولياء الله الكبار فقال لى ياغمور اذهب معى الى زيارة شابة هسكورية لم تبلغ الحلم وهى من الاولياء فذهبنا الى كهف بجبل دون فوجدناها قد انقطعت عن الناس فخاضت معى فى علوم لا أعرفها وكانت مريضة فانصرفنا عنها ثم مررنا بها آخر لنزورها فلما قربنا من الكهف قال لى أبو مهدى ان تلك الشابة فى النزع فرأيت نورا يسطع من الكهف الذى كانت فيه فدخلنا عليها فوجدناها تجود بنفسها فقالت لابى مهدى اذا أنا مت فاسترنى بهذا الثوب الخلق الذى على واذهب الى أبوى بمكان كذا واقرأ عليهما سلامى وأعلمهما بالحال ثم ماتت وفعلنا مأمرتنا به فلما خرجنا من الكهف رأيناها تحمل فى الهواء فسألنا عن اسم أبويها فلما دخلنا عليهما قالت لنا أمها أظنكما قريبى العهد من ابنتى فاعلمناهما بوفاتها وعزيناهما وانصرفنا ومن تأليف الشيخ الحافظ أبى القاسم هبة الله بن الحسين الطبرى فى الكرامات حدث رحمه الله بسنده عن حماد بن سلمة قال ان ثابتا البنانى رفع من قبره ولم نر له أثرا فى القبور وكان ثابت يدعو ويقول اللهم ان كنت رفعت أقواما من عبادك فاجعلنى منهم وقال أبو الفرج الجوزى فى كتابه المسمى بسلوة الاحزان قال بعض أصحاب ثابت البنانى والله الذى لا اله الا هو لقد أدخلت ثابتا لحده ومعى فلان فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا هو يصلى فى قبره وكان يقول ياربى ان أعطيت أحدا أن يصلى فى قبره فاعطنى ذلك وقال الذين ينقلون الجص كنا اذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن وقال أبو نعيم فى حليته قال طاوس لابنه اذا أقبرتنى فانظر فى قبرى فان لم تجدنى فاحمد الله وان وجدتنى فانا لله وانا اليه راجعون فنظر ابنه فى قبره فلم يجد شيأ فرأى فى وجهه السرور ومن كتاب مطالع الاهلة ليحيى بن محمد قال وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت فتى فى فناء الكعبة جالسا يبكى فقلت له يافتى مايكاؤك فقال أنا الغريب المطلوب فعرفت معنى كلامه فجلست أبكى معه وهو يجود بنفسه فلم أزل معه حتى قضى نحبه فخرجت فاشتريت له كفنا ثم عدت فلم أره فقلت سبحان الله ومن سبقنى بحظى من ثوابه فاذا هاتف يهتف بى ياذا النون هذا الغريب الذى طلبه ابليس فى الدنيا فلم يره وطلبه منكر ونكير فلم يزياه وطلبه رضوان خازن الجنة فلم يره قلت فاين هو ياسيدى قال فى مقعد صدق عند مليك مقتدر قال وحكى عن ابن السماك رحمه الله تعالى انه قال وصف لى رجل من الخائفين ببعض جبال الشام فاتيته زائرا فقال لى ماالذى أتى بك الى هذا المكان فقلت له سمعت بامرك فاردت أن أراك فقال غرك من أخبرك أنا أعرف بنفسى فاقمت عنده أياما فلما أردت الرجوع الى أهلى قلت له هل لك من حاجة تشرفنى بها فقال لى يابن السماك من حبس نفسه فى هذا المكان لم تبق له حاجة فى مكان فهل لك أنت من حاجة قلت نعم حاجتى أن تخبرنى بما تحب من أمر الدنيا والآخرة فبكى وقال لى ياأخى وما سؤالك عن هذا فقلت أردت أن أسمع منك شيأ أنتفع به فقال لى ياأخى أما ماأحب من أمر الدنيا فامكان قوة على الطاعة والعمل ونفس بعيدة عن اللهو والكسل والامل وقلب حشوه الخوف والوجل وأما الذى أحبه من أمر الآخرة فسماعى لقوله عز وجل اذهب فقد غفرت لك وعفوت عنك ثم أعود رمادا تجمه أنفس الخلائق يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون ثم سقط الى الارض فاذا هو ميت رحمة الله عليه فاشتد ذلك على واستوحشت من موته وتحيرت فى دفنه فهتف بى هاتف من بين الجبال أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول ياهذا هون عليك فليس أمره اليك ان الله تبارك وتعالى وعده أن تتولى الملائكة أمره ثم حيل بينى وبينه فلم أره ومن رسالة الشيخ الصالح أبى عبد الله محمد بن مالك الانطاكى قال رحمه الله تعالى دخلت عبادان وكنت أعرف بها رجلا يعرف بالبدوى فسألت عنه فقيل لى توفى رحمه الله وكان بعبادان رجل يحفر القبور للسبيل قال لى لما مات البدوى تحت أحفرله القبر فلما بلغت اللحد أردت أن ألحد له فسقطت لبنة من قبل اللحد الى قبر أمامه فنظرت الى القبر الذى سقطت منه اللبنة فاذا أنا بشيخ جالس فى القبر عليه ثياب بيض تتقعقع وفى حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه الى وقال لى قد قامت القيامة رحمك الله قلت لا قال رد اللبنة عافاك الله فرددتها ومضيت ومن كتاب التحف والطرف للقاضى أبى عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى بفتح الميم وبفتح القاف المشددة قال رحمه الله حدثنى خطيب الحضرة المتوكلية الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عباد الرندى انه حضر برندة جنازة قريب له قال فنزلت فى قبره فلما جعلنا الالواح على اللحد ولم نجعل التراب فى الحفرة بعد رأيته من شق مابين اللوحين كأنه جلس وجعل ينفض التراب عن وفرته بتحريكه رأسه يمينا وشمالا فطلعت من الحفرة وأخبرت والدى بذلك فقال لى ذلك أمر قد خيل لك ففهمت أنه يريد صرف التوهم عنى خوفا على واشفاقا لان يصيبنى أمر قال وأنا لاأشك فى كون مارأيت من ذلك كما رأيت ومن كتاب الصفوة للجوزى قال رحمه الله وعن غيلان صاحب سرى السقطى قال كان لسرى تلميذة وكان لها ولد عند المعلم فبعث به المعلم الى الرحى فنزل الصبى فى الماء فغرق فجاء المعلم الى سرى فاخبره بذلك فقال سرى قوموا بنا نمضى الى أمه فجلسوا عندها وتكلم سرى فى علم الصبر ثم تكلم فى علم الرضى فقالت له ياأستاذ وأى شئ تريد بهذا فقال لها ان ابنك غرق فقالت ابنى ابنى قال لها نعم فقالت ان ربى عز وجل مافعل هذا ثم عاد سرى فى كلام الصبر والرضى فقالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت أين غرق فقالوا ههنا فصاحت ابنى محمد فأجابها لبيك ياأماه

فنزلت

فغزلت فأخذت بيده ومضت به الى منزلها قال غلمان فالتفت سرى الى الجنيد وقال أى شئ هذا هذا فقال الجنيد أتأذن لى أن أقول قال قل قال ان المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وحكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه أن لايحدث الله عز وجل حادثة حتى يعلمه بذلك فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك فانكرت وقالت ان ربى عز وجل مافعل ذلك (قلت) وهذا جواب حسن ويحتمل وهو الاظهر أن يكون الجواب مايفهم الآن من جواب ابراهيم الخواص وذلك انه سألته امرأة من المتعبدات عن تغير وجدته فى حالها فقال لها عليك بالتفقد فقالت قد تفقدت فما رأيت شيأ فاطرق الخواص ساعة ثم رفع رأسه وقال أما تذكرين ليلة المشعل فقالت بلى فقال هذا التغير من ذلك فقالت نعم كنت أغزل فوق السطح فانقطع خيطى فمر مشعل السلطان فغزلت فى ضوئه خيطا ثم أدخلت ذلك الخيط فى غزل ونسجت منه قميصا ولبسته ثم قامت الى ناحية ونزعت القميص وقالت ياابراهيم ان أنا بعته وتصدقت بثمنه يرجع قلبى الى الصفا قال ان شاء ووجه الشاهد من هذا ان المرأة الاولى لم تحدث حدثا يوجب تغير حالها أنكرت غرق ولدها ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم (قلت) وقد تقدم حديث جابر رضى الله عنه فى الشهداء قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم وذلك بعد ست وأربعين سنة وان المسحاة أصابت قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث دما وفى رواية فانفطرت دما فقال أبو سعيد الخدرى لاينكر بعد هذا منكر أبدا وتقدم ان بعضهم جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهم ست وأربعون سنة رواه مالك فى الموطأ ورواه غيره وقد تقدم ماحكيناه عن الولى الصالح العلمى انه قال كنت ضيفا بالبادية فصليت المغرب وجلست أتلو سورة يس وبازائى قبر فاذا صاحب القبر قد خرج من قبره وجلس بازائى يستمع قراءتى قال فبقى كذلك يستمع قراءتى الى ان صاح بى صاحب المنزل للطعام فلما سمع الصياح رجع الى قبره قال هذا الشيخ أعاد الله علينا من بركاته كنت يوما خارج بجاية فاقبلت الى المدينة عشية فوجدت باب السور مغلقا فرجعت الى مسجد هناك عند رأس الساقية بقرب جبانة الشيخ العالم الربانى سيدى عبد الرحمن الوغليسى رحمه الله تعالى قال فبت فى المسجد فلما ذهب بعض الليل قمت الى الوضوء فنظرت الى الجبانة فاذا أنا بالشيخ سيدى عبد الرحمن الوغليسى وجماعة من أصحابه الموتى جلوس يتذاكرون العلم كما كانوا فى الدنيا (قلت) وهذا الرجل كان صاحب كرامات وانما يطلع على مثل هذه العجائب أولياء الله سبحانه لانهم مع الخلق بأجسادهم ومع الله سبحانه بقلوبهم وانما حظ من لم يصل درجتهم الايمان والتصديق بما نقل عنهم وحدثنى الثقة الصدوق عن الفقيه الصالح عمر بن موسى الزجراجى انه كتب الى الشيخ الولى محمد الهوارى يخبره عن شيخ كبير كثير التلاوة للقرآن اسمه على بن عمر انه دخل مكة لزيارة امام المقام ابى عبدالله الطبرى قال فوجدناه فى حال النزع فقال لنا أنا أحدثكم بحديث فلولا انى فى هذا الحال ماحدثت به مات عندنا غريب فاخرجناه الى باب المعلى حيث المقبرة فوضعناه لاصلاح القبر وجلسنا ثم انه استوى جالسا فقلنا يافلان ألست قدمت قال بلى ولكن رجعت لاحدثكم وأبشركم أنفع ماعندنا صحبة الصالحين وموالاتهم ثم رجع ميتا فقال لنا الطبرى الله حسيبى ان كذبت عليه وقال لى على ابن عمر الله حسيبى ان كذبت على الطبرى قال الزجراجى وأنا الله حسيبى ان كذبت على على بن عمر حدثنى به غير مامرة

﴿ باب ذكر حكايات فى الشهداء ﴾

ومن كتاب روضة الحقائق المنسوب للفقيه أبى عبد الله بن الخلال قال رحمه الله وعن شهر بن حوشب أنه قال كنت فى غزوة واذا برجل يبكى أشد البكاء وهو يقول ياأهلاه فقمت اليه فقلت له ياعبد الله انك تقفل الى أهلك غدا فاتق الله واصبر فقال لى لست أبكى على أهلى الذين فارقت فى الدنيا ولكننى أتيت آنفا فى المنام فقيل لى انطلق الى زوجتك العيناء فانطلقت فدفعت الى أرض لم أر أحسن منها واذا بجوار لم أر أحسن منهن ولا من ثيابهن فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت أفيكن العيناء فقلن لا ولكن نحن خدمها وهى فى تلك القبة فاذا هى من درة بيضاء واذا هى جالسة على كرسى من ياقوتة حمراء وفضول عجيزتها خارجة من السرير فسلمت عليها فردت على وجلست اليها فحدثتنى وحدثتها ثم ذهبت لانهض فاخرجت معصما لها كما شاء الله لايقدر على وصفه ثم قالت ماأنت بمفارقنا حتى تعاهدنا الله ان تبيت عندنا هذه الليلة القابلة فعاهدتها على ذلك ثم انتبهت فعليها أبكى ثم أخذ فى البكاء ونودى فى الخيل ففزع الناس الى خيولهم وسلاحهم وقتال عدوهم فكان أول قتيل قتل منا قال شهر بن حوشب لقد بات تلك الليلة عند زوجته العيناء وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى قال بلغنا ان قوما من المسلمين ناهضوا حصنا من حصون العدو فوقعت صخرة من المنجنيق على صخرة فطارت منها شظية فصادفت ركبة رجل يقال له نجيح فاغمى عليه فرئى يضحك حتى بدت نواجذه ثم بكى حتى سالت دموعه ثم فتح عينيه فسئل عن ذلك فقال رأيت قد انطلق بى الى غرفة من ياقوتة حمراء فاذا امرأة عجبت من نورها وجمالها وبهائها وحسنها فقالت مرحبا بالجافى الذى لم يكن يسئلنا من الله تعالى انى لست كفلانة زوجتك فى الدنيا التى تفعل بك كذا وكذا فجعلت تذكرنى كلما فعلت بى زوجتى فى الدنيا فضحكت من ذلك فمددت يدى اليها فقالت تأتنا غدا عند صلاة الظهر فبكيت لما حرمت منها فقتل عند الظهر ولحق بها وروى عن اسماعيل بن حيان انه قال كنا محاصرين حصنا من حصون فخرج منا رجلان الى الحصن فقال أحدهما للآخر هل لك أن نغتسل لعل الله يهب لنا الشهادة فقال له صاحبه ما أريد ان أغتسل فاغتسل الآخر فلما فرغ من غسله أتاه حجر من الحصن فاصابه فخر صاعقا فمررت به وهم يحملونه الى خبائه فسألت عن شأنه فاخبرونى فانصرفت الى أصحابى فقصصت عليهم شأنه ثم رجعت اليهم وهم يشكون فيه هل مات أو بقيت فيه بقية من روح فبينما نحن كذلك اذ ضحك فقلنا والله انه لحى ثم مكثنا مليا فضحك أخرى ثم مكثنا مليا ثم بكى وفتح عينيه فقلنا ابشر يافلان فلا بأس عليك ثم قلنا له لقد رأينا منك عجبا نحن نظن انك قدمت فرأيناك تضحك ثم مكثنا مليا ثم ضحكت ثم مكثنا مليا ثم بكيت فقال انى لما أصابنى ماأصابنى أتانى رجل فاخذ بيدى فمضى بى الى قصر من ياقوت فوقف بى على الباب فخرج الى غلمان متشمرين لم أر مثلهم قط فقالوا مرحبا بسيدنا وأهلا فقلت من أنتم بارك الله فيكم فقالوا نحن خلقنا الله سبحانه لك ثم مضى بى حتى أتا بى الى قصر آخر فخرج الى منه غلمان أحسن من الاولين فقالوا مرحبا وأهلا بسيدنا فقلت من أنتم بارك الله فيكم فقالوا نحن خلقنا الله لك ثم مضى بى حتى وقف بى على بيت لاأدرى أمن ياقوت هو أم من زمرذ أم من لؤلؤ فخرج الى منه غلمان متشمرين أنسونى الذين كانوا من قبلهم فقالوا مرحبا وأهلا وسهلا بسيدنا فقلت من أنتم فقالوا نحن خلقنا الله لك ثم مضى بى حتى وقف بى على بيت مبسوط ببساط عليه فرش مرفوعة بعضها فوق بعض ونمارق مصفوفة سماطين فادخلنى فى البيت وفيه

بابان باب عن يميني وباب عن يساري فالقيت نفسي على النمارق فقال لي أقسمت عليك الا ما ألقيت نفسك على هذه الفرش فانك قد تعبت في يومك هذا فالقيت نفسي على تلك الفرش فما وضعت جنبي على مثلها قط فبينما أنا كذلك اذ سمعت حسا من أحد ذينك البابين فنظرت فاذا بامرأة لم أر مثلها جمالا ولا مثل لباسها فاقبلت حتى وقفت على فسلمت فرددت عليها السلام فقلت من أنت بارك الله فيك قالت أنا زوجتك من الحور العين قال فضحكت فرحا بها فاقبلت تحدثني وتذكرني نساء الدنيا كأن ذلك معها في كتاب فبينما أنا كذلك اذ سمعت حسا من الباب الآخر فاذا بامرأة أحسن من الاولى فاقبلت حتى وقفت على نحو ما فعلت الاولى فاقبلت عليها وتركتني الاخرى لها فمددت يدي الى احداهما فقالت كما أنت ان ذلك لم يأن لك ان ذلك مع صلاة الظهر ثم ذهبتا عني فلذلك بكيت قال ابن حيان فوالله ما صلينا الظهر حتى مات ولحق بهما في الجنة قال أبو نعيم في الحلية ومن الاولياء الديلي المأثور قال الوليد بن مسلم غزا المسلمون غزوة فيهم الديلي رحمه الله فاسرته الروم فصلبوه على الدقل يعني صاري المركب فلما رآه المسلمون مصلوبا حملوا على الروم حملة وأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فانزلوه من الدقل فقال اغطوني ماء أصبه علي قالوا لم تصب عليك الماء قال نعست نعسة فرأيت نفسي كأني على نهر فيه وصائف فمددت يدي الى واحدة منهن فاقتلعتها فاصابتني جنابة وذكر الجوزي في الصفوة قال قال عبد الرحمن بن زيد حرضت الناس على الغزو فقرأ القارئ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فقام غلام له تقدير خمس عشرة سنة وقد مات أبوه وورث منه مالا كثيرا فقال ياعبد الرحمن اني أشهدك اني قد بعت نفسي ومالي بان لي الجنة وأخذ من جميع ماله فرسا ورمحا وآلة حرب ونفقة الغزو وتصدق بالباقي وخرج يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا فلما وصلنا الى بلاد الروم أقبل يوما يقول واشوقاه الى العيناء المرضية فقلنا ما الخبر فقال رأيت في المنام كأني في روضة فيها نهر من ماء واذا على شاطئ النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا يقدر قدره فلما رأيتني استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية وقلن نحن خدمها امض امامك فاذا نهر جار من عسل مصفى وحواليه من النور ما أنساني ما خلفي وهنالك جوار فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن ياولي الله نحن خدمها تقدم أمامك فتقدمت فرفعت لي خيمة من درة مجوفة وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أحسن وصفه فلما رأتني استبشرت ونادت أيتها العيناء المرضية هذا بعلك فدخلت عليها وهي على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فقالت لي مرحبا ياولي الله قد دنا قدومك علينا فدنوت منها فقالت مهلا فان فيك روح الحياة والليلة تفطر عندنا ان شاء الله ثم انتبهت قال عبد الرحمن بن زيد فما فرغ من كلامه حتى أقبلت الينا سرية من العدو فحملنا عليها فقتل الغلام منهم تسعة ثم قتل فخررت به وهو يضحك الى ان خرجت روحه اللهم من علينا بخير الدارين بلا محنة بفضلك كما يليق بفضلك والزيادة من فضلك كما يليق بفضلك في عافية بلا محنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ياأخي تأمل حال القوم فان كنت تحب ان تنال من خير ما نالوا فاسلك سبيلهم واياك ان تتمنى اللحوق بالابرار وأنت تتخلق باخلاق الفجار

تبغي اللحوق بلا زاد تقدمه * ان الخفين لما شمروا وصلوا
لا تركنن الى الدنيا وزخرفها * فانت عن عاجل الدنيا ستنتقل
أصبحت ترجو غدا يأتي وبعدغد * ورب ذي أمل قد خانه الامل
عش ما اشتهيت أليس الموت آخرما * ترجو ولابد أن يأتي لك الاجل

هذا شبابك قد زالت بشاشته * ما بعد شيبك لا لهو ولا جذل
ضيعت عمرك فيما لا بقاء له * وفي انتهاز المنايا للفتى شغل
كم قد مضى سلف في اثره خلف * وكم غدت دول في اثرها دول
قضوا لبانتهم حتى اذا انقرضوا * لم يبق الا حديث سار أو مثل
ماذا التعلل بالدنيا وقد نشرت * لاهلها صحفا في طيها علل
شرورها دائم بنيانها خرب * وأمنها عارض يعتاده وجل
لا تستقيم على حال لطالبها * ولا لحادثها ان صارمت مهل
فاندب حياتك يا رهن الممات فقد * بدا بفوديك شيب تحته الوجل

قال أبو نعيم في حليته قال عبد الواحد بن زيد كنا في غزاة لنا فنزلنا منزلا فنام أصحابي وقمت اقرأ حزبي فجعلت عيناي تغالباني وأغالبهما حتى استتممت حزبي ثم قلت في نفسي لو نمت كما نام أصحابي كان أروح لبدني فاذا أصبحت قرأت حزبي قال ثم نمت فرأيت في منامي شابا جميلا بيده ورقة بيضاء كأنها الفضة فقلت يا فتى ما هذه الورقة قال فدفعها الي فاذا فيها مكتوب

ينام من شاء على غفلة * والنوم كالموت لا تتكل
تقطع الاعمال فيه كما * تقطع الدنيا عن المنتقل

قال وكان عبد الواحد يردد هذا الكلام كثيرا ويبكي وقال عبد الواحد الاجابة مقرونة بالاخلاص لا فرقة بينهما قال مسمع بن عاصم قال لي عبد الرحمن بن زيد من نوى الصبر على طاعة الله صبره الله عليها وقواه لها ومن عزم على الصبر عن معاصي الله أعانه الله على ذلك وعصمه منها وقال يا أبا يسار أتراك تصبر فيخيب مولاك صبرك لقد ساء ظنك بمولاك قال أبو عبد الله محمد بن مالك الانطاكي في رسالته حدثني علي المصري قال كنت ببلاد الروم فصحبنا رجل لا يأكل ولا يشرب فقلت له ما رأيتك تأكل شيأ من القوت وانما الناس يقيمون اليوم واليومين والثلاثة أو سبعة أيام وأنت لك اخذ عشرة يوما ما أكلت ولا شربت قال اذا دنا فراقي منكم حدثتكم بحديثي فلما سرنا الى سد الحوارث قلت له حدثنا ما وعدتنا قال نعم كنت مع جماعة في غزوة نحوا من أربعمائة رجل فخرج علينا العدو فاصابنا كلنا وجرحت أنا فكنت بين القتلى فلما كان وقت غروب الشمس حسست برائحة لينة في الهواء ففتحت عيني فاذا أنا بحوار عليهن ثياب ما رأيت مثلهن وفي أيديهن كاسات يصبون منها في أفواه القتلى فغمضت عيني حتى وصلن الي فقالت واحدة منهن صبوا في حلق هذا واعجلوا قبل أن تغلق أبواب السماء فنبقى في الارض فقالت احداهن أنسقيه وفيه رمق قالت الاخرى لا بأس عليه يا أختي فصبت في حلقي فانا منذ شربت ذلك الشراب لا أحتاج الى طعام ولا الى شراب وذكر الفقيه شاكر بن مسلم عن ابن حبيب عن ابن الماجشون عن أبيه عن الدراوردي ان رجلا من أهل الشام كان قائما في اندرله يعالجه ومعه زوجته وكان لهما ابن صالح كان مات شهيدا قبل ذلك بقريب فنظر الرجل الى ناحية غير بعيد فرأى فارسا مقبلا نحوه فقال لامرأته ألا تنظرين الى هذا الفارس ما أشبهه بابننا فلان فقالت له يرحمك الله اخز الشيطان وكيف يكون ذلك وابنك قد مات فاقبل الرجل على شغله فما لبث ان وقف عليهما وسلم عليهما فنظرا اليه وردا عليه السلام فتأملاه فاذا هو ابنهما فقاما اليه خجلين من الفزع باهتين من السرور متعجبين من الامر فقال لهما مكانكما لست لكما واستما لي ولا جئت اليكما وانما جئت الى غيركما فمررت على طريقكما فزرتكما وذلك ان عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين مات

فاستأذن الشهداء ربهم سبحانه فى حضور جنازته فاذن لهم وأنا منهم ثم جعل يسئلهما عن حالهما ويعظهما ويعدهما من الله بجميل ثم دعا لهما وسلم عليهما فبذلك عرف أهل تلك البلد موت عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

﴿ باب ماجاء ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه ﴾

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه و روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه و روى مسلم عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من ينح عليه فانه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة وروى مسلم من حديث أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب قال القرطبى قال بعض العلماء أو أكثرهم وانما يعذب الميت ببكاء الحى عليه اذا كان البكاء من سنة الميت أو اختياره أو أوصى به قال القرطبى وقد روى مايدل على ان الميت يصيبه عذاب ماوان لم يكن من سنته ولامن اختياره ولا ماأوصى به وقد روى أبو هدبة قال حدثنا أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العبد الميت اذا وضع فى قبره وأقعد قال يقول أهله واسيداه واشريفاه وا أميراه قال يقول الملك اسمع مايقولون أنت كنت سيدا أنت كنت أميرا أنت كنت شريفا قال يقول الميت ياليتهم يسكتون قال فيضغط ضغطة تختلف فيها أضلاعه ومن حديث قيلة بنت مخرمة انها بكت على ولدها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيغلب أحيدكم ان يصاحب صويحبة فى الدنيا معروفا فاذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه استرجع ثم قال اللهم آسنى فيما أمضيت وأعنى على ماأبقيت فوالذى نفس محمد بيده ان أحيدكم ليبكى فيستعبر له صويحبه ياعباد الله لاتعذبوا موتاكم رواه ابن أبى خيثمة وأبو بكر بن أبى شيبة وغيرهما وهو حديث معروف وفى الباب أحاديث تدل على هذا المعنى تركناها طلبا للاختصار (قلت) فينبغى لمن يخاف أن يبكى عليه أن ينهى أولياءه عن البكاء عليه ليسلم من هذا العذاب كما فعل عمر رضى الله عنه ففى صحيح مسلم لما أصيب عمر رضى الله عنه جاء صهيب وهو يقول وا أخاه واصاحباه فقال عمر ألم تعلم أولم تسمع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه وفى رواية ياصهيب أتبكى على وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث قال الشيخ أبو محمد عبد الحق ان الميت يتأذى ببكاء أهله عليه كما تقدم وربما تأذى كذلك ببكاء غير أهله ويروى عن أبى بكر بن الجباد قال حدثتنى عائشة الاندلسية وكانت من الصالحات قالت توفى لى ولد بمصر فقدمت القيروان فكنت أخرج الى المقابر فى باب سلم فاجلس عند قبر وأبكى فرأيت ذات ليلة كأنى خرجت الى باب سلم على عادتى واذا أهل القبور قعود على أفنية قبورهم الرجال والنساء والصبيان فلما أقبلت الى الموضع الذى كنت أبكى عنده سمعت أهل القبور يقولون قد جاءت هذه المرأة الها عندنا قبر تبكى عليه قالوا لا قالوا فلم تؤذينا ببكائها قالت ثم لطمنى منهم ميت فى خدى الايمن قالت فقلت لهم أتلطمون خدى وقد مسست به الركن والحجر الاسود فقالوا لى قبرك بمصر وتؤذينا أنت ههنا قالت فانتبهت وأثر اللطمة فى خدى قال أبو بكر فكشفت لى عن خدها فرأيت أثر سواد أقام نحوا من أربعين يوما ثم تقشر فذهب

﴿ باب ذكر منامات رئيت لبعض الصالحين تدل على ماهم فيه من الخير ﴾

قال صالح بن بشر رأيت عطاء السلمى فى النوم بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا فقال أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت فى أى الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال أبو نعيم فى الحلية قال عبد العزيز بن محمد رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول من يحضر من يحضر فأتيته فقال ماتريد قلت سمعتك تقول من يحضر من يحضر فاتيتك أسألك عن معنى كلامك فقال لى أما ترى القائم الذى يخطب للناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الاولياء فادرك فلعلك تلحق وتسمع كلامه قال فاتيته واذا الناس حوله وهو يقول

ماناله عبد من الرحمن منزلة * أعلى من الشوق وان الشوق محمود

قال ثم سلم ونزل فقلت لرجل الى جنبى من هذا قال أما تعرفه هذا داود الطائى فعجبت فى منامى منه فقال أتعجب مما رأيت والله لما داود عند الله من الزلفى أكثر من هذا وأكثر ولما مات سفيان الثورى رئى فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال وضعت أول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة وقال مضر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قدمت قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وعن قبيصة ابن سفيان قال رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته فقلت له مافعل الله بك فقال لى

نظرت الحبر بى عيانا فقال لى * هنيئا رضاى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا * بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر تريده * وزرنى فانى منك غير بعيد

وعن أبى عيينة قال رأيت سفيان الثورى وقد مات كأنه يطير فى الجنة من شجرة الى نخلة ومن نخلة الى شجرة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون قيل له بم أدخلت الجنة قال بالروع والورع قيل له فما فعل على بن عاصم قال مارأه الا مثل الكوكب وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين جليلين وكانا من ثقاة المحدثين وحفاظهم قال أبو أحمد اليزيدى فرأيتهما فى النوم وكنت الى شعبة أميل منى الى مسعر فقلت له ياأبا بسطام مفعل الله بك فقال وفقك الله يابنى احفظ ماأقول ثم أنشأ يقول

حبانى الهى فى الجنان بقبة * لها ألف باب من لجين وجوهرا
وقال لى الجبار ياشعبة الذى * تبحر فى جمع العلوم واكثرا
تمتع بقربى انى عنك ذو رضى * وعن عبدى القوام فى الليل مسعرا
كفى مسعرا عزا بان سيزورنى * وأكشف عن وجهى ويدنو لينظرا
وهذا فعالى بالذين تنسكوا * ولم يألفوا فى سالف الدهر منكرا

قال أبو نعيم فى الحلية قال ابن السماك رأيت مسعرا فى المنام فقلت ألست قدمت قال بلى قلت فاى العمل وجدت أنفع قال ذكر الله وروى أبو نعيم عن سفيان بن عيينة عن مسعر انه قال ان الجنة والنار لتنتظر السمع من بنى آدم فاذا قال العبد اللهم انى أسألك الجنة قالت الجنة اللهم بلغه واذا قال اللهم انى أعوذ بك من النار قالت النار اللهم أعذه فاذا لم يذكرهما قالت الملائكة أغفل

العظيمين وقال أبو جعفر السقاء رأيت بشر بن الحارث فى النوم بعد موته فقلت له أبا نصر مافعل الله بك فقال ألطفنى ورحمنى وقال لى يابشر لو سجدت لى فى الدنيا على الجمر ماأديت شكر ماحشوت قلوب عبادى منك وأباح لى نصف الجنة فاسرح فيها حيث شئت ووعدنى أن يغفر لمن حضر جنازتى فقلت مافعل أبو نصر التمار قال ذاك فوق الناس لصبره على بنيانه وفقره قال عبد الحق لعله أراد بقوله أباح لى نصف الجنة يريد نصف نعيم الجنة لان نعيم الجنة نصفان نصف روحانى ونصف جسمانى فيتنعمون أولا بالروحانى فاذا ردت الارواح الى الاجسام أضيف لهم النعيم الجسمانى الى الروحانى والله سبحانه أعلم بما أراد (قلت) وهذا تأويل حسن ويؤيده ماذكره صاحب عنوان الدراية قال أخبرنى بعض الاصحاب ان بعض الطلبة وقع بينهم نزاع فى فهم بعض الاحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة فتردد الكلام بينهم فى ان مؤمنين اذا ماتا استحقا الجنة وبقى الناس أجمع دون شئ فسار وا الى مجلس الشيخ أبى مدين رضى الله عنه ليطلعوا على ماعنده فى المسئلة فلما استقر بهم الجلوس فى مجلسه وكان حديثه فى ذلك المجلس على رسالة القريشى رحمه الله تعالى فترك كلامه الذى كان يتحدث فيه وقال نزيل الاشكال عن أصحابنا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة أراد صلى الله عليه وسلم نصف جنته لان كل مؤمن له جنة تخصه ومكان يستحقه فاذامات أعطى نصف جنته واذا كان بعد الحشر يعطى النصف الثانى من جنته فبعد البعث تكمل له جنته وفى القبر يعطى نصف جنته وبين انه ينكشف له فى القبر عن مقعده من الجنة وانه يتنعم برؤيته وان أرواح المؤمنين تسرح فى الجنة وفى يوم القيامة تتصل الارواح بالاجساد ويجتمع الجميع فى الجنة قال صاحب عنوان الدراية وفى هذا من العلم مالا ينتهى الى حقيقته الا أهل الصفاء وخاصة الاولياء جعلنا الله سبحانه منهم بمنه وسعة جوده قال وهذه احدى كرامات أبى مدين رضى الله تعالى عنه حيث أخبرهم بما أتوا اليه قبل أن يخبروه قال أبو محمد عبد الحق كان من دعاء بعض الصالحين اللهم ياسيدى حبست من شئت عن خدمتك وأطلقت لها من أحببت من خلقك غير ظالم ولا مسؤل عن فعلك وقد تقدمت لى فيك آمال فلا تجمع على المنع من الطاعة مع خيبة الامل فيك يا كريم وكان هذا خاتمة دعائه فلما مات رئى فى المنام فى الجنة فقيل له بم نلت هذا قال بذلك التضرع والاستكانة بالاسحار قال ورئى عليه حلة قال الرائى مارأيت لها شبيها وعليها مكتوب بالذهب انعم فقد نلت الامل انعم فقد نلت الامل فقلت له ماهذا الكتاب على ثيابك قال هذا خاتمة تضرعى وأملى الذى كنت آمله من سيدى وقال بعض الصالحين رأيت أبا بكر الشبلى واذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان فسلمت عليه وقلت ياسيدى من أقرب أصحابك اليك فقال مسرعا الهجهم بذكر الله واقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة الى أمر الله وقال أبو عبد الرحمن الساحلى رأيت ميسرة بن مسلم فى المنام بعد موته فقلت له أصلحك الله طالت غيبتك فقال السفر طويل قلت فما الذى قدمت عليه فقال رخص لنا لانا كنا نفتى بالرخص قلت فما تأمرنى به فقال اتباع الآثار وصحبة الاخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار ويروى عن أبى جعفر الضرير قال رأيت عيسى بن زادان فى النوم بعد موته فقلت مافعل الله بك فانشأ يقول

لو رأيت الحسان فى الخلد حولى * وأكاويب معهم للشراب
يترنمن بالقرآن جميعا * يتمشين مسبلات الثياب

وروى عن عبد الكريم صاحب داود الطائى انه قال لما مات داود الطائى خرجت أعلم الناس

فاذا هم يجيئون فقلت أين تريدون قالوا مات داود الطائى سمعنا مناديا ينادى الا ان داود قد مات فمن شهد جنازته وصلى عليه دخل الجنة قال فرأيته فى المنام وكأنى دخلت الجنة فاذا الجوارى على أبواب القصور فقلت ما حالكن فقلن ننتظر عبدا من عبيد الله يركب الى الله يزوره فوقفت فاذا بموكب من الملائكة فقلت أى شئ هؤلاء فقالوا مقدمة ثم أقبل موكب خدم يتدافعون فقالوا هؤلاء مقدمة وهم نحو المائة ألف خادم ثم أقبل غلمان فى أوساطهم مناطق كأنهم الياقوت والمرجان فقلت ماهؤلاء قالوا مقدمة قدر عشرين ألفا ثم أقبل جوار فى أرجلهن نعال الدر وعلى رؤسهن تيجان مرصعة بالدر قلت ماهؤلاء قلن مقدمة وهم نحو ثلاثمائة ألف فقلت ركب صاحبكم قالوا الساعة ركب فاذا هو قد أقبل فى قبة من الدر على نجيب من الكافور وحواليه جوار وغلمان على خيل لايعلم عددها الا الله تعالى فكشفت الريح بعض الستور فاذا داود على كرسى على رأسه أربعون ألف جارية وهو يقول الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قلت داود قال لبيك قلت ادع الله أن يلحقنى بك قال ماحان لك ولكن احفظ عنى ثلاثا ولا تبالى متى لقيت الله تعالى قلت صف لى قال اقطع مفاوز الدنيا بالاحزان وداو قروح باطنك بمراهم الجوع وآثر حب الله على هواك ولا تبالى متى تلقاه ورئى حماد بن سلمة فى المنوم فقيل له مافعل الله بك فقال قال لى طالما كددت نفسك فى الدنيا فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين وقال أبو محمد بن البادا الفقيه رحمه الله تعالى رأيت ربيعا القطان فى المنام فقلت مافعل الله بك فقال فى الجنة فقلت وكيف حالكم فيها فقال تارة نتزخرف لنا الجنان وتارة تشرف علينا الحور العين وتارة تصطك لنا الحجب وقال بعض الصالحين كان لى ولد فاستشهد فرأيته فى المنوم ليلة مات عمر بن عبد العزيز فقلت له يابنى ألست ميتا قال لا ولكنى حى أرزق فقلت وما جاء بك فقال نودى فى أهل السماء لايبقى نبى ولا صديق ولاشهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فحضرت ثم جئت لاسلم عليكم وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن وهب قال رأى رجل سهل بن على فى المنام فقال له مافعل بك ربك قال نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك قلت ماتلك الكلمة قال قول الرجل يارب عفوك عفوك وقال نوفل رأيت ابن المبارك فى المنوم فقلت مافعل بك ربك قال غفر لى برحلتى فى الحديث عليك بالقرآن قلت فما فعل سفيان الثورى قال ذاك عندهم فى مكان رفيع قلت فأين أنت اليوم قال فى روضة دهماء وقال محمد بن فضيل بن عياض رأيت بن المبارك فى المنوم فقلت له يا أبا عبد الرحمن ماصنع بك ربك قال غفر لى مغفرة بعد مغفرة قلت له بأى شئ قال بتلاوة القرآن وأشار بيده نحو الثغر يريد الغزو ومن انشاد ابن المبارك قوله

هلا اقتديتم بسفيان ومسعركم * وبابن مغول اذ يجمعهم الورع
وبالتقى أخى طيء فرابعهم * زين البلاد جميعا خيرة فرع
مثل القداح تراهم فى تهجدهم * سهر العيون فلا غمض ولا هجع
حلس البيوت جثوما فى منازلهم * الا النوائب تزعجهم أو الجمع
خمص البطون مع الاكباد جائعة * لايطعمون حراما انهم فزعوا
للناس هم وهم القوم أنفسهم * عند الحساب حصاد القوم ماز رعوا

﴿فصل﴾ قال التادلى فى كتاب التشوف ومنهم أبو عبد الحليم يعقوب بن هرون الصدينى من بلد تادلا كبير الشأن من أهل العلم والعمل له كرامات مات عام تسعة وخمسين وخمسمائة حدثنى موسى بن يوسف تلميذ أبى عبد الحليم قال لما مات أبو عبد الحليم حضر جنازته قوم جاؤا من مواضع

بعتيدة لا أدرى منى علموا بموته فلما اشتوت الصفوف للتكبير سمعوا تكبيرا هالهم وتجاوبت به الاصوات قبل أن يكبر الناس فما شك الحاضرون انه تكبير بعض خلق الله سبحانه من غير الناس الحاضرين جنازته فيقال انه تكبير الملائكة الذين صلوا عليه قال التادلى كان أبو ابراهيم المراكشى من الافراد أخبر أبو ابراهيم أنه رأى رب العزة سبحانه فى النوم فقال له ياإسحق أنا آخذ بيدة السخى كلما عثر يقولها ثلاث مرات فلما أصبح أبو ابراهيم تصدق بجميع ماله وأعتق مماليكه وكان يتفقد الصبيان فى مكاتبهم فيسئل عن الايتام وأولاد الفقراء فيكسوهم ويشترى لهم الطرف فى أول ابانها فيفرقها عليهم وكان يجرد أولادة من اللباس ويكسوها أولاد الفقراء وكان شديد الصفرة من كثرة الصوم والعبادة فكان اذا صلى الصبح خرج الى دكانه يبيع فاذا أخذ مايكفيه ويكفى أصحابه تفرغ باقى يومه للعبادة وكان له اخوان يتفقدهم ويجرى عليهم مايكفيهم حدثنى غير واحد من الثقاة قالوا حدثنا أبو عبدالله بن تميم أنه تكلم مع ابراهيم فى شأن القبلة وقد شرق أبو ابراهيم فقال له أبو ابراهيم لى منذ كذا وكذا سنة ما أكبر الا وأنا أعاين الكعبة وسمعت أبا عبدالله بن تميم يقول لما مات أبو ابراهيم حملنا نعشه فى الغلس فخرجنا من باب الدباغين فأبصرت النعش فوق أيدى حامليه وكلهم يظن انه كفاه غيره ورفعة عنه وقال محمد بن تميم لما رفع نعش أبى ابراهيم سمعت هاتفا يقول ارفعوا من رفعة الله وحدث موسى بن عبد الله الخلاص قال رأيت أبا ابراهيم بعد موته فسألت عن حاله فقال أما رأيتم حين كنتم تغسلونى اسرافيل واقفا فى مكان كذا من الدار وقال محمد بن تميم حدثنى موسى بن عبد الله قال رأيت أبا ابراهيم بعد موته فى النوم فقلت له ياأبا ابراهيم لو رأيت احتفال الناس بجنازتك فانها حضرها خلق كثير فقال لى لو رأيت احتفالها فى الآخرة لرأيت أمرا عظيما حضرها جبريل واسرافيل عليهما السلام ومد صوته باسرافيل حتى انتبهت من نومى قال محمد بن تميم وأخبرنى امرأة حضرت جنازة أبى ابراهيم قالت لما اصطف الناس للصلاة عليه رأيت النخلات التى ببحيرة الرقائق تأخرت حتى صارت خلف الجنازة فلما سلم الامام رأيتها قد عادت الى مواضعها (قلت) وكرامات الاولياء وما شوهد لهم من العجائب فكثيرة لايحيط بها ديوان قال الشيخ عبد الحق وقد شوهد من جنائز الصالحين من تشيعها الطير وتسير معها حيث سارت حدث بذلك الثقات ذكر أبو الحسن بن جهضم رحمه الله فى كتابه قال حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر بسنده عن محمد بن زبان المصرى قال لما مات أبو الفيض ذو النون المصرى رضى الله عنه بالجيزة وحمل فى قارب مخافة أن تنقطع الجسور من كثرة من يشيع جنازته من الناس وكنت قائما مع الناس على كوم أنظر فلما أخرج من القارب ووضع على الجنازة يعنى النعش وحمله الرجال على أعناقهم رأيت طيرا خضرا قد اكتنفت الجنازة ترفرف عليها حتى غاب عنى فحدثت بذلك خالى الحسن ابن يحيى فقال قد والله رأيت مثل هذه الطيور على جنازة أبى ابراهيم المزنى صاحب الشافعى وذكر مرثية رثاه بها فقال

ورأيت أعجب مارأيت ولم أكن * من قبل ذاك رأيته لمشيع
طيرا ترفرف نعشه وتحفه * حتى توارى فى حجاب المضجع
ثم احتجبن عن العيون ولم أحط * علما بكنه مصيره فى المرجع
وأظنها رسل الاله تنزلت * والله أعلم بالحقيقة فاسمع

ولما مات سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه انكب الناس على جنازته وحضرها من الخلق مالا يعلمه الا الله عز وجل وكانت فى البلد ضجة فسمع بها يهودى شيخ كبير فخرج فلما رأى الجنازة

صاح قال هل ترون ما أرى قالوا وما ترى قال أرى أقواما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ثم أسلم فحسن اسلامه قال الشيخ عبد الحق وقد شوهد رجال من المسلمين علماء صالحون كثر الثناء عليهم وصرفت القلوب اليهم فى حياتهم وبعد مماتهم ومنهم من كثر المشيعون لجنازته وكثر الحاملون لها وربما كثر الله الخلق بما شاء من الملائكة والجن المؤمنين وغيرهم مما شاء فيكونون فى صور الناس حدث قاسم بن أصبغ بسنده عن محمد بن يزيد الرفاعى قال مات عمرو بن قيس الملائى بناحية فارس فاجتمع بجنازته من الخلق مالا يحصى فلما دفن نظروا فلم يروا أحدا قال الرافعى سمعت هذا ممن لا أحصى كثرة وكان سفيان الثورى يتبرك بالنظر الى عمرو بن قيس هذا

﴿ باب ماقيل فى القبور ﴾

قال الغزالى فى الاحياء قيل لعلى رضى الله عنه ماشأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقيل ان عمرو بن العاصى رضى الله عنه نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه قال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه من العمل فأحببت ان أتقرب الى الله بهما وقال أبو زيد بن نعامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرآها أبوها فى النوم فقال لها يابنية اخبرينى عن الآخرة قالت ياأبت قدمت على أمر عظيم نعلم ولانعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان خير الى من الدنيا وما فيها قال بعض المشايخ رأيت متمما الدورقى فى المنام فقلت ياسيدى مافعل الله عز وجل بك فقال أدخلنى فى الجنان فقال يامتمم هل استحسنت منها شيأ فقلت لاياسيدى فقال لو استحسنت منها شيأ لو كلتك اليه ولم أوصلك الى (قلت) مقام هذا الرجل مقام عالى مقامه مقام الفناء انما فرحه وسروره شرفه بمولاه وسئل زرارة بن أوفى فى المنام أى الاعمال أفضل عندكم قال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعى فى المنام فقلت ياأبا عمرو دلنى على عمل أتقرب به الى الله تعالى قال مارأيت هنالك درجة أفضل من درجة العلماء ثم درجة الحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكى حتى أظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخى فى المنام فقلت ياأخى مافعل الله بك فقال له كل ذنب استغفرت منه غفر لى ومالم أستغفر منه لم يغفر لى وقال على الطلحى رأيت فى المنام امرأة لاتشبه النساء فقلت لها من أنت فقالت حوراء فقلت زوجينى نفسك فقالت اخطبنى الى سيدى ومهرنى قلت ومامهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وروى عن أحمد بن أبى الحوارى انه قال دخلت على أبى سليمان الدارانى وهو يبكى فقلت له مايبكيك فقال ياأحمد بينما أنا نائم البارحة أتانى من أسمع صوته ولم أر شخصه فقال لى ياأبا سليمان القوم فى السير وأنت نائم غدا تدركك حسرة هذه النومة فان لك فى القيامة مكثا طويلا أما علمت ان هذه دار غموم وأحزان كفلك بذكر الله شغلا وسرورا وبذكر الآخرة حزنا وغموما ياأبا سليمان تنام والخدام قد نصبوا بين يدى مليكهم الاقدام وأبكى أعينهم والناس نيام فهم جيرانه فى دار السلام قال فانتبهت فزعا مذعورا وقمت الى الصلاة حتى اذا كان السحر ذهب بى النوم فى سجودى فرأيت جارية وقعت على كأنها القمر المستنير وعليها ثياب كأنها قطعة من نور فبقيت متعجبا من حسنها وحسن ثيابها فقالت لى تنام ياسرور قلبى أما علمت انى زوجتك أينام عاقل عن مثلى قم فان صلاتك نور وربك مشكور ونحن سكان القصور زوجنا ربنا من أقوام كرام الناس نيام وخطابنا قيام والناس يأكلون ويشربون وخطابنا صيام واجتماعنا فى دار السلام ثم صاحت ومرت فى الهواء فقال أبو سليمان

سبحان من يعظ عبده فى نومة ويقظته وقال أحمد بن أبى الحوارى رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت أحسن منها وكان وجهها تلألأ نورا فقلت مم ذا ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التى بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهى فمن ثم أضاء وجهى كما ترى قال القرطبى فى تذكرته قال مطر القارئ غلبنى النوم ليلة فنمت عن حزبى فرأيت فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستنير ومعها رق فقالت أتقرأ أيها الشيخ قلت نعم قالت اقرأ هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه مكتوب فوالله ماذكرته قط الا وذهب عنى النوم

ألهتك اللذائذ والامانى * عن الفردوس والظل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش * مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقرآن

وقال مالك بن دينار كانت لى أجزاء أقرأها كل ليلة فنمت ذات ليلة فاذا أنا فى المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة فقالت أتحسن تقرأ فقلت نعم ودفعت الى الرقعة فاذا فيها مكتوب هذه الابيات

لهاك النوم عن طلب الامانى * وعن تلك الاوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيها * وتلهو فى الخيام مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقرآن

وروى عن يحيى بن عيسى السعدى وكان قد بكى شوقا الى الله ستين عاما قال رأيت كأن صفة نهر يجرى بالمسك الاذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب واذا بجوار من بنات يقلن بصوت واحد سبحان المسبح بكل لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم فى كل زمان سبحانه سبحانه قال قلت من أنتن قال قلن خلق من خلق الله سبحانه قلت ماتصنعن ههنا فقلن

برانا اله الناس رب محمد * لقوم على الاقدام بالليل قوم
يناجون رب العالمين الههم * وتسرى هموم القوم والناس نوم

فقلت بخ بخ لهؤلاء من هؤلاء لقد أقر الله أعينهم فقلن أما تعرفهم فقلت والله ما أعرفهم قلن هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب أنسهم وذكر القشيرى فى تحبيره عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال نمت ليلة فجاءتنى واحدة من الحور العين فركضتنى برجلها وقالت لى أتنام وأنا لك فقلت لانامت عينى بعدها فضحكت فخرج من فيها نور أضاء محرابى ومصلاى من نور وجهها فقلت لها من أين لك هذا الحسن فقالت أتذكر الليلة الفلانية وكانت ليلة باردة وقمت وتوضأت وصليت ثم دعوت وبكيت فأخذت من دموعك دمعة وحملت الىّ ومسحت بها وجهى فضياء وجهى من تلك الدمعة ورأيت فى بعض كتب التذكير مانصه يروى أن رجلا قد نذر أن لايتزوج حتى يستشهد فى سبيل الله فيزوجه الله من الحور العين قال فطال عليه انتظار الشهادة حتى خرج غازيا مرة فحدث نفسه فى خروجه ان هو رجع من غزوته تزوج قال فلما قربوا من العدو أخذته عيناه فنام فبينما هو نائم اذ أتاه ملك فقال له أنت القائل ان رجعت من سفرى تزوجت قم قد زوجك الله من العيناء قال فانطلق بى الى روضة خضراء لم ير الراؤن قط مثلها فيها عشر جوار كل واحدة منهن لاتشبه أخرى زينة فقلت لهن أفيكن العيناء قلن لانحن خدمها وهى أمامك قال فانطلقت فاذا أنا بروضة أعظم من الاولى وأحسن منها فيها عشرون جارية بيد كل جارية منهن صنعة تصنعها ليس كالعشرة الاولى فقلت لهن أفيكن العيناء قلن لانحن خدمها

هى أمامك فاذا أنا بروضة أحسن من الاولى والثانية وفيها أربعون جارية بيد كل جارية منهن صنعة تصنعها ليس كالاولى فى الحسن والجمال فقلت لهن أفيكن العيناء قلن لانحن خدمها هى أمامك فانطلقت فاذا أنا بقبة من ياقوتة مجوفة فيها سرير عليه جارية لو أخرجت معصمها لافتتن بها أهل المشرق والمغرب فقلت أنت العيناء قالت نعم مرحبا بك ياولى الله قال فذهبت لاضع يدى عليها لما رأيت من الحسن والجمال فقالت مهلا عليك فان فيك الروح ولكن عندنا تفطر الليلة ان شاء الله ﴿قال الراوى﴾ الحديث فاستيقظ الرجل من نومه فوجد القتال قد اصطف وكانت الشمس دنت للغروب فما نظرت الى الشمس حتى التفت والرجل قد قتل فوصل الى العيناء فى ليلته وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا المحل بسياق قريب من هذا قال الغزالى فى الاحياء قال محمد بن مغاذ بن جبل حدثتنى امرأة من المتعبدات قالت رأيت فى منامى كأنى دخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ماشأن أهل الجنة قيام فقيل لى خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التى زخرف الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة قالوا أمة سوداء من أهل الايلة يقال لها شعوانة قالت فقلت أختى والله قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيب يطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديتها يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فالحقنى بك قالت فنظرت الى وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنين الزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى مت قال أبو قلابة أقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بالليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت فاذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ثم قال انكم لاتعلمون وتقدرون على العمل ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزا الله عنا أهل الدنيا خيرا اقرأهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نورا مثال الجبال قلت وفى ضمن هذا الكلام حض على العمل فاعمل رحمك الله ماوجدت الى العمل سبيلا وأحسن ظنك بمولاك الكريم سبحانه مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقد روى أبو نعيم فى حليته عن أبى كبشة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا وسددوا فان الله تعالى لايعبأ بعذابكم شيأ وسيأتى قوم لايدفعون عن أنفسهم بشئ قال الغزالى اعلم أن فى النظر الى الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير ماعدا أهل الغفلة فانهم لايزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون أنهم أبدا الى جنائز غيرهم ينظرون ولايحسبون أنهم لامحالة على النعش يحملون وحق على العبد أن لاينظر الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها لانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله فى غد أوبعد غد وبالجملة فكل آت قريب قال مالك بن دينار مررت بالقبور فانشأت أقول

أتيت القبور فنادیتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانه * وأين العزيز اذا ماقدر
وأين الملبا اذا ما دعا * وأين المطاع اذا ماأمر

فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا

تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
فياسائلى عن اناس مضوا * أما لك فيما ترى معتبر
تروح وتغدو بنات الثرى * وتمحى محاسن تلك الصور

قال فرجعت وأنا أبكى وأعلم وأتحقق أنه لوعرض على الموتى يوم واحد من أيام عمرك الذى أنت مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم قد عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الاحوال وانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر له تقصيره فيتخلص به من العقاب ويستزيد الموفق به رتبة فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة أوعلى أكثر منها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لى فى الله فيما يرى النائم فقلت له يافلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لى لان أقدر على أن أقولها أحب الىّ من الدنيا وما فيها ثم قال ألم ترحيث كانوا يدفنونى فان فلانا قام فصلى ركعتين لان أكون أقدر على أن أصليهما أحب الىّ من الدنيا ومافيها

﴿ باب ماجاء فى النهى عن تجصيص القبور والكتابة عليها ﴾

روى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه وخرجه الترمذى أيضا عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح قال القرطبى قال علماؤنا كره مالك تجصيص القبور لان ذلك من المباهاة وزينة الدنيا وتلك منازل الآخرة وليست بموضع للمباهات وانما يزين الميت فى قبره عمله وأنشدوا

واذا وليت أمور قوم ليلة * فاعلم بانك بعدها مسؤل
واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول
ياصاحب القبر المنقش سطحه * ولعله من تحته مغلول

(قلت) ورأيت مرويا ملمعناه ان القبر اذا جصص لاتزوره الملائكة

﴿فصل﴾ قال الغزالى والمستحب فى زيارة القبور أن يقف الزائر مستدبرا القبلة مستقبلا بوجه الميت وأن يسلم عليه ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى قلت والواجب على من رأى شيأ من المنكر أن يغيره برفق ولا يسكت خوفا من الخلق فان ذلك من ضعف الايمان وقد روى أبونعيم فى الحلية عن عبد الله بن عبد العزيز العمرى قال من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أجل مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف به

﴿ باب ماجاء فى ثواب من قدم ولدا ﴾

روى مسلم عن أبى حسان قال قلت لابى هريرة رضى الله عنه أنه مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث يطيب أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أوقال أبويه فيأخذ بثوبه أوقال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أوقال فلا ينتهى حتى يدخله الله وأباه الجنة وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى فيقولون

حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وخرج أبوداود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختلف اليه رجل من الانصار معه ابن له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أتحبه يافلان قال نعم أحبك الله كما أحبه ففقده النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عنه فقالوا يارسول الله مات ابنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أولا ترضى أن لاتأتى بابا من أبواب الجنة الاجاء يسعى حتى يفتحه لك فقالوا يارسول الله ألله وحده أم لكلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لكلكم ورواه أبو عمر فى التمهيد وقال هذا حديث ثابت صحيح وخرج أبو داود الطيالسى أيضا فى مسنده قال حدثنا هشام عن قتادة عن راشد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره الى الجنة قوله فى الحديث المتقدم صغارهم دعاميص اهل الجنة دعاميص جمع دعموص وهو دويبة تغوص فى الماء وقد قيل ان الدعموص يراد به الاذن على الملوك المتصرف بين أيديهم قال أمية بن أبى الصلت

دعموص أبواب الملوك * وجانب الخرق فاتح

قال القرطبى وهذا هو المراد بالحديث والله سبحانه أعلم وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار أو قال دخل الجنة ومعنى يبلغوا الحنث أى لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم الحنث وقد روى الترمذى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم كانوا له حصنا حصينا من النار قال أبو ذر قدمت اثنين قال واثنين فقال أبى ابن كعب قدمت واحدا قال وواحدا ولكن انما ذلك عند الصدمة الاولى قال أبو عيسى هذا حديث غريب وخرجه بن ماجه أيضا ورواه البخارى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وروى البخارى أيضا عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النساء قلن للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما فوعظهن فقال أيما امرأة توفى لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابا من النار فقالت امرأة واثنان قال واثنان وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لايموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم قال ابن بطال رحمه الله تعالى قال المهلب هذه الاحاديث تدل على أن أولاد المسلمين فى الجنة وهو قول جمهور العلماء وشذ الجبرة فجعلوا الاطفال فى المشيئة وهو قول مهجور مردود بالسنة واجماع الحجة الذين لايجوز عليهم الغلط لانه يستحيل أن يكون الله تعالى يغفر لآبائهم بفضل رحمة الابناء ولا يوجب الرحمة للابناء قال وهذا بين لااشكال فيه وقد جاء أن من مات له ولد واحد دخل الجنة قلت وهكذا قال القرطبى فى تذكرته ولفظه وفى هذا كله دليل على أن أطفال المسلمين فى الجنة لان الرحمة اذا نزلت بآبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم قال أبو عمر بن عبد البر وهذا اجماع من العلماء فى أن أطفال المسلمين فى الجنة ولم يخالف فى ذلك الا فرقة شذت من الجبرة فجعلتهم فى المشيئة وهو قول مهجور باجماع الحجة الذين لايجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط ثم أخذ أبو عمر فى تضعيف الاحاديث التى تمسكت بها الفرقة الشاذة قال الغزالى فى الاحياء وحق على من مات له ولد أوقريب من أقاربه أن ينزله فى تقدمه فى الموت منزلة مالو كان فى سفر فسبقه ولده الى البلد الذى هو مستقره وقطنه فانه لايعظم

عليه تأسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم أو تأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى أن يلحق المتأخر المتقدم واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسيما وقد ورد فى موت الولد من الثواب مايتعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقدم سقطا أحب الى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله وانما ذكر السقط ليستدل بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن أسلم توفى ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك وليخلص الاب الدعاء لولده عند الموت فانه أرجى دعاء وأقربه الى الاستجابة

﴿فصل﴾ وأما أولاد المشركين فالصحيح أنهم فى الجنة ففى صحيح البخارى فى حديث الرؤيا وأما الرجل الطويل فى الروضة فابراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيل يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وخرج البخارى أيضا فى رواية أخرى والشيخ فى أصل الشجرة ابراهيم والصبيان حوله أولاد الناس قال القرطبى وأبو عمر بن عبد البر وهذا يقتضى بعمومه جميع الناس قال القرطبى والى هذا ذهب جماعة من العلماء وهو أصح شئ فى الباب قالوا أولاد المشركين اذا ماتوا صغارا فى الجنة برحمة الله وفضله وقد روى أبو عمر فى التمهيد أن خديجة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد ما استحكم الاسلام فنزلت ولا تزر وازرة وزر أخرى قال هم على الفطرة أوقال هم فى الجنة قال القرطبى هذا حديث مرتب وهو يقضى على ماروى عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله الله أعلم بما كانوا عاملين اذ كان ذلك منه قبل أن يعلم ان أولاد المشركين فى الجنة وقبل أن ينزل عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى وروى أبو داود الطيالسى فى مسنده وأبو نعيم الحافظ ويحيى بن سلام فى تفسيره عن أنس رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المشركين فقال هم من خدم أهل الجنة وفى رواية هم خدم لاهل الجنة

﴿باب ذكر كلمات حكمية﴾

روى أبو نعيم فى الحلية عن ابراهيم بن أدهم أنه قال مررت ببعض بلاد الشام فاذا حجر عظيم مكتوب عليه نقش بين بالعربية

كل حي وان بقى * فمن الموت يستقى
فاعمل اليوم واجتهد * واحذر الموت ياشقى

قال فبينما أنا واقف أقرأه وأبكى فاذا أنا برجل أشعث أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم على فرددت عليه السلام فرأى بكائى فقال مايبكيك قلت قرأت هذا النقش فأبكانى فقال وأنت لاتتعظ وتبكى حتى توعظ ثم قال سر معى حتى أريك عبرة فمضيت معه غير بعيد فاذا بصخرة عظيمة شبيهة بالمحراب فقال اقرأ وابك ولاتعص ثم قام يصلى وتركنى واذا فى أعلاه نقش بين عربى

لاتبتغ جاها وجاهك ساقط * عند الاله وكن لجاهك مصلحا

وفى الجانب الآخر

من لم يثق بالقضا والقدر * لاقى أمورا كثيرة الضرر

وفى الجانب الآخر ما أزين التقى وما أقبح الخنا وكل مأخوذ بما جنى وعند الله الجزا

وفى أسفل المحراب

انما العز والغنى * فى تقى الله والعمل

فلما تدبرته وفهمته التفت الى صاحبى فلم أره فلا أدرى أمضى أم حجب عنى وكان ابراهيم ابن أدهم كثيرا ماينشد

لما تعد الدنيا به من شرورها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
والا فما يبكيه منها وانها * لاروح مما كان فيه وأوسع
اذا أبصر الدنيا استهل كأنما * يرى ماسيلقى من أذاها ويسمع

تأمل رحمك الله ما تقدم وما سيأتى من ذكر هذه الاحوال وما يشاهد الانسان المسكين من عظيم الاحوال فرحم الله عبدا مراقبا لربه مغتنما لوقته مشتغلا بنفسه مراعيا لخطراته ومستأنسا بخلواته مفكرا فى ذنبه معتكفا على ذكر ربه قد جعل الموت نصب عينيه قال صاحب الحكم الفارقية والحكم الحقيقية بيت بشريتك معاول الفناء تضرب قواعد بنيانه يامبتنا نشر من قبر العدم بحكم الجود والكرم لا تنس سوالف العهود والذمم اذكر عهد الايجاد وذمة الاحسان والارفاد وحال الاصدار والايراد وفاتحة المبدأ وخاتمة المعاد اشعر قلبك مهابة ربك فاليه مآلك وتأهب للقدوم عليه فقد آن ارتحالك فروض الارواح تسترجع متفرقة الى ان تستوفى الجملة شعر

أرواحنا عندنا قروض * والموت قد جد فى التقاضى
لابد من رد ما اقترضنا * كل غريم بذاك راضى *

نفوس الاغبياء الجهال غافلة عن العظمة والجلال ولاهية عن أهوال المعاد والمآل مشغولة برذائل الافعال وفضول القيل والقال والاستنباط والاحتيال لازدياد الاموال ولا يعلمون أنها فتنة ووبال وطول حساب وبلاء وبلبال اغتنموا ياذوى البصائر نعمة الامهال واطرحوا خوادع الاماني وكواذب الآمال فكأن قد فجأتكم هواجم الآجال أنت فى سكرة لذاتك وغشية شهواتك واغماء غفلاتك ومقراض الفناء يعمل فى ثوب حياتك ويفصل أجزاء عمرك جزأ جزأ فى سائر ساعاتك كل نفس من أنفاسك جزء منفصل من جملة ذاتك وبذهاب الاجزاء تذهب الجملة أنت جملة تؤخذ آحادها وأبعاضها الى أن يستوفى سائرها بضاعة عمرك فى جميع أوقاتك تسرقها سراق الساعات وتختلسها كرور الانفاس واللحظات وتنتهبها أيدى الحوادث والآفات تظنك فى حصن من طوارق القدر وهو يجرى بك فى طريق الحوادث والغير ويلحقك بمن درج ودثر معاول الساعات تعمل فى هدم سور عمرك كل نفس ثلمة وكل خطرة قحبة يدخل منها عدو الردى ولص الفناء على خزانة جوهر حياتك وأنت لاه عن ذهاب ذاتك بلذاتك المثمرة لطول حرقك وحسراتك ياغافل ببدر عمرك يكال بمكيال أنفاسك المتتابعة المتوالية ويرفع الى خزانة الجنة جبوب أعمالك الصالحة الطيبة ويلقى فى أتون الجحيم ادغال أعمالك الخبيثة السيئة حلس بأكف التفكر وأيدى التأمل عقد المألوفات قبل انحلالها بصولة قهر الممات قال أبو نعيم فى الحلية دخل سابق البربرى على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر عظنى ياسابق وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشده

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون شركته * وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

وقال ميمون بن مهران دخلت على عمر بن عبد العزيز يوما وعنده سابق وهو ينشده

فكم من صحيح بات للموت آمنا * أتته المنايا بغتة بعد ما جمع
فلم يستطع اذ جاءه الموت بغتة * فرارا ولا منه بقوته امتنع
فاصبح تبكيه النساء مقنعا * ولا يسمع الداعي اذا صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله * وفارق ما بالامس من ماله جمع
فلا يترك الموت الغنى لما له * ولا معدما في المال ذا حاجة يدع

فلم يزل عمر يبكي ويضطرب حتى غشي عليه فقمنا وانصرفنا عنه وكان عمر كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يرى مسكينا وهو للهو ماقت * به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجه غلم عن الجهل كله * وما عالم شيأ كمن هو جاهله
عبوس عن الجهال حين يراهم * فليس له منهم خدين يهازله
تذكر ما يبقى من العيش آجلا * فاشغله عن عاجل العيش آجله

﴿ باب ماجاء أن الانسان يبلى الا عجب الذنب وان الارض لاتأكل أجساد الانبياء والشهداء ﴾

روى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب يقال عجم وعجب بالميم والباء لغتان وهو جزء لطيف في أصل الصلب وقيل هو رأس العصعص كما رواه ابن أبي داود في كتاب البعث من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قيل يارسول الله وما هو قال مثل حبة خردل ومنه تنشون (قلت) وذكر الغزالي في الدرة الفاخرة أن المطر يعلو الارض أربعين ذراعا فاذا الاجسام تنبت من العصعص الذي هو عجب الذنب وهو أول مايخلق من الانسان ومنه يعود قال وفي رواية أخرى يبيد المرء كله الا عجب الذنب منه بدا واليه يعود وهو عظم على قدر الحصة له مخ وقوله منه خلق وفيه يركب أي أول مايخلق من الانسان هو ثم ان الله سبحانه يبقيه الى أن يركب الخلق منه تارة أخرى

﴿ فصل ﴾ وروى سعيد بن المسيب أن جثث الانبياء لاتبقى في الارض أكثر من أربعين يوما ثم ترفع وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه وان مات لم يدد في قبره وخرج أبو داود وابن ماجه عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال يقولون بليت فقال ان الله عز وجل حرم على الارض أجساد الانبياء هذا لفظ أبي داود وقال ابن العربي فيه حديث حسن وخرجه ابن ماجه أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي الصلاة يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء قال القرطبي فنبي الله صلى الله عليه وسلم حي يرزق ورواه أبو جعفر الطبري أيضا في تهذيب الآثار بسنده عن أبي الدرداء

رضى الله عنه قال السهيلى فى الروض الانف قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء خرجه سلمان بن الاشعث وذكر أبو جعفر الداودى هذا الحديث فى كتاب النامى بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين وهى زيادة غريبة لم تقع لنا فى مسند غير ان الداودى أبا جعفر من أهل الثقة والعلم رحمه الله تعالى وروى أبو نعيم فى حليته عن داود ابن هلال النصيبى قال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام طوبى للابرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا وأطلعونى من ضمائرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغ بهم مايرجون من رحمتى

﴿ باب فى ذكر خروج الدجال ويأجوج ومأجوج وقيام الساعة ﴾

روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننناه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وأن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له قال فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء بشرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام انى قد أخرجت عبادا لى لايدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله صلى الله عليه وسلم عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحد ثم يهبط نبى الله وأصحابه الى الارض فلا يجدون فى الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى

وأصحابه فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله فى الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينماهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة قوله عينه طافية وفى رواية ان الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية قال الامام المازرى قال الاخفش طافئة بغير همز أى ممتلئة وقد طفيت وبرزت قال عياض وهذا هو الذى صح أكثرهم وانها نابتة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها وفى رواية بالهمز وهذه صفة حبة العنب اذا طفئت وسال ماؤها والروايتان صحيحتان وحاصله ان احداهما بارزة وهى التى ككوكب الصبح والاخرى مطموسة جاحظة كأنها نخاعة فى حائط مجصص كما جاء فى الرواية وبالحقيقة كل واحدة من عينيه عوراء اذ الاعور من كل شئ المعيب لاسيما بما يختص بالعين وبهذا يجمع بين رواية أعور العين اليمنى مع رواية أعور العين اليسرى اذ كلتا عينى الدجال معيبة عوراء وقوله حلة بحاء مهملة قال الزبيدى الحلة بالحاء المهملة موضع حزن وصخور قال القرطبى فى التذكرة يروى بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة قال الهروى فبالمهملة موضع حزن وصخور وبالخاء المعجمة مابين البلدين قال الحافظ ابن دحية ورواه ابن ماهان وغيره حلة بفتح الحاء وضم اللام وكأنه يريد حلوله وفى مسند أحمد بن حنبل تخرج خيله ولا أعلم روى ذلك غيره وقد سقطت هذه اللفظة لاكثر رواة مسلم وبقى الكلام أنه خارج بين الشام والعراق وقوله ياعباد الله فاثبتوا يعنى على الاسلام يحذرهم من فتنته وذكر شاكر بن مسلم حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه فى وصف الدجال أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية أشبه مارأيت به عبد العزى بن قطن جار لنا كان بمكة كان وجهه وجه حمار قال شاكر بن مسلم ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال اذا سمعتم رجفة فامسكوا عنها وكفوا أنفسكم ولا تلتفتوا اليها فانها ستكون للدجال رجة أوقال رجفة عظيمة عند خروجه فمن التفت اليها افتتن بها وبين عينيه فرجة من نظر اليها افتتن وضل فلم يرجع اليه ايمانه أبدا فلا تنظروا اليها (قلت) ولم أقف على هذا فيما رويناه من كتب الحديث وانما كتبناه احتياطا ولعل الحديث فى نفسه صحيح فينبغى للمسلم أن لاينظر الى الدجال ان بلى به عافانا الله من فتنته وفتنة كل ذى فتنة وقد روى أبو نعيم فى الحلية عن حميد بن هلال العدوى عن هشام بن عامر رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول مابين خلق آدم عليه السلام الى أن تقوم الساعة فتنة أكبر من الدجال

﴿فصل﴾ قال المحاسبى رحمه الله وتوهم الفناء والبلى اذا انقطعت أوصالك فى القبر وفنيت عظامك وبلى بدنك ولم يزل حزن البشرى والفرح من روحك فروحك متطلعة عند القيام والنشور الى رضا الله وثوابه أو الى غضبه وعقابه فياحسرة روحك وغمومه أو ياغبطة روحك وسروره حتى اذا تكاملت عدة الموتى وخلت من ساكنها الارض والسماء فصاروا خامدين بعد حركاتهم فلا حس يسمع ولا شخص يرى وبقى الجبار عز وجل كما لم يزل أزليا واحدا منفردا بعظمته وجلاله ثم يفجأ روحك نداء المنادى بالخلق للعرض على الله عز وجل ﴿تنبيه﴾ روى أبو نعيم فى الحلية عن عقبة بن عبد الغافر قال ماطلعت الشمس الا وبجنبتها ملكان يناديان

يسمعان أهل الارض الا الثقلين اللهم اعقب منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ورو ينا فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله وفى رواية على أحد يقول الله الله قال القرطبى قال علماؤنا قبح اسم الجلالة برفع الهاء ونصبها فمن رفعها فمعناه ذهاب التوحيد ومن نصبها فمعناه انقطاع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أى لاتقوم الساعة على أحد يقول اتق الله ويدل عليه حديث حذيفة وليس فيهم رجل يقول مه مه وقد قيل ان هذا الاسم العظيم أجراه الله على ألسنة الامم من ولد آدم عليه السلام ولم تنكره أمة بل هو دائر على ألسنتهم من عهد أنبيهم آدم الى انقضاء الدنيا وقد جاء فى القرآن نطق قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم بهذا الاسم العظيم فاذا أراد الله قيام الساعة قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم العظيم من ألسنة الجاحدين وخثهم عند ذلك الحق اليقين

﴿ باب ذكر الدجال وذكر النفخ فى الصور وبعث من فى القبور ﴾

قال أبو محمد عبد الحق رحمه الله تعالى اعلم ان الانسان كما قدمنا لايخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من احدى الدارين وصحبه من أحد الفريقين وأنه لاتزال نفسه معذبة أومنعمة الى يوم الجزاء والاجتماع لفصل القضاء وبعد ذلك يتجدد النعيم أوالعذاب الاليم على وجه آخر وصفة أخرى كما سيأتى ذكره قال واعلم ان كل ميت مات فقد قامت قيامته لكنها قيامة صغرى وأما القيامة الكبرى فهى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة وروى مسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لاأدرى أربعين يوما أوأربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الاقبضه حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى لينا ورفع لينا قال فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أوقال ينزل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال ياأيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسئولون ثم يقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق وأصغى معناه أمال لينا يعنى صفحة العنق ويلوط معناه يطير ويصلح وقوله لاأدرى أربعين يوما الى آخره قد بينه الحديث المتقدم عن النواس انه أربعون يوما وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين أربعون قالوا ياأبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون عاما قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شئ الايبلى الاعظما واحدا وفى رواية لاتأكله الارض أبدا وهو عجب الذنب وقول أبى هريرة أبيت يحتمل أن يريد الامتناع من تفسيره مع العلم به اذ ليس هو من الامر الضرورى ويحتمل أن يريد أبيت ان أسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك والاول أظهر وقد جاء ان بين النفختين أربعين عاما وقوله صعق معناه

شاء واختلف فى المستثنى فى قوله سبحانه فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله والذى اختاره الحليمى انهم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم يرزقون كما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال القرطبى وقد ورد فى حديث أبى هريرة أنهم الشهداء وهو حديث صحيح قال شيخنا أحمد ابن عمر واذا كان هذا الاستثناء فى الشهداء كان الانبياء بذلك أحق وأولى اذ قد صح أن الارض لا تأكل أجساد الانبياء وفى حديث على بن معبد قلت يارسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال أولئك هم الشهداء عند ربهم يرزقون انما يصل الفزع الى الاحياء وضعف الحليمى قول من قال ان الاستثناء لاجل الولدان والحور العين فى الجنة لان الولدان والحور فى الجنة والجنة فوق السموات ودون العرش وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء ولم يأت عن أهل الجنة خبر والاظهر انها دار الخلد فالذى يدخلها لايموت فيها أبدا مع كونه قابلا للموت فالذى خلق فيها أولى أن لايموت فيها أبدا وأيضا فان الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار الى دار واهل الجنة لم يبلغنا ان عليهم تكليفا فان أعفوا من الموت كما أعفوا من التكليف لم يكن بعيدا قال ولم يبلغنا فى خبر صحيح ولا معلول انه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله (قلت) وجدت لبعض الفضلاء مكتوبا مانصه قال الشيخ أبو محمد بن بزيزة فى شرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الذى تلقيناه عن شيوخنا المحققين ان العوالم التى لاتفنى سبعة العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار والارواح قال الشيخ أبو محمد عبد الحق وكما ينبت نبات الارض بالماء كذلك تنبت الاجساد بهذا الماء المذكور فى الحديث فبينما روحك فى البرزخ مع الارواح وكل على عمله من فساد أوصلاح اذ أمر الله عز وجل بها أن تجتمع فتقبل أرواح المؤمنين تتلألأ نورا وأرواح الكافرين تسود ظلمة فيجعل جميعها فى الصور ثم ينفخ فيه اسرافيل فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت مابين السماء والارض فتدخل الارواح فى الارض الى الاجسام فتدخل من الخياشم (قلت) وهذا حديث طويل رواه على بن معبد وصححه ابن العربى وعجب الذنب قيل هو آخر فقرات الظهر وقد تقدم وعن أبى نظرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ينادى مناد بين يدى الساعة أتتكم الساعه أتتكم الساعة أتتكم الساعه حتى يسمعها كل حى وميت قال فينادى المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (قلت) هذا الحديث ذكره أبو نعيم فى حليته هكذا موقوفا وهو مما لايقال بالرأى وروى أبو نعيم عن وهيب بن الورد أنه قال مكتوب فى الانجيل شوقنا كم فلم تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا بشر القتالين بان لله سيفا لاينام وان لله ملكا ينادى فى السماء كل يوم وليلة أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده أبناء الستين هلموا الى الحساب ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء السبعين لاعذر لكم ليت الخلق ماخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وتجالسوا فتذاكروا بينهم ماذا عملوا الا أتتكم الساعه فخذوا حذركم قال القرطبى وغيره الصور قرن من نور وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه والذى نفسى بيده ان عظم دارة فيه لكعرض السماء والارض قال العلماء والنفخة الاولى للفناء وهى نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور أى فى الصور لتكون الصيحة إعظم والنفخة الثانية للبعث من غير نقر لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى أجسادها لاتغيرها من أجسادها وفى حديث على بن معبد الطويل عن أبى هريرة فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يعنى نفخة البعث قال شاكر بن مسلم وفى القرن ثقب بعدد أرواح الخلائق قال فينفخ اسرافيل نفخة البعث بطولها وبعدها فتخرج الارواح كأمثال النحل والفراش وأرواح المؤمنين بيض تتلألأ نورا وأرواح

الكافرين سود تتوهج دخانا عافانا الله من عذابه بمنه وقال الغزالى فى الدرة الفاخرة الصور قرن من نور له أربع عشرة دارة الواحدة كاستدارة السماء والارض فيه يعلى ثقب بعدد أرواح البرية فتخرج الارواح لهادوى كدوى النحل فتملأ الخافقين ثم تذهب كل نسمة الى جثتها فسبحان من أعلمهم اياها حتى الوحش والطير وكل ذى روح

﴿باب يبعث كل عبد على مامات عليه﴾

روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يبعث كل عبد على مامات عليه وروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم ولفظ مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه فقلنا يارسول الله صنعت شيأ فى منامك لم تكن تصنعه فقال العجب ان ناسا من أمتى يؤمون هذا البيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى اذا كان بالبيداء خسف بهم فقلنا يارسول الله ان الطريق قد تجمع الناس قال نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم وفى طريق آخر لمسلم عن أم سلمة رضى الله عنها فقلت يارسول الله فكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وروى أبو داود عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال يارسول الله اخبرنى عن الجهاد والغزو فقال ياعبد الله ان قتلت صابرا محتسبا بعثت صابرا محتسبا وان قتلت مرائيا مكاثرا بعثت مرائيا مكاثرا على أى حال قاتلت اوقتلت بعثك الله بتلك الحال (قلت) هذا الحديث فى غاية البيان والاحاديث فى هذا الباب كثيرة ولما تكلم الشيخ الولى العارف بالله تعالى أبو محمد عبدالله بن أبى جمرة رضى الله عنه على قوله صلى الله عليه وسلم ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة قال ظاهر هذا الحديث يدل على فضيحة الغادر يوم القيامة ينصب لواء غدرته وشهرته بها على جميع العالم هناك وانما جعلت له هذه العلامة التى يعرف بها يوم القيامة لان الله سبحانه قد شاء بحكمته الربانية ان جعل لكل صاحب ذنب علامة يعرف بها ذنبه مثل شاهد الزور يبعث مدلعا لسانه بالنار وآكل الربا يتخبط مثل صاحب الجنون فى الدنيا والذى يطلب وليس بذى حاجة ليس فى وجهه مزعة لحم والنائحة لها سربالان سربال من جرب والثانى من قطران وحابس الزكاة ان كانت ابلا بطح لها بقاع قرقر لجاءت أوفر ماكانت تطأه باخفافها وتعضه بأفواهها الحديث وان كانت غنما مثل ذلك الا أنه قال تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها وان كان ماله ذهبا أوفضة مثل له شجاع أقرع الحديث والمتكبرون يبعثون مثل الذر وآكل أموال اليتامى السنة النار تخرج من منافس جسده وشارب الخمر الكوز معلق فى عنقه والكذاب يشق شدقه كما تقدم فى الحديث والمغتابون تقرض شفاههم بالمقاريض هذه كلها علامة على كل ذنب حتى يعرف به صاحبه وهى أشياء عديدة بحسب الجرائم وكفى فى ذلك قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام أعاذنا الله من الذنوب ومن الفضيحة ولولم يكن فيها الا هذا المقدار لكان كافيا فى الردع فكيف بالامر الزائد على ذلك الذى لاتحمله الجبال (قلت) ومنه الحديث فى الذى قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجابها فى بطنه فى نار جهنم الحديث وكحديث الذى قتل نفسه بالسم فهو يتحساه فى نار جهنم الحديث وكالغال يحمل بقرة لها خوار وشاة تيعر وذكر الغزالى فى الدرة الفاخرة ان الناس يوم القيامة فى الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم كمانع

الزكاة والغال والغادر على ماورد فيهم وآخرون قد عظمت فروجهم وهى تسيل صديدا يتأذى بنتنها جيرانهم وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح مايكون وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكذابون وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسى وهم آكلوا الربا وكل ذى ذنب قد بدا سوء ذنبه وروى البخارى ومسلم ومالك عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لايكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والعرف عرف مسك وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرما فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا وفى رواية ملببدا وروى الحليمى فى كتاب المنهاج له عن عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى ومن هذا المعنى ان هذه الامة المباركة يبعثون غرا محجلين من أثر الوضوء يعرفهم من رآهم انهم من أمة النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال الغزالى رحمه الله ان المعانى فى عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شئ بصورة توازى معناه فيحشر المتكبرون فى صور الذى يطأهم من أقبل ومن أدبر والمتواضعون أعزاء وقال الغزالى فى الدرة الفاخرة ومن الناس من يحشر بفتنته الدنياوية فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم فعند قيام أحدهم من قبره يأخذ بيمينه فيطرحه من يده ويقول له سحقا لك شغلتنى عن ذكر الله فيعود اليه ويقول أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين وكذلك يبعث السكران سكرانا والزامر زامرا وكل أحد على الحال التى صدته عن سبيل الله قال ومثله الحديث الذى روى فى الصحيح ان شارب الخمر يحشر والكوز معلق فى عنقه والقدح بيده وهو أنتن من كل جيفة على الارض يلعنه كل من يمر به من الخلق (قلت) روى الترمذى عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال يامعشر التجار فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم اليه فقال ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الامن اتقى الله وبر وصدق قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح وروى الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة وروى أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم الختلى فى كتاب الدنياج له عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخبرنى جبريل عليه السلام أن لااله الا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره ياأحمد لوتراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم هذا يقول لااله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله فيسود وجهه ثم أسند عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس على أهل لااله الا الله وحشة عند الموت ولافى قبورهم ولافى منشرهم كأنى باهل لااله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال أبو نعيم فى حليته قال سفيان بن عيينة يقال لااله الا الله فى الآخرة بمنزلة الماء فى الدنيا من لم تكن معه لااله الا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حى وقال سفيان بن عيينة ماأنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا اله الا الله فان لااله الا الله لهم فى الآخرة كالماء فى الدنيا ومن لطائف المنن لابن عطاء الله قال قال أبو العباس المرسى رحمه الله نحن فى الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا وسنكون

فى الآخرة بارواحنا مع وجود أبداننا (قلت) وهذا نحو ماقدمناه عن الغزالى الآن من أن المعانى فى عالم الآخرة تستتبع الصور

﴿باب ماجاء ان العبد اذا خرج من قبره يتلقاه ملكاه وعمله﴾

روى أبو نعيم من حديث جابر رضى الله عنه أنه قال اذا قامت الساعة انحط على العبد ملك الحسنات وملك السيآت فانشطا كتابا معقودا فى عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شاهد وروى أبو نعيم عن ثابت البنانى رضى الله عنه أنه قرأ هم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة وقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له لاتخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد قال فأمن الله خوفه وأقر عينه قال القرطبى قال عمرو بن قيس الملائى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد طيب ريحك وأحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طال ماركبتك فى الدنيا فاركبنى اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وان الكافر يستقبله عمله أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قبح صورتك ونتن ريحك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السيئ طال ماركبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك وتلاوهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقد قدمنا أكثر هذه المعانى وأعدناها لانه محلها وربما أعدنا المسئلة توثقا وتصحيحا للمعنى المراد منها قال شاكر بن مسلم فمن الناس من يمثل له عمله فى صورة انسان قال السدى وغيره من العلماء منهم عمرو بن قيس الملائى وغير واحد من العلماء ورواه بعضهم عن زيد بن أسلم ونحوه فى رقائق ابن المبارك قالوا اذا نشر الله عبده المؤمن السعيد من قبره يوم القيامة فنودى به الى المحشر قبض الله عمله الصالح فجاءه فى صورة انسان حسن الهيئة والثياب حسن الوجه نقى الجسد طيب الريح حسن المنظر والمخبر فيستقبله وهو يسلم عليه ويقول السلام عليكم أيها العبد الصالح ابشر بخير ابشر بأحسن شئ رأيته منذ ولدتك أمك ويجلس الى جنبه فيرد عليه الرجل السلام ويقول له وعليك السلام ياول الله ومرحبا بك من رجل فما أحسنك وما أجملك وما أطيبك وما أفضلك وما أطيب ريحك وأحسن كلامك فمن أنت فيقول له يرحمك الله أيها العبد الصالح أما تعرفنى مع طول ماصحبتك فقد صحبتك فى الدنيا طول عمرك وصحبتك فى قبرك فيقول له لا والله ماأعرفك غير ان الله عز وجل حسن وجهك ومنظرك وطيب كلامك ومخبرك فيقول له انى لكذلك وكذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح الذى كنت تعمله فى الدنيا وقد صحبتك فى الدنيا على أحسن حال وصحبتك فى قبرك فاريد أن أصحبك الآن أجوج ماانت الى ثم يطاطئ له رأسه ورقبته فيقول له تعال فاركبنى أيها العبد الصالح فطال ماركبتك فى دار الدنيا فانك اليوم أنت تركبنى انك أحسنتنى فى الدنيا فحسنت لك الآن فيركبه المؤمن فيسير به عمله فى زحام الناس حتى يأتى به الموقف فلا يرى المؤمن شيأ يروعه الا أمنه عمله وسكنه وبشره وظلله من حر الشمس ووقاه من وهج الحر ووهج الغبار ولعج النار ويقول له اسكن ولا تجزع وابشر بما يسرك فلست أنت المراد وانما يراد بهذا غيرك وأنت على منجاة ويسير به كذلك يحمله على عاتقه ويحضر به فى المواطن ولا يزال معه كذلك من موقف الى موقف ومن موطن الى موطن حتى يولج فى الجنة وفى حديث السدى أنه يكون معه كذلك فى قبره ويخرج معه كذلك عند حشره ولا يفارقه

وهو معنى قوله عز وجل وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء الآية ونظائرها وفي بعض حديث زيد زيادة فيأتي بالمؤمن السعيد عمله يزف به حتى يقف بين يدي الله سبحانه وفي موقف السؤال والحساب فيقول يارب ان كل صاحب عمل أو تجارة أو صناعة قد أصاب فيما عمل وان صاحبي هذا قد أشغل نفسه بي في الدنيا وما أصاب بي جزاء واليوم يجزى كل عامل بعمله فاجزه به اليوم انك أكرم من وفى وأوفى بوعد فيقول الله عز وجل فما تريد له أنت مني الآن فيقول الرحمة والمغفرة فيقول اذهب فقد رحمته وغفرت له فيقول يارب فأين الكرامة فيأمر الله به فيكسى حلة الكرامة ويتوج بتاج الوقار وفيه اللؤلؤ وان اللؤلؤة لتضيء مسيرة يومين فيقول يارب ومايصنع بأبويه وقد شغل عنهما فيأمر رب العزة سبحانه فيعطى لابويه مثل ماأعطى هوان كانا من أهل الحاجة اليه وان كانا ممن استغنى عنه بعملهما جمع بينه وبينهما في موطن الامن والامان وكرامة الرحمن قال واذا حشر الفاسق والشقي جاءه عمله في صورة انسان قبيح الصورة والهيئة والثياب منتن الريح كريه المنظر منكر المخبر فيعرض له ويقول له أيها العبد الشقي لامرحبا بك ولا أهلا قبحك الله من رجل وقبح ماأنت عليه وقبح ما كنت عليه في الدنيا ابشر بما يسوءك وبشر شيء رأيته منذ ولدتك أمك فيقول له من أنت فما أقبحك وما أقبح ماجئت به وماأنت عليه وما أنتن ريحك وماأكره منظرك وأسوأ مخبرك فمثلك بشر بالشر فيقول له أما تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك غير ان الله قبح خلقك ونتن ريحك وكره منظرك وأساء مخبرك فبئس والله الصاحب وبئس القرين فيقول كذلك كنت في دار الدنيا انك أسأت فيّ فقبحت لك فطأطأ لي رأسك حتى أركبك اليوم فطال ماركبتني في دار الدنيا فيطاطئ له رأسه ويسخره الله له ويذله فاذا استوى قال له أي عدو الله قبحك الله كما قبحتني فيسوقه سوقا عنيفا ويحدوه معه من خلفه حدوا عنيفا يطرده طردا حثيثا حتى يأتي به الموقف فذلك قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون فلا يزال به كذلك يسوقه الى الموقف وفي المواطن والمشاهد ولا يرى الشقي من شيء يروعه ويخاف منه الا قال له عمله اخزا عدو الله وابشر بما يسوءك فأنت المراد بما ترى وبما تسمع ولا يبرح عنه في مواطن القيامة ويبرز به الى حر الشمس ويستقبل به وهج النار ووهج الغبار ولا يزال به كذلك حتى يورده نار جهنم فبئس القرين فهكذا يجمع الله الخلائق ليبلو الحقائق (قلت) وقد تقدم هذا المعنى أول الكتاب وسيأتي له مزيد بيان ونقل ابن آجروم في شرحه لحرز الاماني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب المسافر فيقول لصاحبه أتعرفني فيقول لا فمن أنت فيقول أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت نهارك وأظمأت هواجرك وحلت بينك وبين شهواتك وزلت حيث زلت فيقول أنت القرآن فيقول نعم ثم يقول ان لكل تاجر من وراء تجارته فينطلق به حتى يأتي به الجبار سبحانه فيقول أي رب ان كل صانع كان يعود على أهله من صنعته وكل تاجر كان يعود على أهله من تجارته وانى كنت شغلت فلانا في الدنيا عن الصنعة والتجارة بي كان يغدو وبي كان يروح فأجزه عني اليوم فيقول له الجبار سبحانه فما تسئل له فيقول الرضوان والمغفرة فيعطى الخلد بيمينه والنعمة بشماله ويلبس تاج الوقار ويكسى حلة الكرامة اذا نشرها كانت سبعين ذراعا واذا طواها كانت بين أصبعيه ويكسى والداه حلتين لاتقوم لهما الدنيا فيقولان ربنا بم كسوتناهما فما بلغت هذا أعمالنا فيقول الجبار تعالى بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرأ وارق فان كان بهذه أعطى بقدر هذه

وان كان يرتله أعطى بقدر ترتيله حتى يتناهى به المنزل حيث ينتاهى به القرآن وفى الحديث الصحيح أيضا من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا والى هذا أشار فى حرز الامانى بقوله

هنيئا مريئا والداك عليهما * ملابس أنوار من التاج والحلا

قال وروى عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يجاء بالقرآن يوم القيامة فى صورة رجل شاحب فيترا آه الناس حتى يقف بين يدى الله عز وجل فيقول الله عز وجل كيف وجدت عبادى لك فيقول يارب منهم من كان ينصرف و يتلونى آناء الليل وآناء النهار وكنت أظمأ نهاره وأنصب ليله ومنهم من كان مستخفا بى صادا عنى فيقول سبحانه وعزتى وجلالى لا كرمن اليوم من أكرمك ولاهينن من أهانك قال فيدعى بأهل القرآن فيأتون وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عند كل منبر ناقة من نوق الجنة ثم ينادى منادأين حملة كتاب الله تعالى اجلسوا على هذه المنابر فلا روع عليكم فاذا فرغ الله تعالى من حساب الخلق حملوا على تلك النوق فيرقون الى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة

(باب فى تعارف الموتى وسؤال بعضهم بعضا عند خروجهم من قبورهم و بيان حال وفودهم وأنواع حشرهم)

قال الفقيه شاكر بن مسلم قال الله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون وقال تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قال أبو صالح بلغنى ان الناس يبعثون يوم القيامة ثم يتثبتون فى شأنهم وترجع اليهم بعض أذهانهم فيتساءلون بينهم ما مقدار لبثهم وما وجه بعثهم تسئل الطائفة منهم من يليها وتستنبئ من يقاربها و يحاذيها فمنهم المكثر رجما بلا تحقيق ومنهم المقل ظنا بلا يقين فذلك قوله تعالى يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما وقوله تعالى و يوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم أى يعرف بعضهم بعضا و يتعارفون أخبار ما هم فيه وما هم صائرون اليه و واردون عليه قال شاكر بن مسلم فبينما الناس كذلك فى حيرة من البعث والنشور و بهتة قيامهم من القبور اذ ناداهم الملك الموكل بمناداتهم للاجتماع وتكفل الله له بالبلاغ المبهم والاسماع فيناديهم من صخرة بيت المقدس (قلت) وهذا مستفاد أيضا من قوله تعالى واستمع يوم ينادالمناد من مكان قريب الآية قال شاكر بن مسلم فيناديهم المنادى فيقول يامعشر العباد هذا يوم الميعاد هلموا الى العرض والحساب هلموا الى المجازاة بالعقاب والثواب فيقبلون نحو الداعى و يجاء بهم لفيفا و يسرع بهم اسراعا حثيثا قد صاروا كالجراد المنتشر ولكل من الرفق أو العنف أو الحفز أو اللطف حظه بقدر مكانه من كرامته عند ربه أو هوانه بسبب سوء كسبه ومنهم من يأتى راكبا على النجب أو محمولا على العواتق ولاهل البر هناك كرامات بقدر أعمالهم الصالحات قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فيأتى أهل الطاعة ركبانا على النجب محفوفين بالنور قد ظهرت عليهم بهجة الفرح والسرور فالناس يومئذ على منازل ودرجات ومقامات ومكانات

بقدر حظوظهم من الاعمال الصالحات فمنهم من يأتى كريما ومبجلا عظيما فارحا مسرورا لا يهينه فزع ولا يخالطه جزع ولا هلع الا ما يجده البعض مما يداخل البشر من الاشفاق والحذر مع علمهم بالنجاة من تلك الاهوال فيأتى أهل الطاعة كما تقدم ركبانا محفوفين بالانوار ويساق أهل الشقاوة والاجرام سوق من لا يرعى له ذمام ولا حظ فى الاكرام قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا أى عطاشا ومنهم من يسحب على وجهه سحبا قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه روى ان يوم القيامة يأتى المؤمنون منهم من هو راكب نوق اللحم والدم ومنهم من هو راكب نوق الذهب وأزمتها الزبرجد الى غير ذلك مما جاءت الاخبار به كل انسان بحسب منزلته والملائكة تأتيهم أفواجا بالبشارة وتقول لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون قال الشيخ عبد الحق فى العاقبة فتفكر الآن فى الخلق كيف يساقون وكيف يجمعون وكيف يحشرون من بين محول قد مدت ظلال الرحمة عليه وجمعت الامانى فى يديه وبين ساع على قدميه وآخر مجرور على خديه ومصروع لهول ما لديه ومن كتاب شفاء الصدور تأليف الفقيه المشاور أبى محمد عبد الرحمن بن عتاب رحمه الله تعالى قال قال الفضيل بن عياض يؤتى بالعبد يوم القيامة الى الحساب فيرى أمرا عظيما فيلتفت عن يمينه فيرى قوما فى ظل العرش وقوما على كراسى من نور قد ظلوا بالغمام وقوما فى الجنة ويلتفت عن يساره فيرى قوما يعذبون فى النار فى أعناقهم السلاسل والاغلال وقوما يسحبون فى النار على وجوههم قال القرطبى الحشر معناه الجمع وهو على أوجه حشر فى الدنيا وحشر فى الآخرة أما حشر الدنيا فهو ما رواه مسلم والبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا قال عياض هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها كما رواه مسلم قال فى الحديث وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وفى رواية تطرد الناس وفى حديث آخر لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز والحشر الثانى حشرهم الى الموقف كما قال تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا والحشر الثالث حشرهم الى الجنة والنار قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا معناه ركبانا على النجب وقيل على الاعمال كما تقدم وردت بذلك أخبار منها ما رواه النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال أما انهم ما يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم ينظر الخلائق الى مثلها رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا أى عطاشا قال الشيخ عبد الحق تسوقهم الملائكة بسياط النار الى النار نجانا الله من عذابه قال ابن عطية قال المفسرون قوله تعالى وفدا معناه ركبانا وهى عادة الوفود لانهم سراة الناس وأحسنهم شكلا وانما شبههم بالوفد هيئة وكرامة وروى عن عمرو بن قيس الملائى أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هى فى غاية الحسن وروى انه يركب كل واحد منهم ما أحب فمنهم من يركب الابل ومنهم من يركب الخيل ومنهم من يركب السفن فتجىء عائمة بهم وقد ورد فى الضحايا انها مطاياكم الى الجنة (قلت) وقد تقدم عن عمرو بن قيس ان هذا الركوب عند الخروج من القبر فيكون كذلك فى كل موطن يكونون ركبانا من حين خروجهم من قبورهم فضلا من الله سبحانه ورحمة بأوليائه ولا يختص الركوب بموطن دون موطن لان كرامته سبحانه قد عمتهم فى حياتهم وفى مماتهم وفى برزخهم وفى بعثهم وفى حشرهم وفى جميع أمورهم فلا وجه لتخصيص شئ من ذلك بل الاخبار وظواهر

الآيات باقية على عمومها فلا تحجير فى رحمة أرحم الراحمين جعلنا الله ممن شملته رحمته فى الدارين

﴿فصل﴾ ومما يبين ماذكرناه ماذكره القرطبى قال وروى القتبى فى عيون الاخبار مرفوعا عن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ماهؤلاء الوفد قال يحشرون ركبانا ثم قال والذى نفسى بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم ركبوا نوقا عليها رحائل الذهب مرصعة بانواع الجواهر فتسير بهم الى باب الجنة الحديث (قلت) وهذا حديث فى غاية البيان أسأل الله أن يعاملنا واياكم برحمته فى الدنيا والآخرة وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم فقيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك وروى مسلم والبخارى عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة بلى وعزة ربنا وخرج أبو بكر أحمد بن على الخطيب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ومن سقى لله سقاه ومن كسا لله كساه ومن عمل لله كفاه وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ياأيها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابى فيقال انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فيقال انهم لم يزالوا مدبرين منذ فارقتهم

﴿فصل﴾ ذكر القرطبى حديثا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال معاذ قلت يارسول الله أرأيت قول الله عز وجل يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يامعاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه بالبكاء ثم قال تحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين أرجلهم فوق رؤسهم يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لايعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رؤسهم ووجوههم فآكلة الربا وأما العمى فمن يجور فى الحكم والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء (قلت) ذكر

القرطبي هذا الحديث ولم يعزه الى مؤلف معين فالله أعلم بصحته وقد ذكره صاحب كتاب الفردوس هكذا ويجب على العاقل أن يحتاط لنفسه و يجتنب كل مانهى الله و رسوله عنه قال القرطبي اعلم أن الناس اذا أحيوا و بعثوا من قبورهم فليست حالهم ولا مقامهم ولا موقفهم واحدا ولكن لهم مواقف وأحوال واختلفت الاخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم و جملة ذلك خمسة أحوال أولها حال البعث من القبور والثانية حال السوق الى موضع الحساب والثالثة حال المحاسبة والرابعة حال السوق الى دار الجزاء والخامسة حال مقامهم فى الدار التى يستقرون فيها

﴿باب منه فى الحشر وأول من يكسى﴾

قال شاكر بن مسلم واذا نودوا جميعا من مكان قريب وصاروا جميعا فى صعيد وقام النبي صلى الله عليه وسلم من قبره قام معه سبعون ألف ملك يحفونه من بين يديه ومن خلفه و جوانبه يجلونه و يعظمونه و يسيرون معه الى محله فيحلونه بجعله عن يمين العرش على سرير العز والكرامة فكلما قرب منه فوج من أمته فرأى مايسره حمد الله سبحانه وأثنى عليه ودعا بخير وان رأى مايهمه من سوء حال من يساق من أمته استغفر لهم ودعا الله وسأله فلا يزال مابين حط الاوزار وتخفيف الاوقار والدعاء والاستغفار والناس يساقون حيارى كالاسارى مابين مركوب ومسحوب ومغموم ومكروب وناج مسرور ومكرم ذنبه مغفور ومتوج مكسو محبور قال شاكر بن مسلم بقدر الذنوب تكون الكروب و بقدر الاعمال تخف الاهوال قال علي رضى الله عنه أول من يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قبطيتين ثم يكسى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حبرة و يجاء بهما عن يمين العرش قال القرطبي وروى الحليمي فى كتاب منهاج الدين له بسنده عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن و يلبي الملبي وأول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم خليل الله ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل عليهم الصلاة والسلام ثم يكسى المؤذنون وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أحرازمتها من زمرد أخضر رحالها من الذهب ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك الى المحشر (قلت) فتأمل هذا الحديث مع ماقدمناه الآن يتضح لك انهم يكرمون بالركوب من وقت خروجهم من قبورهم وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا قالت عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهمهم ذلك قوله غرلا أى غير مختونين وقال الغزالى فى الدرة الفاخرة اذا استوى كل أحد قاعدا على قبره فمنهم العريان ومنهم المكسو والاسود والابيض ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون له كالشمس لايزال كل واحد منهم مطرقا برأسه ألف عام حتى تقوم نار من المحشر وفى نسخة من المغرب لهادوى الكلام الى آخره منعنى من اتمامه عدم وقوفى عليه فى الاحاديث وقد ذكرته فى رياض الصالحين مكملا فانظره ان شئت وسأذكر منه ماتيسر بعد هذا ثم قال بعد كلام وانما نورهم عند البعث على قدر ايمانهم وسرعة وصولهم على قدر أعمالهم فالمتقون وافدون كما قال الجليل جل جلاله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا و روى أبو نعيم بسنده من حديث ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يكسى ابراهيم عليه السلام يقول سبحانه اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لايقومه أحد غيرى يغبطني فيه الاولون

والآخرون وروى البيهقي باسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من يكسى من الجنة ابراهيم عليه السلام يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسى فيطرح عن يمين العرش ويؤتى بى فاكسى حلة من الجنة لايقوم لها البشر ثم أوتى بكرسى فيطرح على ساق العرش قال القرطبي رحمه الله فطوبى ثم طوبى لمن كسى فى ذلك الوقت من ثياب الجنة فانه من لبسها فقد لبس جنة تقيه مكاره الحشر وأهواله (قلت) وأولى مايقال فى حكمة تقديم ابراهيم عليه السلام فى القباس انه أب والعادة جرت بحسن أدب الابن مع الاب فى التقديم فى مثل هذا والله سبحانه أعلم وذكر القرطبي أنه يحشر الناس عراة غرلا أعطش ما كانوا وأجوع ما كانوا قط فلا يسقى ذلك اليوم الامن سقى لله ولا يطعم الا من أطعم لله ولا يكسى الامن كسى لله ولا يكفى الا من اتكل على الله ومصداق هذا من كتاب الله تعالى قوله سبحانه يوفون بالنذر الى قوله فوقاهم الله شر ذلك اليوم أى من ازالة الجوع والعطش والعرى الى غير ذلك من أهوال القيامة وافزاعها

﴿باب فى صفة حشر الناس وفى قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾

قد تقدم ان الارواح فى الصور فاذا نفخ فيه النفخة الثانية وهى نفخة البعث ذهب كل روح الى جسده فاذاهم من الاجداث أى القبور الى ربهم ينسلون ومعنى ينسلون أى يمشون مسرعين قال القرطبي قال محمد بن كعب القرظى يحشر الناس يوم القيامة فى ظلمة وتطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيتبع الناس الصوت قال تعالى يومئذ يتبعون الداعى xx. 109/107 لاعوج له قال المحاسبي رحمه الله تعالى فتوهم وقوع صوت المنادى فى مسامعك ينادى بالخلق للعرض على الله سبحانه وتوهم نفسك وذلتك وأنت فى زمرة الخلائق أذلاء مصمتون بالذلة والمسكنة فلا تسمع الاهمس أقدامهم وهم مقبلون نحو المنادى ساعين اليه بالذلة والخشوع وقد اجتمعت الامم من الانس والجن حفاة عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك الارض ولزمهم الصغار بعد تجبرهم ثم أقبلت الوحوش منكسة رؤسها بعد توحشها من الخليقة ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة أتتها ولا خطيئة أصابتها حتى اذا تكاملت عدة أهل الارض من انسها وجنها ووحوشها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت السماء ثم انشقت قال القرطبي ويقال ان انشقاقها لما يخلص اليها من حر جهنم قال أبو حامد فى الاحياء فياهول انشقاق السماء فى سمكها مع شدتها وغلظها خمسمائة عام ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة وردة كالدهان وصارت كالمهل والجبال كالعهن (قلت) روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال هذا حديث حسن

﴿فصل﴾ قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم الآية قال ابن عطية الجمهور أن النور هنا هو نور حقيقة وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره آثار مضمنها ان كل مؤمن مظهر للايمان يعطى يوم القيامة نورا فيطفى نور كل منافق ويبقى نور المؤمنين حتى ان منهم من نوره يضىء كما بين مكة وصنعاء رفعه قتادة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من نوره كالنخلة السحوق ومنهم من نوره يضىء ماقرب من قدميه قاله ابن مسعود ومنهم من يهم بالانطفاء مرة ويتبين مرة على قدر المنازل فى الطاعة والمعصية قال الامام الفخر قال قتادة

مامن عبد الا وينادى يوم القيامة يافلان هذا نورك يافلان لا نور لك نعوذ بالله من ذلك فقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف فى الدنيا فمعرفة الله تعالى اليوم هى النور فى القيامة وقول المنافقين انظرونا أى أخروا مشيكم لنا حتى نلحق فنقتبس من نوركم واقتبس الرجل أى أخذ من نور غيره قبسا والقبس الشعلة من النار والسراج والمنافقون طمعوا فى شئ من أنوار المؤمنين وهذا منهم جهل لان تلك الانوار نتائج الاعمال الصالحة فى الدنيا وهم لم يقدموها قال الحسن يعطى يوم القيامة كل أحد نورا على قدر عمله ثم يؤخذ من حجر جهنم ومما فيه من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق ثم تمضى زمرة من المؤمنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضى زمرة أخرى كأضوأ كوكب فى السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة تطفئ نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وذكر الغزالى فى الدرة الفاخرة انهم اذا خرجوا من قبورهم وان منهم العريان والمكسو والاسود والابيض ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون له كالشمس لايزال كل واحد مطرقا برأسه ألف عام حتى تقوم من المغرب نار وفى نسخة من المحشر لهادوى فيدهش منها الخليقة ثم يأتى كل واحد من المخاطبين عمله ويقول له قم فانهض الى المحشر فمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله فحمله ويجعل لكل منهم نور شعاعى بين يديه وعن يمينه مثله يسرى بين يديه فى الظلمات وهو قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم وليس عن شمالهم نور بل ظلمة حالكة لايستطيع البصر نفاذها يحار فيها الكفار ويتردد فيها المرتابون والمؤمن ينظر الى قوة حلكتها وشدة حندسها ويحمد الله سبحانه على ماأعطاه من النور المهتدى به فى تلك الشدة يسعى بين أيديهم وبايمانهم لان الله تعالى يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقى ليتبين له قدر نعمة الله تعالى عليه ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرف بنانه نوره يطفأ مرة ويشعل أخرى وانما نورهم عند البعث على قدر ايمانهم وسرعة وصولهم على قدر أعمالهم وقد تقدم بعض هذا الكلام قبل هذا وروى أبو نعيم فى الحلية عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى ظلمة الليل الى المسجد أتاه الله نورا يوم القيامة (قلت) وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال بشروا المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة رواه أبو داود فى سننه

﴿باب ماجاء فى قوله سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾

روى مسلم وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ قال على الصراط ورواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وفى رواية لمسلم هم فى الظلمة دون الجسر قال القرطبى وروى عن ابن مسعود تبدل الارض نارا والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها وعن بعضهم أنه قال انى وجدت فيما قرأته من كتب الله ان الارض تشتعل نارا يوم القيامة وعن على تبدل الارض فضة والسماء ذهبا وعن جعفر بن محمد فى قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة ثم قرأ وماجعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وقال سعيد ابن جبير ومحمد بن كعب تبدل الارض خبزة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه وهذا المعنى الذى ذكره ابن جبير ومحمد بن كعب مروى فى الصحيح قال ابن عطية وروى فى تبديل الارض أخبار

منها فى الصحيح يبدل الله هذه الارض بارض عفراء بيضاء كأنها قرصة نقى وفى الصحيح ان الله يبدلها خبزة يأكل المؤمن منها من تحت قدميه وروى انها تبدل أرضا من فضة وروى انها أرض كالفضة من بياضها وروى انها تبدل من نار قال ابن عطية وسمعت من أبى رحمه الله تعالى يقول انه روى ان التبديل يقع فى الارض ولكن يبدل لكل فريق بما يقتضيه حاله فالمؤمن من يكون على خبز يأكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو هذا مما كله واقع تحت قدرة الله عز وجل وأكثر المفسرين على أن التبديل يكون بارض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها ولا سفك فيها دم وليس فيها معلم لاحد وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمنون وقت التبديل فى ظل العرش وروى عنه أنه قال الناس وقت التبديل على الصراط وروى عنه أنه قال الناس حينئذ أضياف الله فلا يعجزهم ما لديه (قلت) قال شاكر بن مسلم وقيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الكرامة من المؤمنين الاولياء يلجؤن وقت التبديل الى العرش فيكونون حوله مابين متعلق به معتصم بجلال ربه فى كرامة عرشه ومستظل بظله مستنشق لبرد نسيمه قاعد على كرامة أعدت له وكل على قدر منزلته من كرامة ربه سبحانه (قلت) قال شبيب بن ابراهيم فى كتاب الافصاح ولا تعارض بين هذه الآثار ثم ذكر فى كلام طويل أن التبديل بحسب مواطن الآخرة (قلت) ولا شك ان الآخرة مواطن والناس أحوال مختلفة فى الآخرة كما ان أحوالهم فى الدنيا مختلفة وبهذا ونحوه يقع الجمع بين الآثار والقاعدة والعقيدة ان كل ما أخبر الله سبحانه وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم حق لا تعارض ولا تناقض فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وروى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى قال سهل وغيره ليس فيها معلم لاحد قال الشيخ الولى العارف بالله سبحانه أبو محمد عبد الله بن أبى جمرة رضى الله عنه ظاهر الحديث يدل على ان الارض التى يحشر الناس عليها يوم القيامة غير هذه الارض وانها بيضاء مستوية ممدودة لم يتقدم لاحد فيها ملك ولا تصرف والاخبار تقتضى انها أكبر من هذه بدليل انه قد جاء ان كل ما فى هذه الارض وما عليها يحشر يوم القيامة وكل من فى الارضين السبع وكل من فى السموات من الملائكة وغيرهم وان هذه بنفسها تحشر أيضا بدليل ان بقاعها تشهد بما فعل عليها من خير وغيره ولا تشهد الا وهى حاضرة يشهد لذلك قوله عز وجل يومئذ تحدث أخبارها (قلت) وخرج الترمذى فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل على يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وكذا رواه أبو بكر بن الخطيب وفيه عمل على فى يوم كذا وكذا وفى يوم كذا وكذا قال القرطبى هذا الاحاديث المتقدمة نص فى الارض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط لا كما قال بعض الناس ان تبديل الارض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكامها ومدأرضها (قلت) وما ورد مما ظاهره ان التبديل عبارة عن تغير صفاتها فيؤول على معنى ما تقدم

﴿باب ما جاء فى بعث الايام والليالى وشهادة البقع وغيرها﴾

روى أبو نعيم فى الحلية عن الاوزاعى أنه قال ليس ساعة من ساعات الدنيا الا وهى معروضة على

العبد يوم القيامة يوما فيوما وساعة فساعة ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها الا تقطعت نفسه عليها حسرات وقال الاوزاعي بلغني ان في السماء ملك ينادي كل يوم ألا ليت هذا الخلق لم يخلقوا وياليتهم اذ خلقوا عرفوا لماذا خلقوا له وجلسوا مجلسا فذكروا ما عملوا قال القرطبي في تذكرته روى القاضي الشريف أبو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى ابن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم باسناد صحيح عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم الا المؤذنون المحتسبون وروى أبو نعيم عن أبي عمران الجوني أنه قال ما من ليلة تأتي الا تنادي اعملوا في ما استطعتم من خير فلن أرجع اليكم الى يوم القيامة (قلت) وذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى وشاهد ومشهود أقوالا العلماء أحدها ان الشاهد الايام والليالي والمشهود بنو آدم دليله الخبر ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يفعل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس أخبرت عن الحسن بن علي أنه قال

مضى أمسك الماضي شهيدا معدلا * وخلفت في يوم عليك شهيد
فان كنت بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير يوما الى غد * لعل غدا ياتي وأنت فقيد
فيومك ان أعتبته غاد نفعه * عليك وماضي العيش ليس يعود

وقال عياض في المدارك روى عن الغازي بن قيس أنه كان يقول ما من يوم يأتي الا ويقول أنا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد خذوا مني قبل أن أبيد فاذا أمسى ذلك اليوم خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم وخرج أبو نعيم عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على ابن آدم الا ينادي فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني أبدا ويقول الليل مثل ذلك

﴿فصل﴾ وروى ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال من سجد في موضع عند حجر أو شجر شهد له يوم القيامة عند الله وروى ابن المبارك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها قال ابن عطية كل نفس يعم الصالحين وغيرهم ومعنى الآية شهيد بخيره وشره ويقوى في شهيد انه اسم جنس فتشهد الملائكة والبقاع والجوارح وفي الصحيح لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شيء الا شهد له يوم القيامة وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة وروى الائمة مالك وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء الا شهد له يوم القيامة قال القرطبي قال العلماء وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم قال الله تعالى وجيء

بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال وشهيد كل أمة نبيها وقيل انهم كتبة الاعمال وروى ابن المبارك عن سعيد ابن المسيب أنه قال ليس يوم الا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم قال القرطبي وقد جاء أن الاعمال تعرض على الله تعالى يوم الاثنين ويوم الخميس وعلى الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة ولا تعارض فانه يحتمل أن يخص نبينا صلى الله عليه وسلم بالعرض كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء والله سبحانه أعلم وروى ابن المبارك عن سلمان بن راشد أنه بلغه أن امرأ لا يشهد على شهادة في الدنيا الا شهد بها يوم القيامة على رؤس الاشهاد ولا يمتدح عبدا في الدنيا الا امتدحه يوم القيامة على رؤس الاشهاد *(تنبيه)* روى أبو نعيم في حليته عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله عز وجل ملائكة في السماء أبصر بعمل ابن آدم من بني آدم بنجوم السماء فاذا نظروا الى عبد يعمل بطاعة الله عز وجل ذكروه بينهم فسموه وقالوا أفلح الليلة فلان فاز الليلة فلان واذا رأوا رجلا يعمل بمعصية الله تعالى قالوا خسر الليلة فلان هلك الليلة فلان ونقل أبو نعيم عن ابن المبارك عن مجاهد ان مع الانسان ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فالذي عن يمينه يكتب له الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات فالذي عن يمينه يكتب بغير شهادة من صاحبه والذي عن يساره لا يكتب الا عن شهادة من صاحبه ان قعد فأحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وان مشى فأحدهما أمامه والآخر خلفه وان رقد فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه قال ابن المبارك قد وكل به خمسة أملاك ملكان بالليل وملكان بالنهار يجيئان ويذهبان والخامس لا يفارقه ليلا ولا نهارا

(باب ما جاء في انشقاق السماء ونزول الملائكة ودنو الشمس من الخلق وتفاوتهم في العرق)

قال مولانا سبحانه ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا قال عبد الحق وغيره روى شهر بن حوشب وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم ثم ينقاض أهل سماء الدنيا على الارض فاهل السماء الدنيا وحدهم أكثر من جميع أهل الارض جنهم وانسهم بالضعف ثم ينقاض أهل السماء الثانية فينتشرون على وجه الارض فاهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الارض جنهم وانسهم بالضعف ثم ينقاض أهل السموات سماء سماء كلما انقاضت سماء انتشر أهلها على وجه الارض فيكون أكثر من أهل السموات الذين تحتهم وأهل الارض جنهم وانسهم بالضعف ثم ينقاض أهل السماء السابعة فينتشر أهلها على وجه الارض فلهم وحدهم أكثر من أهل السموات وأهل الارض جنهم وانسهم بالضعف وتكون الجن والانس والبهائم في الوسط قد أحدقت بهم صفوف الملائكة وفي حديث ابن المبارك نحو هذا وان الانس والجن لا يأتون قطرا من أقطار الارض الا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة فذلك قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا الا وذلك قوله سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم الحديث انتهى مختصرا (قلت) وهذان الحديثان وان كان في سنديهما من ذكر بضعف فقد أجاز العلماء ذكر ذلك في باب الترغيب والترهيب لا في الاحكام وبيان الحلال والحرام قال شاكر بن مسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة

على أرض بيضاء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد فبينما الناس كذلك اذ أمر الله سبحانه بالسماء فتنشق كما ينشق الثوب الجديد وتنفطر كما ينفطر الزجاج البارد من حر النار ثم يؤمر بها فتتقطع تقطع السحاب وتستحيل فتكون كالهل وتتميع وتسيل قال منذر بن سعيد وغيره بينما الناس في موطن القيامة وقوف سموت عكوف والارض قد بدلت وجوع الخليقة محضرة قد أكلت وهم شاخصون في حيرة من الامر ساكتون اذ أمر الله عز وجل السماء الدنيا ان تستحيل وينزوى بعضها الى بعض وتنقبض وتشقق فتبقى واهية وتصير ملائكتها في أرجائها وهي حافاتها وجوانبها ثم انها تتقطع تقطع السحاب وتستحيل استحالة السراب وتنزل ملائكته الى الارض أفواجا صفوفا وأعدادا ألوفا لهم زجل بالذكر والتسبيح والتقديس والتحميد والتكبير والتهليل باصوات تلين الفؤاد وتطرب الاكباد حتى يأخذ كل واحد منهم من الارض موضع قدميه قائما على الموضع الذي نزل عليه فيقيمون كذلك عكوفا ذاكرين الله رافعين أصواتهم بالذكر والثناء والابتهال لله رب العالمين ثم يأمر الله سبحانه بالسماء الثانية أن تستحيل أيضا كذلك وتنزل ملائكتها أيضا الى الارض ثم السماء الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك ثم الخامسة كذلك ثم السادسة كذلك ثم السابعة كذلك والناس قيام ينظرون في غمرة يتحيرون وما من سماء الا وهي أعظم من التي دونها الى الارض وأوسع وأهلها أكثر عددا وأعظم

﴿فصل﴾ وخرج مسلم من حديث المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليمان بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الارض أو الميل الذي تكحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وعن أبي أمامة رضي الله عنه في هذا الحديث قال تدنى الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا كذا تغلى منها الهوام كما تغلى القدور على الاثافي ذكره قاسم ابن أصبغ وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه وأشار ابن أبي جمرة رضي الله عنه الى ان هذه الاحاديث مخصصة قال وقد جاء ان هناك من لا يحضر تلك المواطن مثل الشهداء لانه قد جاء انهم يقومون من قبورهم الى قصورهم ومنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جاء في حقهم انهم على كراسيّ في ظل عرش الرحمن وان العلماء هناك دون الانبياء بدرجة والصديقين دونهم (قلت) وهذا بين من الآيات والاحاديث كقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون الآية وكقوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال ابن عطية لا يخافون في الآخرة جملة ولا في الدنيا الخوف الدنياوي وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الآية يعطي ظاهرها ان من آمن واتقى الله فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أولياء الله قال الذين اذا رأيتهم ذكرت الله قال ابن عطية وهذا وصف لازم للمتقين لانهم يخشعون ويخشعون وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أولياء الله قوم تحابوا في الله واجتمعوا في ذاته لم تجمعهم قرابة ولا مال يتعاطونه وروى الدارقطني في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خيار عباد الله الذين اذا رأوا ذكر الله وشرار عباد الله المشاؤن بالنميمة

المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وذكر الطبرى عن جماعة من العلماء مثل مافى الحديث فى الاولياء أنهم هم الذين اذا رآهم أحد ذكر الله وروى فيهم حديث ان أولياء الله هم قوم يتحابون فى الله ويجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتنير وجوههم فهم فى عرصة القيامة لايخافون ولا يحزنون وروى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمكانهم من الله قالوا ومن هم يارسول الله قال قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام ولا أموال الحديث ثم قرأ ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون (قلت) وقد خرج هذا الحديث أبو داود والنسائى قال أبو داود فى هذا الحديث قوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ذكره باسناد آخر ورواه أيضا ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال ياأيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله عز وجل فقال اعرابى انعتهم لنا يانبى الله قال هم ناس من أبناء الناس لم تصبهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون (قلت) وهذه كانت صفة الصحابة رضى الله عنهم فقد قال سبحانه فيهم وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقال فيهم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وروى مالك فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الا ظلى قال أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى لوأنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم قال نزلت فى المتحابين فى الله سبحانه قال أبو عمر وأما قوله فاليوم أظلهم فى ظلى فانه أراد والله أعلم فى ظل عرشه وقد يكون الظل كناية عن الرحمة كما قال ان المتقين فى ظلال وعيون يعنى بذلك ماهم فيه من الرحمة والنعيم اللهم اجعلنا من أولئك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وبالجملة فهذه الاهوال انما هى فى حق الكافرين والمذنبين المخلطين من المؤمنين ولكن يخاف كل عبد على نفسه أن يكون منهم فيجب عليه أن يسعى فى خلاص نفسه ويلازم الخوف من مقام ربه وروى أبو بكر بن أبى شيبة بسنده عن سلمان رضى الله عنه قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوس الحديث ورواه ابن المبارك فى رقائقه قال أخبرنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان رضى الله عنه قال تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤسهم قاب قوس أوقاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على أحد يومئذ طحربة ولا ترى فيه عورة مؤمن ولا مؤمنة ولا يضرحرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة وأما الآخرون أوقال الكفار فتطبخهم طبخا فانما تقول أجوافهم غق غق قال نعيم الطحربة الخرقة (قلت) وهذا أيضا ليس على عمومه لما تقدم من ان الناس عند خروجهم من قبورهم منهم المكسو ومنهم العريان قال شاكر بن مسلم وتقلب الشمس يوم القيامة ويصير وجهها مما يلى الارض ليباشروا حرها لانها فى الدنيا وجهها الى السماء وتدنى الى الناس حتى تغلى منها أدمغتهم من شدة حرها وروى أبو بكر البزار فى مسنده عن جابر

ابن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العرق ليلزم المرء فى الموقف حتى يقول يارب ارسالك بى الى النار أهون على مما أجد وهو يعلم مافيها من شدة العذاب (قلت) وحديث ابن المبارك رواه أيضا هناد بن السرى بسنده عن سفيان عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان رضى الله عنه فذكره سواء الا أنه قال ولايجد حرها بدل ولا يضر وقال وأما الكافرون أو الآخرون فتطبخهم طبخا حتى يسمع لاجوافهم غق غق ورواه أبو بكر بن أبى شيبة وقال حتى تقول أجوافهم غر غر فاذا رأواماهم فيه قال بعضهم لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ائتوا أباكم آدم فيشفع لكم الحديث بطوله وسيأتى مرفوعا ان شاء الله تعالى وقد روى شاكر ابن مسلم هذا الحديث عن سلمان وأبى هريرة رضى الله عنهما فذكره سواء الا أنه قال فتطبخهم طبخا حتى تغلى أجوافهم فيسمع لغليان أجوافهم صوت قال أبوهريرة ويقصر الوقت على المؤمن حتى يكون كوقت صلاة قال شاكر بن مسلم ويبقى الخلق كلهم مختلطين فى صعيد واحد مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم وجنهم وانسهم والوحش والطير وغير ذلك الا الانبياء وأصحاب الكرامات من الاولياء والشهداء فانهم يكونون ممتازين على منازل بقدر مكانتهم من كرامة الله سبحانه تبشرهم الملائكة بالفوز والنجاة وتؤمنهم من الفزع الاكبر وتسكنهم من هول ذلك المطلع وكل قد وكل به ملك يحوطه ويحفظه ويمنعه كما قد وكل بالشقى سائق يسوقه ويدفعه ومع كل بر وفاجر عمله يبشره بما يؤمنه كلما مر بالولى هول قالت له ملائكة الرحمة ابشر ياولى الله لاتخف ولا تحزن فانك ناج معصوم فذلك قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم وتتلقاهم الملائكة أفواجا فى تلك المواطن وتسلم عليهم وترحب بهم ويقولون ياأولياء الله لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون هذا يومكم الذى كنتم توعدون (قلت) وقد نصت الآية الكريمة على هذه المعانى الجليلة قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فى ماشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون قال القرطبى قوله لايضر حرها مؤمنا ولا مؤمنة ظاهره العموم فى جميع المؤمنين وليس كذلك وانما المراد والله أعلم لايضر مؤمنا كامل الايمان ومن استظل بظل عرش الرحمن كما جاء فى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله الامام العادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه قال القرطبى ومعنى فى ظله أى فى ظل عرشه وقد جاء هكذا مفسرا فى الحديث وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه وهنا اشارة اذا نظرناها يزيد المرء بها تهويلا وتعظيما وهوانه أخبر صلى الله عليه وسلم ان النار تدور بالمحشر كالخاتم بالاصبع وان الشمس ينقلب وجهها الى الناس وتدنى من رؤسهم حتى يكون بينها وبينهم قدر الميل وهو المرود الذى تكحل به العين فانظر كيف تكون حرارة تلك الارض التى يكون الناس عليها وماذا عسى أن يزويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعا ثم بعد ذلك يلجمهم وكيف تكون حرارته فسبحان الذى حبس أرواحهم مع هذا البلاء العظيم

أعاذنا الله منه بجاه نبيه محمد الكريم صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم وروى أبونعيم فى الحلية عن الفضيل بن عياض عن منصور عن خيثمة قال قيل لعبد الله بن عمرو ان ابن مسعود يقول ان الرجل يسيح فى عرقه حتى يبلغ أنفه فقال عبد الله بن عمرو ان للمؤمنين كراسى من لؤلؤ يجلسون عليها ويظل عليهم بالغمام ويكون يوم القيامة عليهم كساعة من نهار أوكأحد طرفيه قال الغزالى فى الدرة الفاخرة وكيف لايكون العرق والقلق والارق وقد قربت الشمس حتى لومد أحدهم يده لنالها ويضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض على هيئتها يوم القيامة لاحرقت الارض وأذابت الصخور ونشفت الانهار (قلت) فتأمل ياأخى هذه الاهوال وقدم لنفسك صالح الاعمال مادام رمق الحياة قبل انتقالك لمحلة الاموات قال عبد الحق رحمه الله فتفكر فى هذا المجتمع وهذا الهول الاشنع وكيف يقوم الناس على أقدامهم وأنت معهم فى ضيق مقام وطول قيام وقد انشقت السماء فوقهم وذابت عليهم وسالت على رؤسهم فيالك من هول تهد منه الجبال فكيف بالرجال فتفكر فى ذلك الازدحام وقدقربت الشمس منهم قبل تكويرها وكانت كمقدار ميل وقد زيد فى حرها وضوعف فى وجهها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته من كسبك قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه وظلال الآخرة مافيها مباح بل كلها قد تملكت بالاعمال ألتى عملها العاملون الذين هداهم الله تعالى لتلك الاعمال التى نوابها بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن فى ظل صدقته يوم القيامة فليس هناك لصعلوك الاعمال ظل قال ابن العربى فى العارضة وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث وصح فى مسلم ان البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة تظللان صاحبها قال وقد استفاض ان كل واحد يظله عمله وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله الحديث قال ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى وقد جاء ان ثم من لايحضر تلك المواطن مثل الشهداء لانه قد جاء انهم يقومون من قبورهم الى قصورهم ومنهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما جاء فى حقهم انهم على كراسى وان العلماء هناك دون الانبياء بدرجة والصديقين دونهم وهذه كلها أخبار والخبر لايدخله نسخ ويسوغ الجمع بينها بان تقول قوله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس هو حال الاغلب فى الناس وان غيرهم ممن ذكرنا مستثنون ممن ذكروهم قلائل ويبقى قوله يعرق الناس على عمومه فيمن بقى لان الاكثر من الناس يوم القيامة هم الكفار كما جاء فى حديث بعث النار (قلت) وهذا كلام عليه نور وبه تنشرح الصدور ومقام ابن أبى جمرة فى العلم عظيم أعنى علم الظاهر والباطن فليس بعد كلامه مرمى لغيره فانه ممن قد من عليه بالمواهب الربانية والمعارف النورانية أعاد الله علينا من بركاته وبركة أمثاله فى الدنيا والآخرة قال القرطبى ذكر المحاسبى وغيره ان انفطار السماء وانشقاقها بعد جموع الناس فى الموقف وهو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما الا أن فى سندهما ضعفا ومقتضى حديث أبى هريرة ان ذلك يكون قبل جمع الناس (قلت) ماذكره المحاسبى هو الظاهر وهو الذى عول عليه الناس فى المصنفات وعليه يدل ظواهر الآيات كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام الى قوله وكان يوما على الكافرين عسيرا وغيره من الآيات وحديث أبى هريرة المشار اليه هو مارواه على بن معبد عن أبى هريرة رضى الله عنه ان نفخة الفزع تمتد وان ذلك يوم الجمعة فى النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ثم تكون سرابا ثم ترتج الارض باهلها رجا وتضع الحوامل مافى بطونها ويشيب الولدان ويولى الناس مدبرين ثم ينظرون الى السماء فاذا هى كالمهل ثم انشقت ثم قال النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم والموتى لايعلمون شيأ من ذلك قلت يارسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله قال أولئك هم الشهداء انتهى مختصرا قال صاحب التذكرة وهذا الحديث ذكره الطبرى والثعلبى وصححه ابن العربى فى سراج المريدين وقال عبد الحق هو حديث منقطع لايصح والذى عليه المحققون ان هذه الاهوال هى بعد البعث قاله صاحب التذكرة وغيره

﴿فصل﴾ قال الغزالى فى الدرة الفاخرة والناس على أنواع فى الحشر فالملوك كالذر كما قد جاء عن المتكبرين وليس هم كهيئة الذر فى الخلقة وانما المعنى انهم تحت الاقدام حتى صاروا كالذر فى مذلتهم وانحطاطهم وقوم يشربون ماء باردا عذبا زلالا الان الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤس من أنهار الجنة وقوم قد صعد على رؤسهم ظل يمنعهم من الحر وهى الصدقة الطيبة قال الغزالى فى الاحياء تأمل يامسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم فان منهم من ينادى ويقول يارب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ منك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله تعالى من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف أونهى عن منكر فانه يستخرجه الحياء والخوف من الله تعالى فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والافتضاح فى القيامة فانه يوم عظيم شديد طويل ثم قال فى موضع آخر فى أهوال الموقف واذا أدنيت الشمس من رؤس العالمين قاب قوسين وقد ضوعف حرها لم يبق على الارض ظل الاظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فكم بين مستظل بظل العرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها اللهم عاملنا فى الدارين برحمتك معاملة أوليائك روى أبونعيم فى الحلية عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عين باكية يوم القيامة الاعين غضت عن محارم الله عز وجل وعين سهرت فى سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذبابة من خشية الله عز وجل وروى أبونعيم عن أبى موسى رضى الله عنه قال ان الشمس فوق الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم وتضحيهم وروى أبونعيم عن سعيد الجريرى عن رجل قال رأيت ابن عباس أخذ بثمرة لسانه وهو يقول ويحك قل خيرا تغنم وأسكت عن شر تسلم ثم قال بلغنى ان العبد يوم القيامة ليس هو على شئ أحنق منه على لسانه (قلت) ومن أجل هذا يجب على العبد ان يحفظ لسانه ويحاسب نفسه وروى أبو نعيم عن أيوب السختيانى عن طاوس أنه كان يقول مارأيت أحدا كان أشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس والله لو أشاء اذا ذكرته ان أبكى لبكيت وعن أبى رجاء قال كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشراك البالى

﴿فصل﴾ قال القرطبى قال الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب الارشاد له ولايبعد عندك رحمك الله أن يكون الناس كلهم فى صعيد واحد وموقف سواء وأحدهم يشرب والآخر لايشرب وأحدهم يسعى نوره بين يديه والآخر فى الظلمات وأحدهم فى حر الشمس والآخر مستظل بظل العرش مع قرب المكان والمجاورة فانهم كذلك كانوا فى الدنيا يمشى المؤمن بنور ايمانه بين الناس والكافر فى ظلام كفره والمؤمن فى وقاية الله وكفايته والكافر والعاصى فى خذلانه وغوايته والمؤمن السنى يكرع فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ويروى ببرد اليقين ويمشى فى سبل

الهداية بحسن الاقتداء والمبتدع عطشان سالك فى مسالك الضلالات والبدع وهو لايدرى كذلك فى الوجود الاعمى لايجدنو ربصر البصير ولاينفعه

﴿ باب ماجاء فى طول يوم القيامة وذكر الشفاعة العامة ﴾

قال الله سبحانه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن صاحب ذهب وفضة لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث قال عبد الحق رحمه الله تعالى اعلم رحمك الله ان يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الايام بل هو آلاف من الاعوام يتصرف فيه هذا الانام على الوجوه والاقدام حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الاحكام وليس يكون خلاصهم فى دفعة واحد ولافراغهم فى مرة واحدة بل يتخلصون و يفرغون شيأ بعد شئ لكن طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم ثم قال عبد الحق فمن الناس من يطول مقامه وحبسه الى آخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله فى ذلك اليوم فى مقدار يوم من أيام الدنيا أوفى ساعة من ساعته أوفى اقل من ذلك و يكون رائحا فى ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يؤمر به الى الجنة بغير حساب ولاعذاب كما ان منهم من يؤمر به الى النار فى أول الامر من غير وقوف ولا انتظار أو بعد يسير من ذلك اليوم وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم الا وقد نزل كل انسان بداره واستقر بقراره من جنته أوناره (قلت) الا انه قد جاء الاثر انه لايدخل أحد الجنة أوالنار الا وليس عليه طلبة لاحد بل لايدخل مستقره حتى يتخلص من غرمائه ثم قال فتفكر أيها الانسان فى طول ذلك اليوم وفى طول ذلك القيام مع ذلك الحال الاخطر والهول الذى لايكيف ولايقدر واختر لنفسك كم تريد ان تقف فيه وكيف تريد أن تكون فيه مادام النظر اليك والاختيار بيدك مع توفيق ربك عز وجل لك ومعونته اياك قال الغزالى فى الاحياء اعلم ان من طال انتظاره فى الدنيا للموت لشدة مقاساته الصبر من الشهوات فانه يقصر انتظاره فى ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام بقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل فى أيام قصار لايام طوال تربح ربحا لامنتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون ألف سنة فلولم تعمل الا لتخلص من ذلك اليوم دون رجاء الجنة وخوف النار لكان ربحك كثيرا أو نعيمك كبيرا وتعبك يسيرا قال الغزالى رحمه الله تعالى قال النبى صلى الله عليه وسلم ان أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا قال رحمه الله فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزى والمقت سيآته ولما علم أرباب البصائر من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون فى الحساب شمروا عن ساق الجد فربحوا يوم المآب قال عبد الحق واعلم أنه كلما طال قيامك فى طاعة الله عز وجل وتعبك له قصر قيامك فى ذلك اليوم وقل تعبك وكلما كثر تصرفك فى طاعة الله عز وجل

واقبالك وادبارك فى قضاء حاجة مسلم يقل مشيك فى ذلك اليوم ويقل نصبك وبقدر ماتبذل تعطى وكما تدين تدان

﴿فصل﴾ وذكر الغزالى فى الدرة الفاخرة أن الرسل يوم القيامة على المنابر والانبياء على منابر صغار دونهم ومنبر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسى من نور والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان من مسك وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسى هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن كتاب الاحياء قال الغزالى قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك لايهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم الناس وهم به راضون ورجل أذن فى مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجهه ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب الارشاد انه يلهم رؤس المحشر الطالب ممن يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء اتباع الرسل على ماسيأتى ان شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ فى الشفاعة العامة روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه واللفظ لمسلم قال أوتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الاولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالايطيقون ومالايحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ماأنتم فيه ألا ترون ماقد بلغكم ألا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى الى ماقد بلغنا فيقول آدم ان ربى عز وجل غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى الارض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى اذهبوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبى الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم ابراهيم ان ربى قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم موسى ان ربى قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهد وكلمة منه ألقاها الى مريم وروح منه فاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم عيسى ان ربى قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك

وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألاترى ماقد بلغنا فانطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه لاحد قبلى ثم قال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يارب أمتى أمتى فيقال يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب والذى نفس محمد بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أوكما بين مكة وبصرى وفى رواية فنهش نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة ثم نهس أخرى فقال أنا سيد الناس يوم القيامة فلما رأى أصحابه لايسئلونه قال ألا تقولون كيفه قالوا كيفه يارسول الله قال يقوم الناس لرب العالمين وساق الحديث وزاد فى قصة ابراهيم قال وذكر قوله فى الكوكب هذا ربى وقوله لاسقم لهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم قال والذى نفس محمد بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة الى عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر أوهجر ومكة قال لاأدرى أى ذلك قال وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنا أول الناس يشفع فى الجنة وأنا أكثر الانبياء تبعا وأنا أول من يقرع باب الجنة وفى رواية أنا أول شفيع فى الجنة لم يصدق نبى من الانبياء ماصدقت وان من الانبياء مايصدقه من أمته الا رجل واحد وفى رواية آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لاحد قبلك وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة يدعو بها فأريد أختبئ دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة وفى رواية لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى فهى نائلة ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيأ وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة دعاها لامته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى الآية وقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتى اللهم أمتى وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فسله مايبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك

(باب جامع فى تفسير آيات فى أحوال يوم القيامة وذكر شئ من أحاديث الشفاعة والمقام المحمود)

قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة الى قوله لاتخفى منكم خافية قال ابن عطية روى أبو هريرة رضى الله عنه انها ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة البعث وقالت فرقة انما هما نفختان كأنهم جعلوا الفزع والصعق فى نفخة واحدة مستدلين بقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون قالوا وأخرى لايقال الا فى الثانية قال ابن عطية والاول أصح وأخرى يقال فى الثالثة ومنه قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى ولنرجع الى الكلام على الآية المتقدمة قال ابن عطية وقرأ الجمهور وحملت الارض بتخفيف الميم بمعنى حملتها الرياح والقدرة وذكرنا معناه سوى جميعها وانشقاق السماء هو تفطرها وتميز بعضها

من بعض وذلك هو الوهى الذى ينالها كما يقال فى الجذران البالية المتشققة واهية والملك اسم جنس يريد به الملائكة وقال جمهور من المفسرين الضمير فى أرجائها عائد على السماء أى الملائكة على نواحيها وقال الضحاك وابن جبير وغيرهما الضمير فى أرجائها عائد على الارض وان لم يتقدم لها ذكر قريب لان القصة واللفظ يقتضى افهام ذلك وفسروا هذه الآية بما روى من ان الله تعالى يأمر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم يأمر ملائكة السماء الثانية فيصفون خلفهم ثم كذلك ملائكة كل سماء فكلما نذ أحد من الجن والانس وجدوا الارض قد أحيط بها قالوا وهذا تفسير هذه الآية وهو أيضا معنى قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وهو تفسير يوم التنادى يوم تولون مدبرين على قراءة من شد الدال وهو تفسير قوله تعالى يامعشر الجن والانس الآية واختلف الناس فى الثمانية الحاملين العرش فقال ابن عباس هى ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك على هيئة الوعول وقال جماعة من المفسرين هم على هيئة الناس أرجلهم تحت الارض السابعة ورؤسهم وكواهلهم فوق السماء السابعة وقال الغزالى فى الدرة الفاخرة هم ثمانية أملاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة والضمير فى قوله فوقهم قيل هو للملائكة الحملة وقيل للعالم كله وقوله تعالى يومئذ تعرضون خطاب لجميع العالم وفى الحديث الصحيح يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال وخصال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تتطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان قال الطبرى قال قوم المعنى يقال لهم يوم القيامة يامعشر الجن والانس ان استطعتم الآية قال الضحاك وذلك انه يفر الناس من أقطار الارض والجن كذلك لما يرون من هول يوم القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أحاطت بالارض فيرجعون من حيث جاؤا فحينئذ يقال لهم يامعشر الجن والانس وقوله فانفذوا صيغة أمر ومعناه التعجيز والشواظ لهب النار قاله ابن عباس وغيره قال أبو حيان الشواظ هو اللهب الخالص بغير دخان والنحاس هو المعروف قاله ابن عباس وغيره أى يذاب و يرسل عليهما ونحوه فى البخارى وقال الخليل النحاس هو الدخان الذى لا لهب له وقوله سبحانه فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف مقصود به الابهام كأنه يقول فاذا انشقت فيا أعظم الهول قال قتادة السماء اليوم خضراء وهى يوم القيامة حمراء ومعنى قوله وردة أى محمرة كالوردة وهى النوار المعروف وهذا قول الزجاج وغيره وقوله كالدهان قال مجاهد وغيره هو جمع دهن وذلك ان السماء يعتريها يوم القيامة ذوب وتميع من شدة الهول وقال ابن جريج من جهنم نقله الثعلبى

﴿فصل﴾ قال شاكر بن مسلم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الانبياء على منابر من ذهب يوم القيامة يجلسون عليها و يبقى منبرى لاجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا لامتى مخافة أن يبعث بى الى الجنة دونهم فيبقون بعدى فأقول يارب أمتى أمتى فيقول وما تريد أن أصنعه بامتك فأقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون رجلا رجلا فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ومنهم من يدخلها بشفاعتى فلا أزال أشفع حتى أعطى لهم صكاكا برجال قد سير بهم الى النار فيخرجون منها الى الجنة فيقول مالك خازن النار يامحمد ماتركت النار تأخذ لغضب ربك فى أمتك وماتركت ربك ينتقم من عصاة أمتك حق الانتقام وروى البخارى من حديث آدم بن على قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها

يقولون يافلان اشفع يافلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وقد رواه حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى الترمذي حديث الشفاعة مطولا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا الى ربنا فيقول اني أذنبت ذنبا فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيقول اني دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فأقول أنا محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فأخر ساجدا لله فيلهمني من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله فيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس الا هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها قال الترمذي حديث حسن وخرجه أبو داود الطيالسي عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتيني الناس فيقولون اشفع لنا الى ربنا حتى يقضي بيننا فأقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فاذا أراد الله أن يقضي بين خلقه نادى مناد أين محمد وأمته فأقوم وتتبعني أمتي غرا محجلين من أثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الآخرون الاولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة أن تكون أنبياء كلها وذكر الحديث قال القرطبي قوله فيفزع الناس ثلاث فزعات انما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان فاذا نظرت الى الخلائق فارت وثارت وشهقت الى الخلائق وزفرت نحوهم ووثبت عليهم غضبا لغضب ربهم على ما يأتي بيانه فيتساقط الخلائق على ركبهم جثاء قد أسبلوا مدامعهم ونادى الظالمون بالويل والثبور ثم تزفر الثانية فازداد الرعب والخوف في القلوب ثم تزفر الثالثة فيتساقط الخلائق على وجوههم ويشخصون بابصارهم ينظرون من طرف خفي خوفا أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها نجانا الله منها ومن كل هول في الدنيا والآخرة وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذ وفدوا وأنا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي وفي رواية وأنا شفيعهم اذا أيسوا وأنا مبشرهم اذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون قال عياض في الاكمال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمس شفاعات الاولى العامة الثانية ادخال قوم الجنة بغير حساب وقد ذكرها مسلم الثالثة في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله أن يشفع الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين الشفاعة الخامسة هي في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها قال عياض وعلى هذا فلا يلتفت لقول من قال انه يكره أن تسأل الله أن يرزقك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لانها في زعمه لا تكون الا للمذنبين فانها قد تكون لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل

عاقل معترف بالتقصير محتاج الى العفو غير معتد بعمله مشفق أن يكون من الهالكين ويلزم هذا القائل أن لايدعو بالمغفرة والرحمة لانها لاصحاب الذنوب أيضا وهذا كله خلاف ماعرف من دعاء السلف الصالح والخلف انتهى كلام عياض (قلت) وروى أبونعيم فى الحلية عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا شفيع لكل رجلين اتحيا فى الله من مبعثى الى يوم القيامة

(باب ماجاء ان الجنة تساق الى المحشر والنار كذلك)

قال الله سبحانه وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين الآية قال ابن عطية أزلفت معناه قربت وقال تعالى يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قال ابن عطية وأزلفت معناه قربت ولما احتمل معناه أن يكون معناه بالوعد والاخبار رفع الاحتمال بقوله غير بعيد قال أبو حيان غير بعيد أى مكانا غير بعيد وقال تعالى اذا الشمس كورت الى قوله واذا الجنة أزلفت قال ابن عطية معناه قربت ليدخلها المؤمنون وقال الثعلبى قربت لاهلها حتى يرونها نظيره وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد علمت نفس عند ذلك ماأحضرت من خير أوشر وهو جواب لقوله اذا الشمس ولفظ القرطبى واذا الجنة أزلفت أى قربت لاهلها وأدنيت علمت نفس ماأحضرت أى من عملها وهو مثل قوله ينبؤ الانسان يومئذ بماقدم وأخر قال شاكر بن مسلم ثم يأمر الله عز وجل بالجنة فتساق الى الموقف تزف كما تزف العروس وتزلف فيراها اليائس والحريص يبعث الله سبحانه اليها ملائكة الرحمة فيأتون بها كيف شاء الله سبحانه من حيث شاء لانها فى سعة ملكه وتحت قدرته وسلطانه وفى علمه المحيط بكل شئ تزفها الملائكة كما تزف العروس فى بهجتها وبهائها فتأتى والملائكة حولها يحفون بها ويحيطون بها بالتحميد والتقديس وقد فتحت أبوابها وزينت أسبابها وزخرفت قصورها ووسعت أزقتها وكف بالجمال والحسن سورها وأينعت بساتينها ورياضها وفاضت بالمياه حياضها ودرت أنهارها وطابت ثمارها وتدلت قطوفها وغردت أطيارها وانتشر طيبها وفاح ريحها وانبعث نسيمها واستبان للابصار نعيمها تلوح فيها قصور الياقوت والدر ويفوح منها ريح المسك الاذفر والكافور والعنبر يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام فلا يفقده الا من فرط فى شروط الاسلام يراها كل بر وفاجر وكل مؤمن وكافر لتكون فرحة لكل مؤمن تقى وحسرة على كل فاجر شقى فاذا جىء بها الى الموقف وضعت عن يمين العرش فذلك قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقوله وأزلفت الجنة غير بعيد ثم ينطقها الذى خلقها ويلقى كلامها فى مسامع خلقه كما أنطقها فتقول قد أفلح المؤمنون وربح العاملون وأنجح الباذلون لمثل هذا فليعمل العاملون ثم يأمر الله عز وجل النار كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره فتساق الى الموقف كما يساق البعير الشارد الصعب المرام المعاند فينظر اليها ويراها كل من أمنها أو يصلاها ليشقى بالخوف منها من يصلاها ويعرف قدر النعمة من ينجو من لظاها يبعث اليها ملائكة الغضب والعذاب فيأتون بها كيف شاء الله لانها فى علمه المحيط بمخلوقاته فترى وتسمع وتكلم الناس وتفهم يسوقها ملائكة العذاب الى الموقف سوقا عنيفا مذمومة بسبعين ألف زمام من حديد تتوقد نارا على كل زمام سبعون ألف ملك قال بعضهم عظم أحدهم فى خلقته كما بين السماء والارض أوما بين المشرق والمغرب فذلك قوله تعالى وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى وقوله يوم يتذكر الانسان ماسعى

وبرزت الجحيم لمن يرى وقوله وبرزت الجحيم للغاوين (قلت) وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقد قدمنا قبل ماذكره ابن عتاب عن الفضيل بن عياض انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة الى الحساب فيرى أمرا عظيما فيلتفت عن يمينه فيرى قوما فى ظل العرش وقوما على كراسى من نور قد ظللوا بالغمام وقوما فى الجنة ويلتفت عن يساره فيرى قوما يعذبون فى النار فى أعناقهم السلاسل والاغلال وقوما يسحبون فى النار على وجوههم قال شاكر بن مسلم وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج يوم القيامة عنق من النار له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول انى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد و بكل من ادعى مع الله الها آخر و بأهل التصاوير وقال ابن عباس فاذا خرج ذلك العنق من النار وتكلم فسمعه الناس و رأوه فروا جميعا فى أقطار الارض مخافة أن ينالهم من حره وأن يهلكوا من سفعه فندوا كما يند البعير الشارد فتكفهم الملائكة يضربون و جوههم وأدبارهم يردونهم الى الموقف فالنار أعرف بأهلها منهم وأحرص عليهم من الوالدة بولدها قال بعض العلماء توقف جهنم فى الموقف فيراها أهلها الذين قدر لهم أن يدخلوها فيقع ببالهم و يغلب على ظنهم و يثبت فى أنفسهم انهم صائرون اليها فيتوكفون دخولها وانهم لتعرفهم بسيماهم حتى انها لاعرف بهم من الوالدة بولدها فاذا تطايرت الصحف ونشرت الدواوين وثبت الامر اليقين ونودى الناس للحساب عند رب العالمين خرج عنق من النار فغشى أهل الموقف الامن عصم من أولياء الله المؤمنين وعباده الصالحين (قلت) الحديث الذى ذكره خرجه الترمذى وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء قال أبو عيسى هذا حديث حسن وفى رواية أخرى لابى داود ملأه الله أمنا وايمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشرا حسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة قال القرطبى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى الله عز وجل هل فيه ماء قال والذى نفسى بيده ان فيه لماء وان أولياء الله ليردون حياض الانبياء الحديث وسيأتى ان شاء الله تعالى وان حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعب فيه ميزابان من الجنة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وذكر الغزالى فى الدرة الفاخرة ان الله تعالى يأمر يوم القيامة بالجنة أن تزخرف وتزلف أى تقرب ولها نسيم طيب أعبق مايكون وأذكى فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام فتنتعش النفوس وتحيى القلوب الا قوم كانت أعمالهم فى الدنيا خبيثة فانهم منعوا من ريحها فتوضع عن يمين العرش ثم يأمر الله جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام فى كل زمام سبعون ألف حلقة لو جمع حديد أهل الارض كله ماعدل منها حلقة واحدة على كل حلقة سبعون ألف ملك من الزبانية لوأمر زبانى أن يدك الجبال لدكها والارض لهدها واذا لها شهيق ودوى وشرر ودخان يسد الافق ظلمته فاذا كان بينها وبين الخلائق ألف عام تفلتت من أيدى سائقيها ولم يقدروا على امساكها لعظم شأنها حتى تأتى على أهل الموقف فيجثون كلهم على الركب وهو قوله تعالى وترى كل أمة جاثية وعن تفلتها قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و زفيرا وقال سبحانه تكاد تميز من الغيظ أى تكاد تنشق من شدة الغيظ فيبرز لها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأمر الله سبحانه فيأخذ بخطامها و يقول لها ارجعى مدحورة الى خلفك حتى يأتيك أفواجك فتنادى من سرادقات

الجلال اسمعى منه وأطيعى ثم تجذب وتجعل عن شمال العرش ويحدث أهل الموقف بزجرتها فيخف وجلهم وهو قوله سبحانه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد ذكر القرطبى نحو ماتقدم ولفظه وجاء فى الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ويؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله عزوجل كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيآت عن يسار العرش مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول قال القرطبى روى أبو هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المستهزئين بعباد الله فى الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة فيقال لهم ادخلوا الجنة فاذا جاؤا أغلق الباب وتفتح لهم الثانية فيقال لهم ادخلوا الجنة فاذا جاؤا أغلق الباب وتفتح لهم الثالثة فيدعون فلا يجيبون قال فيقول لهم الرب سبحانه أنتم المستهزؤن بعبادى أنتم آخر الناس حسابا فيقومون فى عرقهم فينادون يار بنا اما صرفتنا الى جهنم واما الى رضوانك وقد ذكرنا عن أبى حامد فى موضع آخر من هذا الكتاب ماهو فى معنى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤمر يوم القيامة بالناس الى الجنة حتى اذ دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ماأعد الله لاهلها نودوا أن اصرفوهم لانصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يار بنا لو أدخلتنا النار قبل أن تو ريناما أريتنا من ثوابك وماأعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا فيقول سبحانه ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين الحديث وفى مختصر الطبرى عن عبدالله بن عمرو قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لاحد منهم حاجة الى السلطان لم تقض لهم حتى يموت وهى فى صدره وان الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا وأوذوا فى سبيلى وجاهدوا ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون فيقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب جل ثناؤه هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

﴿باب أسماء يوم القيامة﴾

قد تعرض لذكر أسماء يوم القيامة الغزالى فى الاحياء وعبد الحق فى العاقبة والقرطبى فى التذكرة وأنا أذكرها ان شاء الله على نسق الغزالى وربما زدت من غيره قال رحمه الله فاستعد يامسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القريب أوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قدانكدرت والشمس فيه قد كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت والنفوس زوجت والجنة أزلفت والجحيم سعرت والارض مدت وألقت مافيها وتخلت يوم زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره يوم حملت فيه الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت

فيه الارض زجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الاهمسا يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ورضي له قولا يوم تنشق فيه السماء وتكون وردة كالدهان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذجاءني يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ويؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لوأن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ماأحضرت وتعلم ماقدمت وأخرت يوما يجعل الولدان شيبا فيا أيها القارئ حظك من قراءتك أن تختم القرآن وتحرك به الشفة واللسان ولوكنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك واذا قنعت بحركة اللسان فقد منعت ثمرة القرآن وأسماء يوم القيامة أحد ماذكر فيه وأكثر سبحانه من أسامي لتقف بكثرة أسمائها على كثرة معانيها وليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل المقصود تنبيه ذوي الالباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوته معنى فاحرص هداك الله على فهم معانيها ونحن نجمع لك ان شاء الله تعالى أساميها فهي يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المنافسة ويوم المناقشة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم النازعة ويوم القارعة ويوم الرجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم يكشف عن ساق ويوم القصاص ويوم ولات حين مناص ويوم التنادي ويوم الاشهاد ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار اما في الجنة أوالنار ويوم اللقا ويوم القضا ويوم الجزا ويوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيرا ويوم البلا ويوم البكا ويوم الحشر ويوم النشر ويوم الوعيد ويوم العذاب الشديد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم البعث ويوم الجمع ويوم الفصل ويوم الخزي ويوم عقيم ويوم عظيم ويوم عسير ويوم قطرير ويوم المصير ويوم الدين ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الراجفة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الخروج ويوم الوقوف ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم يصدعون ويومهم على النار يفتنون ويوم لاريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لاتجزي نفس عن نفس شيأ ويوم لاتملك نفس لنفس شيأ ويوم لايغني عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لايغني مولى عن مولى شيأ ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار على وجوههم ويوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ويوم لايجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ويوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لامرد له من

الله يومئذ يستدعون ويوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم العرض يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ويوم الجدال يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ويوم التبديل يوم تبدل الارض غير الارض ويوم التقلب قال تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ويوم الشخوص قال سبحانه انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ويوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والخلة والحلال الصداقة والمودة ويوم لا ريب فيه ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه بيض الله وجوهنا بانوارة وجعلنا من خاصة أوليائه الذين من عليهم بالنجاة من هذه الاهوال وأسبغ عليهم سوابغ النعم وجميل الافضال

(باب فى ذكر الحساب وتطاير الصحف وأخذ الكتب)

روى مسلم عن أبى برزة الاسلمى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وخرجه أيضا الترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح قال القرطبى هذا الحديث مخصص بقوله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ونحوه من الاحاديث وروى أبو نعيم فى الحلية عن وكيع بن الجراح أنه قال الحلال المحض لا نعرفه اليوم ولكن لا نجد الا السعة فالدنيا عندنا حلال وحرام وشبهات فالحلال حساب والحرام عقاب والشبهات عتاب فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة وخذ منها ما يقيمك فان كانت حلالا كنت قد زهدت فيها وان كانت حراما كنت قد أخذت منها ما يقيمك وان كانت شبهات كان فيها عتاب يسير وقال أحمد بن أبى الحوارى سمعت وكيعا يقول انما العاقل من عقل عن الله أمره ليس من عقل أمر دنياه وخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أو شئ فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدون الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرنا وذكر أبو بكر الشافعى من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر هل تدرى فيما تنتطحان قلت لا أدرى قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما وروى أبو عيسى الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الاكبر وانما يخف الحساب على من حاسب نفسه فى الدنيا وروى أبو داود الطيالسى بسنده عن عائشة رضى الله عنها وذكر عندها القضاة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط وروى الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده فى كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تبارك وتعالى ينادى يوم القيامة يا عبادى أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابا فانكم مسؤلون محاسبون يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان

المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وروى الترمذى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه رضى الله عنهما قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم قال ان الامر اذا الشديد وروى أبو بكر البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله تعالى لاصغر نعمة أحسبة قال فى ديوان النعم خذى تمنك من عمله الصالح فيستوعب عمله الصالح ثم تحى فتقول وعزتك مااستوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل فاذا أراد الله أن يرحم عبدا قال ياعبدى قد ضاعفت حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك وأحسبه قال ووهبتك نعمى وروى الحافظ أبو نعيم فى حليته عن مجاهد فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال عن كل شئ من لذة الدنيا وروى أبو نعيم فى الحلية عن حسان ابن عطية أنه قال ثلاثة ليس عليهم حساب فى مطعمهم الصائم حين يفطر والصائم حين يتسحر وطعام الضيف يعنى والله أعلم مايأكله من فضلة الضيف وقال ان العبد اذا قال عند طعامه اللهم اجعله لى رزقا طيبا لاتبعة فيه ولاحساب فقد أدى شكره وروى الطبرانى سليمان بن أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسئله عن جاهه كما يسئله عن عمله وروى أبو بكر البزار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ثلاثة فظلم لايغفره الله وظلم يغفره وظلم لايتركه فأما الظلم الذى لايغفره الله فالشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد لانفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذى لايتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم من بعض وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب يوم القيامة عذب قالت فقلت يارسول الله أليس قد قال الله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب انما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث الاعمش عن أبى وائل شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يخطو خطوة الا سئل عنها ماأراد بها وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الناس يارسول الله عن أى النعيم نسئل فانما هما الاسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مايسئل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد قال الترمذى حديث غريب وخرج الحارث بن أبى أسامة عن عبد الله ابن أنيس رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد أو قال الناس شك همام وأومأ بيده الى الشام عراة غرلا بهما قال مابهما قال ليس معهم شئ فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب أنا الملك أنا الديان لاينبغى لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قال قلنا وكيف وانما نأتى الله حفاة عراة قال بالحسنات والسيئات قال القرطبى هذا الحديث الذى أراد البخارى بقوله ورحل جابر بن عبد الله مسيرة

شهر الى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد وروى أبو نعيم فى حليته عن أبى الشعثاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين عليه السلام قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته فيقص بعضها ببعض فاذا بقيت حسنة وسع الله له فى الجنة وروى سفيان ابن عيينة عن مسعر عن عمرو بن مرة قال سمعت الشعبى يقول حدثنى الربيع بن خيثم وكان من معادن الصدق قال ان أهل الدين فى الآخرة أشد تقاضيا له منكم فى الدنيا يحبس لهم فيأخذونه فيقول يارب ألست ترانى حافيا فيقول خذوا من حسناته بقدر الذى لهم فان لم تكن له حسنات يقول زيدوا على سيآته من سيآتهم وذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث البراء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صاحب الدين مأسور يوم القيامة بالدين وروى أبو نعيم الحافظ باسناده عن زادان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ بيد العبد أو الامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة بان يدور لها الحق على ابنها أو أخيها أو أبيها أو على زوجها فيقول الرب تعالى ائت هؤلاء حقوقهم فيقول رب فنيت الدنيا فمن أين آتيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل فيضاعفها الله سبحانه حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا فى النار وعنه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان ان لو كان أكثر من ذلك

﴿فصل﴾ روى عن معروف أنه قال لاصحابه يوقف عبد بين يدى الله تعالى يوم القيامة فيقول عبدى كيف تركت عيالك قال أغنياء قال أما انى قد أفقرتهم بعدك انطلقوا به الى النار ثم قال ويوقف عبد بين يدى الله تعالى فيقول له كيف تركت عيالك قال فقراء قال أما انى قد أغنيتهم بعدك انطلقوا به الى الجنة وروى رزين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك الى وما بينى وبينك معرفة فيقول كنت ترانى على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى وروى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال لما رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر الى الحبشة قال ألا تحدثونى باعجب ما رأيتم بارض الحبشة فقال فتية منهم بلى يارسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت اليه فقالت سوف تعلم يا غدار اذا وضع الله الكرسى وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدى والارجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم (قلت) قال القشيرى فى التحبير قيل لو أن رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لا يدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يؤخذ بدانق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى الخصم وقيل لا يكون شئ أشد على أهل القيامة من أن يرى الانسان من يعرفه مخافة أن يدعى عليه شيأ والدانق سدس درهم ولما تكلم عياض على مناقب أبى الاحوص أحمد بن عبد الله وكان قد صحب سحنون وسمع منه كثيرا وكان متقللا من الدنيا زاهدا فيها قال وذكر

الفقيه ابن العباد انه لما مات أبو الاحوص رآه بعض أصحابه كأنه واقف على باب الجنة يريد الدخول ورجل زيات من أهل سوسة يمنعه من الدخول ويقول لا أدعك تدخل حتى تعطيني حقي فقال هذا قصر أعطيكه قال لا قال فقصرين قال لا قال فقات ياهذا تعطيك قصرين في الجنة فتأبى وانما لك عليه درهمان فنغضي نفضة وقال ان الله تبارك اسمه لا يكذب ولا يكذب لابد من القصاص يوم القيامة فانتبهت لنفضه وأنا أعرف الزيات فغدوت الى المسجد الجامع وجلست بين الابواب للصلاة حتى دخل الرجل فاشرت اليه ليأتي فلما انقضت الصلاة قلت له ياأبا فلان مالك على أبي الاحوص فقد أوصاني لك بشئ أنسيه فقال درهمان فدفعتهما اليه وأخبرته بالرؤيا وروى أبو نعيم في حليته عن مالك بن دينار عن سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجأن باقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار فقال سالم يارسول الله بابي أنت وأمي حل لنا هؤلاء القوم حتى نعرفهم فوالذي بعثك بالحق اني أتخوف أن أكون منهم قال ياسالم أما انهم يصومون ويصلون ولكن كانوا اذا عرض لهم شئ من الحرام وثبوا عليه فاحبط الله عز وجل أعمالهم

(فصل) روى أبو عيسى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير الحديث وفيه فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورواه ابن ماجه ورواه أبو بكر البزار أيضا عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال وأما الثالثة فتطاير الكتب يمينا وشمالا وروى الترمذي الحكيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فتطاير الصحف فالجدال لاهل الاهواء لانهم لا يعرفون ربهم فيظنون انهم اذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم سبحانه الى آدم والى أنبيائه على جميعهم الصلاة والسلام ويقيم سبحانه حجته عندهم على الاعداء ثم يبعثهم الى النار فانه سبحانه يحب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهرا حتى لا تأخذهم الحيرة وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل ولا أحد أحب اليه العذر من الله سبحانه والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الاكبر يخلو بهم سبحانه فيعاتب في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياة ويرفض عرقا بين يديه ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ثم يغفر لهم ويرضى عنهم (قلت) أما مجادلة أهل الكفر والزيغ فقد أنبأنا الله سبحانه بها فقال سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها الآية وقال سبحانه يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين الى غير ذلك وقال أيضا سبحانه في اعتذارهم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية وهذا هو ظاهر الاحاديث ان الجدال والاعتذار واقع من الذين عرضوا على الله سبحانه فان ثبت حديث باعتذار الله سبحانه لانبيائه ورسله فلا كلام لاحد معه وان لم يثبت فظاهر الآيات والاحاديث ماذكرنا والله سبحانه أعلم ولفظ شاكر بن مسلم قال يوقف الناس يوم القيامة عند ربهم فيعرضون عليه سبحانه ثلاث مرات فأول عرضة منها يسئل العبد عما عمل وما قال ويوبخ فيجيب ويعتذر ويجادل عن نفسه ثم يرسل فيقف ثم يؤتى كتابه فيعرض ويسئل ويقرر ويلام ويوبخ على مافي كتابه فيجادل عن نفسه ويعتذر ثم يوقف فيعرض الثالثة كذلك ويقرر على مافي كتابه فيجيب بما شاء الله سبحانه فهالك موبق بذنوبه أو مغفور له

ومنهم المقر ومنهم من تشهد عليه جوارحه وقال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة على ربهم ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تتطاير الصحف فى الايدى فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ونحو ذلك فى كتاب الترمذى قال القرطبى ذكر أبو جعفر العقيلى من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الكتب كلها تحت العرش فاذا كان الموقف بعث الله ريحا فتطيرها بالايمان والشمائل أول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وروى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له فأين أبو بكر يارسول الله قال هيهات زفته الملائكة الى الجنان وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله سبحانه يوم ندعو كل أناس بامامهم قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم ويقول أبشروا لكل واحد منكم مثل هذا قال وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لاتأتنا به قال فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل واحد منكم مثل هذا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب (قلت) وفى حديث آخر يعظم للنار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران ويقال انطلق الى أصحابك فأخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا وقال ابراهيم بن أدهم كل آدمى فى عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله فاذا مات طويت واذا بعث نشرت وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال ابن عباس طائره عمله قال الحسن يقرأ الانسان كتابه أميا كان أو غير أمى وقال أبو السوار العدوى وقرأ هذه الآية وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال هما نشرتان وطية أما ماحييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ماشئت فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها قال الله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال القرطبى فدل على ان المحاسبة تكون عند ابتداء الكتب لان الناس اذا بعثوا لايكونون ذاكرين لاعمالهم قال الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وذكر أبو نعيم عن محمد بن عبد الرحمن قال سمعت ابن المبارك يقول

وطارت الصحف فى الايدى منشرة * فيها السرائر والجبار مطلع
فكيف سهوك والانباء واقعة * عما قليل ولاتدرى بما تقع
اما الجنان وعيش لاانقضاء له * أو الجحيم فلا تبقى ولاتدع
تهوى بساكنها طورا وترفعه * اذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
لينفع العلم قبل الموت صاحبه * قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

وروى أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم الختلى فى كتاب الديباج له بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يدنى الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع اليه كتابه فى ذلك الستر فيقول له اقرأ يا ابن آدم كتابك قال فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه قال فيقول الله تعالى له تعرف ياعبدى فيقول نعم يارب أعرف قال فيقول

سبحانه فانى أعرف بها منك قد غفر تهالك فلا يزال بحسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد فلا يرى الخلائق منه الا ذلك حتى ينادى الخلائق بعضهم بعضا طوبى لهذا العبد الذى لم يعص الله قط ولا يذكرون ماقد لقى فيما بينه وبين الله سبحانه مما قد وقفه عليه وفى الحديث عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال له اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا ثلاث مرات قال وهو يقر ليس ينكر وهو مشفق من الكبائر ان تجئ قال فاذا أراد الله به خيرا قال أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول حين طمع يارب ان لى ذنوبا مارأيتها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ثم تلا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات هذا حديث حسن صحيح وخرج مسلم فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لايستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لاأراها ههنا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم لايستر الله على عبد فى الدنيا الاستره يوم القيامة وفى صحيح مسلم أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وروى من ستر على مسلم عورته ستر الله عورته يوم القيامة قال أبو حامد فى كتاب الاحياء وهذا انما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة *(تنبيه)* قال القرطبى رحمه الله تعالى فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم أول الباب وعن علمه ماعمل فيه هذا مقام مخوف لانه لم يقل وعن علمه ماقال فيه وانما قال ماعمل فيه فلينظر العبد ماعمل فيما علمه هل صدق الله فى ذلك والآيات والاخبار بالوعد والوعيد فى هذا كثيرة وروى مسلم عن صفوان بن محرز قال قال رجل لابن عمر رضى الله عنهما كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى قال سمعته يقول يدنى الله سبحانه المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول رب أعرف قال فيقول سبحانه انى سترتها عليك فى الدنيا وانى أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الالعنة الله على الظالمين وروى عن على رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة خلا الله عز وجل بعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا ثم يغفر اليه سبحانه له لايطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل وستر من ذنوبه عليه مايكره أن يوقف عليها ثم يقول لسيآته كونى حسنات وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال ماستر الله على عبد فى الدنيا الا ستر الله عليه فى الآخرة قال القرطبى وهذا مأخوذ من حديث النجوى ومن قوله صلى الله عليه وسلم لايستر الله على عبد فى الدنيا الا ستره يوم القيامة خرجه مسلم قال الغزالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة مابين شفرى عينى أحدهم مسيرة خمسمائة عام فما ظنك اذا شاهدت مثل هؤلاء ارسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم ثم ذكر شهادة الاعضاء على العبد وقوله

لاعضائه بعد الكن وصفا فعنكن كنت أناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الاعضاء قال الغزالى الا أن الله تعالى وعد المؤمنين أن يستر عليهم ولا يطلع عليهم غيرهم ثم استدل على ذلك بحديث النجوى المتقدم

﴿ باب فى ماجاء أن أول مايحاسب عليه العبد الصلاة ﴾

روى النسائى عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مايحاسب عليه العبد الصلاة وأول مايقضى بين الناس فى الدماء و روى مالك عن يحيى بن سعيد قال بلغنى ان أول ماينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت نظر فيما بقى من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فى شئ من عمله وقد رواه أبوداود والترمذى والنسائى مرفوعا بهذا المعنى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول مايحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عز و جل للائكته انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شئ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع قال أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الاعمال على ذلك وهذا لفظ أبى داود وخرجه ابن ماجه أيضا و روى الترمذى عن أبى مسعود الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجزء صلاة لايقيم فيها الرجل صلبه فى الركوع والسجود وقال حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم و روى أبو داود الطيالسى فى مسنده بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتنى فترفع واذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتنى فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه و روى أبونعيم فى الحلية عن عبدالله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا أدلكم على أمر اذا أنتم فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم وان أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر ولو يعلمون مافيها لاتوهما ولو حبوا وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك

(فصل) قال المحاسبى رحمه الله تعالى فتوهم نفسك وقد نوديت باسمك أين فلان بن فلان هلم الى العرض على الملك الديان وقد وكلت الملائكة بأخذك وقربك الى الله تعالى لم يمنعها اشتباه الاسماء باسمك اذ عرفت انك المراد بالدعاء اذ قرع النداء قلبك فعلمت انك المطلوب فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك بتخطيك الصفوف الى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق اليك أبصارهم وأنت فى أيدى الملائكة وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك فتوهم نفسك وأنت بين يدى ربك وفى يدك صحيفتك مخبرة بعملك لاتغادر بلية كتمتها ولا مجاهرة أسررتها وأنت تقرأ مافيها بلسان كليل وقلب منكسر ذليل فليت شعرى بأى لسان تجيبه حين يسئلك عن قبيح فعلك وعظيم جرمك وأى قلب يحتمل كلام الملك الجبار فى عظمته وقد سمعت كلامه قد كرت ذنوبك فتوهم نفسك بهذه الهيبة والاهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكرها وكم من عمل طيب ظننت أنه قد سلم لك وحبط رده عليك فى وقت الموقف وكم من سيئة قد كنت أخفيتها أظهرها وأبداها لك بعد ان كان أملك فيه عظيما فيا حسرة قلبك وتأسفك على مافرطت فيه من طاعة ربك حتى اذا كرد

السؤال تذكرت كل بلية ونشر كل خفية فاجهدك الكرب و بلغ الحياء منك منتهاه لمخالفتك أمره وقلة حيائك منه وقلة اكتراثك باطلاعه عليك وتوهم نفسك بعد المسائلة وقد يدالك منه أحد أمرين اما العفو والرضى أم الغضب فأما أن يقول لك عبدى أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم وقد غفرت لك كبير جرمك و يسفر لذلك وجهك فتوهم نفسك وقد قالها لك فبدا اشراق السرور ونوره فى وجهك فابيض لذلك بعد كآبته وتوهم فرحتك برضائه عنك حين سمعته يقول لك ذلك كدت أن تموت فرحا وسرورا فكيف بك لو قد سمعت من الله الرضى فأمن خوفك وسكن حذرك وحقق أملك وأيقنت بفوزك ونعيمك وتوهم نفسك وقد خرجت على الخلائق بوجه قد حل به الكمال والجمال والحسن كتابك فى يمينك آخذ بضبعيك ملك ينادى على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا لقد شهرك الله سبحانه بالرضى عند جميع خلقه وحقق حسن الظانين بك وان فى هذه المنزلة غدا على رؤس الخلائق لعوضا من المنزلة عند العباد بطاعتك والتصنع لهم فى الدنيا فان زهدت فى التصنع وطلب المنزلة عندهم بطاعة ربك وعاملته وحده وعوضك المنزلة الكبرى على رؤس الخلائق فشهرك برضائه عنك و ولايته اياك فتوهم نفسك وأنت تتخطى الرقاب كتابك فى يمينك بجمال وجهك ونوره وفرحة قلبك وسروره وقد شخصت الابصار اليك وغبطك أهل ذلك الجمع فليعظم فى ذلك أملك فانه ان تفضل عليك بذلك نلت الدرجة العليا وان كان غير ذلك فانى أخاف أن يقول لك عبدى أنا عليك غضبان فلن أغفرلك عظيم ماأتيت ولن أتقبل منك ماعملت وأن يقول لك عند بعض ذنوبك العظيمة وعزتى وجلالى لاتذهب بها منى فتوهم نفسك ان لم يعف عنك وقد قالها لك وأمر الزبانية فابتدرتك بغلاظتها غضبا لغضب الله تعالى متقربون اليه بالعنف وادخال الذل والهوان عليك فتوهم نفسك وأنت فى أيديهم ذليلا موقنا بالهلاك وهم ذاهبون بك الى النار وقد اسود وجهك وأنت تنادى بالويل والثبور وقد أفضحك عند خلقه وعند من آثرته عليه بالمعاملة ورضيت بحمده على طاعة ربك عوضا من حمده فتوهم ذلك واذكر هذا الخطر وكن حذرا لاحد الامرين

*(فصل) وخرج أبوداود عن عائشة رضى الله عنها قالت ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك فقلت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أوفى شماله أومن وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين يدى جهنم حتى يجوز

(فصل) فى بيان قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث النجوى المتقدم فى قول الله سبحانه لعبده انى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال القرطبى هذا نص منه سبحانه على صحة قول أهل السنة فى ترك انفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم

ولايرهب ابن العم ماعشت صولتى * ولايختشى من رقوة المتهدد

وانى متى أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

قال ابن العربى انه كذلك عند العرب وأما مالك الملوك سبحانه القدوس الصادق فلا يقع أبدا خبره الا وفق مخبره كان ثوابا أوعقابا والذى قاله المحققون فى ذلك قول بديع وهو ان الآيات وقعت مطلقة فى الوعد والوعيد عامة لخصصتها الشريعة و بينها البارى تعالى فى آيات أخر كقوله تعالى

ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء وكقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الآية وكقوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية وبالشفاعة التى أكرم الله سبحانه بها نبيه صلى الله عليه وسلم ومن شاء من الخلق بعده

(باب ماجاء ان الله سبحانه يكلم العبد ليس بينه و بينه ترجمان وذكر ظلم الذمى)

روى مسلم عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الاسيكلمه الله ليس بينه و بينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الاماقدم وينظر اشأم فلا يرى الاماقدم وينظر بين يديه فلا يرى الاالنار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة زاد فى رواية ولو بكلمة طيبة ورواه البخارى والترمذى وقال حديث حسن صحيح قال القرطبى قيل ان الله سبحانه يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معا ولا يحاسبهم واحدا واحدا ويروى عن على رضى الله عنه وقد سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة وخرج الترمذى وابن المبارك عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين يدى الله عز وجل فيقول الله له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعنى آتيك به فيقول أرنى ماقدمت فيقول يارب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعنى آتيك به فاذا عبد لم يقدم خيرا فيفضى به الى النار قال الترمذى حديث صحيح قال القرطبى قوله مامنكم من أحد مخصص بقوله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ونحوه من الاحاديث و بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن الحديث و بقوله سبحانه يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام

(فصل) روى أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم دنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من ظلم معاهدا وانتقصه من حقه أن كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيأ بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة صححه أبو محمد عبد الحق

(باب فى ارضاء الله سبحانه الخصماء فى الآخرة)

قال القرطبى روينا فى الاربعين وذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم تضحك يارسول الله قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب عز وجل فقال أحدهما خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يارب مابقى من حسناتى شئ فقال يارب فليحمل من أوزارى وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه أن تحمل عنهم أوزارهم قال الله تعالى لطالب حقه ارفع بصرك فانظر الى الجنان فرفع رأسه فرأى ماأعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يارب فقال لمن أعطانى ثمنه قال ومن يملك ثمن ذلك قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يارب فانى قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة رضى الله عنه قال يجىء المؤمن يوم القيامة

وقد أخذه صاحب الدين فيقول ديني على هذا فيقول الله تعالى أنا أحق من قضى عن عبدى قال فيرضى هذا من دينه و يغفر له هذا قال ابن أبي الدنيا وحدثني عبدالله بن محمد بن اسماعيل قال بلغني ان الله أوحى الى بعض أنبيائه بعيني مايتحمل المتحملون من أجلي ومايكابدون فى طلب مرضاتي أترانى أنسى لهم عملا كيف وأنا أرحم بخلقي ولو كنت معاجلا بالعقوبة أحدا أوكانت العجلة من شأني لعاجلت بها القانطين من رحمتي ولو ترى عبادى المؤمنون كيف أستوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم فى جوارى اذن ماتهموا فضلي وكرمي قال القرطبي وهذا لبعض الناس ممن أراد الله به رحمته فيغفر له و يرضى خصمه وقد يكون هذا فى الطالمين الاوابين وهو قوله تعالى فانه كان للاوابين غفورا والاواب الذى أقلع عن الذنب فلم يعد اليه كذا تأوله أبو حامد وهو تأويل حسن أو يكون ذلك فيمن له خبيئة حسنة من عمل صالح يغفر الله له به و يرضى خصماءه كما تقدم ولو كان هذا عاما فى جميع الناس مادخل أحد النار وكذلك ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ينادى من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم و بقيت التباعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي هو من هذا المعنى ولو كان على عمومه مادخل أحد النار

(باب أول مايقضى فيه بين الناس فى الدماء)

روى مسلم والبخارى والترمذى والنسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول مايقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء وروى محمد بن كعب القرظى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول مايقضى بينهم فى الدماء يأتى كل قتيل قتل فى سبيل الله فيأمر كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول يارب سل هذا فيم قتلني فيقول الله تعالى وهو أعلم فيم قتلته فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول الله تعالى صدقت فيجعل الله تعالى وجهه مثل نور الشمس ثم تشيعه الملائكة الى الجنان ثم يأتى كل من قتل على غير ذلك يأتى كل من قتل يحمل رأسه وتشخب أوداجه دما فيقول يارب سل هذا فيم قتلني فيقول الله تعالى وهو أعلم فيم قتلته فيقول رب قتلته لتكون العزة لى فيقول الله تعالى تعست ثم لاتبقى قتلة الاقتل بها ولا مظلمة ظلمها الا أخذ بها وكان فى مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء رحمه وروى الغيلانى أبو طالب محمد ابن محمد بن ابراهيم بن غيلان عن أبي بكر محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله البزار المعروف بالشافعى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يأتى المقتول معلق رأسه باحدى يديه متلببا قاتله بيده الاخرى تشخب أوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه هذا قتلني فيقول الله تعالى للقاتل تعست و يذهب به الى النار وخرجه ابن المبارك موقوفا على ابن مسعود وخرجه الترمذى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء المقتول يوم القيامة ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول يارب قتلني هذا حتى يدنيه من العرش قال هذا حديث غريب

(باب ماجاء فى اثم من رأى منكرا فلم يغيره وفى ثواب من أمر بمعروف أونهى عن منكر)

روى أبو نعيم الحافظ بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايقفن أحدكم على رجل يضرب ظلما فان اللعنة تنزل من السماء على من حضره ولايقفن أحدكم على رجل

يقتل ظلما فان اللعنة تنزل من السماء على من حضره اذا لم يدفعوا عنه وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسئل العبد يوم القيامة حتى يقول له مامنعك اذ رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يارب رجوتك وفرقت من الناس ورواه الفريابي بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحقرن أحدكم نفسه اذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه فيقال يوم القيامة مامنعك اذ رأيت كذا وكذا أن تقول فيه فيقول أي رب خفت الناس فيقول اياى كنت أحق أن تخاف وروى الليث بن سعيد قال حدثني محمد بن عجلان أن وافدا النظري أخبره عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن رجال يوم القيامة ليسوا بانبياء ولاشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور قالوا ومن هم يارسول الله قال هم الذين يحببون الله الى الناس ويحببون الناس الى الله ويمشون لله في الارض نصحاء قلنا يارسول الله هذا يحببون الله الى الناس فكيف يحببون الناس الى الله قال يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى

(باب ماجاء ان أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول من يحاسب وأول من يدخل الجنة)

روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن آخر الامم وأول من يحاسب يقال أين الامة الامية ونبيها فنحن الآخرون الاولون وفي رواية عن ابن عباس فنفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من أثر الوضوء فتقول الامم كادت هذه الامة أن تكون كلها أنبياء وخرجه أبو داود الطيالسي بمعناه وخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة وفي رواية السابقون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي رواية المقضي بينهم هذا لفظ مسلم

(باب في كثرة الخلق يوم القيامة)

قال القرطبي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرون صفا طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة قيل يارسول الله كم المؤمنون قال ثلاثة صفوف فقيل له والمشركون فقال مائة وسبعة عشر صفا قيل فما صفة المؤمنين من الكافرين قال المؤمنون كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود ذكر هذا الحديث القتبي في عيون الاخبار له (قلت) ويشهد لصحته حديث بعث النار فقد روى مسلم والبخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا آدم اخرج بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين أي الى النار وواحدا الى الجنة قال فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال ابشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل الحديث

(باب ماجاء في كثرة أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن يدخل الجنة بغير حساب)

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع

فى الجنة وأنا أكثر الانبياء تبعا وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يأتى معى من أمتى يوم القيامة مثل السيل فيحطم الناس حطمة فتقول الملائكة لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الانبياء وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى ليس معه أحد اذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الحديث وروى مسلم عن عبدالله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قال فكبرنا قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبرنا ثم قال انى لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون فى الكفار الا كشعرة بيضاء فى ثور أسود او كشعرة سوداء فى ثور أبيض وروى أبو بكر بن أبى شيبة بسنده عن الشعبى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال أفيسركم أن تكونوا نصف أهل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال انى أمتى يوم القيامة ثلثا أهل الجنة وان الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف وأمتى من ذلك ثمانون صفا ورواه مرفوعا عن عبدالله بن مسعود وروى الترمذى وابن ماجه عن بريدة بن حصيب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم قال أبو عيسى هذا حديث حسن وروى الترمذى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لاحساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى قال الترمذى حديث غريب ورواه ابن ماجه أيضا وروى أبو بكر البزار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا مع كل واحد من السبعين ألفا سبعون ألفا (قلت) يعنى والله أعلم بغير حساب كما سيأتى وروى أبو بكر البزار وأبو عبدالله الترمذى الحكيم عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أعطانى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته قال فقد استزدته فاعطانى مع كل واحد من السبعين الالف سبعين ألفا فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطانى هكذا وفتح أبو وهب يديه فقال أبو وهب قال هشام هذا من الله مايدرى ماعدده وروى أبو نعيم عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وعدنى ربى أن يدخل من أمتى الجنة مائة ألف قال أبو بكر يارسول الله زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يارسول الله زدنا قال عمر ان الله عز وجل قادر على أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق عمر هذا حديث غريب من حديث قتادة عن أنس تفرد به أبو هلال واسمه محمد بن سليم الراسبى ثقة بصرى وما وقع فى الاحاديث من ذكر الحفنة والقبضة والحثية فأول عند الائمة وليس هو كما يفهم فى المخلوقات فتعالى الله عن ذلك فلا يشبه شيأ سبحانه ولا يشبهه شئ فالواجب اعتقاد التنزيه ولا سبيل الى الكيف والتشبيه وأسند القرطبى فى تذكرته عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يجد له خلفا ورجل لم ينصب على مستوقده بقدرين قط ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيهما تريد وقال ابن

مسعود من احتفر بئرا بفلاة من الارض ايمانا واحتسابا دخل الجنة بلا حساب قال القرطبي في تذكرته ونقلت من الزيادات بعد الاربعين لاسماعيل بن عبد الغافر رحمه الله قال حدثنا الحسين بن علي حدثنا يزيد بن هرون عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن أبي ليلى عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسماعيل وان طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب

﴿ انتهى الجزء الاول من العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني أوله باب ماينجي من أهوال يوم القيامة ﴾

(فهرست الجزء الاول من كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة)

صحيفه

٢ خطبة الكتاب

٣ باب ماجاء في فضل ذكر الموت وحسن الاستعداد له وفي ذكر قصر الامل

٤ فصل قال القرطبي اعلم ان ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار

فصل قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه

٧ فصل قال الجوزي في الصفوة وعن أحمد بن عاصم قال قال هرم بن حيان لاويس القرني أوصني

١١ فصل وخطب بعض الخلفاء بما قال

١٢ باب في ذكر الموت والوفاة ومصير الارواح بعد الممات وما يستحب من أحوال المحتضرين وفي حسن الظن بالله تعالى وتلقين الشهادة وتأنيس المحتضر باحاديث الرجاء ليحسن ظنه بربه سبحانه

١٥ فصل في حسن الظن بالله سبحانه وتلقين الميت

١٧ فصل وقد قدمنا أنه ينبغي لجلساء المريض أو المحتضر

٢٥ فصل في تلقين الميت

٢٦ فصل وعن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول صلى الله عليه وسلم قال قلب القرآن يس الخ الحديث

باب مايدعو به العبد قبل موته

٢٨ باب مايقال عند المريض وفي اغماضه ومن يحضره

فصل ورأيت أن أذكر وصية

٢٩ تنبيه ولما تكلم عبد الحق على أمر الخاتمة

٣٠ باب جامع لمواعظ وفي ذكر الخاتمة والحث على الاستعداد للآخرة وماجاء في ذلك من كلام أولياء الله العارفين نظما ونثرا وماجاء في الشيب

٣١ فصل قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى من أكثر ذكر القبر

٣٢ فصل قال أبو حامد رحمه الله تعالى اعلم أنك ان أمهلت نفسك

٣٤ فصل قال ابن العربي الحاتمي واعلم ان الناس منذ خلقهم الله عز وجل وأخرجهم من العدم الى الوجود لم يزالوا مسافرين

٣٥ فصل ومما أنشده الشيخ الولي أبو بكر محمد بن قسوم في الوعظ بأمور الآخرة

٣٩ فصل قوله سبحانه وجاءكم النذير

٤٣ باب ماجاء أن التوبة تقبل مالم يغرغر

٤٤ فصل والواجب على من له عناية بنفسه وشفقة عليها أن يبادر بالتوبة

٤٦ باب كيفية التوفي للموتى واختلاف أحوالهم في ذلك وكيف يصعد بالروح وفرح الملائكة والموتى بالمؤمن المطيع وذكر ماقيل في الروح

٤٧ فصل في ذكر حديث البراء المشهور الجامع لاحوال الموتى عند قبض أرواحهم

٤٩ فصل وروى أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال قرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فقال

٥٠ فصل قال صاحب التذكرة وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أنه كان يقول اذا قتل العبد في سبيل الله كان أول

صحيفه

قطرة تقطر من دمه الى الارض كفارة للخطايا

٥١ فصل قلت ظاهر الاحاديث ان روح المؤمن هي التي يرقى بها في السموات وان أرواح الكفار والفجار تغلق دونها أبواب السماء

٥٢ فصل ومن تاليف الفقيه شاكر بن مسلم الاوريولي وهو من أئمة الاندلس ذكر في كتابه هذا حكاية أنه رأى النجم الذي له ذنب

٥٤ فصل وذكر صاحب كتاب التشوف ان سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل على رجل من أصحابه وهو في النزع فسلم فسمع رد السلام عليه ولم ير شخصا فقال سلمان يا ملك الموت ارفق بصاحبنا فقال

٥٥ فصل قال الغزالي في كتاب الاحياء قال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند موته أعماله الحسنة وأعماله السيئة

فصل قال الغزالي فهذه الاخبار تدلك على أن الموت ليس عبارة عن اعدام الروح وانعدام ادراكها

٥٦ فصل قال القرطبي رحمه الله تعالى تأمل يا أخي وفقني الله واياك جميع ما تقدم من الاحاديث ترشدك الى أن الروح والنفس شيء واحد

٥٧ فصل قال ابن عطية رحمه الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة

باب في حمل الجنازة الى القبر وكلامها وفضل اتباعها والصلاة عليها وما جاء في حسن الثناء عليها

٥٩ باب في أحوال القبر وسؤال الملكين وفي دخول عمل المؤمن عليه في أحسن صورة اذا كان العمل صالحا

٦٢ فصل قال شاكر بن مسلم وقد قال غير واحد من العلماء ونحوه لابن حبيب اذا مات الانسان حضرته الملائكة فان كان من أهل السعادة صعدت بروحه ملائكة الرحمة

٦٤ فصل في معنى ما تقدم قال القرطبي وروى نقلة الاخبار عن ابن عباس رضي الله عنهما في خبر الاسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل وماذا نك قال منكر ونكير الحديث

٦٦ فصل منه وذكر الغزالي رحمه الله في الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة من حديث يذكره عن ابن مسعود رضي الله عنه وفي بعض النسخ عن ابن عباس أنه قال يا رسول الله ما أول ما يلقى الميت اذا أدخل قبره

٦٨ فصل قال صاحب التذكرة جاء في حديث البخاري ومسلم سؤال الملكين

فصل قال عبد الحق والقرطبي ذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا

٧٠ باب ما جاء في كلام القبر وضغطته وما ينجى من ضغطته وفتنته

٧١ فصل روى النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة واحدة ثم فرج عنه

٧٢ باب ما يقال عند وضع الميت في قبره واستحباب الوقوف قليلا بعد الدفن والدعاء له بالتثبيت

٧٣ باب تلقين الميت بعد الدفن وذكر ما ينجى من أهوال القبر وفتنته وعذابه

٧٤ فصل ونقل القرطبي في تذكرته ان مما ينجى من أهوال القبر وفتنته وعذابه

٧٧ فصل وروى أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة الخ الحديث

صحيفه

٧٨ باب ماجاء ان الميت يعرض عليه مقعده وعرض الاعمال على الموتى وفرحهم بالحسنات والاعمال الصالحات
فصل وروى ابن المبارك عن أبي الدرداء رضى الله عنه انه كان يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم
٧٩ فصل قال ابن أبي جمرة فى قوله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه مقعده أى موضعه
باب جامع لاحوال الموتى ومايحكى فى ذلك من العجائب وتبشير الملائكة للعبد وماينكشف له عقب الموت
٨٠ فصل ذكر الوائلى الحافظ فى كتاب الابانة له من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينا أنا أسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من الارض فى عنقه سلسلة
فصل فى بيان قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية
٨١ فصل قال الغزالى فى الاحياء قال يزيد الرقاشى بلغنى ان الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله
٨٢ فصل قال الغزالى واعلم ان الموقن ينكشف له عقب الموت من سعة الله سبحانه ماتكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن
فصل قال الغزالى رحمه الله تعالى قال عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ خير الا فى عمل الآخرة
٨٣ فصل قال الشيخ ابن أبي جمرة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة الليل تنور القبر
٨٤ باب روى البخارى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم رؤيا الخ الحديث
٨٥ باب جامع فى أرواح الشهداء وغيرهم واختلاف أحوالهم بحسب اختلاف مقاماتهم عند الله سبحانه وكم عدد الشهداء
٨٦ فصل وأما عدد الشهداء
٨٧ فصل ومن الاحاديث الصحيحة فى فضل الشهداء
٨٨ باب ماشوهد للموتى فى قبورهم
باب ماجاء ان البهائم تسمع عذاب القبر
٨٩ باب ماجاء فى زيارة القبور والسلام على أهلها وقراءة القرآن والدعاء لهم والصدقة عليهم وان ذلك كله يصل اليهم وان الميت يعرف من زاره ويستأنس به
٩٠ فصل وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفى دعاه
فصل قال القرطبى ينبغى لمن عزم على زيارة القبور أن يتأدب بآدابها
٩١ فصل قال القرطبى وروى من حديث أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرأ بسورة يس
٩٣ فصل قال القرطبى قال الحسن من وصل المقابر فقال اللهم رب هذه الاجساد البالية
٩٥ فصل قال محمد عبد الحق الخ (فى قراءة القرآن على القبور)
٩٦ فصل فى الصدقة قد تقدم انه لاخلاف فى وصول ثواب الصدقة الى الميت
٩٨ فصل قال القرطبى وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتتصدق عن ميتك صدقة الخ الحديث
٩٩ باب جامع روى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم
١٠٠ فصل روى مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه
فصل فائدة ينفع الله بها من استعملها

صحيفة

١٠١ فصل روى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مشيعى الجنازة قد وكل بهم ملك

فصل روى أبو نعيم بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفى غفلة مما خلقه الله عز وجل الخ الحديث

تنبيه ذكر أبو نعيم فى الحلية عن سفيان الثورى أنه قال ان الملكين يجذان ريح الحسنات والسيآت

١٠٥ باب ما روى من عجائب الموتى ورفع بعضهم الى السماء وكلامهم واخبارهم بما أنعم الله سبحانه به عليهم

١١٢ باب ذكر حكايات فى الشهداء

١١٥ باب ماجاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه

١١٦ باب ذكر منامات رئيت لبعض الصالحين تدل على ما هم فيه من الخير

١٢٠ باب ما قيل فى القبور

١٢٣ باب ماجاء فى النهى عن تجصيص القبور والكتابة عليها

باب ماجاء فى ثواب من قدم ولدا

١٢٥ فصل وأما أولاد المشركين

باب ذكر كلمات حكمية

١٢٧ باب ماجاء أن الانسان يبلى الا عجب الذنب وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء والشهداء

فصل وروى سعيد بن المسيب أن جثث الانبياء لا تبقى فى الارض أكثر من أربعين يوما ثم ترفع

١٢٨ باب فى ذكر خروج الدجال ويأجوج ومأجوج وقيام الساعة

١٢٩ فصل قال المحاسبى رحمه الله تعالى وتوهم الفناء والبلى اذا انقطعت أوصالك فى القبر

تنبيه روى أبو نعيم فى الحلية عن عقبة ابن عبد الغافر قال ما طلعت الشمس الا وبجنبتها ملكان يناديان

١٣٠ باب ذكر الدجال وذكر النفخ فى الصور وبعث من فى القبور

١٣٢ باب بيعث كل عبد على ما مات عليه

١٣٤ باب ماجاء ان العبد اذا خرج من قبره يتلقاه ملكاه وعمله

١٣٦ باب فى تعارف الموتى وسؤال بعضهم بعضا عند خروجهم من قبورهم وبيان حال وفودهم وأنواع حشرهم

١٣٨ فصل ذكر القرطبى حديثا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال معاذ قلت يارسول الله أرأيت قول الله عز وجل يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا

١٣٩ باب منه فى الحشر وأول من يكسى

١٤٠ باب فى صفة حسن الناس وفى قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم

فصل قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم الآية

١٤١ باب ماجاء فى قوله سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار

١٤٢ باب ماجاء فى بعث الايام والليالى وشهادة البقع وغيرها

١٤٣ فصل وروى ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال من سجد فى موضع

١٤٤ باب ماجاء فى انشقاق السماء ونزول الملائكة ودنو الشمس من الخلق وتفاوتهم فى العرق

١٤٥ فصل وخرج مسلم من حديث المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق الخ الحديث

١٤٩ فصل قال الغزالى فى الدرة الفاخرة والناس على أنواع فى الحشر

صحيفه
١٤٩ فصل قال القرطبي قال الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب الارشاد له ولا يبعد رحمك الله أن يكون الناس كلهم في صعيد واحد
١٥٠ باب ماجاء في طول يوم القيامة وذكر الشفاعة العامة
١٥١ فصل وذكر الغزالي في الدرة الفاخرة أن الرسل يوم القيامة على المنابر والانبياء على منابر دونهم
فصل في الشفاعة العامة
١٥٢ باب جامع في تفسير آيات في أحوال يوم القيامة وذكر شيء من أحاديث الشفاعة والمقام المحمود
١٥٣ فصل قال شاكر بن مسلم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الانبياء على منابر من ذهب يوم القيامة
١٥٥ باب ماجاء أن الجنة تساق في المحشر والنار كذلك
١٥٧ باب أسماء يوم القيامة
١٥٩ باب في ذكر الحساب وتطاير الصحف وأخذ الكتب
١٦١ فصل روى عن معروف أنه قال لاصحابه يوقف عبد بين يدى الله تعالى يوم القيامة فيقول عبدى كيف تركت عيالك قال
١٦٢ فصل روى أبو عيسى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير الحديث
١٦٥ باب ماجاء ان أول مايحاسب عليه العبد الصلاة
١٦٦ فصل وخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله
فصل في بيان قوله صلى الله عليه وسلم في حديث النجوى المتقدم
١٦٧ باب ماجاء أن الله سبحانه يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان وذكر ظلم الذمي
باب في ارضاء الله سبحانه الخصماء في الآخرة
١٦٨ باب مايقضى فيه بين الناس في الدماء
باب ماجاء في اثم من رأى منكرا فلم يغيره وفي ثواب من أمر بمعروف أو نهى عن منكر
١٦٩ باب ماجاء أن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول من يحاسب وأول من يدخل الجنة
باب في كثرة الخلق يوم القيامة
باب ماجاء في كثرة أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن يدخل الجنة بغير حساب

(تم)

الجزء الثاني

من كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة

من تأليف العلامة النحرير والولي الصالح

الشهير سيدي عبد الرحمن بن محمد بن

مخلوف الثعالبي الجعفري دفين

مدينة الجزائر رحمه الله

ورضي عنه ونفع

بعلومه

آمين

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمترجم السيد أحمد بن ﴾

﴿ مراد التركي وهي منقولة له عن ورثة المؤلف ﴾

﴿ طبع ﴾

بالمطبعة الحميدية المصرية

سنة ١٣١٧

هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

﴿ باب ماينجى من أهوال يوم القيامة ﴾

روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال فلقى الله فتجاوز عنه وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسرا و يضع عنه وفى رواية من أنظر معسرا أووضع عنه أظله الله فى ظله وفى رواية لمسلم من أنظر معسرا أووضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة وفى صحيح مسلم عن أبى مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له شئ من الخير الا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال قال الله عز وجل أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل قال انى كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجاوز فى السكة أوفى النقد فغفر له فقال أبو مسعود وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من طرق وخرجه البخارى وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر فقال الله قال الله قال فانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وروى مسلم عن أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله أى فى ظل عرشه كذا جاء مفسرا فى الحديث وقال أنس رضى الله

عنه

عنه من أنظر مديونا فله بكل يوم عند الله وزن أحد مالم يطالبه وروى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الاظله الامام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه متعلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه وروى أبونعيم الحافظ في حليته عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس قلنا يارسول الله وكيف كانوا أعقل الناس قال كانت همتهم المسابقة الى ربهم والمسارعة الى مايرضيه وزهدوا في فضول الدنيا ورياشها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري عن ابراهيم بن أدهم عن محمد ابن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جالسا فقلت يارسول الله تصلي جالسا فما أصابك قال الجوع ياأبا هريرة قال فبكيت فقال لاتبك فان شدة يوم القيامة لاتصيب الجائع اذا احتسبه في دار الدنيا وروى أبونعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة لايهولهم الفزع ولا يفزعون حين يفزع الناس رجل تعلم القرآن فأم به قوما يطلب به وجه الله وما عنده ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس مرات للصلاة يطلب به وجه الله وما عنده وعبد مملوك لم يمنعه رزق الدنيا عن طاعة ربه وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وارواه ورأيت رجلا من أمتي والنبيون حلقا حلقا كلما دنا حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه الى جنبي ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولايكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلالا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله سبحانه ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءه افراطه فثقل ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن روعته ومضى ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته على فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت دونه فجاءته شهادة أن

لااله الا الله ففتحت له الابواب قال القرطبي رحمه الله تعالى هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة والله أعلم وقد ينجي منها كلها ماثبت في صحيح مسلم عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له شئ من الخير الا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال قال الله عز وجل أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدي وقد تقدم أول الباب وروى أبو هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشبع جائعا أو كسى عريانا أو آوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة وخرج الطبراني سليمان بن أحمد عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلوا صرف عنه مرارة الموقف يوم القيامة قال القرطبي وفي القرآن تحقيقا لهذا الباب وجامعا له قوله سبحانه يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا الى قوله فوقاهم الله شر ذلك اليوم مع قوله انا لانضيع أجر من أحسن عملا مع قوله في غير موضع بعد ذكر الاعمال الصالحة فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون (قلت) والآيات والاحاديث في هذا المعنى كثيرة كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون وتقدم قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون وماجاء في ذلك من الآثار (قلت) قال السمرقندي وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من يدخل الجنة سرا والناس في الحساب من أمر بالجهاد وحرض عليه وروى أبو محمد بن عتاب في شفاء الصدور له عن يحيى بن سابق المدني قال قال أبو حازم بلغني أنه من قال اذا فرغ من أذانه لااله الا الله وحده لاشريك له كل شئ هالك الا وجهه اللهم أنت الذي منننت علي بهذه الشهادة وماشهدتها الا لك ولا يتقبلها مني غيرك فاجعلها لي قربة عندك وحجابا من نارك واغفر لي ولوالدي ولكل مؤمن ومؤمنة بك برحمتك انك على كل شئ قدير أدخله الله الجنة بغير حساب وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله والناس في الحساب هذا حديث رواه ابن حبان في غير صحيحه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله من خلقه وجوها خلقهم لحوائج الناس يرغبون في الآخرة ويعدون الجود متجرا والله يحب مكارم الاخلاق (قلت) ولفظ أبي عمر بن عبد البر في كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع اليهم الناس في حوائجهم أولئك هم الآمنون من عذاب الله تعالى هذا الحديث رواه أبو نعيم والقضاعي في مسند الشهاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في حاجة قضيت له أولم تقض غفر الله له ماتقدم من ذنبه وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقال ابن الفاكهاني في شرح الاربعين حديثا رويناه في بعض الاحاديث من سعى في حاجة أخيه المسلم قضيت له أولم تقض غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق ففي هذا الطريق زيادة وماتأخر وفي مكارم الاخلاق لابي بكر الخرائطي عن أنس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير

حساب وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن مؤمن جعل الله له شملتين من نور يستضيء بضوئهما عالم لا يحصيه الا رب العزة هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه و بين النار سبع خنادق مابين الخندق والخندق مابين السماء والارض هذا الحديث رواه أبو نعيم وابن أبي الدنيا وروى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق مابين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام وذكر أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أنه قال من سقى مسلما شربة ماء باعده الله من جهنم شوط فرس يعني حضر فرس وروى أبو نعيم عن ابن المبارك بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أنعش حقا بلسانه أجرى الله له أجره حتى يأتي الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه قال حبان حقا يعمل به بعده وأسند ابن المبارك عن أبي أمامة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة وعن أنس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح له بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات هذا الحديث رواه أبو يعلى والبزار وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من موجبات المغفرة ادخال السرور على أخيك المسلم اشباع جوعته وتنفيس كربته هذا الحديث رواه الحارث بن أبي اسامة في مسنده وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنعش حقا بلسانه أجرى الله له أجره حتى يأتي يوم القيامة فيوفيه ثوابه هذا الحديث رواه الطبراني في مكارم الاخلاق وقد تقدم من رواية أبي نعيم قال الغزالي في الاحياء قال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما مريضا فاشتهى سمكة طرية فحملت اليه على رغيف فقام سائل بالباب فأمر بدفعها اليه ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وروينا في سنن ابن ماجه والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن مؤمن يعزي أخاه بمصيبة الا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة لا يقوم أحد الا أحد له عند الله يد فتقول الخلائق سبحانك بل لك اليد فيقول ذلك مرارا فيقول بلى من عفا في الدنيا بعد قدرة هذا الحديث رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وروى الطبراني في كتاب

مكارم الاخلاق عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا وقف العبد للحساب ينادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ثم ينادى الثانية ليقم من أجره على الله فيقال ومن الذى أجره على الله فيقول العافون عن الناس فقام كذا وكذا يدخلونها بغير حساب وروى أبونعيم فى حليته عن صهيب رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون هم السابقون الشافعون المدلون على ربهم عز وجل والذى نفسى بيده انهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب الجنة فتقول لهم الخزنة من أنتم فيقولون نحن المهاجرون فتقول لهم الخزنة هل حوسبتم فيجثون على ركبهم و يبثرون ما فى جعابهم و يرفعون أيديهم فيقولون أى رب أبهذا نحاسب لقد خرجنا وتركنا الاهل والاولاد فيجعل الله تعالى لهم أجنحة من ذهب مخوصة بالزبرجد والياقوت فيطيرون حتى يدخلوا الجنة فذلك قوله تعالى الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم بمنازلهم فى الجنة أعرف منهم بمنازلهم فى الدنيا وروى أبونعيم بسنده عن عمرو بن قيس الملائى يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يوم القيامة على كثبان المسك لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يكترثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسبا ثم أم به قوما ورجل أذن محتسبا ومملوك أدى حق الله وحق مواليه وقد قدمنا ما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء قال أبو عيسى هذا حديث حسن وفى رواية أخرى لابى داود ملأه الله أمنا وايمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشر احسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة (قلت) تقدم أول الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله عنه وصل على الجنائز فان ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله سبحانه (قلت) و بالجملة فمن أحسن ما بينه و بين الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه ولازم التقوى لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة قال مولانا سبحانه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة الآية وقد قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد بالحسنى فى الآية الجنة والزيادة النظر الى وجه المولى سبحانه وقال أبو سليمان الدارانى ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فان سالت دموعه اطفأ بأول قطرة منها بحار نيران ولو أن رجلا بكى فى أمة ما عذبت تلك الأمة وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله ايدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقد قدمنا أول الكتاب فى باب الرجاء كثيرا من هذا المعنى فلينظر هنالك وروى ابونعيم فى حليته بسنده عن محمد بن واسع عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تحرم النار على كل هين لين سهل قريب والخوف من الله سبحانه أصل كل خير قال تعالى و يخافون يوما كان شره مستطيرا الى آخر الآية وروى أبونعيم فى حليته عن مسعر بن كدام عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من ذهب عليها قباب من فضة مفضضة بالدر والياقوت والزبرجد خلالها السندس والاستبرق ثم يجاء بالعلماء فيجلسون عليها ثم ينادى منادى الرحمن أين من حمل الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم علما يريد به وجه الله تعالى اجلسوه على هذه المنابر فلا خوف عليكم ذلك اليوم حتى تدخلوا الجنة وروى البزار قال حدثنا محمد بن يحيى بن ميمون حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن عوف عن الحسن عن

النبي صلى الله عليه وسلم رفعه عن الله عز وجل قال لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين ان أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة وان أمنته في الدنيا أخفته في الآخرة قال البزار وحدثني محمد بن يحيى حدثنا عبد الوهاب حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه أيضا الترمذي الحكيم بسنده عن الحسن وقد تقدم هذا أول الكتاب وروى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض العبد بعث الله ملكين فقال انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا جاؤا حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك الى الله عز وجل وهو أعلم فيقول لعبدي علي أن توفيته أن أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيآته قال أبو عمر بن عبد البر هذا الحديث أسنده عباد بن كثير وكان رجلا فاضلا ثم ذكر أبو عمر في طريق آخر فقال فان أنا توفيته فله الجنة وان أنا أطلقته من وثاقي فليستأنف العمل قال أبو عمر وقد روي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى باسناد جيد أيضا ولفظه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يبتلى في جسده الا أمر الله الحفظة فقال اكتبوا لعبدي ما كان يعمل وهو صحيح ما كان مشدودا في وثاقي وروى مالك في الموطأ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وروى أبو عمر بن عبد البر من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لله عباد ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم أو لمكانهم من الله عز وجل قالوا يا نبي الله من هم وما أعمالهم لعلنا نحبهم قال قوم تحابوا بروح الله من غير أرحام بصلونها ولا أموال يتعاطونها والله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال أبو عمر وهذه الآثار كلها قد ذكرنا أسانيدها في التمهيد (قلت) وهذا الحديث خرجه أيضا أبو داود والنسائي وخرجه أيضا ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله عز وجل فقال اعرابي أنعتهم لنا يا نبي الله قال هم ناس من أبناء الناس لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروينا عن مسلم بن يسار أنه قال مرضت مرضة فلم يكن في عملي شئ أوثق في نفسي من قوم كنت أحبهم في الله سبحانه وقال ما من عمل شئ الا وأنا أخاف أن يكون قد دخله ما يفسده الا الحب في الله وروينا عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى المتحابون لجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل الا ظلي وحدث أبو عمر بن عبد البر بسنده عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور وان الصدقة لتطفئ غضب الرب وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ومن الامام في أحاديث الاحكام لابن دقيق العيد قال وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه انه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس أو قال حتى يحكم بين الناس

قال يزيد وكان أبو الخير لا يخطيه يوم لا يتصدق بشئ فيه ولو كعكة أو بصلة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعني البخاري ومسلما قال الشيخ ابن أبي جمرة ولا يلهم للصدقة الا من سبقت له سابقة خير قال أبو عمر في التمهيد وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تبيه وكان في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وحفظ في يوم صدقته من كل عاهة وآفة قال عياض في المدارك حضر زياد بن عبد الرحمن رحمه الله يوما مجلس الامير هشام فغضب الامير على بعض خدمه فأمر بقطع يده فقال زياد أصلح الله الامير فان مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأ الله تعالى أمنا وايمانا يوم القيامة فسكن غضب الامير وقال أ لله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد أالله ان مالكا حدثني به فأمر الامير أن يمسك عن الخادم

﴿باب منه﴾

روى أبو نعيم في الحلية عن وهيب بن الورد قال بلغنا والله أعلم ان موسى عليه السلام قال يارب أوصني فقال أوصيك بي قال فقالها ثلاثا كل ذلك يقول أوصيك بي حتى قال في الآخرة أوصيك أن لا يعرض لك أمر الا آثرت فيه محبتي على ماسواها فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكه قال القرطبي في تذكرته خرج الميانشي القرشي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بايديهم المحابر فيأمر الله تعالى جبريل أن يأتيهم فيسألهم من هم فيأتيهم فيسألهم فيقولون نحن أصحاب الحديث فيقول الله تعالى لهم ادخلوا الجنة طالما كنتم تصلون على نبي محمد صلى الله عليه وسلم وخرج عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من نور ثم ينادي مناد أين الفقهاء وأين الأئمة وأين المؤذنون اجلسوا على هذه فلا روع عليكم ولا حزن حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب (قلت) ورأيت في بعض كتب التذكير مانصه ذكر في بعض الاخبار ان العلماء اذا أتوا الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم وبيد كل واحد منهم لواء من نور الجنة يضيء له مسيرة خمسمائة عام وتحت لواء العالم كل من اقتدى به وعمله وكل من أحبه في الله تعالى وينادي مناد هؤلاء أحباء الله هؤلاء أولياء الله الذين هم خلفاء الانبياء الذين علموا عباد الله هؤلاء الذين دعوا الى الله هؤلاء أئمة الهدى فاذا دنوا من الصراط وضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج في السماء السابعة العليا لخرق نوره الى الارض السابعة السفلى ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلة بين السماء والارض لغطى نورها نور الشمس ولملأت الخلائق شوقا الى رؤيتها ولامتلأت الارض والبحار من رائحة المسك وينزل على رأس كل واحد منهم غمامة تقيه من شر جهنم ومن حر الشمس قال وذكر في بعض الاخبار ان حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثبان من مسك وأنوار وجوههم تغشى الابصار فاذا أتوا الى الصراط تلقتهم الملائكة الذين وكلوا بحملة القرآن فيأخذون بأيديهم وتوضع التيجان على رؤسهم والحلل على أجسادهم وتقرب اليهم خيل من نور الجنة عليها سرج المسك الاذفر ألجمتها من اللؤلؤ والياقوت فيركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز في شفاعة كل واحد منهم مائة ألف ممن استوجب النار ومناد ينادي هؤلاء أحباء الله هؤلاء أولياء الله الذين قرؤا كتاب الله وعملوا به لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهم أحباء الله

من أحبهم فى الدنيا أحبه الله سبحانه و روى أبونعيم فى حليته بسنده عن ابن المبارك عن سفيان الثورى عن أبى الزناد عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيار أمتى علماؤها وخيار علمائها رحماؤها ألا وان الله تعالى يغفر للعالم أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل ذنبا واحدا ألا وان العالم الرحيم يجىء يوم القيامة وان نوره قد أضاء يمشى فيه بين المشرق والمغرب كما يضىء الكوكب الدرى وقد تقدم قبل هذا الباب حديث مسعر و روى أبوعمر ابن عبد البر فى كتاب فضل العلم بسنده عن عبدالله بن داود قال اذا كان يوم القيامة عزل الله تبارك وتعالى العلماء عن الحساب فيقول ادخلوا الجنة على ما كان فيكم انى لم أجعل حكمتى فيكم الا لخير أردت بكم و زاد غيره فى هذا الخبر ان الله يحبس العلماء يوم القيامة فى زمرة واحدة حتى يقضى بين الناس ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يدعو العلماء فيقول يامعشر العلماء انى لم أضع حكمتى فيكم وأنا أريد أن أعذبكم قد علمت انكم تخلطون من المعاصى ما يخلط غيركم فسترتها عليكم وقد غفرت لكم وانما كنت أعبد بفتياكم وتعليمكم عبادى ادخلوا الجنة بغير حساب ثم قال لامعطى لما منع الله ولامانع لما أعطى وقد روى نحو هذا المعنى باسناد متصل أخبرنيه عبد الرحمن بن مروان عن أحمد بن سليمان عن طاهر بن محمد عن هشام بن عمار عن معبد بن عثمان عن صدقة بن طلحة عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن أبى هند عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء ثم يقول لهم يامعشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم الا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم وحدثنا ابن عبد الرحمن باسناده عن موسى بن عبيدة عن سعيد عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله عز وجل العباد يوم القيامة فذكر مثله وأسند أبوعمر عن جابر رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة و يقال للعالم اشفع للناس كما أحسنت أدبهم قال شبل يعنى تعليمهم وأسند عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نعمت العطية ونعمت الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة قال القرطبى وفى الخبر أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله عز وجل له ياشيخ ما انصفت غذوتك بالنعم صغيرا فلما كبرت عصيتنى أما انى لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان فيك وانه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فاذا وقف تضعضعت أركانه واصطكت ركبتاه الحديث وحدث أبو بكر بن الخطيب بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا بلغ العبد أربعين سنة أمنه الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه لما يحب فاذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فى أهل بيته وناداه مناد من السماء هذا أسير الله فى أرضه

﴿باب ماجاء فى شهادة جوارح الانسان عليه يوم القيامة﴾

قال مولانا سبحانه اليوم نختم على أفواههم الآية وقال يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية وقال حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم الآية روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال فهل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحاب قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحاب قالوا لا قال

فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول أى فل ألم أكرمك واسودك وأزوجك واسخرلك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى قال فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لافيقول فانى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخرلك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أى رب فيقول أفظننت انك ملاقى قال فيقول لافيقول فانى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ماستطاع قال فيقول ههنا اذن ثم يقول الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى سخط الله عليه وروى أبو بكر بن أبى شيبة من حديث معاوية بن حيدة القشيرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تجيؤن يوم القيامة على أفواهكم الفدام وأول مايتكلم من الانسان فخذه وكفه ورواه الترمذى الفدام مصفاة الكوز والابريق قاله الليث قال أبو عبيدة يعنى انهم منعوا من الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الابريق قال سفيان فدامهم أى يؤخذ على ألسنتهم وهذا مثل وروى مسلم من حديث أنس رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لاأجيز على نفسى الاشاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى قال فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وروى الترمذى عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له ربه سبحانه ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الانعام والحرث وتركتك ترأس وتربع أفكنت تظن انك ملاقى يومك هذا فيقول لافيقول اليوم أنساك كما نسيتنى قال هذا حديث صحيح حسن غريب وقد تقدم الآن من لفظ مسلم عن أبى هريرة مطولا قوله وتركتك ترأس أى رئيسا على قومك وتربع أى تأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم ويسمونه المرباع وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ماهو أيسر من ذلك ورواه مسلم وقال بدل قد كنت كذبت قد سئلت ماهو أيسر من ذلك وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول انى لاعلم آخر رجل من أمتى يجوز الصراط رجل يتلوى على الصراط كالغلام حين يضربه أبواه تزل يده مرة فتصيبها النار وتزل رجله مرة فتصيبها النار قال فتقول له الملائكة أرأيت ان بعثك الله من مقامك هذا فشيت سويا أتخبرنا بكل عمل عملته قال فيقول أى وعزته لأكتمكم من عملى شيأ قال فيقولون له قم فامش سويا فيقوم فيمشى حتى يجاوز الصراط فيقولون أخبرنا بأعمالك التى عملت فيقول فى نفسه ان أخبرتهم بما عملت ردونى الى مكانى قال فيقول لاوعزته ماأذنبت ذنبا قط قال فيقولون ان لنا عليك بينة قال فيلتفت يمينا وشمالا هل يرى من الآدميين ممن كان يشهد فى الدنيا فلا يرى فيقول هاتوا بينتكم فيختم الله على فيه وتنطق يداه ورجلاه وفخذاه بعمله فيقول أى وعزتك لقد عملتها وان عندى للعظائم المضمرات قال فيقول الله له اذهب فقد غفرتها لك

(فصل

(فصل) قال القرطبي والغزالي واذا عرف أمر الحساب فيجب على كل مسلم البدار الى محاسبة نفسه كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وانما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك مافرط فيه من تقصير فى فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولامظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب فان مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته هذا لفظ القرطبي وأما عبارة الغزالي فى الاحياء فانه قال ولاتغفل عن التفكر فى الميزان وتطاير الكتب الى الشمائل والايمان فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليست لهم حسنة فيخرج عنق من النار أسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم فيلقيهم فى النار وينادى عليهم شقاوة لاسعادة بعدها وقسم لاسيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغلهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وينادى عليهم سعادة لاشقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولايخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم أوسيآتهم ولكن يأبى الله الا أن يعرفهم حقيقة ذلك ليتبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيآت وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع فى اليمين أوفى الشمال ثم الى جانب لسان الميزان أيميل الى جانب الحسنات أوالسيآت وهذه حالة هائلة تطيش منها عقول الخلائق ثم قال الغزالي واعلم أنه لاينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب نفسه فى الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وانما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك مافرط فيه من تقصير فى فرائض الله سبحانه ويرد المظالم حبة حبة ويتحلل كل من كان تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم تبق عليه فريضة ولامظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى ثم قال باثر كلام نقله عن أنس رضى الله عنه فاتقوا الله عباد الله فى مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم وباساءة الخلق فى معاشرتهم فان مابين العبد وبين الله خاصة المغفرة اليه أسرع ومن وجبت عليه مظالم وقد تاب منها وعسر عليه استحلال أربابها فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لايطلع عليه الا الله تعالى فعسى أن يقربه ذلك الى الله سبحانه فينال به فضله الذى ادخره لعباده المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فيقول الله سبحانه للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ فيقول لاى نبي أولاى صديق هذا أولاى شهيد هذا قال لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال ماهو قال عفوك عن أخيك قال يارب انى قد عفوت عنه قال الله عز وجل خذ بيد أخيك فأدخله الجنة الحديث وقد تقدم

(فصل) (قلت) وجدت فى بعض كتب التذكير قال كان بعض الخائفين يأخذ لوحا ودواة ويجعلها بازائه فاذا تكلم بكلمة كتبها فى اللوح ويقول لنفسه موبخا لها هذه أثبتها عليك الملك فاذا غربت الشمس وصلى المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأه ويبكى ويقول يانفسى كأنى

بك قد سئلت عن هذا كله وأخاف انك بكل كلمة من هذا كله تدخلين النار فلا يزال يبكى حتى لا يجد بكاء ويغشى عليه فاذا أفاق أخذ اللوح ونقل ما فيه فى قراطيس وهو يقول يا الله عفوك ولطفك ورفقا بعبدك فلم يزل ذلك دأبه حتى مات فرآه بعض الصالحين فى المنام فى حالة حسنة فسأله عما لقى من الله عز وجل فقال وهل يلقى من الكريم الاكرم جعل محاسبتى لنفسى فى الدنيا بدلا من الحساب فى الآخرة وجعل دموعى التى بكيت فى الدنيا أنهارا ترويني يوم العطش الاكبر وتفضل الكريم على بجواز الصراط ودخول الجنة ومن على بالفضيلة العظيمة والزيادة الكبرى بالنظر الى وجهه الكريم سبحانه وروى أبو نعيم فى حليته عن القاضى شريح أنه قال حدثنى البدريون رضى الله عنهم منهم عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شاب يدع لذة الدنيا ولهوها ويستقبل بشبابه طاعة الله الا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقا ثم يقول الله تعالى أيها الشاب التارك شهوته لى المبتذل شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى قال القرطبى قال بعض العلماء ذكر الله سبحانه الحساب جملة وجاءت الاخبار بذلك وفى بعضها مايدل على ان كثيرا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب فصار الناس اذا ثلاث فرق فرقة لا يحاسبون أصلا وفرقة يحاسبون حسابا يسيرا وهما من المؤمنين وفرقة تحاسب حسابا شديدا وهذه الفرقة منهم كفار ومنهم مؤمنون

(باب ماجاء فى شهادة هذه الامة للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذا سئلوا)

قال الله سبحانه فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقال سبحانه فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال سبحانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب قال ابن عطية الاشارة بهذا اليوم الى يوم القيامة وخص الرسل بالذكر لانهم قادة الخلق المكلمون أولا وماذا أجبتم معناه ماذا أجابتكم الامم وهذا السؤال للرسل عليهم الصلاة والسلام انما هو لتقوم الحجة على الامم واختلف فى معنى قولهم عليهم السلام لا علم لنا فقال الطبرى ذهلوا لهول المطلع وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال ابن عباس معنى الآية لا علم لنا الا ما علمتنا أنت أعلم به منا وقول ابن عباس حسن وهو أصوب هذه المناحى لانه يتخرج على التسليم لله ورد الامر اليه سبحانه اذ هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال فرأوا التسليم والخضوع لعلمه المحيط قال مكى وهذا هو اختيار الطبرى وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والوسط العدل وخرجه ابن المبارك فى رقائقه مرسلا بأطول من هذا فقال حدثنا رشدين بن سعد قال أخبرنى ابن أنعم المعافرى عن حيان ابن أبى جبلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى اسرافيل عليه السلام فيقول له ربه سبحانه ما فعلت فى عهدى هل بلغت عهدى فيقول نعم يارب قد بلغته جبريل فيدعى جبريل فيقال هل بلغك اسرافيل عهدى فيقول نعم يارب فيخلى عن اسرافيل ويقال لجبريل هل بلغت عهدى فيقول جبريل قد بلغت الرسل فيدعى الرسل فيقول هل بلغكم جبريل عهدى فيقولون نعم فيخلى عن جبريل ثم يقال للرسل هل بلغتم عهدى فيقولون قد بلغنا أممنا فتدعى الامم فيقال لهم هل بلغتكم الرسل فهم المصدق

ومنهم المكذب فيقول الرسل ان لنا عليهم شهودا يشهدون انا قد بلغنا مع شهادتك فيقول من يشهد لكم فيقولون أحمد وأمته فتدعى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أتشهدون ان رسلى هؤلاء قد بلغوا عهدى الى من أرسلوا اليه وفى نسخة أتشهدون ان الرسل قد بلغت الامم فيقولون نعم فتقول الامم يارب كيف يشهد علينا من لم يدركنا فيقول الله عز وجل لهم كيف تشهدون عليهم ولم تدركوهم فيقولون يارب بنا أرسلت الينا رسولا وأنزلت علينا كتابا فقصصت علينا فيه أن قد بلغوا فشهدنا بما عهدت الينا فيقول الرب صدقوا فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابن أنعم فبلغنى انه يشهد حينئذ أمة محمد الامن كان فى قلبه أحنة على أخيه

(باب ماجاء فى عقوبة مانعى الزكاة وفضيحة الغادر والغال يوم القيامة)

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولاصاحب ابل لايؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لايفقد منها فصيلا واحدا تطأه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولاصاحب بقر ولاغنم لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لايفقد منها شيأ ليس فيها عقصاء ولاجلحاء ولاعضباء تنطحه بقرونها وتطأه باظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالخيل الحديث ورواه البخارى بمعناه وخرجه أيضا مسلم بمعناه عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه ولاصاحب كنز لايفعل فيه حقه الا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه فاذا أتاه فرمنه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غنى فاذا رأى الابد منه سلك يده فى فيه فيقضمها قضم الفحل وفيه قال رجل يا رسول الله ماحق الابل قال حلبها على الماء واعارة دلوها واعارة محلها ومنيحتها وحمل عليها فى سبيل الله وفى رواية عن جابر ولاصاحب مال لايؤدى زكاته الا تحول يوم القيامة شجاعا أقرع يتبع صاحبه حيث ماذهب وهو يفر منه ويقال هذا مالك الذى كنت تبخل به فاذا رأى انه لابد منه أدخل يده فى فيه وجعل يقضمها كما يقضم الفحل قال أبو نعيم فى حليته وعن أبى ذر رضى الله عنه قال ان خليلى صلى الله عليه وسلم عهد الى انه أيما ذهب أو فضة أوكى عليه فهو جمر على صاحبه حتى ينفقه فى سبيل الله عز وجل وأسند أبو نعيم عن صهيب رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لايدخل الجنة الامن قال بالمال هكذا وهكذا يمنة ويسرة وعن حمزة بن صهيب ان صهيبا رضى الله عنه كان يطعم الطعام الكثير فقال له عمر رضى الله عنه ياصهيب انك تطعم الطعام الكثير وذلك سرف فى المال فقال صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول خياركم من أطعم الطعام ورد السلام فذلك الذى يحملنى على أن أطعم الطعام وفى رواية أن عمر عتب عليه كونه لايمسك شيأ الا أنفقه قال له صهيب أما قولك انى لا أمسك شيأ الا أنفقته فان الله تعالى قال وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وروى مسلم والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد أبلغتك وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته الا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة وفي رواية لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة قال القرطبي لما ذكر فضيحة الغال والغادر جعل الله تعالى هذه العقوبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه وكانت العرب ترفع للغادر لواء في المحافل ومواسم الحج وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته وروى أبو داود عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى في الناس فيجيؤن بغنائمهم فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال يا رسول الله هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة فقال أسمعت بلالا ينادي ثلاثا قال نعم فقال ما منعك ان تجيء به فاعتذر اليه فقال كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلم أقبله منك وروى علي بن سليمان المرادي في الاربعين له عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الجر ليزن سبع خلفات ليلقى في جهنم فيهوى فيها سبعين خريفا ويؤتى بالغلول فيلقى معه ثم يكلف صاحبه أن يأتي به قال فهو قول الله عز وجل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة قال القرطبي وفي قوله صلى الله عليه وسلم يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة دليل على أن في الآخرة ألوية كما أن لها ألوية خزي وفضيحة يعرف بها أهلها ومنها ألوية حمد وثناء وتشريف وتكريم قال صلى الله عليه وسلم لواء الحمد بيدي وفي رواية لواء الكرم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار قال القرطبي فعلى هذا من كان اماما ورأسا في أمر ما معروفا به يكون له لواء يعرف به خيرا كان أو شرا وقد يكون للاولياء والصالحين ألوية يعرفون بها تنويها بهم واكراما لهم والله سبحانه أعلم وقد قال أبو حامد في الدرة الفاخرة وفي الحديث الصحيح ان أول ما يقضي الله تعالى في الدماء وأول ما يعطى الله أجورهم الذين ذهبت أبصارهم ينادي يوم القيامة بالمكفوفين يقال لهم أنتم أحرى أي أحق من ينظر الينا و يستحي الله منهم و يقال لهم اذهبوا الى ذات اليمين وتعقد لهم راية بيضاء وتجعل بيد شعيب عليه السلام فيصيرا مامهم ومعهم ملائكة النور ما لا يحصى عددهم الا الله سبحانه يزفونهم كما تزف العروس فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف وصفة أحدهم الصبر والحلم كان عباس رضي الله عنه ومن ضاهاه من هذه الامة ثم ينادي أين أهل البلاء يريد المجذومين فيجيبهم الله

سبحانه بتحية بالغة ثم يأمر بهم الى ذات اليمين وتعقد لهم راية خضراء وتجعل بيد أيوب عليه السلام وصفتهم الصبر والحلم والعلم ثم ينادى أين الشباب المتعففون فيؤتى بهم الى الله سبحانه فيرحب بهم ويقول سبحانه ماشاء أن يقول ثم يأمر بهم الى ذات اليمين وتعقد لهم راية خضراء وتجعل بيد يوسف عليه السلام ويصير أمامهم الى ذات اليمين ثم يخرج النداء أين المتحابون فى الله تعالى فيؤتى بهم الى الله سبحانه فيرحب بهم ويقول سبحانه ماشاء أن يقول ثم يأمر بهم الى ذات اليمين وتجعل لهم راية صفراء ثم تجعل فى يد هرون عليه السلام ويصير أمامهم ثم يخرج النداء أين البكاؤن من خشية الله سبحانه فيؤتى بهم الى الله عز وجل فتوزن دموعهم ودم الشهداء ومداد العلماء فيرجح الدمع فيؤمر بهم الى ذات اليمين وتعقد لهم راية ملونة لانهم بكوا فى أنواع مختلفة هذا بكى خوفا وهذا بكى ندما وهذا بكى طمعا وتجعل بيد نوح عليه السلام فتهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون علمنا أبكاهم فاذا النداء على رسلك يانوح فتوقف الزمرة ثم يوزن مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح دم الشهداء فيؤمر بهم الى ذات اليمين وتعقد لهم راية مزعفرة وتجعل فى يد يحيى عليه السلام ثم ينطلق أمامهم فيهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون عن علنا قاتلوا نحن أولى منهم بذلك فيقول لهم الجليل جل جلاله أنتم عندى كانبيائى اشفعوا فيمن تشاؤن فيشفع العالم فى جيرانه واخوانه ويأمر كل واحد منهم ملكا ينادى فى الناس ألا ان فلانا العالم قد أمر له أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمة حين جاع أو سقاه شربة ماء حين عطش فليقم اليه فانه يشفع له وفى الصحيح ان أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء وتعقد لهم راية بيضاء وتجعل بيد ابراهيم عليه السلام فانه أشد المرسلين مكاشفة ثم ينادى أين الفقراء فيؤتى بهم الى الله عز وجل فيقول لهم مرحبا بمن كانت الدنيا سجنهم ثم يأمر بهم الى ذات اليمين وتعقد لهم راية صفراء وتجعل فى يد عيسى عليه السلام ويصير أمامهم الى ذات اليمين ثم ينادى بالاغنياء فيؤتى بهم الى الله عز وجل فيمد عليهم ماخولهم خمسمائة عام ثم يأمر بهم الى ذات اليمين وتعقد لهم راية ملونة وتجعل بيد سليمان عليه السلام ويصير أمامهم ذات اليمين وفى الحديث أربعة يستشهد عليهم باربعة ينادى بالاغنياء وأهل الغبطة فيقال لهم ماشغلكم عن عبادة الله عز وجل فيقولون أعطانا الله ملكا وغبطة شغلتنا عن القيام بحقه فى دار الدنيا فيقال من أعظم ملكا أنتم أم سليمان فيقولون بل سليمان فيقال لهم ماشغله ذلك عن القيام بحق الله سبحانه والدأب فى ذكره ثم يقال أين أهل البلاء فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم أى شئ شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله فى دار الدنيا بانواع من الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم من أشد بلاء أنتم أم أيوب عليه السلام فيقولون بل أيوب أشد بلاء فيقال لهم ماشغله ذلك عن القيام بحق الله تعالى والدأب لذكره ثم ينادى أين الشباب العطرة والمماليك فيؤتى بهم فيقال لهم أى شئ شغلكم عن عبادة الله سبحانه فى دار الدنيا والقيام بحقه فيقولون أعطانا الله جمالا وحسنا فتنابه فكنا مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك فيقولون شغلنا رق العبودية فى الدنيا فيقال لهم أنتم أكثر جمالا أم يوسف عليه السلام فيقولون بل يوسف فيقال لهم ماشغله ذلك عن القيام بحق الله تعالى والدأب لذكره ثم ينادى أين الفقراء فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم ماشغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله فى دار الدنيا بفقر مدقع شغلنا عن القيام بحقه فيقال لهم من أشد فقرا أنتم أم عيسى عليه السلام فيقولون بل عيسى بن مريم فيقال لهم ماشغله ذلك عن القيام بحق الله عز وجل والدأب لذكره فمن بلى بشئ من هذه الاربع فليذكر صاحبه قال القرطبى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون

أخف عليه من صلاة مكتوبة وقد روى قاسم بن أصبغ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقلت ما أطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا وذكر ابن المبارك قال حدثنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يقصر يومئذ على المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة وفي الحديث لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ذكره عن ابن عزيز في غرائب القرآن له (قلت) وظاهر كلام الغزالي ان دم الشهداء أرجح من مداد العلماء ولفظ ابن الفاكهاني قال وقد جاء في الخبر انه يوزن مداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء قال ومعلوم ان أعلى ما للشهيد نفسه وأدنى ما للعالم مداده فاذا لم يف دم الشهيد بمداد العالم كان ما وراء دم الشهيد من سائر فنون الجهاد كلا شيء بالاضافة الى ما فوق المداد من فنون العلم وذكر الغزالي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله أيدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى

(باب ذكر حديث لقيط بن عامر الجامع لجمل من أحوال الآخرة)

روى أبو بكر بن أبي خيثمة باسناده الى لقيط بن عامر العقيلي قال خرجت أنا وصاحب لي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال أيها الناس ألا اني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لاسمعكم اليوم ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا اني مسؤل هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فؤاده و بصره قلت يا رسول الله ما عندك من علم الغيب قال فضحك لعمر الله وهز رأسه و زعم أني أبتغي لسقطه فقال ضن ربك بخمس من الغيب لا يعلمها الا الله وأشار بيده قلت وما هن يا رسول الله قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه وعلم المني حتى يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه وعلم ما في غد قد علم أنت طاعم غدا ولا تعلمونه وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم ان غوثكم قريب قال لقيط لم نعدم من رب يضحك خيرا قال وعلم يوم الساعة قلت يا رسول الله اني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني قال سل عما شئت قلت يا رسول الله علمنا ما نعلم الناس فانا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحدا قال تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة فلعمر أبيك ما تذر على ظهرها من شيء الا مات والملائكة الذين مع ربك وخلت عليه البلاد فارسل ربك السماء بهضب من عند العرش فلعمر الهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت الا شقت القبر عنه حتى تخلقه من قبل رأسه حتى يستوي جالسا يقول ربك مهيم لما كان فيه يقول يا رب أمتني أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثا بأهله فقلت يا رسول الله وكيف يجمعنا بعد ما تمزقتنا الرياح قال أنبئك بمثل ذلك الارض أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت لا تحيي أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عنها الا أياما حتى أشرفت عليها فاذا هي شربة واحدة فلعمر الهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على ان يجمع نبات الارض فتخرجون من الاضواء ومن مصارعكم فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم قال قلت وكيف يا رسول الله ونحن ملء الارض وهو واحد ينظر الينا ونظر اليه قال أنبئكم بمثل ذلك الشمس والقمر آيتان صغيرتان ترونهما ساعة واحدة وريانكم لا تضامون في رؤيتهما

ولعمر الهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما أن تروهما وبريانكم ولا تضامون فى رؤيتهما قلت يارسول الله فما نفعل بنا ربنا اذ لقيناه قال تعرضون عليه بادية صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم فلعمر الهك ما يخطئ وجه واحد منكم قطرة فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتطخمه بمثل الحميم الاسود ألا ثم ينصرف نبيكم ويغرق على أثره الصالحون فتسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك أوانه ألا فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله فلعمر الهك ما يبسط واحد منكم يده الا وقع عليه قدح يطهره من الطوف والبول والاذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا قال قلت يارسول الله فبم نبصر قال بمثل ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أسفرته الارض وواجهته الجبال قال قلت يارسول الله فبم نجزى من سيآتنا وحسناتنا قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها الا أن يغفر قلت يارسول الله اما الجنة اما النار قال لعمر الهك ان لها سبعة أبواب ما منها بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما وان الجنة لثمانية أبواب ما منها بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما قال قلت يارسول الله فعلام نطلع من الجنة قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وتفاكيه لعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة قلت يارسول الله ان لنا فيها أزواجا أومنهن مصلحات قال الصالحات للصالحين تلذوهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذذنكم غير أن لا توالد وذكر باقى الحديث وفى هذا الحديث ان الحوض بعد الصراط وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى قوله أزلين قال الزبيدى أزلوا مالهم حبسوه على المرعى من ضيق والازل شدة العيش قال والهضبة المطرة الدائمة وهضبتهم السماء بلتهم بلاء شديدا قال والشربة الارض اللينة فيها نبات والمشربة الغرفة قال والطخمة سواد فى مقدم الانف والاطخم من الكباش الاسود الرأس

(باب ما جاء فى حوض النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الكوثر)

ذهب صاحب القوت وغيره الى أن حوض النبى صلى الله عليه وسلم انما هو بعد الصراط قال القرطبى فى التذكرة الصحيح أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا على ما سيأتى والكوثر فى كلام العرب الخير الكثير واختلف فى الميزان والحوض أيهما قبل الآخر فقيل الميزان قبل وقيل الحوض قال أبو الحسن القابسى والصحيح أن الحوض قبل قال القرطبى والمعنى يقتضيه لان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا والله أعلم (قلت) وفى الحديث ما يومئ الى هذا وهو قوله صلى الله عليه وسلم انى لكم فرط على الحوض وقوله انى لأنظر الى الحوض أنتظر من يرد على منكم وسيأتى وروى مسلم عن ثوبان رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال انى ليعتر حوضى أذود الناس لاهل اليمن أضرب بعصاى حتى ترفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يعب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من الذهب والآخر من ورق وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وفى الموطأ مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم

دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت أني قد رأيت اخواننا قالوا يارسول الله ألسنا باخوانك
قال بل أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض قالوا يارسول الله كيف تعرف
من يأتي بعدك من أمتك قال أرأيت لو كانت لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا
بلى يارسول الله قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض فليذادن
رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول
سحقا سحقا سحقا رواه مسلم عن سهل رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا
فرطكم على الحوض من ورد ومن شرب لم يظمأ أبدا وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني
وبينهم ورواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وزاد فأقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما عملوا بعدك
فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق
وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا وفيه مع البخاري
من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني على الحوض حتى
أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس من دوني فأقول يارب مني ومن أمتي فيقول أما شعرت ما عملوا
بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم قال فكان ابن أبي مليكة يقول اللهم انا نعوذ بك أن نرجع
على أعقابنا وان نفتن عن ديننا ورواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها بهذا المعنى وروى مسلم عن أم سلمة
رضي الله عنها أنها قالت كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كان يوم من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس
فقلت للجارية استأخري عني فقالت انما دعا الرجال ولم يدع النساء فقالت اني من الناس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لكم فرط على الحوض فاياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال
فاقول فيم هذا فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا قال عبد الحق وقال النسائي في هذا
الحديث يأيها الناس بينا أنا على الحوض اذ مر بكم زمرا تذهب بكم الطرق فاناديكم ألا هلم الى الطريق
فينادى مناد من ورائي انهم بدلوا بعدك فأقول ألا سحقا وروى مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد ثم صعد المنبر كالمودع للاحياء والاموات فقال اني
فرطكم على الحوض وان عرضه كما بين ايلة الى الجحفة اني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني
أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال عقبة فكانت آخر
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية اني فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لانظر
الى حوضي الآن الحديث وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال بينما أنا قائم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين قال الى
النار والله قلت وما شأنهم قال انهم ارتدوا على أدبارهم بعدك القهقرا ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج
رجل من بيني وبينهم فقال هلم قلت أين قال الى النار والله قلت وما شأنهم قال انهم ارتدوا على أدبارهم
القهقرا فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم وروى مسلم عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حوضي ما بين صنعاء والمدينة زاد المستورد آنيته مثل
الكواكب وروى مسلم عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على
الحوض ولانازعن أقواما ثم لاغلبن عليهم فأقول يارب أصحابي أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا
بعدك وروى مسلم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمامكم

حوضا مابين ناحيتيه كما بين المدينة وجرباء وأذرح وفى رواية ابن المثنى ان امامكم حوضى زادفى رواية أخرى فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعده أبدا وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاذودن عن حوضى رجالا كما تذاد الغريبة من الابل وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قدر حوضى كما بين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق لعدد نجوم السماء وفى رواية عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رأيتهم ورفعوا الى اختلجوا دونى فأقول أى رب أصيحابى أصيحابى فليقالن لى انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك وفى رواية عن أنس قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا انى فرط لكم على الحوض وان بعد مابين طرفيه كما بين صنعاء وايلة كأن الاباريق فيه كالنجوم وروى مسلم عن عامر بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما قال كتبت الى جابر بن سمرة مع غلامى نافع أخبرنى عن شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكتب الى انى سمعته يقول أنا الفرط على الحوض قال الزبيدى الفرط ماسبق من شئ يقال فرط له ولد والفارط السابق الى الماء وفرس فرط سابق وروى الترمذى وابن ماجه عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حوضى من عدن الى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكاويبه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لاينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم أبواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث لكنى نكحت المتنعمات وفتحت لى أبواب السدد ونكحت فاطمة بنت عبد الملك لاجرم انى لاأغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ ولاأدهن رأسى حتى يشعث وعند ابن ماجه قال فبكى عمر حتى أخضل لحيته الحديث وروى البزار عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم حوضى من كذا الى كذا فيه من الآنية عدد النجوم وأطيب ريحا من المسك وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ أبدا ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا (قلت) تأمل قوله ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا يؤخذ منه ان من لم يشرب منه انه يخلد فى النار وهم الكفار لان من يدخل الجنة بعد نفوذ الوعيد عليه يروى وينعم بفضل الله سبحانه ومن هنا تعلم أن الذى يذاد عنه ويطرد انما هو من وقع منه التبديل فى دينه وحكم بكفره لفساد عقله عفانا الله من التبديل والتغيير بمنه وسعة جوده وروى الترمذى عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من امراء يكونون من غشى أبوابهم فصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولايرد على الحوض ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة برهان والصبر جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار يا كعب بن عجرة أنه لايربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وخرجه أيضا فى كتاب الفتن وصححه وروى الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث عثمان ابن مظعون رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا عثمان لاترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضى يوم القيامة (قلت) قوله ضربت بالضاد المعجمة وبالباء الموحدة هكذا وجدته فى نسخة ويحتمل أن يكون بالصاد المهملة وبالغاء وهو الاقرب قال القرطبى وروى ابن عباس رضى الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى الله عز وجل هل فيه

ماء قال والذى نفسى بيده ان فيه لماء وان أولياء الله ليردون حياض الانبياء يبعث الله عز وجل سبعين الف ملك بايديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الانبياء وقد تقدم هذا الحديث وروى الترمذى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل نبى حوض وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت انا قد رأينا اخواننا قالوا أولسنا اخوانك يارسول الله قال أنتم أصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا كيف تعرف من يأتى بعد من أمتك يارسول الله قال أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يارسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض وقد تقدم هذا الحديث باكمل من هذا وروى أبو بكر البزار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول أنا فرط بين أيديكم فان لم تجدونى فانى على الحوض وسيأتى أقوام رجال ونساء ثم لا يذوقون منه شيأ وروى الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة قال أنا فاعل قال قلت يارسول الله فاين أطلبك قال اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط قال قلت فان لم ألقك على الصراط قال اطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال اطلبنى عند الحوض فانى لا أخطئ هذه الثلاث المواطن قال الترمذى هذا حديث حسن غريب (قلت) قوله صلى الله عليه وسلم اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط يريد والله أعلم ان ذلك حين تبدل الارض غير الارض وذلك بعد نفخة البعث على ما جاء فى ذلك من الآثار كما قدمناه فى صحيح مسلم وسنن ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض فاين يكون الناس يومئذ قال على الصراط ورواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وفى رواية لمسلم هم فى ظلمة دون الجسر وروى أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عمدا بحجزكم هلم عن النار وتغلبونى وتقحمون فيها تقحم الفراش والجنادب وأوشك أن أرسل حجزكم وأفرط لكم عن الحوض أو قال على الحوض الشك من الراوى وتردون على معا وأشتاتا فاعرفكم باسمائكم وسيماكم كما يعرف الرجل الغريبة من الابل فى ابله ويذهب بكم ذات الشمال وأناشد فيكم رب العالمين فأقول أى رب رهطى أى رب أمتى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك انهم كانوا يمشون بعدك القهقرا الحديث وروى ابن السكن من حديث سويد بن جبلة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لترد من هذه الامة على الحوض ازدحام واردات الحمر وروى أبو بكر البزار من حديث بن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لى حوضا ما بين بيت المقدس الى الكعبة ماؤه أبيض من اللبن فيه عدد الكواكب آنية أنا فرطكم على الحوض ولكل نبى حوض وكل نبى يدعو أمته فمنهم من يرد عليه فئام من الناس ومنهم من يرد عليه ما هو دون ذلك ومنهم من يرد عليه العصابة ومنهم من يرد عليه الرجلان والرجل ومنهم من لا يرد عليه أحد فيقول اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت ثلاثا الحديث قال القرطبى قال البكرى المعروف بابن الواسطى لكل نبى حوض الا صالحا فان حوضه ضرع ناقته قال عبد الحق رحمه الله تعالى قد سمعت بعطش هذا اليوم والتهابه وما يصل الى القلوب من حره واحتراقه فاعمل رحمك الله فى أيام قصار وعمر قصير لايام طوال وعمر طويل واعلم ان الماء فى ذلك اليوم أعز موجود وأعظم مفقود وأن لا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وانه لا يرد ذلك الحوض الا من ورد فى الدنيا حوض شريعته وتمسك بسنته ومات على ملته وروى أبو نعيم فى حليته عن

مسعر عن عطية قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما جالسا فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت انى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ابن عمر فكنت تصنع ماذا فقال كنت والله أومن به وأقبل بين عينيه وأطيعه فقال ابن عمر أفلا أبشرك قال بلى يا أبا عبد الرحمن قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما اختلط حبى بقلب عبد فأحبنى الا حرم الله جسده على النار

﴿فصل﴾ روى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ اغفا اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول يارب انه من أمتى فيقال ما تدرى ما أحدثوا بعدك وفى طريق آخر عن أنس أيضا نهر وعدنيه ربى فى الجنة عليه حوضى وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه الدر المجوف قلت ياجبريل ماهذا قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فاذا طينه أو طيبه مسك أذفر شك هدبة وخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وزاد ثم رفعت لى سدرة المنتهى فرأيت عندها نورا عظيما وخرجه ابن وهب قال أخبرنى شبيب عن ابان عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال حين عرج بى الى السماء قال رأيت نهرا عجاجا مثل السهم أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حافتاه قباب من در مجوف قلت لجبريل ماهذا قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك قال فضربت بيدى الى حمأته فاذا هو مسك أذفر ثم ضربت بيدى الى رضراضه فاذا هو در وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج قال هذا حديث حسن صحيح

(فصل) قال القرطبى يقال ان على أحد أركان الحوض أبا بكر رضى الله عنه وعلى الثانى عمر رضى الله عنه وعلى الثالث عثمان رضى الله عنه وعلى الرابع عليا رضى الله عنه قال القرطبى رحمه الله هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع وقد رفعه صاحب الغيلانيات عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان على حوضى أربعة أركان فاول ركن منها فى يد أبى بكر والركن الثانى فى يد عمر والركن الثالث فى يد عثمان والركن الرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على وذكر الحديث (قلت) والمفهوم من هذا أن من أبغض واحدا من الاربعة لم يسقه الباقون ويخاف على من أبغض واحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان يسلك به هذا السبيل فرضى الله عن جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين قال القرطبى وغيره ظن بعض الناس ان هذا التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس الامر كذلك وانما تحدث النبى صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الالفاظ المختلفة مخاطبا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها وتارة يقدر بالزمان والمعنى المقصود انه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا وقوله صلى الله عليه وسلم اختلجوا دونى أى اخذوا واقتطعوا ويعب معناه يصب ويشخب أى يسيل والعقر مؤخر الحوض قاله فى الصحاح والهمل من النعم الضوال من الابل واحدها هامل قاله الهروى والقهقرا المشى الى خلف قال السهيلى ومما جاء فى معنى الكوثر ما رواه ابن أبى نجيح عن عائشة رضى الله عنها قالت الكوثر نهر فى الجنة لا يدخل أحد أصبعيه فى أذنيه الا سمع خرير ذلك

النهر وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ورواه الدارقطني مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أعطاني نهرا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خريره الا سمعه قلت يا رسول الله وكيف ذلك قال ادخلي أصبعيك في أذنيك وشدي فالذي تسمعين فيهما هو من خرير الكوثر قال شاكر بن مسلم قال بعض العلماء ينصب للنبي صلى الله عليه وسلم حوضه يوم القيامة ملآن ماء فيقوم عليه ويدعو أمته اليه فترده أمته جماعات وأشتاتا ووحدانا فيمر المنافقون أفواجا وكل من كان يظهر الاسلام ويبطن غيره ومن بدل أو غير فيعدمون الى الحوض وقد سفعهم حر النار واسودت أجسامهم من لهب الاوار واغبرت وجوههم من الوهج والغبار ومعهم أدنى شئ من نور في الغرر والتحجيل بقدر ما أظهروه من الاسلام فاذا هموا بالحوض وهم عطاشى تلقتهم الملائكة يضربون أدبارهم وافقاءهم فيذهبون على وجوههم يهيمون فيعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعلامة التي يعرفها في أمته من الغرة والتحجيل من أثر الوضوء فيناديهم الى أين ألا هلم ألا هلم الى الماء فيلتفتون اليه طامعين في الرجوع اليه فتردهم الملائكة وتصرفهم وتقول يا محمد انهم ليسوا على ملتك انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم فيقول صلى الله عليه وسلم ألا فسحقا لهم اللهم توفنا على ملة نبيك ومنهاج كتابك ومادرج عليه السلف الصالح يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين

﴿ باب ما جاء في الميزان وانه حق ﴾

قال الله سبحانه ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين الى غير ذلك من الآيات قال القرطبي قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الغزالي رحمه الله فلا تغفل عن الفكر في الميزان فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليست لهم حسنة فيخرج لهم من النار عنق أسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم فيلقيهم في النار فتبتلعهم وينادي عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها وفرقة أخرى ليست لهم سيئة فينادي مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بالذين لم تشغلهم تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله فينادي عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها أبدا وفرقة ثالثة وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله الا أن يعرفهم حقيقة ذلك ليتبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب قال القرطبي قال علماؤنا رحمة الله تعالى عليهم الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبائر لهم ومخلطون وهم الذين يواقعون بالفواحش والكبائر والثالث الكفار فأما المتقون فان حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم ان كانت لهم في الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتثقل الكفة النيرة وأما المخلطون فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيآتهم في الكفة المظلمة فان كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة وان كانت السيآت أثقل ولو بصؤابة دخل النار الا أن يعفو الله وان تساويا كان من أصحاب الاعراف على ما سيأتي هذا ان كانت الكبائر فيما بينه وبين الله تعالى وأما ان كانت حقوقا للعباد فلابد من القصاص على ما قدمناه قال القرطبي وقد جاءت السنة الثابتة ان الميزان يوم القيامة ميزان حقيقي بكفتين ولسان وان كل كفة طباق السموات والارض وروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال توضع

الموازين يوم القيامة فلو وضعت فيهن السموات والارض لوسعهن فتقول الملائكة يا ربنا ما هذا فيقول أزن به لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة عند ذلك ربنا ما عبدناك حق عبادتك وقد جاء ان كفة الحسنات من نور والاخرى من ظلمة فالكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات قال القرطبي وجاء في الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش و يؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله عز وجل كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيآت عن يسار العرش مقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد تقدم هذا الحديث وقال عن ابن عباس رضي الله عنهما توزن الحسنات والسيآت في ميزان له كفتان ولسان وروى أبو بكر البزار والالكائي في سنته عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن ملكا موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق كلها سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى الملك شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وروى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من شئ يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن وذكر خيثمة بن سليمان في مسنده في آخر الجزء الخامس عشر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيآت فمن رجحت حسناته على سيآته مثقال ذرة دخل الجنة ومن رجحت سيآته على حسناته مثقال ذرة دخل النار قيل فمن استوت حسناته وسيآته قال أولئك أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون ورواه ابن المبارك أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه ان الميزان يخف بمثقال حبة (قلت) قال الجوهري الصؤابة بالهمز بيضة القملة والجمع الصؤاب والصئبان وقد صئب رأسه وأصأب اذا كثر صئبانه قال القرطبي في تذكرته وأما أصحاب الاعراف فيقال انهم مساكين أهل الجنة وروى هناد بن السري عن عبد الله بن الحارث قال أصحاب الاعراف ينتهي بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب الذهب قال آراه مكللا باللؤلؤ فيغتسلون منه اغتسالة فتبدو في نحورهم شامة بيضاء ثم يعيدون فيغتسلون فلما اغتسلوا زادت بياضا فيقال لهم تمنوا فيتمنون ما شاؤا قال فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعين ضعفا قالوا فهم مساكين أهل الجنة وفي رواية فاذا دخلوا الجنة وفي نحورهم تلك الشامة البيضاء فهم يعرفون بها قال فهم في الجنة يسمون مساكين أهل الجنة ﴿تنبيه﴾ قال القرطبي ولا يكون الميزان في حق كل أحد وانما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملا صالحا وآخر سيأ قال أبو حامد والسبعون الالف الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وانما هي براءات مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبدا فما مر عليه شئ أسر من ذلك المقام وروى أبو نعيم في حليته عن مالك والعمري عن نافع وابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والاشفعت وروى أبو نعيم عن مالك عن عبد الله بن دينار قال قيل يا رسول الله أي العباد أفضل قال أنفع الناس للناس قيل فأي العمل أفضل قال ادخالك السرور على المؤمن قال وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على أخيك المسلم واشباع جوعته وتنفيس كربته وخرج أبو نعيم ومنذر بن سعيد واللفظ لابي نعيم عن ابن عباس

رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب و يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب لهم الاجر صباحتى ان أهل العافية ليتمنون فى الموقف ان أجسامهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم ونحوه عن الحسن بن على رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أحمد بن حرب يبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق فرقة أغنياء بالاعمال الصالحة وفرقة فقراء وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء فى شأن التباعات وقال سفيان الثورى انك ان تلقى الله سبحانه بسبعين ذنبا فيما بينك و بينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك و بين العباد قال القشيرى فى التحبير قيل لو أن رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لايدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يؤخذ بدانق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم وقيل لايكون شئ أشد على أهل القيامة من أن يرى الانسان من يعرفه مخافة أن يدعى عليه شيأ وقد تقدم هذا المعنى وروى أبو نعيم فى حليته عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين عليه السلام قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته فيقص بعضها ببعض فاذا بقيت حسنة وسع الله عز وجل له فى الجنة هذا حديث غريب وروى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم باسناده عن حماد بن زيد عن أبى حنيفة عن حماد عن ابراهيم فى قوله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال يجاء بعمل الرجل فيوضع فى كفة ميزانه يوم القيامة فيخف فيجاء بشئ مثل الغمام أوقال مثل السحاب فيوضع فى كفة ميزانه فيرجح فيقال له أتدرى ماهذا فيقول لا فيقال له هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس أونحو هذا وذكر ابن المبارك قال أخبرنا أبو بكر الهذلى عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة أو يرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف وذكر الحديث وقد تقدم مختصرا وذكر الغزالى فى كتاب الدرة الفاخرة انه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله له اذهب فى الناس فالتمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة فيسير يجوس خلال العالمين فما يجد أحدا يكلمه فى ذلك الامر الا يقول له أخشى أن يخف ميزانى أنا أحوج اليك منها فييأس فيقول له رجل ما الذى تطلب فيقولان له حسنة واحدة فلقد مررت بقوم لهم منها ألوف فبخلوا على فيقول له الرجل لقد لقيت الله تعالى ومافى صحيفتى الا حسنة واحدة وما أظن أنها تغنى شيأ خذها هبة منى اليك فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله سبحانه له ما بالك وهو أعلم فيقول ما كان منه مع الرجل فيدعى بالرجل الذى أعطاه الحسنة فيقول الله تعالى كرمى أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا الى الجنة وكذا تستوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من أهل الجنة ولا من أهل النار فيأتى الملك بصحيفة فيضعها فى كفة السيئات فهامكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيؤمر به الى النار قال فيطلب الرجل أن يرد الى الله تعالى فيقول الله سبحانه ردوه فيقول له أيها العبد العاق لاى شئ تطلب الرد الى فيقول الهى رأيت انى سائر الى النار واذ لابد منها فضعف على عذاب أبى وأنقذه منها قال فيقول الله سبحانه له عققته فى الدنيا وبررته فى الآخرة خذ بيد أبيك وانطلق به الى الجنة وذكر القرطبى حديثا عن ابن المبارك موقوفا ذكر فى آخره قال وعند الميزان ملك اذا وزن للعبد نادى الا ان فلان بن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لايشقى بعدها أبدا الا ان فلان بن فلان خفت موازينه وشقى شقاء لايسعد

بعده أبدا وخرج الالكائى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام

﴿ باب ماجاء فى الجواز على الصراط ودرجات الناس فى المرور عليه بحسب أعمالهم ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيأ فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها الحديث وفيه و يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انها لا يعلم مقدار عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخازى حتى ينجى حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيأ ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم فى النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم الا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد و يبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أى رب اصرف وجهى عن النار فانه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيدعو الله ماشاء ان يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت ان فعلت ذلك بك ان تسئل غيره فيقول لا أسئلك غيره و يعطى ربه من عهود ومواثيق ماشاء فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل على الجنة ورآها سكت ماشاء الله ان يسكت ثم يقول أى رب قدمنى الى باب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسئلنى غير الذى أعطيتك و يلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أى رب ويدعو الله حتى يقول له فهل عسيت ان أعطيتك ذلك ان تسئل غيره فيقول لا وعزتك فيعطى ربه ماشاء من عهود ومواثيق فيقدمه الى باب الجنة فاذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى مافيها من الخير والسرور فسكت ماشاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسئل غير ما أعطيت و يلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فاذا ضحك الله منه قال له ادخل الجنة فاذا دخلها قال الله تمنه فيسأل ربه و يتمنى حتى ان الله ليذكره من كذا وكذا حتى اذا انقطعت به الامانى قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيأ حتى اذا حدث أبو هريرة ان الله قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه ياأبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت الا قوله ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد اشهدانى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة وفى رواية عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن فيتمنى و يتمنى فيقول له هل تمنيت فيقول نعم فيقول له فان لك ماتمنيت ومثله معه وسيأتى فى باب آخر من يخرج من النار مزيد بيان

ان شاء الله تعالى قال عياض قوله فأكون أنا وأمتى أول من يجيز أى يمضى عليه و يقطعه يقال أجزت الوادى وجزته لغتان صحيحتان وحكى عن الاصمعى الفرق بينهما يقال أجزته قطعته وجزته مشيت فيه وقوله ولا يتكلم يومئذ الا الرسل يعنى فى حين الاجازة والا ففى يوم القيامة كل نفس تجادل عن نفسها وقوله فشبئ ريحها أى أهلكنى وذكاؤها تلهبها وخرج مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ناسا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يارب فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يارب فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين الحديث وفيه فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم الحديث وفيه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدرى يقول ان لم تصدقونى فى هذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين وفى البخارى و بقيت شفاعتى بدل قوله ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض قالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة

هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا وأى شئ أفضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم أبدا قوله فوالذى نفسى بيده مامن أحد الى آخره بينه لفظ البخارى ففيه فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا فى اخوانهم الحديث وفى رواية عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون منها حما قد امتحشوا فيلقون فى نهر الحياة أو الحياء فينبتون فيه كما تنبت الحبة الى جانب السيل الحديث

﴿فصل﴾ قال العلماء الضحك من الله تعالى محمول على اظهار الرضا والقبول اذ هو فى البشر علامة على ذلك قال عياض ومعنى يحطم بعضها بعضا أى يأكل والحطم الذى يأكل ولا يشبع وقوله فى الصراط دحض مزلة أى زلق تزل فيه الاقدام وقوله فيكشف عن ساق قال القتبى وغيره فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق هذا من الاستعارة فسمى الشدة ساقا وذكر الخطابى وجها آخر يحتمله المعنى من اللغة قال سمعت أبا عمر يذكر عن أبى العباس أحمد بن يحيى النحوى فيما عده من المعانى المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم قال والساق النفس ومنه قول على رضى الله عنه حين راجعه أصحابه فى قتال الخوارج والله لا قاتلنهم ولو تلفت ساقى يريد نفسه قال الخطابى فقد يحتمل على هذا أن يكون المراد التجلى لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتى اذا رأوه سبحانه سجدوا له قال القرطبى وهذا القول أحسن الاقوال ان شاء الله تعالى وقد جاء فيه حديث حسن ذكره أبو الليث السمرقندى فى تفسير سورة ن والقلم فقال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا بن منيع قال حدثنا هدبة قال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة بن أبى موسى قال حدثنى أبى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فى الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده فى الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى أقوام ظهورهم مثل صياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون[lxvii] فيقول الله تعالى عبادى ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم من اليهود والنصارى فى النار قال أبو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال أالله الذى لا اله الا هو لحدثك أبوك بهذا الحديث فحلف له ثلاثة أيمان فقال عمر ما سمعت فى أهل التوحيد حديثا هو أحب الى من هذا قال القرطبى فهذا الحديث يبين لك معنى كشف الساق وانه عبارة عن رؤيته سبحانه وهو معنى ما فى صحيح مسلم والاحاديث يفسر بعضها بعضا فليعول على هذا الحديث وقوله فيقبض قبضة لا يفهم منه التشبيه بما يعهد من الخلق فتعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا قال القرطبى وانما المعنى انه سبحانه يخرج من النار خلقا كثيرا لا يأخذهم عدولا يدخلون تحت حصر يخرجهم سبحانه دفعة واحدة بغير شفاعة أحد فعبر عن ذلك بالقبضة وبالحفنة وبالحثية قال الهروى قال ابن شميل الحبة بكسر الحاء اسم جامع لحبوب البقول التى تنتثر اذا هاجت الريح وقال ابن دريد فى الجمهرة كل ما كان من بزر العشب فهو حبة والجمع حبب قال المازرى قال أبو سعيد الضرير وحميل السيل ما جاء به من طين أو غثاء فاذا استقرت الحبة فيه نبتت

فى يوم وليلة وهى أسرع نابتة نباتا وانما أخبر صلى الله عليه وسلم عن سرعة نباتهم وذكر الغزالى فى الدرة الفاخرة انه اذا لم يبق فى الموقف الا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون تجلى لهم الرب سبحانه فسجد له جميعهم فيقول أهلا بكم فيمرون على الصراط والناس أفواجا المرسلون ثم النبيون ثم الصديقون ثم المحسنون ثم المؤمنون العارفون ويبقى المسلمون منهم المكبوب لوجهه ومنهم المحبوس فى الاعراف ومنهم قوم قصروا عن تمام الايمان فمنهم من يجوز على الصراط على مائة عام وآخر يجوزه على ألف عام ومع ذلك كله ان تحرق النار من رأى ربه عيانا وقال الغزالى فى موضع آخر من هذا الكتاب لان الرب سبحانه من نظر اليه وكلمه لم يعذب

﴿ باب منه وفى ذكر الشفاعة ﴾

وروى مسلم من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابنى ابراهيم خليل الله قال فيقول ابراهيم عليه السلام لست بصاحب ذلك اعمدوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى لست بصاحب ذلك قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق قال قلت بابى أنت وأمى أى شئ كمر البرق قال ألم تر الى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفى حاقتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكردس فى النار والذى نفس أبى هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعين خريفا قال عياض قوله حتى تزلف لهم الجنة قال الامام أى تقرب لهم وتدنى منهم وقوله تجرى بهم أعمالهم يعنى ان سرعة مرهم على الصراط بقدر أعمالهم ومبادرتهم لطاعة ربهم الا تراه قال حتى تعجز أعمال العباد قلت قوله وترسل الامانة والرحم الحديث فيه الحض على حفظ الامانة وصلة الرحم وروينا فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له فى رزقه وان ينسى له فى أثره فليصل رحمه وروينا فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فهو لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وفى صحيح البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قاطع وروى أبو نعيم فى حليته عن شعبة عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للرحم لسانا يوم القيامة تحت العرش تقول يارب قطعت يارب قطعت يارب أسيء الى فيجيبها ربها ألا ترضين

﴿باب منه﴾

قال المحاسبي رحمه الله واذكر الجسر بدقته وهوله وزلته وعظيم خطره وقد حل بفؤادك وجلد حين رفعت طرفك فنظرت اليه مضروبا على متن جهنم وجهنم تخفق بأمواجها من تحته فيالله من منظر ماأفظعه وأهوله فتوهم نفسك وقد قيل لك وللخلائق اركبوا الجسر فطار قلبك فزعا ورعبا فتوهم نفسك وقد رفعت احدى قدميك لتركبه ووثبت بالاخرى لتستوى عليه وقد أثقلتك أو زارك وأنت حاملها على ظهرك وقد تهافت الناس فى جهنم من بين يديك ومن خلفك وقد نظرت الى الزالين والزالات قد نكست رؤسهم وارتعدت على الصراط أرجلهم ورمتهم الملائكة بالكلاليب فجذبتهم وهم يبكون وينادون بالويل والثبور فتوهم ذلك بقلب فارغ وعقل جامع للمر عليه فان أهوال يوم القيامة انما خفت على الذين توهموا فى الدنيا بعقولهم فتحملوا فى الدنيا الهموم خوفا من مقام ربهم فخففها مولاهم عنهم يوم القيامة فتوهم ذلك بقلب فارغ وهمة هائجة من قلبك بالرحمة لبدنك الضعيف وارجع عما يكرهه منك مولاك الى مايرضاه عسى أن يرضى عنك واستقله عثراتك وابك من خشيته عسى أن يرحم عبراتك فان الخطر عظيم والموت منك قريب ومولاك مطلع على سريرتك وعلانيتك فاحذر نظره اليك بالمقت والغضب فانه لاطاقة لك بغضبه ولاصبر لك على عذابه قال ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى وقد جاء فى صفة الصراط انه أرق من الشعر وأحد من السيف وانه سبع عقبات وان طول كل عقبة منه مقدار ثلاثة آلاف سنة قال الغزالى فى الاحياء الصراط أحد من السيف وأرق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر فى أول قدم على الصراط فاطل فكرك فى ذلك فان أسلم الناس من أهوال القيامة من أطال فكره فيها فى الدنيا فان الله تعالى لايجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه الاهوال فى الدنيا أمنها فى الآخرة ولست أعنى بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك فى حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فذلك من الخوف فى شئ بل من خاف من شئ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه فلا يحبك الاخوف يمنعك من معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته وتفكر الآن فيما يجل بك من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدميك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك من المشى على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك وأحسست بحدته واضطررت الى أن ترتفع القدم الثانى والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية النار بمثل الخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فيسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو أرجلهم فيالله من منظر ماأفظعه فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن به فما أطول مقامك مع الكفار فى دركات النار وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضى الله بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الاهول الصراط وارتياع قلبك من خطره فى الجواز عليه وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا ثم ذكر حديث أبى سعيد فى المرور على الصراط وقد تقدم وفى آخره فأما أهل النار الذين هم

أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة قال وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله تعالى الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون

﴿فصل﴾ القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقال ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويطفأ أخرى فاذا أضاء قدم قدمه واذا طفئ قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر أنوارهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرحال حتى يمر الذى أعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه والنار تصيب جوانبه فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال الحمد لله لقد أعطانى الله مالم يعط أحدا اذ نجانى منها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل (قلت) وروى هناد بن السرى قال حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا سفيان قال حدثنا سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء قال قال عبدالله يأمر الله سبحانه بالصراط فيضرب على جهنم قال فيمر الناس على قدر أعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كاسراع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا حتى يمر الرجل مشيا ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه يقول يارب لم ابطأت بى فيقول لم ابطأ بك انما ابطأ بك عملك

﴿باب ماجاء فيمن لا يوقف على الصراط طرفة عين وسهولته على بعض الناس﴾

روى ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعيد عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال قال بلغنا ان الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع قال واخبرنا عوف بن عبدالله بن سفيان العقيلى قال يجوز الناس يوم القيامة الصراط على قدر ايمانهم وأعمالهم فيجوز الرجل كالطرف فى السرعة والسهم وكالطائر السريع الطيران وكالفرس الجواد المضمر ويجوز الرجل يعدو عدوا والرجل يمشى مشيا حتى يكون آخر من يجوز يحبو حبوا وروى الوائلى أبو نصر فى كتاب الابانة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال علم الناس سنتى وان كرهوا وان أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن فى دين الله حدثا برأيك قال هذا حديث غريب الاسناد والمتن حسن وخرج أبو داود عن معاذ بن أنس الجهنى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حمى مؤمنا من منافق أراه قال بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مؤمنا بشئ يريد شينه حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وذكر أبو الفرج الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الزالون عن الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء وقال أبو الفرج أيضا فى كتاب روضة المشتاق قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش يافطرة الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيالها من ساعة ما أعظم خوفها يتقدم فيها من كان فى الدنيا ضعيفا ويتأخر عنها من كان فى الدنيا

عظيما مكينا ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم فى ظلماتهم وأنوارهم فاذا عصف الصراط بأمتى نادوا واحمداه فأبادر من شدة اشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى فأنادى رافعا صوتى رب أمتى أمتى لا أسئلك اليوم نفسى والملائكة قيام عن يمين الصراط وبساره ينادون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزائغة يلتقطونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم أما نهيتم عن كسب الاوزار أما خوفتم من عذاب النار أما أنذرتم كل الانذار أما جاءكم النبى المختار انتهى كلام الجوزى وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابراهيم بن أدهم عن عباد بن كثير عن الحسن عن أنس رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة نادى مناد على رؤس الاولين والآخرين من كان حامدا للمسلمين فى دار الدنيا فليقم وليمض على الصراط آمنا غير خائف وادخلوا الجنة أنتم ومن شئتم من المؤمنين فليس عليكم حساب ولا عذاب وقال صلى الله عليه وسلم الخادم فى الدنيا هو سيد القوم فى الآخرة وقال ابراهيم بن أدهم كان قتادة يقول أفضل الناس أعظمهم عن الناس عفوا وأسلمهم لهم صدرا

﴿فصل﴾ قال القرطبى أحاديث هذا الباب تبين لك معنى الورود المذكور فى القرآن فى قوله سبحانه وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فروى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاخبار رضى الله عنهم انهم قالوا الورود المر على الصراط ورواه السدى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم وحدث أبو بكر النجار سلمان بسنده عن يعلى بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى وقيل الورود الدخول روى ذلك عن ابن مسعود وابن عباس أيضا وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وحديث أبى سعيد الخدرى نص فى ذلك على ماسيأتى ان شاء الله تعالى فيدخلها العصاة بجرائمهم والاولياء لشفاعتهم وعبارة ابن عطية قال ابن عباس وابن مسعود وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم هو ورود دخول لكنها لا تعدو على المؤمنين ثم يخرجهم الله عز وجل منها بعد معرفتهم بحقيقة ما نجوا منه وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود مع الجهل بالصدر جعلنا الله من الناجين منها بفضله ورحمته وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ثم تنجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن رجل عن خالد بن معدان قال قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار فقال انكم مررتم بها وهى خامدة قال القرطبى وابن عطية الجمهور على ان المخاطب بقوله سبحانه وان منكم العالم كله وانه لابد من ورود الجميع ثم اختلفوا فى كيفية ورود المؤمنين كما تقدم وروى أبو محمد الدارمى فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب فى رحله ثم كشد الرجال فى مشيه قال ابن عطية وروت فرقة أثرا ان الله تعالى يجعل النار يوم القيامة خامدة الاعلى كانها اهالة يأتى الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تسوخ بأهلها ويخرج المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضر فهذا هو الورود قال المهدوى وعن قتادة قال يرد الناس جهنم وهى سوداء مظلمة فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم فنجوا منها وأما الكفار فاوبقتهم سيآتهم فاحتبسوا بذنوبهم وروت حفصة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية قالت فقلت يارسول

الله وأين قول الله وان منكم الاواردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ثم ننجي الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول (قلت) وحديث حفصة خرجه مسلم وفيه أقلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا قوله ونذر يدل على انهم كانوا فيها قال أبو عمر في التمهيد وروى عن كعب انه تلا هذه الآية وان منكم الاواردها فقال أتدرون ما ورودها انه يجاء بجهنم فتمسك للناس كانها متن اهالة يعني الودك الذي يجمد على القدر من المرقة حتى اذا استقرت عليها اقدام الخلائق برهم وفاجرهم ونادى منادأن خذي أصحابك وذري أصحابي فيخسف بكل ولي لها فلهي أعلم بهم من الوالدة بولدها وينجو المؤمنون ندية ثيابهم وروى هذا المعنى عن أبي نظرة قال ابن عطية فقوله سبحانه وان منكم الاواردها قسم والواو تقتضيه ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم وقال القرطبي قال خالد بن معدان اذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يقل ربنا أنا نرد النار فيقال قد وردتموها فألفيتموها رمادا وقد تقدم هذا

﴿فصل﴾ روى أبو نعيم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحسن الصدقة في الدنيا جاز الصراط الاومن قضى حاجة أرملة أخلف الله له في تركته قال هذا حديث غريب وروى الخثلي أبو القاسم بسنده عن أبي حازم قال سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول لابنه يابني لايكن بيتك الاالمسجد فان المساجد بيوت المتقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة (قلت) وخرج علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ضمن لمن كانت المساجد بيته الأمن والامان والجواز على الصراط يوم القيامة

﴿باب في شعار المؤمنين على الصراط وتلقي الملائكة لهم بعد الصراط﴾

روى الترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم شعار المؤمنين على الصراط سلم سلم قال حديث غريب وفي صحيح مسلم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم وقد تقدم ذلك وتقدم من قول الملائكة وروى ابن المبارك عن عبد الله بن سلام قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الانبياء نبيا نبيا وأمة أمة ويضرب الجسر على جهنم وينادي مناد أين أحمد وأمته فيقوم نبي الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا في النار يمينا وشمالا ويمضي النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتلقاهم الملائكة ربنا يدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك الحديث ثم يتبعه عيسى على مثل سبيله ويتبعه برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا في النار يمينا وشمالا ويمضي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتلقاهم الملائكة ربنا يدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك الحديث ثم يدعى نبي نبي وأمة أمة حتى يكون آخرهم نوحا رحم الله نوحا

﴿باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار﴾

قال القرطبي اعلم رحمك الله ان في الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم الامن دخل الجنة بغير حساب أو يلتقطه عنق النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذي ذكرناه ولايخلص منه الاالمؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لايستنفد حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولايرجع الى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله لانهم قد عبروا الصراط

الاول المضروب على متن جهنم الذى يسقط عنه من أو بقة ذنبه وأربى على الحسنات جرمه روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن الله لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا قال القرطبى معنى يخلص المؤمنون من النار أى يخلصون من الصراط المضروب على النار ودل هذا على أن المؤمنين فى الآخرة مختلفو الحال قال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين قال القرطبى وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أصحاب الجد محبوسون بين الجنة والنار يسئلون عن فضول أموال كانت بأيديهم قوله صلى الله عليه وسلم لاحدهم اهدى بمنزله لاتعارض بينه وبين حديث عبدالله بن سلام ان الملائكة تدلهم على طريق الجنة يمينا وشمالا فان هذا فيمن لم يحبس على قنطرة ويحتمل أن يكون ذلك فى الجميع أى تدلهم الملائكة على طريق الجنة فاذا وصلوا باب الجنة كان أحدهم أعرف بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا وهو معنى قوله تبارك وتعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال أكثر المفسرين اذا دخل أهل الجنة الجنة يقال لهم تفرقوا الى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم وقيل ان هذا التعريف الى المنازل بدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشى بين يديه (قلت) ولايعارض هذا حديث أبى سعيد لان الله سبحانه عرفهم منازلهم بما يقذفه فى قلوبهم من علم ضرورى أو بأمارة يعرفون بها منازلهم ويكون مشى الملك بين يدى ولى الله زيادة فى كرامة وتأمل صحبة الملائكة المباركة تجدها مستديمة لمن كانت أحواله مستقيمة كما أخبر سبحانه عنهم بقوله نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة على مامر فى أول الكتاب اللهم انفعنا بصحبتهم فى الدنيا والآخرة ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين وان حسن العهد من الايمان فالواجب على العبد أن يحسن اليوم فى الدنيا صحبتهم باتباع مرضاة الله تعالى واجتناب مايسخطه

﴿ باب فيمن يشفع لهم قبل دخول النار ﴾

وروى ابن وضاح عن أنس رضى الله عنه يرفعه قال يصف أهل النار فيقربون فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يافلان أماتذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا فيقول انك أنت هو قال فيقول نعم قال فيشفع فيه فيشفع ويقول الرجل منهم يافلان رجل من أهل الجنة أماتذكر رجلا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا فيقول نعم فيشفع له فيشفع قال القرطبى وخرجه ابن ماجه فى سننه بمعناه قال حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير وعلى بن محمد قالا حدثنا الاعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس صفوفا وقال ابن نمير أهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول يافلان أماتذكر يوم استسقيتنى فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول اماتذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نمير ويقول يافلان أماتذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له وخرج أبونعيم باسناده عن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سبحانه ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه المعروف

فى الدنيا وذكر أبو جعفر الطحاوى عن أنس أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفا وأهل النار صفوفا فينظر الرجل من أهل النار الى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول يافلان أماتذكر يوم اصطنعت معروفا اليك فيقول اللهم ان هذا اصطنع الى فى الدنيا معروفا قال فيقول له خذ بيده وادخله الجنة برحمة الله عز وجل قال أنس اشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال أبو عبدالله محمد بن مسرة الجبلى القرطبى رأيت فى الكتاب الذى يقال انه الزبور انى ادعو الزاهدين يوم القيامة فأقول لهم ياعبادى انى لم أزهدكم الدنيا لهوانكم على ولكن أردت أن تستوفوا نصيبكم موفورا اليوم فتظللوا الصفوف فمن أحببتموه فى الدنيا أوقضى لكم حاجة أوزد عنكم غبية أواطعمكم لقمة ابتغاء وجهى وطلب مرضاتى فخذوا بيده وادخلوه الجنة وذكر الغزالى فى الاحياء عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يافلان هل تعرفنى فيقول والله لاأعرفك من أنت فيقول أنا الذى مررت بى فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع له بها عند ربك فيسئل الله تعالى ويقول انى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال هل تعرفنى فقلت لامن أنت قال أنا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى بها فشفعنى فيشفعه الله فيؤمر به فيخرج من النار

﴿ باب ماجاء فى صفة جهنم نجانا الله منها برحمته ﴾

قد حذرنا الله سبحانه من عذابه فى غير ما آية من كتابه فوجب على العاقل أن يحذر مما حذره الله ويرحم بدنه الضعيف فانه لاطاقة لاحد على عذاب الله والتعرض لغضبه ومن رحمته سبحانه أن حذرنا منها فى دار المهلة فقال سبحانه ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وقد جاءت الآيات بصفة النار وأهلها وكذا جاءت الآثار بصفة أهل النار وأنا أذكر ان شاء الله من ذلك قدرا يسيرا ولولم يكن عذاب الآخرة الا بنار الدنيا التى نشاهدها لكان ذلك كافيا فى الزجر فكيف بنار الآخرة التى جاء من وصفها مايذهل العقول وقد روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وروى مالك ومسلم واللفظ لمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يارسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم ولولا انها اطفئت بالماء مرتين ماانتفعتم بها وانها لتدعو الله عز وجل ان لايعيدها فيها ورواه سفيان بن عيينة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انها ضربت بماء البحر سبع مرات وفى حديث ابن مسعود عشر مرات قلت ولاجل شدة عذابها خافت الملائكة وقد روى ابن المبارك عن ميمون ابن مهران أنه قال لما خلق الله النار أمرها فزفرت زفرة فلم يبق فى السموات السبع ملك الا خر على وجهه فقال لهم الجبار جل جلاله ارفعوا رؤسكم أماعلمتم انى خلقتكم لطاعتى وعبادتى وخلقت جهنم لاهل معصيتى من خلقى فقالوا ربنا لانأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى وهم من

خشيته مشفقون وخرج مسلم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها قال عبد الحق فى العاقبة يروى ان لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فاذا رفعهم اشرفوا على الجنة وبينهم حجاب فينادى أهل الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يرون الانهار تطرد بينهم ان أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد الى قعر جهنم قال بعض المفسرين وهومعنى قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون قال عبد الحق ولعلك تقول كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم مابينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك لاتقل هذا فان الله تعالى يقوى اسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا وهذا قريب فى القدرة جدا واذا تأملته وجدته قلت وهذا كما قال وانما يجب الايمان الجزم بما أخبر الله ورسوله به قال ابن أبى جمرة رحمه الله ولا يتعرض الى الكيفية فى كل ماجاء من أمر الساعة فانه أمر لاتسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف فى الايمان وانما يجب الجزم بالتصديق بما أخبر به صلى الله عليه وسلم وفى صحيح البخارى من حديث أسماء رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم حمد الله وأثنى عليه ثم قال مامن شئ لم أكن أريته الارأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار الحديث قال ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى فى هذا الحديث دليل على ان الجواهر لاتحجب بذواتها لانه عليه الصلاة والسلام قد رأى الجنة من هذه الدار وهى فى العالم العلوى فوق السبع الطباق وسقفها عرش الرحمن سبحانه وهى محدقة بالنور ولها شرفات وأبواب الى غير ذلك مما علم من صفتها وعلوها ورأى النار وهى أسفل السافلين تحت البحر الاعظم الذى عليه قرار الارضين على ماقد علم ثم مع هذا البعد العظيم والكثافة العظمى لم يحجبه شئ من ذلك عن الرؤية والمعاينة ففيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى وانها لاتنحصر بالعقل ولاتجرى على قياس انتهى كلام ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى قال القرطبى قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام المعنى يجاء بها من المحل الذى خلقها الله تعالى فيه فتدار بأرض المحشر حتى لايبقى للجنة طريق الا الصراط والزمام مايزم به الشئ أى يشد ويربط وهذه الازمة التى تساق بها جهنم تمنع من خروجها على أرض المحشر فلا يخرج منها الا الاعناق التى أمرت بأخذ من شاء الله أخذه على ماتقدم وملائكتها كما وصف الله سبحانه غلاظ شداد روى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خزنة جهنم مابين منكبى أحدهم كمابين المشرق والمغرب وقال ابن عباس رضى الله عنهما مابين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف انسان فى قعر جهنم

﴿ باب ماجاء انه لايجوز جهنم الامن عنده جواز ﴾

قال القرطبى روى أبوهدبة ابراهيم بن هدبة عن أنس رضى الله عنه قال نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فقال النبى صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم القيامة قال ياحمد يكونون على أرض

بيضاء لم يعمل عليها ذنب ثم قال يا محمد انه ليجاء بجهنم يوم القيامة تزف زفا عليها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك حتى تقف بين يدى الله عز وجل فيقول لها يا جهنم تكلمى فتقول جهنم لا اله الا الله وعزتك وعظمتك لا انتقمن اليوم ممن أكل رزقك وعبد غيرك لا يجوز نى اليوم الا من عنده جواز قال يقول النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما الجواز يوم القيامة قال أبشر أبشر الا من شهد أن لا اله الا الله الا الله جاز جسر جهنم قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى ألهم أمتى قول لا اله الا الله

﴿باب ماجاء فى بعد قعر جهنم﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون ماهذا قلنا الله و رسوله اعلم قال هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حين انتهى الى قعرها الوجبة الهدة وهو صوت وقع الشئ الثقيل وروى الترمذى عن الحسن قال قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا يعنى منبر البصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها قال فكان ابن عمر يقول اكثروا ذكر النار فان حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها حديد وروى مسلم عن خالد بن عمير العدوى قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فانه ذكر لنا ان الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا والله لتملان الحديث وروى الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها قال هذا حديث اسناده صحيح وروى أبو نعيم عن محمد ابن المنكدر قال لو جمع حديد الدنيا كله ما خلا منها ومابقى ما عدل حلقة من حلق جهنم التى ذكر الله فى كتابه فى قوله فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا قال القرطبى وقال ابن زيد يقال ان الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته وروى عن طاوس ان الله عز وجل خلق ملكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا والملك يعذبه بأصبع من أصابعه فوالله لو وضع الملك أصبعا من أصابعه على السماء لاذابها ذكره القتبى فى عيون الاخبار له وروى الترمذى وأسد بن موسى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعوذوا بالله من جب الحزن فقيل يا رسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين وفى رواية أعده الله للذين يراءون الناس بأعمالهم وفى رواية للترمذى عن أبى هريرة مائة مرة ورواه ابن ماجه عنه وساذكره

﴿فصل﴾ وقد جاءت آثار أن فى جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحارا وصهاريج وحياضا وآبارا وجبابا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا وارجاء ونواعير وعقارب وحيات نجانا الله من جميع ذلك بمنه وعاملنا بفضله وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم بحرا اسود مظلما منتن الريح يغرق الله فيه من أكل

رزقه وعبد غيره وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وماجب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يارسول الله من يدخله قال أعد للقراء المراءين باعمالهم وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء قال المحاربي الجورة وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا ان جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وان في ذلك الوادي لجبا ان جهنم وذلك الوادي ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب وان في ذلك الجب لحية ان جهنم والوادي وذلك الجب ليتعوذن بالله من شر تلك الحية أعدها الله لاشقياء من حملة القرآن وقال أبو هريرة ان في جهنم ارحاء تدور بعلماء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا فيقول ماصيركم الى هذا وانما كنا نتعلم منكم قالوا انا كنا نأمركم بالامر ونخالفكم الى غيره قال القرطبي وهذا مذكور في صحيح البخاري ومسلم من حديث اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وانهى عن المنكر وافعله ولفظ مسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه وقال أبو المثنى الاملوكي ان في النار أقواما يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير مالهم فيها راحة ولا فترة وقال محمد بن كعب القرظي ان لمالك مجلسا في وسط جهنم جسورا تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها الحديث

﴿ باب منه وفي عذاب من يؤذي المؤمنين ﴾

روى ابن المبارك بسنده عن يزيد بن شجرة وكان معاوية بعثه على الجيوش فلقي عدوا فرأى في عسكره فشلا فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد اذكروا نعمة الله عليكم وذكر الحديث وفيه وانكم مكتوبون عند الله باسمائكم وسماتكم فاذا كان يوم القيامة قيل يافلان هذا نورك يافلان لانور لك ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وعقارب كالبغال الدلم فاذا استغاث أهل النار قالوا الساحل فاذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم وماشاء الله منهم تكشطها كشطا فيقولون النار النار فاذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه وان جلد أحدهم لاربعون ذراعا قال يقال يافلان هل تجد هذا يؤذيك فيقول وأي أذى أشد من هذا قال يقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وروى ابن المبارك بسنده ان صعودا صخرة في جهنم اذا وضعوا أيديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت (قلت) وهذا كما في الآية الكريمة كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب

﴿ باب ماجاء في عذاب أهل الكبر وشارب الخمر ﴾

روى أبو نعيم عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت يابلال ان أباك حدثني عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم واديا ولذلك الوادي بئر يقال لها هيهب حق على الله أن يسكنها كل جبار فاياك أن تكون منهم وروى ابن المبارك قال حدثنا يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في جهنم

واديا يقال له لملم ان أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره وخرج الترمذى قال حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن محمد بن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال قال هذا حديث حسن وقد خرجه ابن المبارك وابن وهب هكذا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال القرطبى طينة الخبال عرق أهل النار وعصارتهم وهو شراب أيضا لمن شرب المسكر جاء ذلك فى صحيح البخارى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قيل يارسول الله وماطينة الخبال قال عرق أهل النار اوعصارة أهل النار مختصر اللهم اختم لنا بخير وعاملنا بمقتضى فضلك اللهم انك تعلم قرب آجالنا وهذه الاهوال بين أيدينا فكن لنا وليا وبنا حفيا وأجرنا من كل هول وعاملنا معاملة أوليائك واحشرنا فى زمرة أصفيائك قال القرطبى قال ابن زيد فى قوله تعالى وظل من يحموم اليحموم جبل فى جهنم يستغيث الى ظله أهل النار لا بارد بل حار لانه من دخان سعير جهنم واختلف فى الفلق فى قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق فروى عن ابن عباس أنه سجن فى جهنم وقال كعب هو بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ذكره أبو نعيم وذكر أبو نعيم ايضا عن حميد بن هلال قال حدثت ان فى جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم فى الارض تضيق على قوم باعمالهم

﴿ باب فى عظم جسد الكافر وتنويع عذاب العاصى المؤمن بحسب أعمال أعضائه ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جسده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وقد روى هذا المعنى الترمذى وابن المبارك وغيرهما فاغنى عن الاطناب بذلك وخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكافر ليجب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطاه الناس وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون وروى ابن وهب قال حدثنا ابن زيد قال يقال انه ليؤذى أهل النار نتن فروج الزناة يوم القيامة وروى أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالما لم ينفعه الله بعلمه فى اسناده من ذكر بضعف وخرج ابو نعيم فى كتاب رياض المتعبدين قال حدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا الحارث بن أبى اسامة حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن عبد الله بن على بن زيد عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت ياجبريل من هؤلاء قال الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه ابن المبارك أيضا عن أنس وروى أبو نعيم بسنده عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار الجلاوزة جمع جلواز قال الجوهرى والجلواز الشرطى والجمع الجلاوزة قال القرطبى وروى أبو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم يجرون قصبهم فى نار جهنم فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا قصبه أى امعاءه

﴿ باب ماجاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون ﴾

قال مولانا سبحانه ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين وروى الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يلقى على أهل النار الجوع مع ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لايسمن ولا يغنى من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذا غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذادنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت مافى بطونهم الحديث

﴿ باب منه ﴾

روى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب و يؤتى باشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط فيقول لا والله يارب مامر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط

﴿ باب ماجاء فى العرفاء والامناء والامراء ﴾

روى أبوداود ان رجلا أرسله أبوه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبى شيخا كبيرا وهو عريف الماء وانه يسألك ان تجعل الى العرافة بعده فقال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ان العرافة حق ولابد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار قال القرطبى العريف القيم بأمر القبيلة والمحامى على أمورهم و يتعرف أخبارهم و يعرف الامير منه أحوالهم وقوله العرافة حق يريد ان فيها مصلحة للناس و رفقا بهم وقوله فى النار معناه التحذير من الرياسة قال أبوداود الطيالسى حدثنا هشام عن عباد بن أبى على عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للامراء وويل للامناء وويل للعرفاء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والارض وانهم لم يلوا عملا

﴿ باب فى بكاء أهل النار نجانا الله من عذابه بمنه وكرمه ﴾

روى الترمذى وابن ماجه عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى تصير فى خدودهم كامثال الجداول ولو أجريت فيها السفن لجرت ورواه ابن المبارك أيضا قال القرطبى وروى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه موقوفا انه قال ان أهل النار ليبكون الدموع فى النار لو أجريت فيها السفن لجرت ثم انهم يبكون الدم بعد الدموع ولمثل ماهم فيه فليبك وهو يستند من معنى ماتقدم وفى القرآن فليضحكوا قليلا أى فى الدنيا وليبكوا كثيرا أى فى الآخرة وفى الترمذى من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وماتلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله قال أبوعيسى هذا حديث صحيح وفى الباب عن عائشة وابن عباس وأنس رضى الله عنهم وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال الترمذى هذا حديث صحيح (قلت) وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال يا أمة محمد ما أحد أغير من الله عز وجل أن يزنى عبده أو تزنى أمته يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال القرطبي فمن كثر بكاؤه خوفا من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيرا في الآخرة قال الله تعالى مخبرا عن أهل الجنة انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ووصف أهل النار فقال واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين أي ثم قال في أهل الجنة فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقال في الكفار وكنتم منهم تضحكون وفي المؤمنين اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون اللهم اجعلنا من الفائزين ومن أوليائك المقربين واعلم رحمك الله ان الآيات والاحاديث في شأن النار وأنواع العذاب كثيرة ولقد كانت والله نار الدنيا لو توعد بها كافية في الزجر وشدة الخوف والوجل فكيف بنار الله الكبرى التي لا طاقة للعاقل على الفكرة فيها فكيف بالحلول بها فارحم يا مسكين جسدك الضعيف وامتثل ما أمرك الله سبحانه به واجتنب ما نهاك الله سبحانه عنه تفز مع الفائزين قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وروى أبو نعيم في حليته عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قيل لاهل النار انكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا سنة لفرحوا ولو قيل لاهل الجنة انكم ماكثون فيها عدد كل حصاة في الدنيا لحزنوا ولكن خلقوا لابد الابد قال الغزالي رحمه الله تعالى أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت عنه مرتحل واصرف الفكر الى ما أنت اليه منتقل وتفكر في موردك فانك أخبرت ان النار مورد الجميع قال الله سبحانه وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت رحمك الله من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك رحمك الله هول ذلك المورد فعساك أن تستعد للنجاة بالتشمير لصالح العمل وتأمل في أحوال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كروبها وأهوالها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب اذا سمعوا لها زفيرا يفصح عن شدة الغيظ والغضب وأيقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويزيد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والويل يجمعهم أماتيهم فيها الهلاك ومآلهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمات المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون من أطرافها يا مالك قد حق بنا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود وتقول الزبانية هيهات لا حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان ويقول الرب سبحانه اخسئوا فيها ولا تكلمون ولو خرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدين فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش فهم بين مقطعات النيران وسرابيل

اقطران تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والثبور طعامهم الزقوم ان شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم أى وسط الجحيم يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد هذا بعض ما فيها كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها غلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد باحداقهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة باعضائهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم سبعين ألف وادى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون الف عقرب وسبعون ألف ثعبان لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وروى الترمذى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشوه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته واسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة ولو ان دلوا من غسلين يهراق فى الدنيا لانتن اهل الدنيا قال حديث حسن صحيح غريب قال وعن ابى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه الآية قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله سبحانه وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا قال هذا حديث غريب قال وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جلده فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قال حديث حسن صحيح

﴿فصل﴾ اعلم وفقنا الله واياك ان آيات القرآن جاءت مصرحة بانواع من عذاب المعذبين فالواجب على العبد ان يتأمل كلام ربه ويتعظ به ويعمل فى خلاص نفسه قبل وقوع النقمة به وقد مضى كثير من التنبيه على هذا المعنى وتأمل ما جاء فى طعامهم وشرابهم ولباسهم قال مولانا سبحانه ان شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم الآية وقال سبحانه بعد ذكره ما انعم به على المطيعين أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قوله طعام الاثيم اى الفاجر كأبى جهل وفيه نزلت وقوله كالمهل قال ابن عباس وابن عمر المهل دردى الزيت وقد اسند الترمذى هذا التفسير عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وغيره المهل ماذاب من ذهب أو فضة والمعنى ان هذا الطعام يفعل فى جوف هذا الاثيم ما يفعله المهل المذاب من الاحراق والفساد والحميم الماء السخن الذى يتطاير من غليانه وقوله سبحانه ثم ان مرجعهم لالى الجحيم هو كقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن والمعنى انهم يترددون بين نار جهنم وحميمها وبين حميم وهو ماغلى فى جهنم من مائع عذابها وآن الشئ حضر وآن اللحم أو ما يطبخ أو ما يغلى نضج وتناهى حره وكونه من الثانى أبين وقال سبحانه ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع قال الحسن وجماعة الضريع هو الزقوم وقال ابن عباس وغيره شبرق النار قال ابن عطية وقال النبى صلى الله عليه وسلم الضريع شوك فى النار قلت ان صح هذا عنه صلى الله عليه وسلم فلا يعدل عنه

وقال سبحانه لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا قال ابو عبيدة البرد فى الآية النوم والعرب تسمية بذلك لانه يبرد صورة العطش وقال الجهور البرد فى الآية مس الهواء البارد وقال قتادة وجماعة الغساق هو ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد ونحوه وقال سبحانه فليس له اليوم هاهنا حميم اى صديق ملاطف ولا طعام الا من غسلين اى ما يجرى من الجوارح اذا غسلت وهو غسالة اهل النار وقال سبحانه وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وقد تقدم معنى هذه الآية وقال سبحانه تسقى من عين آنية الآنية التى قد انتهى حرها اللهم عافنا من عذابك وانعم علينا بما أنعمت به على أوليائك قال الغزالى فى الاحياء قال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق جهنم القى فى الدنيا لانتن أهل الارض فهذا شرابهم و يسقى من ماء صديد يتجزعه ولا يكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ وقال سبحانه ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما الانكال جمع نكل وهو القيد من الحديد و تروى انها قيود سود من النار والطعام ذو الغصة شجرة الزقوم قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس شوك من نار يعترض فى حلوقهم وكل مطعوم هناك فهو ذو غصة وقال مولانا سبحانه فى لباسهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار الآية وقال سبحانه سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار عافانا الله من عذابه بجوده وكرمه قال الغزالى فى الاحياء قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله فيه واحذروا وخافوا ما خوفكم الله من عذابه وعقابه من جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى انتم فيها لطلبتها لكم وفى نسخة من الاحياء لطيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم وفى نسخة أيضا خبلتها عليكم اى أفسدتها عليكم فالشطر الاول من الحديث نظير قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى عنه قال لو ان ما ينقل ظفر مما فى الجنة يدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والارض الحديث الشطر الثانى من الحديث نظيره قوله صلى الله عليه وسلم أو هو بعينه لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لافسدت على الناس معايشهم الحديث قال الغزالى وانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهى لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فتوجد حرقتها أربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفات يلسعن اللسعة فتوجد حرقتها أربعين خريفا قال الغزالى وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وأذى الناس ومن وقى ذلك فى الدنيا وقى هذه الحيات فى الآخرة فلم تمثل له

﴿ باب ما جاء أن الموحدين يميتهم الله اماتة ﴾

روى مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فاماتهم الله اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية وقد خرج البزار هذا الحديث فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اما اهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين يريد الله تبارك وتعالى اخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة فيرش

عليهم

عليهم من مائه فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل و يدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين فيدعون الله تبارك وتعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم قال صاحب التذكرة هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لانه أكدها بالمصدر وذلك تكريما لهم حتى لايحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخادرفيها كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقيل يجوز ان تكون اماتتهم عبارة عن تغييبه اياهم عن آلامها بالنوم ولايكون ذلك موتا على الحقيقة الذى هو خروج الروح قال القرطبى والتأويل الاول أصح لماذكرناه من تأكيده بالمصدر واقوله فى نفس الحديث حتى اذا كانوا فحما فهم أموات على الحقيقة وعبارة عياض فى الاكمال وقوله فى أهل الذنوب فاماتهم الله اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة وان أهلها هم الذين لايموتون فيها ولايحيون قال بعض المتكلمين يحتمل معنيين أحدهما ان المذنبين يميتهم الله موتا حقا حتى لايحسون النار فيكون عقابهم حبسهم فى النار عن دخول الجنة كالمسجونين وأما اهل النار يعنى الكفار الذين هم أهلها فهم احياء حقيقة لايموتون فيها اى فيستريحون ولا يحيون حياة ينتفعون بها وهم الكفار (الوجه الثانى) ان الاماتة لاهل الذنوب ليست على الحقيقة لكن غيب الله عنهم احساسهم للآلام بلطف منه سبحانه ويجوز ان تكون آلامهم أخف كالنوم قال عياض وقد جاء فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه اذا ادخل الله الموحدين النار أماتهم فيها فاذا أراد ان يخرجهم منها أمسهم ألم العذاب تلك الساعة قال عياض وفى حديث آخرانها تنزوى منهم وتقول مالى ولاهل بسم الله وقوله ضبائر ضبائر معناه جماعات جماعات وخرج البخارى عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بعد مامسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين

﴿ باب فى حسرة أهل النار ﴾

قال الغزالى فى الاحياء أعظم الامور على أهل النار مع مايلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس اذلم يبيعوه الا بشهوات حقيرة فى الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا انفسنا بعصيان الله ربنا كيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكان قد انقضت علينا ايامنا و بقينا الآن فى جوار الرحمن منعمين بالرضا والرضوان فياحسرة هؤلاء وقد فاتهم مافاتهم و بلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ماأعد الله فيها لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لانصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة مارجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يار بنا لو أدخلتنا النار قبل ان ترينا ماأريتنا من ثوابك وماأعددت فيها لاوليائك لكان أهون علينا قال ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارتكبتم بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس باعمالكم بخلاف ماتعطون من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى واجللتم الناس ولم تجلونى و ركنتم الى الناس ولم تركنوا الى فاليوم أذيقكم العذاب الاليم مع ماحرمتكم من النعيم المقيم

﴿ باب ماجاء فى الشفاعة ﴾

قد تقدم حديث أبى سعيد فى شفاعة المؤمنين فى اخوانهم وروى ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء

وروى ابن السماك ابو عمر وعثمان بن أحمد بسنده وابو داود الطيالسى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع أربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أوعيسى قال أبو الزرعاء لاأدرى أيهما قال ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء و يبقى قوم فى جهنم فيقال لهم ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبدالله بن مسعود فهؤلاء الذين يبقون فى جهنم وروى ابن ماجه عن عبدالله بن أبى الجدعاء رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم قال يارسول الله سواك قال سواى قلت أأنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا سمعته ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولانعرف لابن أبى الجدعاء غير هذا الحديث الواحد وخرجه أيضا البيهقى فى دلائل النبوة وقال فى آخره كان الحسن يقول انه أويس القرنى وروى ابن السماك بسنده عن ابى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بشفاعة رجل من أمتى الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر قال فكان المشيخة يرون ان ذلك الرجل عثمان بن عفان رضى الله عنه وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أمتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخل الجنة قال حديث حسن (قلت) ولم يبين فى بعض هذه الاحاديث انها شفاعة فى أهل النار بل ظاهرها العموم فيمن دخل النار وفيمن لم يدخلها وروى البزار فى مسنده عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الرجل يشفع للرجلين والثلاثة وذكر عياض فى الشفاء عن كعب ان لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعة (قلت) ومن أعظم أحاديث الرجاء ماذكره عياض فى الشفاء قال ومن حديث أنس رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر (قلت) وهذا الحديث أخرجه النسائى ولفظه على مانقله صاحب الكوكب الدرى انى لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على الارض من شجر وحجر الحديث قال القرطبى وذكر ابن المبارك قال أنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى رجل يقال له صلة بن اشيم يدخل بشفاعته كذا وكذا ونقل الثعلبى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل ليقول فى الجنة رب مافعل فلان وصديقه فى الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى لنا من شافعين ولاصديق حميم وقال الحسن مااجتمع ملأ على ذكر الله تعالى فيهم عبد من أهل الجنة الا شفعه الله فيهم وان أهل الايمان شفعاء بعضهم فى بعض وهم عندالله شافعون مشفعون وروى ابن المبارك بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان

﴿ باب منه ﴾

قال القرطبى وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى زاد الطيالسى قال فقال له جابر من لم يكن من اهل الكبائر فما له والشفاعة قال أبو داود حدثناه محمد بن ثابت عن أبى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وروى أبو الحسن

الدارقطني عن أبي أمامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أنا لشرار أمتي قالوا فكيف أنت لخيارهم قال أما خيارهم فيدخلون الجنة باعمالهم وأما شرارها فيدخلون الجنة بشفاعتي وروى ابن ماجه عن ربعي بن حراش عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها اعم وأكفى أترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين وأسند القرطبي في تذكرته عن أشياخه عن ربعي بن حراش عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين الشفاعة ونصف أمتي فاخترت الشفاعة أترونها للمتقين لا ولكنها للخاطئين المتلوثين وخرج ابن ماجه عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ماخيرني ربي الليلة قلنا الله ورسوله أعلم قال انه خيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة قلنا يارسول الله ادع الله ان يجعلنا من أهلها قال هي لكل مسلم (قلت) تقدم الآن بالقرب ان الصيام والقرآن يشفعان قال القرطبي رحمه الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول انا الذي اسهرت ليلك واظمأت نهارك خرجه ابن ماجه في سننه من حديث بريدة واسناده صحيح فقوله يجيء القرآن أي ثواب القرآن وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به يقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد قال كانهما غمامتان أو ظلتان سودا وان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما قال علماؤنا فقوله يحاجان عن صاحبهما اي يخلق الله عز وجل من ثوابهما ملائكة كما جاء في بعض الاحاديث ان من قرأ شهد الله انه لا اله الا هو خلق الله تعالى سبعين الف ملك يستغفرون له الى يوم القيامة فكذلك يخلق الله سبحانه من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين يشفعان له وكذلك ان شاء الله سائر الاعمال كما ذكر ابن المبارك في رقائقه أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال بلغني ان المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في احسن صورة أحسن ماخلق الله وجها وثيابا وأطيبه ريحا فيجلس الى جنبه كلما أفزعه شئ أمنه وكلما تخوف شيأ هون عليه فيقول له جزاك الله من صاحب خيرا من أنت فيقول أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك أنا عملك كان والله حسنا فلذلك تراني حسنا وكان طيبا فلذلك تراني طيبا تعال فاركبني فطال ماركبتك في الدنيا وهو قوله سبحانه وتعالى ويحيى الله الذين اتقوا بمفازتهم حتى يأتي به الحر به فيقول يارب ان كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته غير صاحبي قد شغل في نفسه فيقول الرب تبارك وتعالى فما يسئل قال المغفرة والرحمة أو نحو هذا فيقول فاني قد غفرت له ثم يكسى حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ثم يقول يارب ان أبويه قد كان شغل عنهما وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه من عمله فيعطيان مثل ما أعطى ويتمثل عمل الكافر في صورة أقبح مايكون صورة وأنتنه ريحا فيجلس الى جنبه كلما أفزعه شئ زاده وكلما تخوف شيأ زاده خوفا فيقول بئس الصاحب أنت ومن انت فيقول أوما تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك كان قبيحا فلذلك تراني قبيحا وكان منتنا فلذلك تراني منتنا فطالما رأسك أركبك فطال ماركبتني في الدنيا وهو قوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة قال القرطبي وهذا الحديث يستند من حديث قيس بن عاصم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه لابد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت فان كان كريما أكرمك وان كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تبعث

الامعه ولاتسئل الاعنه فلا تجعله الاصالحا فانه ان كان صالحا لم تأنس الابه وان كان فاحشالم تستوحش الامنه وهوفعلك (قلت) تقدم هذا المعنى أول الكتاب (قلت) ووجدت بخط بعض الفضلا مانصه قوله عز وجل شهد الله انه لااله الاهو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لااله الاهو العزيز الحكيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ هذه الآية عند منامه خلق الله منها سبعين ألف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة وقال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عنده وديعة يقول الله عز وجل يوم القيامة ان لعبدى عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة (قلت) وقد أسند أبو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم عن غالب القطان قال كنت اختلف الى الاعمش فرأيته ليلة قام يتهجد من الليل وقرأ هذه الآية شهد الله انه لااله الاهو الى قوله الاسلام قال الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة فقلت للاعمش انى سمعتك تقرأ هذه الآية ترددها فما بلغك فيها قال حدثنى أبو وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله سبحانه عبدى عهدالى وأنا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة قال القرطبى وذكر أبو الفرج الجوزى فى كتاب روضة المشتاق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بالتوبة فى صورة حسنة ورائحة طيبة ولايجد رائحتها ولا يرى صورتها الامؤمن فيجدون لها رائحة وأنسا فيقول الكافر والعاصى المصر مالنا ماوجدنا ماوجدتم ولارأينا مارأيتم فتقول لهم التوبة طال ماتعرضت لكم فى الدنيا فما أردتمونى فلو كنتم قبلتمونى لكنتم اليوم وجدتمونى فيقولون نحن اليوم نتوب فينادى مناد من تحت العرش هيهات هيهات ذهبت أيام المهلة وانقضى زمان التوبة فلو جئتمونى بالدنيا وما اشتملت عليه ماقبلت توبتكم ولا رحمت عبرتكم فعند ذلك تنأى التوبة عنهم وتبعد ملائكة الرحمة عنهم وينادى مناد من تحت العرش ياخزنة النار هلموا الى اعداء الجبار

﴿باب فى اخراج الموحدين من النار بالشفاعة﴾

قد قدمنا حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما فى الكلام على الصراط ولنذكر الآن غيره روى مسلم عن معبد بن هلال العنزى قال انطلقنا الى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا اليه وهو يصلى الضحى فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه واجلس ثابتا معه على سريره فقال ياأبا حمزة ان أخوانك من أهل البصرة يسئلونك ان تحدثهم حديث الشفاعة قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فأوتى فأقول أنا لها فانطلق فاستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لاأقدر عليها الآن يلهمنيها الله ثم أخر له ساجدا فيقال يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتى امتى فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أوشعير من ايمان فأخرجه منها فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم آخر له ساجدا فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتى أمتى فيقال لى انطلق فمن كان فى

قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه منها فانطلق فافعل ثم أعود الى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يامحمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتى أمتى فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه من النار فانطلق فافعل هذا حديث أنس الذى أنبانا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الحمان قلنا لو مللنا الى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف فى دار أبى خليفة قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا ياأبا سعيد جئنا من عند أخيك أبى حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثناه فى الشفاعة فقال هيه فحدثناه الحديث فقال هيه قلنا مازادنا قال حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع واقد ترك شيأ ماأدرى أنسى الشيخ أم كره أن يحدثكم فتتكلوا قلنا له حدثنا فضحك وقال خلق الانسان من عجل ماذكرت لكم هذا الاوأنا أريد أن أحدثكموه ثم ارجع الى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لااله الاالله قال ليس ذلك لك أوقال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من قال لااله الاالله قال فاشهد على الحسن أنه حدثنا به انه سمع أنس بن مالك أراه قال قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع قوله وهو يومئذ جميع عياض أى مجتمع الذكر والقوة لم يأخذ منه السن والكبر قال القرطبى قوله من ايمان أى من أعمال الايمان التى هى أعمال الجوارح ومنه قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس وقد قيل ان المراد بالايمان أعمال القلوب كأنه يقول اخرجوا من عمل عملا بنية من قلبه كقوله انما الاعمال بالنيات وفى هذا المعنى خبر عجيب يأتى ان شاء الله تعالى ذكره ويجوز أن يراد به رحمة على مسلم رقة على بقيم خوفا من الله رجاء له توكلا عليه ثقة به مما هى أفعال القلوب دون الجوارح وسماها ايمانا لكونها فى محل الايمان ولم يرد مجرد الايمان الذى هو التوحيد الذى دلت عليه كلمة لااله الاالله لقوله سبحانه ليس ذلك اليك ويدل على ذلك قوله فى حديث أبى سعيد ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ثم مثقال نصف دينار من خير ثم مثقال ذرة من خير ثم قال فى آخر الحديث فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث يريد لم يعملوا خيرا الا التوحيد وفيه فيخرجون أى من النهر كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه الحديث وقد تقدم الكلام مستوفى فى باب ماجاء فى الجواز على الصراط وروى أبو نعيم فى حليته عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من النار من قال لااله الاالله وكان فى قلبه مايزن ذرة وليس الله تبارك وتعالى يترك فى النار أحدا فيه خير الا أخرجه منها وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب على جباههم عتقاء الرحمن فيسئلون الله أن يمحو ذلك الاسم عنهم فيمحوه * وأما الخبر العجيب الذى وعدنا بذكره فقد روى الكلاباذى أبو بكر محمد بن ابراهيم فى بحر الفوائد بسنده عن أبى قلابة قال كان لى ابن أخ يتعاطى الشراب فبعث الى ليلا ان الحق بى فأتيته فرأيت أسودين قد دنيا من ابن أخى فقلت انا لله هلك ابن أخى فاطلع أبيضان من الكوة التى فى البيت فقال أحدهما لصاحبه انزل فلما نزل تنحى الاسودان فجاء فشم فاه فقال ماأرى فيه ذكرا ثم شم بطنه فقال ماأرى فيه صوما ثم شم رجليه فقال ماأرى فيهما

صلاة فقال له صاحبه انا لله وانا اليه راجعون رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس له من الخير شئ ويحك عد فانظر فعاد فشم فاه فقال ما أرى فيه ذكرا ثم عاد فشم بطنه فقال ما أرى فيه صوما ثم عاد فشم رجليه فقال ما أرى فيهما صلاة فقال ويحك رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس معه من الخير شئ اصعد حتى أنزل أنا فنزل الآخر فشم فاه فقال ما أرى فيه ذكرا ثم شم بطنه فقال ما أرى فيه صوما ثم شم رجليه فقال ما أرى فيهما صلاة قال ثم عاد فأخرج طرف لسانه فشم لسانه ثم كبر فقال الله أكبر أراه قد كبر تكبيرة فى سبيل الله يريد بها وجه الله بأنتاكية قال ثم فاضت نفسه وشممت فى البيت رائحة المسك فلما صليت الغداة قلت لاهل المسجد هل لكم فى رجل من أهل الجنة وحدثتهم حديث ابن أخى فلما بلغت ذكر انتاكية قالوا ليست بانتاكية هى انطاكية قلت لا والله لا أسميها الا كما سماها الملك قال القرطبى قال علماؤنا فهذا الرجل أنجته تكبيرة أراد بها وجه الله تعالى وهذه التكبيرة كانت سوى الشهادة التى هى كلمة التوحيد لا اله الا الله كما قررناه فشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم والملائكة والنبيين والمؤمنين لمن كان له عمل زايد على مجرد التصديق ومن لم يكن معه خير الا مجرد الايمان فهم الذين يتفضل الله عليهم بجوده ويخرجهم من النار فضلا وكرما وعدا منه حقا وكلمة صدقا فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وروى أبو الحسن الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اشتكت النار الى ربها عز وجل ضيقها بما فيها من أهلها وحرها وزمهريرها فغمزها فقال حس على عبادى فأخرج منها عدد الجراد والذبان وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى ان أبليس الابالبس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه وروى أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن عمرو بن ميمون أن ابن مسعود رضى الله عنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون فى النار قوم ماشاء الله ثم يرحمهم الله سبحانه فيخرجهم فيكونون فى أدنى الجنة فيغتسلون فى نهر الحياة ويسميهم أهل الجنة الجهنميين لو أضاف أحدهم أهل الارض لاطعمهم وسقاهم وأحسبه قال وزوجهم لا ينقصه ذلك شيأ

﴿ باب منه ﴾

وروى أبو بكر البزار عن أبى بكرة الثقفى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش فى النار فينجى الله برحمته من يشاء ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون ويشفعون فيخرجون من كان فى قلبه مايزن ذرة وروى أبو داود الطيالسى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليخرجن أقوام من النار معتنون قد محشتهم النار فيدخلون الجنة برحمة الله وشفاعة الشافعين فيسمون الجهنميين قال فى مختصر العين التقادع التهافت فى الشر وتقادع الفراش تساقط وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما يخرجون من النار يحترقون فيها الا دارت وجوههم حتى يدخلوا الجنة قال القرطبى فيه دليل على ان أهل الكبائر من أهل التوحيد لا يسود لهم وجه ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بخلاف الكفار قد جاء هذا منصوصا فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ثم ماتوا عليها فهم فى الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق اعينهم ولا يغلون بالاغلال ولا يضربون بالمقامع ولا

يطرحون فى الابراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا منذ خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة الحديث رواه الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول (قلت) وقد ذكر غيره هذا الحديث وضعفه وليس فيه منذ خلقت واسقاطها حسن وانما يعهد هذا العدد من حين نزول آدم الى الارض وهى التى تدل عليه التواريخ على ماذكره المسعودى وغيره قال عبد الحق فى العاقبة اعلم رحمك الله انه قد وجب فى الحكم الاول والقضية السابقة دخول النار على طوائف من المؤمنين ممن أوبقتهم سيآتهم وأحاطت بهم خطيآتهم ولم تحصها عنهم عقوبات الدنيا ولا عذاب القبر ولا أهوال يوم القيامة وكل انسان منهم تنال منه النار بمقدار علمه وتأخذ منه الى الحد الذى أمرت به ثم ان الله جل جلاله بفضله ورحمته يقبل فيهم شفاعة الشافعين ورغبة الراغبين وسؤال السائلين من الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء العاملين وكل من له عند الله تعالى جاه ومنزلة قد بلغها بعمله ونالها بصالح سعيه فان له شفاعة فى أهله وبنيه وأوليائه وأقاربه بل ربما فى الرجل كان يعرفه فى الدنيا ولم يكن بينهما صحبة ولا كبير معرفة قال واعلم ان الجاه الذى تكون به الشفاعة وتحصل به المنزلة عند الله تعالى انما يكون اكتسابه فى الدنيا بالعمل الصالح على الحد الذى حده الشرع ومن ذلك العمل التواضع للمسلمين ولين الجناح لهم واحتمال الاذى منهم والصبر عليهم واسقاط المنزلة عندهم وطلبها عند خالقهم جلت عظمته وخرج أبو القاسم الخلعى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلى أهل الجنة قال وأكثرظنى أنه قال مثلى أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله و روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله سبحانه أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أوخافنى فى مقام قال الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء واذا مات الولد كان شفيعا لابويه فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطفل يجر بأبويه الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة محنطئا أى ممتلئا غيظا وغضبا و يقول لاأدخل الجنة الا وأبواى معى فيقال ادخلوا أبويه معه الجنة وفى خبر آخر ان الاطفال يجمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا الجنة لاحساب عليكم فيقولون وأين آباؤنا وأمهاتنا فتقول الخزنة ان آباءكم وأمهاتكم لم يسوا مثلكم كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها و يطالبون قال فيتصايحون و يضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون يارب بنا اطفال المسلمين قالوا لاندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله سبحانه تخللوا الصفوف فخذوا بأيدى آبائكم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان وقال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحضار من النار قال الغزالى وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولامن صبر على الاذى كمن رفه نفسه فناسات الاهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ﴿تنبيه﴾ تقدم فى الحديث ان هؤلاء الذين أخرجوا من النار بشفاعة الشافعين يسميهم أهل الجنة الجهنميين وفى حديث أبى سعيد المتقدم فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الحديث وفى حديث أبى هريرة

يكتب على جباههم عتقاء الرحمن فيسئلون أن يمحو ذلك الاسم عنهم فيمحوه رواه الترمذى الحكيم قال القرطبي وقد روى مرفوعا انهم اذا دخلوا الجنة قال أهل الجنة هؤلاء الجهنميون فعند ذلك يقولون الهنا لو تركتنا فى النار كان أحب الينا من العار فيرسل الله ريحا من تحت العرش يقال لها المثيرة فتهب على وجوههم فتمحو الكتابة وتزيدهم بهجة وجمالا ثم أسند القرطبي فى تذكرته عن أشياخه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل النار الذين هم أهلها لايموتون فيها ولايحيون وان أهلها الذين يخرجون منها اذا سقطوا سقطوا فيها كانوا فحما حتى يأذن الله فيهم فيخرجهم فيلقيهم على نهر يقال له الحياة أوالحيوان يرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون ثم يدخلون الجنة يسمون الجهنميين ثم يطلبون الى الرحمن عز وجل فيذهب ذلك الاسم عنهم فيلحقون بأهل الجنة قال القرطبي وجاء فى الخبر ان المتحابين فى الله سبحانه مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله تعالى قال فان قيل لم سأل الجهنميون محو ذلك الاسم عنهم ولم يسأل المتحابون فى الله محو اسم المتحابين عنهم فالجواب ان الجهنميين استحيوا من اخوانهم وأنفوا أن ينسبوا الى جهنم فلما من الله سبحانه عليهم بدخول الجنة أرادوا كمال الامتنان بزوال هذه النسبة اليهم وأما سيماء المتحابين فى الله فعلامة شريفة ونسبة رفيعة فلذلك لم يسئلوا محوها ولا زوالها والله سبحانه أعلم

﴿فصل﴾ فيجب على العبد أن ينصح نفسه ويترك هواه ويكثر من طاعة مولاه ويجتنب مساخطه ويحترز من ذنبه وسوء كسبه ولايحتقرن من الطاعات شيأ ولعل فوزه ورحمته فى تلك الطاعة وكذلك لايحتقر شيأ من الذنوب مخافة أن يكون ذلك الشئ المحتقر فيه هلاكه وقد جاء النهى عن محقرات الذنوب وقد أخبر تعالى عن النادمين المجرمين فقال ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها الآية قال ابن عباس الكبيرة الضحك والصغيرة التبسم قال القرطبي يعنى ما كان من ذلك فى معصية الله سبحانه قال وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب لصغائر الذنوب مثلا فقال انما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الارض وحضر صنيع القوم فانطلق كل واحد منهم يحتطب فجعل الرجل منهم يجئ بالعود والآخر بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا فشووا وخبزهم وان الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه الا أن يغفر الله اتقوا محقرات الذنوب فان لها من الله طالبا وأسند القرطبي عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فان مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادفجاء ذا بعود وجاء ذابعود حتى جمعوا ماانضجوا به خبزهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه وليكن العبد حسن الظن بربه ولايقنطه الشيطان فيقطعه عن الخير نسئله جلت عظمته أن يعاملنا باحسانه وينعم علينا برحمته وغفرانه روى الحافظ أبونعيم عن مسلم بن يسار أنه قال بلغنا أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة ويوقف بين يدى الله عز وجل فيقول انظروا فى حسناته فلا توجد له حسنة فيقول انظروا فى سياآته فتوجد له سياآت كثيرة فيؤمر به الى النار فيذهب الى النار وهو يلتفت فيقول ردوه الى متلفت فيقول أى رب لم يكن هذا ظنى أو رجائى فيك شك ابراهيم فيقول سبحانه صدقت فيؤمر به الى الجنة ورواه ابن المبارك عن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما الى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك اسمه ردوه فيردوه فيقال له لم التفت فيقول كنت أرجو أن تدخلنى الجنة فيؤمر به الى الجنة قال فيقول لقد أعطانى ربى حتى

انى لو أطعمت أهل الجنة مانقص ذلك مما عندى شيا قالا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكره يرى السرور فى وجهه (قلت) وفى هذا المعنى خبر الذى يرفع له شجرة بعد أخرى و روى أبونعيم فى الحلية عن الفضيل بن عيسى الرقاشى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قال لى جبريل عليه السلام يامحمد ان ربك ليخاطبنى يوم القيامة فيقول ياجبريل مالى أرى فلان بن فلان فى صفوف أهل النار فأقول يارب انه لم توجد له حسنة يعود عليه خيرها فيقول ياجبريل انى سمعته يقول فى دار الدنيا ياحنان يامنان فأته فسأله ماأراد بقوله ياحنان يامنان فاتيه فأسأله فيقول هل من حنان أومنان غير الله فآخذ بيده من صفوف أهل النار فأدخله فى صفوف أهل الجنة

﴿ باب ماجاء فى آخر من يخرج من النار وأدنى أهل الجنة منزلة ﴾

قدتقدم من حديث أبى هريرة أول باب ماجاء فى الجواز على الصراط خبر الرجل الذى هو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فلينظر هناك وخرج مسلم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر اهل النار خروجا منها وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملآى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملآى فيقول الله اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل له انها ملآى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملآى فيقول الله اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها اوان لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بى أوتضحك بى وانت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة وخرجه البخارى قال الامام المازرى قوله فضحك حتى بدت نواجذه أى ضواحكه فالنواجذ هنا الضواحك وليست بالنواجذ التى هى الاضراس وفى حديث آخر ان الملكين قاعدان على ناجذ العبد يكتبان قال أبو العباس النواجذ الانياب وهو أحسن ماقيل فى النواجذ لان فى الخبر الصحيح انه كان صلى الله عليه وسلم ضحكه التبسم قال عياض هذا ان شاء الله هو الصواب لانه عبر عن أكثر ضحكه بالمبالغة حتى يبدو أنيابه اذلا تبدو بالتبسم الخفيف الذى كان جل ضحكه وانما تبدو منه الثنايا (قلت) وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم وفى رواية عن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له انطلق ادخل الجنة قال فيذهب فيدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيقال له اتذكر الزمان الذى كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن فيتمنى فيقال له لك الذى تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا فيقول أتسخر بى وأنت الملك قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وفى رواية لمسلم عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة و يكبو مرة وتسفعه النار مرة فاذا ماجاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيأ ماأعطاه الاولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أى رب أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل يابن آدم لعلى ان أعطيتكها سألتنى غيرها فيقول لايارب و يعاهده أن لايسئله غيرها وربه يعذره لانه يرى مالاصبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها و يشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الاولى فيقول أى رب ادننى من هذه لاشرب من

مائها واستظل بظلها لاأسئلك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسئلنى غيرها فيقول لعلى ان أدنيتك منها تسألنى غيرها فيعاهده أن لا يسئله غيرها وربه يعذره لانه يرى مالاصبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الاولين فيقول أى رب ادننى من هذه لاستظل بظلها واشرب من مائها لاأسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسئلنى غيرها قال بلى يارب هذه لاأسألك غيرها وربه يعذره لانه يرى مالاصبر له عليه فيدنيه منها فاذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أى رب ادخلنيها فيقول يا ابن آدم مايصرينى منك أيرضيك ان أعطيك الدنيا ومثلها قال يارب أتستهزؤ بى وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال ألا تسئلونى مم أضحك قالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يارسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ بى وانت رب العالمين فيقول انى لاأستهزئ بك ولكنى على ماأشاء قدير وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل فقال أى رب قدمنى الى هذه الشجرة لا كون فى ظلها وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ولم يذكر فيقول يا ابن آدم مايصرينى منك الى آخر الحديث وزاد فيه ويذكره الله سل كذا وكذا فاذا انقطعت به الامانى قال الله هو لك وعشرة أمثاله قال ثم يدخل بيته فيدخل عليه زوجتاه من حور العين فيقولان الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك قال فيقول ماأعطى أحد مثل ماأعطيت وروى الميانشى أبو حفص عمر بن عبد المجيد فى كتاب الاختيار له فى المح من الاخبار عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ان آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة يقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين وروى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقى من الخلائق أحد ورواه الدارقطنى فى كتاب رؤاة مالك ذكره السهيلى قال القرطبى وقيل ان اسمه هناد والله سبحانه اعلم وروى ابو نعيم عن سعيد بن جبير قال ان فى النار لرجلا أطنه فى شعب من شعابها ينادى مقدار الف عام ياحنان يامنان فيقول رب العزة سبحانه لجبريل ياجبريل اخرج عبدى من النار فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول يارب انها عليهم مؤصدة فيقول ياجبريل ارجع فعكها فاخرج عبدى من النار فيفكها فيخرج مثل الخيال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعرا ولحما ودما وروى مسلم عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سأل موسى ربه مادنى أهل الجنة منزلة قال هو رجل يجىء بعد مادخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول اى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقول له أترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة امثاله ولك مااشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال أولئك الذين اردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه فى كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين الآية وروى مسلم عن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر اهل الجنة دخولا الجنة وآخر اهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال

اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض الله عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا فيقول نعم ولا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها هنا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقد تقدم هذا الحديث وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشئ في السيل وفي رواية نبات الحمل في السيل ويذهب حراقه ثم يسئل الله حتى تجعل له الدنيا وعشرة امثالها معها اللهم اسعدنا بلقائك وطيبنا للموت واجعل فيه راحتنا يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين وروى الطبراني بسنده عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ناسا من امتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله ان يكونوا ثم يعيرهم اهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وايمانكم نفعكم قال فلا يبقى موحد الا اخرجه الله سبحانه من النار ثم قرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال القرطبي قال ابو داود الطيالسي حدثنا عبد الله ابن المبارك قال حدثنا يحيى بن ايوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن ابي عمران عن ابي عياش عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم انبأتكم باول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وباول ما يقولون قالوا نعم يا رسول الله قال كان الله تعالى يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا قال وما حملكم على ذلك فيقولون عفوك ورحمتك ورضوانك فيقول فاني قد اوجبت لكم رحمتي ذكر هذا القرطبي باثر ما يرجى من رحمة الله سبحانه

﴿ باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴾

روى مسلم والبخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله الجنة أرسل جبريل اليها فقال انظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها قال فجاءها ونظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها قال فرجع اليه قال فوعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فامر بها فحفت بالمكاره فقال فارجع اليها فانظر ما أعددت اليها فيها قال فرجع اليها فاذا هي قد حفت بالمكاره فرجع اليه فقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال فاذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فاذا هي يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فامر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها وقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد الا دخلها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح قال القرطبي المكاره كل ما يشق على النفس فعله كالطهارة وغيرها من الطاعات والصبر على المصائب وجميع المكاره والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها والحفف الدائر بالشئ المحيط به فالجنة لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها والنار لا ينجى منها الا بترك الشهوات وفطام النفس عنها وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال طريق الجنة حزن بربوة وطريق النار سهل بسهوة ذكره صاحب الشهاب والحزن هو الطريق الوعر المسلك والربوة المكان المرتفع وأراد به أعلى ما يكون من الروابي والسهوة بالسين المهملة هو الموضع السهل الذي لا وعورة فيه (قلت) ان

ثبتت الرواية بالسين المهملة فلا كلام ولست أحقق ذلك ويحتمل أن يكون بالمعجمة وهو أبين

﴿ باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما ﴾

روى البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابى أعذب بك من أشاء وقال لهذه انت رحمتى أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفى رواية البخارى عنه صلى الله عليه وسلم قال تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لايدخلنى الاضعفاء الناس وسقطهم فقال الله للجنة انت رحمتى الحديث قال القرطبى قال الحاكم ابو عبدالله فى علوم الحديث سئل محمد بن اسحق بن خزيمة عن الضعيف المذكور فى هذا الحديث قال الذى يبرئ نفسه من الحول والقوة يعنى فى اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة قال القرطبى ومثل هذا لايقال من جهة الرأى فهو والله اعلم مرفوع قال القرطبى واما المساكين فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار اليهم فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين و روى مسلم عن عياض المجاشعى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذى قربى ومسلم عفيف متعفف ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لازبر له الذين هم فيكم تبعا لايبتغون أهلا ولامالا والخائن الذى لايخفى عليه طمع وان دق الا خانه و رجل لايصبح ولايمسى الاوهو يخادعك عن اهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش و روى مسلم عن حارثة بن وهب الخزاعى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفى رواية زنيم متكبر وخرجه ابن ماجه أيضا و روى أبو داود عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى قال والجواظ الفظ الغليظ و روى ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لايعذب من عباده الا المارد المتمرد الذى يتمرد على الله وأبى أن يقول لا اله الا الله وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل النار الاشقى قيل يارسول الله ومن الشقى قال من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له معصية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أهل الجنة من ملأ الله اذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع وقد تقدم اول الكتاب قوله صلى الله عليه وسلم انتم شهداء الله فى الارض فمن أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار و روى أبو نعيم الحافظ عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ألا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يارسول الله قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ألا أنبئكم بشر من هذا قالوا نعم قال من يبغض الناس و يبغضونه ولايقبل عثرة ولايقبل معذرة ولايغفر ذنبا قال ألا أنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يارسول الله قال من لايرجى خيره ولايؤمن شره ان عيسى ابن مريم قام فى بنى اسرائيل خطيبا فقال يابنى اسرائيل لاتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها

فتظلموها

فتظلموها وقال مرة فتظلموهم ولا تظلموا ظالما ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم يابني اسرائيل الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلف فيه فردوه الى الله قال ابونعيم وهذا الحديث لايحفظ بهذا السياق عن النبي صلى الله عليه وسلم الامن حديث محمد بن كعب عن ابن عباس قال القرطبي ضعيف متضعف يعني ضعيفا في أمور الدنيا قويا في أمور الدين وأما من كان ضعيفا في أمر دينه فهو مذموم وذلك من صفات أهل النار كما قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لازبر له اي لاعقل له ومن لاعقل له ينفك به عن المفاسد ولا يتزجر به عنها فحسبك به ضعفا وخساسة في الدين قال القرطبي ومن فسر الزبر هنا بالمال فليس بشئ لان النبي صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بقوله الذين هم فيكم تبعا لايبتغون أهلا ولامالا قال قال شيخنا أبو العباس يعني بذلك ان هؤلاء القوم ضعفاء العقول لايسعون في تحصيل مصلحة دينية ولادنيوية ولافضيلة نفسية بل يهملون انفسهم اهمال الانعام ولاينالون بما يثبون عليه من حلال أوحرام وقد قال معرف بن عبدالله بن الشخير راوي الحديث والله لقد أدركتهم في الجاهلية وان الرجل ليرعى على الحي وما به الاوليذتهم بطاها وقوله وذكر البخل والكذب هكذا الرواية المشهورة والكذب بالواو الجامعة وقد رواه ابو جعفر عن الطبري بأو التي للشك قال عياض ولعله الصواب وبه تصح القسمة والعفيف الكثير العفة وهي الانكفاف عن الفواحش وعما لايليق والمتعفف المتكلف العفة والشنظير الفحاش ويقال السئ الخلق والجعظري القصير الفظ الغليظ والزنيم المعروف بالشر وقوله انتم شهداء الله في الارض معناه عند الفقهاء اذا اثنى عليه أهل الفضل والدين لان الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من اهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كاسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا

﴿باب في أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار﴾

روى مسلم عن اسامة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجد محبوسون الا أصحاب النار فقد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما في حديث كسوف الشمس ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يارسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيأ قالت مارأيت منك خيرا قط وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أقل ساكني الجنة النساء

(باب)

روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قيل ومن يأبى يارسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أي بارزة أنيابها مشوهة خلقتها فتشرف على الخلائق فيقال هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تنافستم عليها وبها تقاطعتم

وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى أى رب أين اتباعى واشياعى فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها واشياعها

﴿باب ماجاء فى أول من تسعر به النار نجانا الله من عذابه﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار وخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال فى آخره ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة وروى أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد ورجل عفيف متعفف ذوعيال وعبد أحسن عبادة ربه وأدى حق مواليه وأول ثلاثة يدخلون النار أمير متسلط وذوثروة من مال لا يؤدى حقه وفقير فخور

﴿باب ماجاء فى قاطع الرحم وواصلها والمكاس﴾

روى مسلم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال ابن ابى عمر قال سفيان يعنى قاطع رحم ورواه البخارى بهذا اللفظ وفيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط له فى رزقه وان ينسأ له فى أثره فليصل رحمه وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وفى رواية للبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فهو لك وفى رواية من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وروى أبو داود فى سننه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الرحمن وهى الرحم شققت لها من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقد قدمنا هذه الاحاديث مستوفاة فى باب الجواز على الصراط وروى أبو داود عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة صاحب مكس

﴿باب﴾

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله عز وجل الخلق كتب فى كتاب وهو عنده ان رحمتى غلبت غضبى قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه ظاهر الحديث يدل على أن رحمة الله تعالى لعباده أكثر من غضبه والكلام عليه من وجوه الاول قوله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله عز وجل الخلق قضى بمعنى خلق ومنه قوله تعالى فقضاهن

سبع سموات أى خلقهن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم كتب بمعنى أوجب ومنه قوله تعالى كتب على نفسه الرحمة أى أوجبها وهذا الوجوب من الله تعالى وجوب تفضل وامتنان لا وجوب حق عليه محتوم لان الوجوب فى حقه تعالى مستحيل الثالث قوله صلى الله عليه وسلم فى كتاب هذا الذى يحمل على ظاهره ويجب الايمان به كما ورد الخبر به وهو ان ثم كتبا محسوسا فى كتاب محسوس الرابع قوله فهو عنده انما أضاف صلى الله عليه وسلم الكتاب الى الله تعالى لعدم المشاركين له من المخلوقين فى حفظه هناك بخلاف ما جرت الحكمة فى غيره من الاماكن من السموات والارض لان مافى السموات والارض وما بينهما وما فوقهما وما فوق العرش يضاف اليه عز وجل حقيقة لكن لما ان جعل حفظ مافى السموات والارض على أبدى من يشاء من خلقه بمقتضى حكمته لم يضف مافى تلك المواضع اليه واضافها اليهم بمقتضى الحكمة ولما لم يكن هناك مشارك فى الحفظ بمقتضى الحكمة أعنى فوق العرش اضافه الى نفسه (الخامس) قوله فوق العرش فيه دليل على ان فوق العرش ماشاء الله تعالى بمقتضى حكمته من أمره ونهيه مما يشبه هذا أو غيره (السادس) قوله رحمتى غلبت غضبى غلبت بمعنى أكثر أى بما حكمت بذلك لعبادى بأن أكثرت لهم النصيب من رحمتى على النصيب من غضبى

﴿ كتاب ذكر الجنة على ترتيب آى القرآن وماجاء عن المفسرين فى ذلك من البيان ﴾

قوله سبحانه فى سورة البقرة وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون قال ابن عطية بشر مأخوذ من البشرة لان مايبشر به الانسان من خير أو شر يظهر عنه أثر فى بشرة الوجه والاغلب استعمال البشارة فى الخير وقد تستعمل فى الشر مقيدة به وجنات جمع جنة وهى بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له الفردوس (قلت) والجنة هنا أعم من ذلك لانها مشتملة على البساتين وعلى القصور والحور وأنواع السرور وفى مختصر الطبرى لابى عبد الله محمد بن عبيد الله الخشنى النحوى قال وعن مسروق ان نخل الجنة نضيد الى فروعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عاد مكانها أخرى وماؤها يجرى فى غير اخدود وجريه من تحتها أى من تحت شجرها قالوا هذا الذى رزقنا من قبل عن قتادة أى فى الدنيا وعن يحيى بن أبى كثير قال يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول هذا الذى أوتينا من قبل فيقول له الملك كل فالون واحد والطعم مختلف ولفظ ابن عطية قولهم هذا الذى رزقنا من قبل اشارة الى الجنس أى هذا من الجنس الذى رزقنا منه من قبل والكلام يحتمل أن يكون تعجبا منهم وهو قول ابن عباس ويحتمل أن يكون خبرا من بعضهم لبعض قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضا وقال ابن عباس ليس فى الجنة شئ مما فى الدنيا سوى الاسماء وأما الذوات فمتباينة ولفظ الطبرى عن ابن عباس ليس فى الدنيا من الجنة شئ الا الاسماء ولفظ الثعلبى كابن عطية والانهار المياه فى مجاريها المتطاولة الواسعة مأخوذة من انهرت أى وسعت ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ماانهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح وقال بعض المتأولين أتوا به متشابها أى يشبه منظره ما كان فى الدنيا فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا وقال قوم ان ثمر الجنة اذا قطف منه شئ خرج فى الحين فى موضعه مثله فهذا اشارة الى الخارج فى موضع الجنى وقوله

وأزواج مطهرة أزواج جمع زوج ويقال فى المرأة زوجة والاول أشهر ومطهرة أبلغ من طاهرة أى مطهرة من الحيض والبزاق وسائر أقذار الآدميات قال الثعلبى ليس ببخرات ولا ذفرات ولا يغرن وقيل مطهرة من مساوى الاخلاق (قلت) وهذه أقوال متفقة فى المعنى والخلود الدوام

﴿ فصل ﴾ قوله سبحانه زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب الآية ثم قال تعالى والله عنده حسن المآب أى حسن المرجع الطبرى وعن السدى أى حسن المنقلب وهى الجنة أعلمنا ربنا سبحانه ان ماتقدم كله متاع دنيا لاينفع فى الآخرة الاماجعل فى طاعة الله سبحانه ابن عطية ففى الآية تقليل أمر الدنيا وتحقيرها والترغيب فى حسن المرجع الى الله تعالى قوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله قال ابن عطية فى هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركيها ذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقر تزيين شهواتها ثم جاء بالانباء بخير من ذلك هما زا للنفوس وجامعا لها لتسمع هذا النبأ المستغرب النافع لمن عقل وأنبئ معناه أخبر وقوله تعالى ورضوان من الله الرضوان مصدر من رضى وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر قال الله تعالى لهم أتريدون ان أعطيكم ماهو أفضل من هذا قالوا ياربنا وأى شئ أفضل من هذا فيقول الله سبحانه أحل عليكم رضوانى فلاأسخط عليكم بعده أبدا (قلت) وسيأتى هذا آخر الكتاب ان شاء الله تعالى قال الامام الفخر وذلك ان معرفة أهل الجنة مع هذا النعيم المقيم بانه تعالى راض عنهم مما عليهم أزيد عندهم فى ايجاب السرور وباقى الآية بين مما قدمناه قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الآية قال ابن عطية المسارعة المبادرة وهى مفاعلة اذ الناس كأن كل واحد يسرع ليصل قبل غيره فبينهم فى ذلك مفاعلة ألاترى الى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات والمعنى سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب الى ربكم الى حال يغفر الله لكم فيها وقوله سبحانه وجنة عرضها السموات والارض أى كعرض السموات والارض قال ابن عباس فى تفسير الآية تقرب السموات والارض بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولايعلم طولها الا الله سبحانه وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من أبواب الجنة مسيرة أربعين سنة وسيأتى عليها يوم يزدحم الناس فيها كما تزدحم الابل اذا وردت خصا وفى الصحيح ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد فى ظلها مائة عام لايقطعها فهذا كله يقوى قول ابن عباس وهو قول الجمهور ان الجنة أكبر من هذه المخلوقات المذكورة وهى ممتدة على السماء حيث شاء الله تعالى وذلك لاينكر فان فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ماالسموات السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كدراهم ألقيت فى فلاة من الارض وماالكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد ألقيت فى فلاة من الارض قال ابن عطية فهذه مخلوقات أعظم بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله أعظم من ذلك (قلت) ويعلم اتساعها وعظمها من كون العرش سقفها ثم هى طبقات ودرجات ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله أوجلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا يارسول الله أفلا نبشر الناس قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار

الجنة قال الامام الفخر وفى الآية وجه ثان ان الجنة التى عرضها مثل عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان يرغب فيما يكون ملكا له فلابد وان تصير الجنة المملوكة لكل أحد مقدارها هكذا (قلت) وقدرة الله سبحانه أوسع وفضله أعظم وليس هذا بمستحيل فى قدرته فقد جاء فى صحيح مسلم والترمذى من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه فى سؤال موسى ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة وانه رجل يأتى بعد مايدخل أهل الجنة الجنة فيقال له أترضى أن يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت أى رب فيقال له لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت أى رب فيقال له لك ذلك وعشرة أمثاله فيقول رضيت أى رب فيقال له فان لك مع هذا ماشتهت نفسك ولذت عينك قال رب فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح وفى البخارى من رواية ابن مسعود رضى الله عنه ان آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنه فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر مرات وافظ مسلم عن ابن مسعود قال لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أوان لك عشرة أمثال الدنيا وفى جامع الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية الحديث قال أبوعيسى وقد روى هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا وفى صحيح البخارى وغيره مامعناه انه اذا دخل أهل الجنة الجنة تبقى فيها فضلة فينشئ الله لها خلقا أوكما قال صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وخص العرض بالذكر لانه يدل متى ذكر على الطول والطول اذا ذكر لايدل على قدر العرض بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه ثم وصف تعالى المتقين الذين أعدت لهم الجنة بقوله الذين ينفقون فى السراء والضراء الآية قال أبوعبدالله النحوى فى مختصر الطبرى وعن ابن أبى مرة قال لقيت التنوخى رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلا عن يساره قال (قلت) من صاحبكم الذى يقرأ قال معاوية فاذا كتاب صاحبى انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار وعن عمر رضى الله عنه أن يهوديا قال له تقولون جنة عرضها السموات والارض أين تكون النار فقال عمر ارأيت النهار اذا جاء أين يكون الليل فقال له اليهودى انه لمثلها فى التوارة فقال له صاحبه لم أخبرته قال دعه انه بكل موقن (قلت) ورأيت لبعضهم مانصه وذكر الطبرى فى كتابه قال لما خلق الله عز وجل الجنة قال لها امتدى فقالت يارب كم والى كم فقال لها امتدى مائة ألف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يارب كم والى كم فقال لها امتدى مائة ألف سنة فامتدت ثم قال امتدى فقالت يارب كم والى كم فقال لها امتدى مقدار رحتى فامتدت فهى تمتد أبدالآبدين فليس للجنة طرف كما انه ليس لرحمة الله طرف قلت وهذا لايعلم الامن جهة السمع فهو مما أطلع عليه الطبرى وهو امام حافظ ثقة قاله الخطيب أحمد بن على بن ثابت قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة أى اطلبوا اليه القربة والوسيلة فى الحديث هى درجة قال الثعلبى قال عطاء الوسيلة أفضل درجات الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اسألوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لاينالها الاعبد واحد وأرجو أن أكون أناهو وعن على بن أبى طالب رضى

الله عنه قال فى الجنة لؤلؤتان الى بطنان العرش احداهما بيضاء والاخرى صفراء فى كل واحدة منهما سبعون ألف غرفة أبوابها وأكوابها وكيسانها من صنف واحد فالبيضاء لمحمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والصفراء لابراهيم عليه السلام وأهل بيته

﴿فصل﴾ قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا مافى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله قوله الاوسعها أى الاطاقتها والغل الحقد وذلك ان صاحب الغل متعذب به ولاعذاب فى الجنة وورد فى الحديث الغل على باب الجنة كمبارك الابل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين قال القرطبى فى تذكرته قوله تعالى ونزعنا مافى صدورهم من غل قال ابن عباس رضى الله عنهما أول مايدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من أحدى العينين فيذهب الله تعالى مافى قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الاخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم تجرى عليهم نضرة النعيم وقال الثعلبى قال السدى فى هذه الآية ان أهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة فى أصلها عينان فيشربون من احداهما فينزع مافى صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبدا وعن أبى نضرة قال يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقتص لبعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنة وليس لاحد منهم على أحد مظلمة وكذا يحبس أهل النار دون النار حتى يقتص لبعضهم من بعض فيدخلون النار وليس لاحد منهم على أحد طلبة قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا قال سفيان الثورى معناه الحمد لله الذى هدانا لعمل هذا ثوابه ويحتمل أن تكون الاشارة الى الجنة أى الحمد لله الذى أرشدنا الى طريقها وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه أهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسلون من احداهما فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث أشعارهم أبدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج مافى بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فتقول لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وروى ابن المبارك بسنده عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه انه تلا هذه الآية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان فعمدوا الى احداهما كانما أمروا بها فاغتسلوا بها فلم تشعث رؤسهم بعدها أبدا ولم تتغير جلودهم بعدها أبدا كانما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربوا منها فطهرت أجوافهم وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة يقولون أبشر أعد الله لك كذا أعد الله لك كذا ثم يذهب الغلام منهم الى الزوجة من أزواجه فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول له أنت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب ثم ترجع فينظر الى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فاذا زرابى مبثوثة وأكواب موضوعة ثم يرفع رأسه الى سقف بنيانه فلولا ان الله تعالى قدر ذلك لاذهب بصره انما هو مثل البرق ثم يقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ورواه القتبى فى عيون الاخبار مرفوعا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ماهؤلاء الوفد قال يحشرون ركبانا ثم قال والذى نفسى بيده انهم اذا خرجوا

من قبورهم وركبوا نوقا عليها رحائل الذهب مرصعة بانواع الجواهر فتسير بهم الى باب الجنة قال وعند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من احدى تلك العينين فاذا بلغ الشراب الصدر أخرج الله كل مافى قلوبهم من غل فاذا بلغ الشراب البطن طهرهم الله به من دنس الدنيا وقذرها فذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال ثم يغتسلون من العين الاخرى فلا تشعث رؤسهم ولا تتغير ألوانهم قال ثم يضربون حلق أبواب الجنة فلو سمعت الخلائق طنين الابواب لافتتنوا بها فيبادر رضوان فيفتح لهم فينظرون الى حسن وجهه فيخرون ساجدين فيقول لهم ياأولياء الله أنا قيمكم الذى توكلت بكم وبمنازلكم فينطلق بهم الى قصور من فضة شرافاتها من ذهب يرى ظاهرها من باطنها من النور والرقة والحسن قال فيقول أولياء الله عند ذلك يارضوان لمن هذا فيقول هذا لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا ان الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم قال ثم يريد أحدهم أن يدخل قصره فيقول رضوان أتبعنى حتى أريك ماأعد الله لك قال فيمر به نهير به قصورا وخياما وماأعد الله عز وجل له قال ثم يأتى به الى غرفة من ياقوتة قد لونت بجميع الالوان على جنادل الدر والياقوت وفى الغرفة سرير طوله فرسخ فى عرض مثل ذلك عليه فرش بعضها فوق بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله عز وجل وفرش مرفوعة رهى من نور والسرير من نور وعلى ولى الله تاج له سبعون ركنا فى كل ركن سبعون ياقوتة تضىء وقد رد الله وجهه كالبدر وعليه طوق ووشاح يتلالأ من نور وقد سور بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ فذلك قول الله عز وجل يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (قلت) وقوله فيخرون ساجدين أى سجود تحية كسجود الملائكة لآدم وكسجود اخوة يوسف ليوسف ولما تكلم الامام الفخر على قوله سبحانه ونزعنا مافى صدورهم من غل قال فى هذه الآية تأويلان الاول أن يكون المراد ازالة الاحقاد التى كانت لبعضهم فى دار الدنيا ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعها من ورودها على القلوب لان الشيطان لما كان فى العذاب لم يتفرغ لالقاء الوساوس فى الصدور والتأويل الثانى ان المراد انه لما كانت درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان أزال الله سبحانه الحسد من قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة النازلة لايحسد صاحب الدرجة الكاملة حتى تكون هذه الآية فى مقابلة ماذكره الله تعالى من تبرى بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا ليعلم ان حال أهل الجنة فى هذا المعنى أيضا مفارق لحال أهل النار ونقل شاكر بن مسلم عن محمد بن سليمان ان الناس اذا جاوزوا الصراط وقطعوا مسافته وجعلوا جهنم خلف أظهرهم افضوا الى طريق الجنة ومعهم ملائكة الرحمة تهديهم اليها ويحدونهم بالتمجيد والتحميد حتى يوردوهم عليها ويبشرونهم بالسلامة والفوز ويهنونهم فاذا قاربوها واشرفوا عليها وصل اليهم من نسيم طيبها وعطرها وبرد نعيمها ماترتاح له نفوسهم فينسون به ماجاز عليهم من العناء فى مواقف القيامة وماكابدوه فى تلك المواطن من الشقاء ثم انهم يشتاقون الى حلولها ويسارعون متسابقين الى دخولها أيهم يسبق اليها ويقدم أولا عليها حتى اذا افضوا الى أبوابها وشافهوا من هنالك من بوابيها وحجابها نفح لهم نسيمها وبدا لهم ملكها ونعيمها فيستفتحون فتفتح لهم أبوابها وتستقبل لها سبلها وأسبابها فيوقنون بدخولها ولايشكون فى حلولها فلاتسئل عن شدة سرورهم وعظيم فرحهم وحبورهم فيقبل أحدهم بوجهه عليها ويهرول شوقا الى الدخول اليها فينادى مناد من قبل الله عز وجل يامعلائكة الرحمة أمهلوا بأولياء الله حتى يتطيبوا للدخول الكريم ويتاهبوا بالتنظيف للحلول فى دار النعيم

فيرفع لهم عند باب الجنة شجرتان عظيمتان لم ير العالم مثل طيبهما وظلهما وكمالهما وحسنهما وبهجتهما وحسن أغصانهما وحسن زهرتهما وطيب ثمرتهما ونضارة ورقهما وحسن فروعهما وترنم أطيارهما وبرد نسيمهما لو استظل بهما أهل الدنيا كلهم لاظلهم ولو أكلوا من ثمارها لكفتهم عروق أصولهما في طينة من المسك الاذفر وتربة الكافور والعنبر نوارهما حلل من استبرق يتلألأ ويزهر ورقهما أردية من السندس الاخضر وعلى كل غصن منهما ملك يسبح الله ويمجده ويعظمه ويحمده لا يهدأ له لسان ولا يعدم له بيان يقول سلام عليكم يا أولياء الله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وحلوا بها آمنين فاحدى الشجرتين ومامعها للرجال والاخرى للنساء وعند ساق كل شجرة منهما عين من ماء عذب بارد زلال يسيلان في نهرين أخضرين في مثل صفاء القوارير على رضراض من الكافور وحصباء من لؤلؤ وياقوت منثور على صفا من الفضة والذهب ماؤهما أصفى من البلور وأبرد من الثلج المذاب بالعبير وأشد بياضا من اللبن المفتق بالطيب الذكي العطر قد أحدق هذان النهران بأرجاء الجنان وعلى حافتي كل نهر أنواع من حديقة وبستان قد أينعت أشجاره وأزهرت أنواره وتدلت ثماره وغردت أطياره فاذا نظروا الى تلك الشجرة مالوا اليها وقصدوا نحوها فينغمسون في ذلك الماء الجاري في النهرين غمسة واحدة يغتسلون فيها اغتسالا تاما ويتنظفون تنظفا عاما يذهب به عنهم درن الاجسام وقتر الوهج والقتام وتعود اليهم صحة الاجسام حتى يبدو عليهم بهجة ذلك المقام الكريم ويعرف في وجوههم نضرة النعيم ثم يشربون من ماء احدى العينين شربة تبرد أكبادهم وصدورهم وتذهب عنهم لهب الحر الذي كابدوه والعناء الذي باشروه وينزع ما فيهم من غل الصدور وحسدها وكدر الدنيا ونكدها ثم يميلون الى العين الاخرى فيتوضؤن من مائها ثم يخرجون الى الشجرتين فيستريحون الى ظلهما ويتلذذون ببردهما وينالون من ثمارهما ويكسون من حلل أوراقهما ويفترشون من حصبائهما ويستريحون ويرون أنهم قد نالوا الملك العظيم واطمأنوا لا يبغون فوق ذلك مزيدا فعند ذلك تناديهم الملائكة من قبل رب العالمين يقولون لهم يا أولياء الله ليست هاتان الشجرتان لكم بمنزل ولا داران لكم عند الله محلا وقرارا فقوموا وامضوا امامكم فهنالكم مأوى الراحة الدائمة والنعمة القائمة فيقومون من مقامهم ويسيرون تلقاءهم في سبل الجنان يؤمون صوت المنادي من بستان الى بستان حتى تتلقاهم خدمهم وخولهم من الحور العين والولدان بالنجائب والخيل المحلاة عليها من أنواع الحلى والحلل مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا وصفه لسان ولا توهمه انسان يحيونهم بالسلام والتحيات ويهنونهم بالسلامة والفوز والنجاة ويكسونهم ويحلونهم ويتوجونهم ويركب كل انسان منهم جواده أو نجيبه ويسيرون نحو قصورهم والولدان بين أيديهم يقدمونهم بالتهليل والتمجيد والتسبيح حتى اذا أفضوا الى قصورهم ومنازلهم وحلوا في ملكهم نظروا الى ملك عظيم وعطاء جسيم ومحل كريم ولذة ونعيم فيقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فاذا أفضى أحدهم الى قصره ودخل الى مجلسه من القصر نظر الى جمال يروق البصر جدرانه من الذهب الاحمر واسوار القصر شرافات من الياقوت الاحمر مكللة بالزمرد والجوهر وحول القصر وفي وسطه رياض وبساتين فيها من أنواع الثمار والرياحين مالا يصفه الواصفون فيثني رجله أي يريد النزول والمقام به فيناديه قهرمان جنانه وقيم ملكه وسلطانه يا ولي الله تقدم فان لك هذا وامثاله معه مما هو أفضل منه فيتقدم ولي الله فيرفع له قصر آخر خير من الاول فلا يزال ولي الله يفضي من قصر الى قصر بقدر منزلته عند الله وماسبق له من كرامته حتى اذا أتى القصر الذي هو محله ومستقره ومنزله للاقامة والاستقبال والكرامة ناداه قيمه يا ولي الله

نزل هذا منتهى ماأعدالله لك من كريم المقام و جسيم الانعام هذا قصر مأواك ومقر مثواك فينزل ولى الله فيدخل قصره و ينسيه حسنه وجماله وبهجته وكماله جميع ماتقدم وفيه من أصناف الاسرة المنضوبة والفرش الموضوعة والنمارق المصفوفة والاطعمة على خوان والاشربة فى آنية من اللجين والعقيان والحور الحسان والولدان مالايصفه لسان ولايتوهمه انسان ولايحكيه بشر ولايحويه بصر ولايستوعبه نظر والحور الناعمات على أبواب المنازل قائمات والولدان الحسان خلال حدائق كل بستان يلقون ولى الله بالبشرى والترحيب و يجلونه بكل لفظ عجيب و يحيونه من قريب واذا وليدمن بينهم قائم على باب القبة قد فات الولدان حسنا وجمالا وفاقهم بهجة وكمالا ينادى مرحبابك ياولى الله ادخل منزلك عزيزا كريما فيدخل فاذا فى القبة حوراء يقصر جمال كل الحور دون جمالها و يقل كل كمال دون كمالها عليها سبعون حلة من ألوان شتى ينم طيب المسك والكافور من أردانها وأطرافها يكاد يخطف الابصار نور وجهها و يذهب الالباب بهجة بهائها بما كساها الله عز و جل من الحسن والجمال والبهاء والكمال و بما عليها من الحلى والحلل وكل ملبس بهى لولا مارزق الله وليه المؤمن من القوة فى الابصار لذهب بصره ووهمه بنور مايرى منها وبهاء مايبدو عنها فينادى ذلك الوليد القائم ياولى الله هذه زوجتك الكريمة وقرينتك العزيزة الزعيمة سيدة الحور ومقصورة القباب والخدور فاذا رأته وثبت من فراشها وثبة لاتتمالك اسراعا اليه وشوقا لما لديه فتقبل بالبشرى والترحيب عليه تقول ياولى الله طال ماتمنيتك حتى رأيتك لم ترعينى مثلك ولاقرت دونك الود منى لك وكبد والشوق اليك شديد أنامن أزواجك النواعم والكواعب اللواعب فيتعانقان مليا فلو كانا من أهل الدنيا لما تامعا من شدة الشوق وفرط الفرح ويبقى معها ماشاء الله ويتفرق الولدان فى تلك البساتين و يهدون اليه أنواع الرياحين فبينما هو كذلك يتلذذ معها وقد أعطاه الله عز و جل من لذة النساء وشهوتهن قوة مائة رجل اذغشيه فى سرير لذته نور عظيم يغلب على ماهو فيه من البهاء والنور وتضىء منه تلك البساتين والقصور وصوت حسن عجيب ينادى ولى الله بالتحية والسلام فيقول لصاحبته التى معه ماهذا الذى أسمع فتقول هذه فلانة من الحور العين قدجاءتك تطلب حظها منك فهل أنت قابل منها وراض عنها فتناديه الحوراء من وراء الحجاب تقول ياولى الله لقد طال مكثك عنا فيقول لها مرحبابك وأهلا فيقوم ولى الله اليها و يبرز من قبته مقبلا عليها فيتلقاها و يتصافحان و يتعانقان ماشاء الله عز و جل ثم يسير معها الى قبتها التى هى لها فاهى أحسن من الاولى جمالا وأعظم بهجة وكمالا وأبهى حليا وحللا وأكثر خولا فيخلو بها و يقبل بوجهه عليها و يتلذذ بكلامها و ينال حاجته منها متنعما بها ماشاء الله فبينما هو كذلك اذغشيه نور حوراء أعظم من نور التى معه فتناديه بأشهى كلام من الذى سمعه وتناديه بمثل ماناديته التى قبلها فيسير الى قبتها فاذا هى أحسن شئ مما كان فيه وأعظم جمالا وأعلى حالا فينعم بها ماشاء الله أكثر وأعظم مما نعم به مع من قبلها

﴿فصل﴾ قوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عندالله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم ابن عطية لماحكم تعالى بان الصنفين لايستوون بين ذلك فى هذه الآية وحكم بان اهل هذه الخصال أعظم درجة عندالله من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه الذى هو أفضل عند أهل الجنة من جميع ماهم فيه من النعيم على ماجاء فى الحديث الفوز بلوغ البغية اما فى نيل رغبة أونجاة من مهلكة قوله تعالى وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات

تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ذكر الآجرى فى كتاب النصيحة والغزالى والقرطبى والطبرى والامام الفخر وابن عطية عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وابا هريرة رضى الله عنهما عن هذه الآية ومساكن طيبة قالا على الخبير بها سقطت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قصر فى الجنة من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين وفى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة ويعطى الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة فى كل غداة ما يأتى على ذلك اجمع قال الفخر قال ابن مسعود رضى الله عنه جنة عدن بطن الجنة قال الازهرى بطنانها وسطها وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما هى قصبة الجنة وفوقها عرش الرحمن وهى المدينة التى فيها الرسل وسائر الانبياء والشهداء وأئمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتحمل اليهم كثبان المسك الاذفر قال الفخر والثعلبى قال ابن عمر رضى الله عنهما ان فى الجنة قصرا يقال له العدن وعند الثعلبى يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف خيرة لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقوله ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم قال ابن عطية ومعنى الآية ان رضوان الله اكبر من جميع ما تقدم ومعنى الآية والحديث متفق فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا ربنا وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا رواه البخارى ومسلم قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله الآية ذكر سبحانه هذا فى الشهداء وكذا هو فى كل من يدخل الجنة يفرح روى أبو نعيم فى الحلية عن حميد بن هلال العدوى قال ذكر لنا ان الرجل اذا دخل الجنة فصور صورة أهل الجنة والبس لباسهم وحلى حلاهم ورأى ازواجه وخدمه ومساكنه فى الجنة يأخذه سرور فرح فلو كان ينبغى ان يموت لمات فرحا فيقال له ارايت سرور فرحتك هذه فانها قائمة لك أبدا

﴿فصل﴾ قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم (قلت) خرج البخارى بسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى الليلة آتيان فابتعثانى فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما انت راء وشطر كأقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتجاوز الله عنهم

﴿فصل﴾ وجدت فى بعض الكتب ما نصه روى أبو عائشة السعودى وأبو حفص الصوفى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين لم يتكلم بشئ فيما بين ذلك من أمر الدنيا يقرأ فى الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والاهكم اله واحد لا اله الا

هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع و يسجد فاذا قام الى الركعة الثانية قرأفيها بالفاتحة وآية الكرسى وآيتين بعدها الى قوله أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله تعالى لله مافى السموات ومافى الارض الى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بنى له فى جنة عدن ألف مدينة من الدر والياقوت فى كل مدينة ألف قصر فى كل قصر ألف دار فى كل دار ألف حجرة فى كل حجرة ألف صفة فى كل صفة منها ألف خيمة فى كل خيمة منها ألف سرير من أصناف الجواهر على كل سرير ألف فراش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور منضد وألف مرفقة من هذا الطرف من السرير وألف مرفقة من هذا الطرف الآخر فوق ذلك الفراش زوجة من الحور العين لاتوصف بشئ الازادت عليه جمالا وكمالا قد ملاجمالها مابين طرفى السرير على كل زوجة منهن ألف حلة لاتوارى حلة حلة ولاتوارى الحلل كلها الجلد يرى بعضها من تحت بعض كما يرى السلك من الياقوت لكل زوجة منهن مائة ألف وصيف ومائة ألف جارية ومائة ألف قهرمان على قصورها وضياعها هذا لها خاصة سوى خدم زوجها فى كل خيمة نهر من التسنيم ونهر من الكوثر وعين من الكافور وعين من الزنجبيل وعين من السلسبيل وغصن من شجرة طوبى وغصن من سدرة المنتهى فى كل خيمة مائة ألف مائدة من الدر والياقوت أدنى مائدة منها مثل استدارة الدنيا مرتين فى كل مائدة منها ألف صحفة صحاف من ذهب مكللة بالدر والجوهر فى كل صحفة منها ألف لون من الطعام مختلفا طعمه ولونه و ريحه ومذاقه و يعطى الله عز و جل وليه المؤمن من القوة مايأتى على تلك الاطعمة ومثلها من الاشربة و يأتى على أولئك الازواج كلهن من الحور فى مقدار يوم من أيام الدنيا (قلت) قوله مثل استدارة الدنيا مرتين لايستغرب هذا ان صح به الحديث فقدرة الله تعالى أوسع من ذلك وأحوال الآخرة لامدخل للعقل فيها اللهم أرزقنا هذا النعيم وأفضل منه فانك على ماتشاء قدير و بالاجابة جدير فانك نعم المولى ونعم النصير

﴿فصل﴾ قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قال ابن عطية الهداية فى هذه الآية تحتمل وجهين أحدهما أن يريد انه يديمهم و يثبتهم الثانى أن يريد أنه يرشدهم الى طريق الجنان فى الآخرة وقوله بايمانهم يحتمل أن يريد بسبب ايمانهم و يحتمل أن يكون الايمان هو نفس الهدى أى يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم قال مجاهد يكون لهم ايمانهم نورا يمشون به و يتركب هذا التأويل على ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد المؤمن اذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقوده الى الجنة و بعكس هذا فى الكافر ونحو هذا مما أسنده الطبرى وغيره وقوله سبحانه دعواهم فيها أى دعاؤهم فيها وسبحانك اللهم تقديس وتسبيح وتنزيه لجلاله سبحانه وحكى عن بعض المفسرين انهم زووا ان هذه الكلمة انما يقولها المؤمن عند مايشتهى الطعام فانه اذا رأى طائر أوغير ذلك قال سبحانك اللهم فتزال تلك الارادة بين يديه فوق مااشتهى رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة وعبارة الداودى عن ابن جريج دعواهم فيها قال اذا مر بهم الطائر يشتهونه كان دعواهم به سبحانك اللهم فيأكلون منه مايشتهون ثم يطير واذا جاءتهم الملائكة بمايشتهون سلموا عليهم فذلك قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام واذا أكلوا حاجتهم قالوا الحمد لله رب العالمين فذلك قوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقوله سبحانه

وتحيتهم فيها سلام يريد تسليم بعضهم على بعض والتحية مأخوذة من تمنى الحياة للانسان والدعاء له وقال بعض العلماء وتحيتهم يريد تسليم الله عز وجل عليهم

﴿فصل﴾ قوله عز وجل والله يدعو الى دار السلام الآية نص ان الدعاء الى الشرع عام فى كل بشر والهداية التى هى الارشاد مختصة بمن قدر ايمانه ودار السلام هى الجنة وقوله سبحانه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولائك أصحاب الجنة هم فيها خالدون قال الجمهور الحسنى الجنة والزيادة النظر الى الله سبحانه وفى صحيح مسلم عن صهيب قال قال صلى الله عليه وسلم فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفى رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وأخرج هذه الزيادة النسائى عن صهيب وأخرجها عن صهيب أيضا أبو داود الطيالسى انتهى من التذكرة للقرطبى ولا يرهق وجوههم قتر يرهق معناه يغشى مع غلبة وتضييق والقتر الغبار

﴿فصل﴾ قوله سبحانه أولائك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار لما ذكر تعالى أولى الالباب وذكر لهم ثمان خصال قال فيهم أولائك لهم عقبى الدار الآية قال ابن عطية وجنات عدن بدل من عقبى وتفسير لها وعدن هى مدينة الجنة ووسطها ومعناها جنات الاقامة من عدن فى المكان اذا أقام فيه طويلا ومنه المعادن وجنات عدن يقال هى مسكن الانبياء والشهداء والعلماء فقط قاله عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما ويروى أن لها خمسة آلاف باب وقوله ومن صلح من آبائهم أى عمل صالحا والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أى يقولون سلام عليكم والمعنى هذا بما صبرتم قال الثعلبى قال مقاتل يدخل عليهم فى مقدار يوم وليلة ثلاث كتائب معهم الهدايا والتحف يقولون سلام عليكم وعن أنس رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية ثم قال انها خيمة من در طولها فى الهواء ستون ميلا ليس فيها صدع ولا وصل فى كل زاوية منها أهل ولها أربعة آلاف مصراع من ذهب يقوم على كل باب سبعون ألفا من الملائكة مع كل ملك منهم هدية من الرحمن سبحانه ليس مع صاحبه مثلها لا يدخلون الا باذنه بينهم وبينه حجاب وقال أبو امامة رضى الله عنه ان المؤمن ليكون متكأ على أريكته وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب أى عنده بواب فيقول الملك يستأذن فيقول الذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى يليه كذلك حتى يبلغ الى المؤمن فيقول ايذنوا له ثم يقول أقربهم الى المؤمن ايذنوا له ثم يقول الذى يليه كذلك ثم كذلك ثم كذلك حتى يبلغ أقصاهم فيفتح له فيدخل ويسلم ثم ينصرف قوله سبحانه الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب قال الصفاقسى طوبى فعلى والجمهور انها مفرد مصدر كسقيا وبشرى قال الضحاك ومعناها غبطة لهم قال القرطبى والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع قال ابن عطية اختلف فى معنى طوبى فقال ابن عباس رضى الله عنهما طوبى اسم للجنة بالحبشية وقيل طوبى اسم للجنة بالهندية وقيل طوبى اسم شجرة فى الجنة وبهذا تواترت الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة فى الجنة يسير الراكب الجد فى ظلها مائة عام لا يقطعها (قلت) وروى الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه عن شيخه أبى نعيم الاصبهانى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى فقال له رجل يا رسول الله ما طوبى قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من

أكلها وقد ذكر الثعلبي هذا الحديث أيضا عن أبي سعيد الخدري وقال معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى شجرة غرسها الله سبحانه بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله تعالى بانواع التسبيح قال ابن وهب وهي مجلس لاهل الجنة فبيناهم في مجلسهم اذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون بختامزمومة بسلاسل الذهب وجوهها كالمصابيح في حسنها عليها رحائل الياقوت ويقولون ان ربنا أرسلنا اليكم لتزوروه فيركبونها وهي أسرع من الطير واوطأ من الفراش فيسير الرجل الى جنب أخيه لتصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها فيأتون الى الرحمن سبحانه وينظرون اليه ثم ذكر ان الله سبحانه يقول للملائكة اعرضوا على عبادي مالم تبلغ امانيهم ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم امانيهم التي في نفوسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرونة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب في كل قبة منها جاريتان من الحور العين على كل جارية منهن ثوبان ليس في الجنة لون الا وهو فيهما وريح طيب الا وهو فيهما وقد عبقتا به ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما انهما من دون القبة فحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان له والله ما ظننا ان الله سبحانه يخلق مثلك ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل واحد منهم الى منزله الذي أعد له قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار الثعلبي وغيره أي صفة الجنة التي وعد المتقون دخولها والخبر في قوله تجري من تحتها الانهار وقوله أكلها أي مايؤكل فيها دائم لا ينقطع ولا يفنى وظلها ظليل لا يزول تلك عقبى الذين اتقوا أي عاقبة الذين اتقوا الجنة قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين قال الثعلبي آمنين من الموت والعزل وسائر الافات ثم ذكر الثعلبي والداودي هنا في تنقية الصدر من الغل حديث أبي سعيد ولفظ البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وقد تقدم ذكر هذا الحديث والسرر جمع سرير ومتقابلين قال ابن عطية الظاهر ان معناه في الوجوه اذ الاسرة متقابلة فهي أحسن في الرتبة قال مجاهد لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها مايشاءون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قال ابن عطية لما وصف الله مقالة الكافرين الذين قالوا أساطير الاولين عادل ذلك بمقاله المؤمنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأوجب لكل فريق مايستحق وقوله خيرا جواب بحسب السؤال واختلف في قوله تعالى للذين أحسنوا الى آخر الآية هل هو ابتداء كلام أو هو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي على نبينا خبرا ان من أحسن في الدنيا بالطاعة فله

حسنه فى الدنيا ونعيم فى الآخرة وقد روى أنس رضى الله عنه فى هذا المعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى فى الآخرة وقوله سبحانه جنات عدن يدخلونها تقدم تفسير نظيرها وطيبين عبارة عن صالح حالهم واستعدادهم للموت والطيب الذى لا خبث معه وقول الملائكة سلام عليكم بشارة من الله تعالى وفى هذا المعنى أحاديث صحاح قد تقدم فى صدر الكتاب منها وتقدم ما رواه ابن المبارك فى رقائقه عن محمد بن كعب القرظى قال اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرئك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم الآية وقد نقل الثعلبى عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام

﴿فصل﴾ قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا قال ابن عطية الاجر الكبير الجنة وكذلك حيث وقع فى كتاب الله فضل كبير وأجر كبير فهو الجنة اى وكقوله سبحانه أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا قد تقدم تفسير نظيره والله المسؤل ان يجعلنا من أهل هذا النعيم بفضله قال ابن عطية وأساور جمع أسوار وهى ما كان من الحلى فى الذراع وقيل أساور جمع اسورة واسورة جمع سوار والسندس رقيق الديباج والاستبرق ماغلظ منه قيل فهو استبرق من البريق والارائك جمع أريكة وهى السرير فى الحجال والضمير فى قوله وحسنت للجنات وحكى النقاش عن أبى عمران الجونى أنه قال الاستبرق الحرير المنسوج بالذهب قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قال ابن عطية اختلف المفسرون فى الفردوس فقال قتادة انه أعلى الجنة وربوتها وقال أبو هريرة رضى الله عنه انه جبل تتفجر منه انهار الجنة وقال أبو أمامة رضى الله عنه أنه سرة الجنة ووسطها وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه انه تتفجر منه انهار الجنة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس (قلت) فى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقوله سبحانه لا يبغون عنها حولا أى متحولا وما تكلم الغزالى على الجنة وما ينعم الله به على أوليائه قال وتفاصيل أحوال الجنة لا يعلمها الا علام الغيوب سبحانه قال وأى مطمع لنا فى معرفة ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسرين او قال بعض المفسرين يقولون فى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ان هذه الكلمات التى يقول عز وجل لاهل الجنة فى الجنة باللطف والاكرام ومايكون حاله هذه فانى يحيط به علم مخلوق الا مثل هذا المطلوب العظيم فليعمل العاملون (قلت) روينا فى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل

مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة فاذا أردت أن تعرف هذه الساعة فاقرأ عند نومك من قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الى آخر السورة وانو القيام فى تلك الساعة فانك تستيقظ فى تلك الساعة ان شاء الله تعالى بفضل الله ومهما استيقظت فادع لى ولك وهذا مما ألهمته من فضل الله فاستفده واياك ان تدعو على مسلم بسوء ولو كان ظالما فان خالفتنى فالله حسيبك وبين يديه أكون خصيمك وأنا ارغب اليك أن تشكرنى فى دعائك اذ أفدتك هذه الفائدة العظيمة وكنت شيخك فيها وللقرآن العظيم أسرار يطلع الله عليها من يشاء من عباده وقوله نزلا قال الثعلبى معناه منازل قال كعب ليس فى الجنة جنة أعلى من الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال شهر خلق الله تعالى جنة الفردوس بيده فهو يفتحها فى كل يوم خمس مرة فيقول ازدادى طيبا وحسنا لاوليائى

(فصل) قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا قال الثعلبى قوله سبحانه التى وعد الرحمن عباده بالغيب أى آمنوا بها ولم يروها انه كان وعده مأتيا أى آتيا وكذا قال الصغانى قال واللغو الساقط من القول وقوله بكرة وعشيا يريد فى التقدير الثعلبى الا سلاما استثناء من غير جنسه يعنى بل يسمعون فيها سلاما يعنى تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أى على مقدار طرفى النهار وهو وقت غدائهم وعشائهم مما تعارفوه فى الدنيا قال يحيى بن أبى كثير وقتادة كانت العرب فى زمانهم من وجد غداء مع عشائه فذلك هو الناعم عندهم فنزل القرآن على ما ألفوه وقال زهير بن محمد ليس فى الجنة ليل وهم فى نور أبدا يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وانغلاق الابواب ويعرفون النهار بانفتاح الابواب ورفع الحجب

(فصل) قوله تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى هذه الآية لا تفتقر الى بيان قال ابن عطية قوله وذلك جزاء من تزكى معناه من اطاع الله واخذ بازكى الامور قوله سبحانه فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى الآية المعنى ان لك يا آدم فى الجنة نعمة تامة لا يصيبك فيها جوع ولا عرى ولا ظما ولا برز للشمس يؤذيك وهو الضحاء قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون قال الثعلبى الحسنى السعادة قال الجنيد فى هذه الآية سبقت لهم من الله العناية فى البداية فظهرت الولاية فى النهاية وتتلقاهم الملائكة أى تستقبلهم على أبواب الجنة يقولون لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون قال ابن عطية قوله سبحانه لا يسمعون حسيسها هذه صفة الذين سبقت لهم الحسنى وذلك بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضى ان فى الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبى ولا ملك الا جثى على ركبتيه قال البخارى الحسيس والحس واحد وهو الصوت الخفى ابن عطية والفزع الاكبر عام فى كل هول يكون فى يوم القيامة فكان يوم القيامة يحملته هو الفزع الاكبر وقوله سبحانه وتتلقاهم الملائكة يريد بالسلام عليهم والتبشير لهم اى هذا يومكم الذى وعدتم فيه الثواب والنعيم

﴿فصل﴾ قوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب واؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد قال ابن عطية هذه الآية معادلة لقوله فالذين كفروا والؤلؤ الجوهر وأخبر سبحانه بان لباسهم فيها حرير لانه من اكمل حالات الدنيا قال ابن عباس لاتشبه أمور الآخرة أمور الدنيا الا فى الاسماء فقط وأما الصفات فتباين والطيب من القول لا اله الا الله وما جرى معها من ذكر الله وتسبيحه وتقديسه وسائر كلام اهل الجنة من محاورة وحديث طيب فانها لاتسمع فيها لاغية وصراط الحميد هو طريق الله الذى دعا عباده اليه ويحتمل أن يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته فى قوله دار الآخرة وقال البخارى وهدوا الى الطيب أى الهموا الى قراءة القرآن وهدوا الى صراط الحميد أى الى الاسلام وقال الثعلبى وهدوا الى الطيب من القول أى أرشدوا فى الدنيا الى الطيب من القول وهو شهادة أن لا اله الا الله وهدوا الى صراط الحميد أى دين الله عز وجل

(فصل) قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى سمع عند وجهه صلى الله عليه وسلم دوى كدوى النحل فانزل عليه يوما فمكثنا ساعة وسرى عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال انزل على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم عشر آيات رواه الترمذى واللفظ له والنسائى والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وروى عن مجاهد أنه قال ان الله تعالى لما خلق الجنة واتقن حسنها قال قد أفلح المؤمنون وسيأتى ان شاء الله لذلك مزيد بيان

(فصل) قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها مايشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا الآية واضحة المعنى قوله وعدا مسؤلا قال الثعلبى وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم ذلك فى الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك فذلك الوعد المسؤل وقال محمد بن كعب وعدا مسؤلا الملائكة سألت لهم ذلك (قلت) وذلك أيضا بين من القرآن كقوله تعالى عنهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم الآية ونحوها من الآى ويحتمل وعدا مسؤلا من المؤمنين والملائكة معا والله سبحانه أعلم قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال ابن عطية ذهب ابن عباس رضى الله عنهما والنخعى وابن جريج الى ان حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار ويقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار فالمقيل القائلة (قلت) ونحوه للثعلبى ولفظه أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا من هؤلاء المشركين المتكبرين باموالهم وأحسن مقيلا موضع قائلة قال وعلى هذا التقدير قال المفسرون يعنى ان أهل الجنة لايمر بهم فى الآخرة الا قدر ميقات النهار من أوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة قال ابن مسعود رضى الله عنه لاينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية الحساب من ذلك اليوم فى أوله ويقيل القوم فى منازلهم فى الجنة قال سعيد الصواف بلغنى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون مابين العصر الى غروب الشمس انهم ليقيلون فى رياض الجنة حتى يفرغ من الناس ثم قرأ هذه الآية (قلت) وهذا التأويل حسن وقد ذكرنا معناه فى هذا الكتاب أعنى أنه يقصر على المؤمن حتى يكون أخف عليه من

صلاة مكتوبة انظره فى آخر باب ماجاء فى عقوبة مانعى الزكاة قال ابن عطية ويحتمل أن اللفظة انما تضمنت تفضيل الجنة جملة وحسن هوائها قوله سبحانه أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما الآية غاية فى الوضوح قال ابن عطية الغرفة من منازل الجنة وهى الغرف فوق الغرف وهو اسم جنس كما قال ولولا الحية السمراء لم نحل بوادكم قوله تعالى وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال ابن عطية خاطب الله تعالى قريشا بهذه الآية محقرا لما كانوا يفخرون به من مال وبنين وغير ذلك وأخبرهم سبحانه أن ذلك متاع الدنيا الفانى وأن الآخرة وما فيها من النعيم الذى أعده الله للمؤمنين خير وأبقى ثم وبخهم بقوله أفلا تعقلون ثم زادهم توبيخا بقوله أفمن وعدناه وعدا حسنا الآية وقوله أفمن وعدناه آية يعم معناها جميع العالم قال قتادة نزلت عامة فى المؤمن والكافر ومن المحضرين معناه فى عذاب الله قاله مجاهد وقتادة قال الثعلبى أفمن وعدناه وعدا حسنا الجنة ومن المحضرين فى النار نظيره ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم أخبر تعالى فى هذه الآية عن الحشر والرجوع الى الله سبحانه فى القيامة بانه آت اذ قد أجله الله تعالى واخبر به وفى قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله تثبيت أى من كان على هذا الحق فليوقن بانه آت وليزدد بصيرة قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ابن عطية لنبوئنهم أى لننزلنهم ولنمكننهم ليدوموا فيها وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم من أثوى أذا أقام

(فصل) قوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون ابن عطية يحبرون معناه ينعمون قاله مجاهد والحبور السرور والتنعم وقال يحيى ابن أبى كثير يحبرون معناه يسمعون الاغانى وهذا نوع من الحبرة وفى الصحيح من حديث أبى موسى لو شعرت بك يارسول الله لحبرته لك تحبيرا أوكما قال وقال الثعلبى وقيل الحبرة كل نغمة حسنة والتحبير التحسين وقيل يحبرون يتلذذون بالسماع قال يحيى بن أبى كثير فى روضة يحبرون قال السماع فى الجنة وقال الاوزاعى قال اذا أخذ أهل الجنة فى السماع لم تبق شجرة فى الجنة الا وردت وقال الاوزاعى ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال أبو هريرة رضى الله عنه الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء الى الارض والفردوس أعلاها سموا وأوسطها محلة ومنها تفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة فقال رجل يارسول الله انى رجل حبب الى الصوت فهل فى الجنة صوت حسن فقال أى والذى نفسى بيده ان الله ليوحى الى شجرة فى الجنة أن أسمعى عبادى الذين اشتغلوا بعبادتى وذكرى عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق مثله قط من تسبيح الرب وتقديسه قال أبو الدرداء رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الناس فيذكر الجنة ومافيها من الازواج والنعيم وفى آخر يأت القوم اعرابى فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يااعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خصانة يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم أهل الجنة يعنى من أفضل نعيم أهل الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بم يتغنين فقال بالتسبيح ان شاء الله والخصانة المرهفة الاعلى الضخمة الاسفل الرقيق وقال ابراهيم ان فى الجنة

أشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا وقال أبو هريرة رضى الله عنه لاهل الجنة سماع شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمرها اللؤلؤ والزبرجد يبعث الله ريحا فتحرك بعضها بعضا فسامع أحدث شيأ أحسن منه ونقل أبو نعيم فى حليته عن كعب الاحبار رحمه الله تعالى أنه قال من حسن صوته بالقرآن فى دار الدنيا أعطاه الله سبحانه فى الجنة قبة من لؤلؤة أوقال من زبرجدة و يعطيه الله سبحانه من حسن الصوت فى الجنة ما تزوره أهل الجنة فيستمعون اليه وقال السابقون هم أهل القرآن وكان كعب يقول من زين كتاب الله بصوته أعطى من حلاوة الصوت مالا يعل أهل الجنة من زيارته ومن صوته مائة ألف سنة وهم فى خيام من درمعهم ازواجهم وخدمهم وهم فيما اشتهت انفسهم

﴿فصل﴾ قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم الآية قال ابن العربى فى أحكام القرآن لما تكلم على هذه الآية روى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين الذى كانوا ينزهون أنفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان ادخلوهم فى أرض المسك ثم يقول تعالى للملائكة اسمعوهم ثنائى وحدى واخبروهم أن لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وذكر الثعلبى أيضا هذا الحديث عن محمد بن المنكدر ولم يذكر فيه ابن وهب ولامالكا وابن العربى عارف بالحديث قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم هذه الآية فى غاية البيان جعلنا الله من أهلها بمنه قال ابن عطية لما ذكر الله عز وجل الكفرة وتوعدهم بالنار على افعالهم عقب بذكر المؤمنين وما وعدهم به سبحانه من جنات النعيم ليبين الفرق بين الفريقين

﴿فصل﴾ قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون الآية قال الثعلبى تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى وتتباعد من الجفاء وهو النتو والتباعد قال ابن عطية تجافى الجنب عن موضعه اذا تركه قال الزجاج وغيره التجافى التنحى الى جهة فوق قال ابن عطية وهذا قول حسن والجنوب جمع جنب والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم و روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان عبدالله بن رواحة رضى الله عنه قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمافقلوبنا * به موقنات ان ماقال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وجمهور المفسرين على ان المراد بهذا التجافى صلاة النوافل بالليل قال ابن عطية وعلى هذا التأويل أكثر الناس وهو الذى فيه المدح وفيه أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم منها حديث يرويه معاذ (قلت) فى الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة و يباعدنى عن النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله تعالى لاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا أخبرك برأس الامر

وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أوقال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي معنى هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا له ما أطلعتكم عليه واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين الآية وبله معنا غير وقيل هو اسم فعل بمعنى دع وهذا الحديث خرجه البخاري ومسلم وفي رواية قال أبو هريرة واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن مسعود رضي الله عنه في التوراة مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الثعلبي قال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عقب بين المغرب والعشاء بنى له في الجنة قصران مسيرة عام وفيهما من الشجر مالو نزلهما أهل المشرق والمغرب لاوسعهم فاكهة

﴿فصل﴾ وهذا المحل ينبغي لنا أن نذكر فيه شيأ من فضائل الاعمال المبلغة للجنان روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة ثم ذكر أبو عيسى في سنده بعض من ذكر بضعف وروى أبو عيسى الترمذي عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى قبل الظهر أربعا وبعدها أربعا حرمه الله سبحانه على النار قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وقد روى من غير هذا الوجه وفي رواية عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله تعالى على النار قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أمرأ صلى قبل العصر أربعا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وذكر ابن عطاء الله في لطائف المنن ان المؤمن اذا صلى صلاة فتقبلت منه خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لصاحب الصلاة

﴿فصل﴾ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما قال الثعلبي وابن عطية واللفظ للاول قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره في الاحوال كلها فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال واذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار والحضر والسفر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال قال مجاهد الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون (قلت) وهذا الحديث رواه ابن حبان في صحيحه وقوله وسبحوه بكرة وأصيلا قال ابن عطية أراد في كل الاوقات لجدد الزمن بطرفي نهاره وليله والاصيل من العصر الى الليل وقال قتادة الاشارة الى صلاة الغداة وصلاة العصر قال الثعلبي قوله وسبحوه قال مجاهد معناه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر

بالتسبيح عن اخواتها قال ابن عطية وصلاة الله على عبده هي رحمته له وبركته لديه ونشره عليه الثناء الجميل وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين قال وروت فرقة أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يارسول الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس رحمتي سبقت غضبي واختلف في تأويل هذا القول فقيل انه كله من كلام الله وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس هو من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تقديمة بين يدي نطقه وصلاة الله هي رحمتي سبقت غضبي وقدم صلى الله عليه وسلم هذا من حيث فهم من السائل انه توهم في صلاة الله على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه والتعظيم بين يدي اخباره ثم أخبر سبحانه برحمته بالمؤمنين قال الثعلبي تحيتهم أي تحية الله للمؤمنين يوم يلقونه أي يوم يرون الله سلام أي يسلم عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وقال أبو حمزة الثمالي يعني تسليم الملائكة عليه (قلت) هذا خروج عن ظاهر الآية وقد قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وأعد لهم أجرا كريما هو الجنة

﴿فصل﴾ قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور قال ابن عطية قال معرف بن عبد الله بن الشخير هذه آية القراء قال ابن عطية وهذا على أن يتلون بمعنى يقرؤن وان جعلناه بمعنى يتبعون صح معنى الآية وكانت في القراء وغيرهم ممن اتصف باوصاف الآية وكتاب الله هو القرآن واقامة الصلاة بجميع شروطها والنفقة هي في الصدقات ووجوه البر ولن تبور معناه لن تكسد ويزيدهم من فضله قالت فرقة هو تضعيف الحسنات وقالت فرقة هو اما النظر الى وجه الله سبحانه وأما أن يجعلهم شافعين في غيرهم كما قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قلت) وقد خرج أبو نعيم باسناده عن الثوري عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوفيهم أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه المعروف في الدنيا وخرج ابن ماجه في سننه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس صفوفا وقال ابن نمير أهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول يافلان أما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نمير ويقول يافلان اما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له وخرجه الطحاوي وابن وضاح بمعناه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ابن عطية ثم أورثنا اي أعطيناه فرقة بعد موت فرقة والكتاب هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده فكان الله تعالى لما أعطى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله فكأنه ورث أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكتب التي كانت في الامم قبلها قال ابن عطاء الله في التنوير قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى أكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأجبرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم فلو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق السماء والارض فاطلبك بنور المؤمن المطيع ويكفيك في تعظيم المؤمنين وان كانوا عن الله غافلين

قول رب العالمين ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف اثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم واعلم انه لابد فى مملكته من عبادهم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة قال ابن عطية والذين اصطفينا يريد بهم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره واصطفينا معناه اخترنا وفضلنا والعباد عام فى جميع العالم واختلف فى عود الضمير من قوله فمنهم فقال ابن عباس وغيره ما مقتضاه ان الضمير عائد على الذين اصطفينا وان الاصناف الثلاثة هى كلها فى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصى المسرف والمقتصد متقى الكبائر وهم جمهور الامة والسابق المتقى على الاطلاق وقالت هذه الفرقة الاصناف الثلاثة فى الجنة وقاله أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه والضمير فى يدخلونها عائد على الاصناف الثلاثة قالت عائشة وكعب دخلوها كلهم ورب الكعبة وقال أبو اسحاق السبيعى أما الذى سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج وقال ابن مسعود رضى الله عنه هذه الامة يوم القيامة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو أعلم بهم فتقول الملائكة هم مذنبون الا انهم لم يشركوا فيقول عز وجل ادخلوهم فى سعة رحمتى وروى اسامة بن زيد رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال كلهم فى الجنة وقرأ عمر رضى الله عنه هذه الآية ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا لاحق وظالمنا مغفور له وقال عكرمة والحسن وقتادة ما مقتضاه ان الضمير فى منهم عائد على العباد فالظالم لنفسه الكافر والمقتصد المؤمن العاصى والسابق المتقى على الاطلاق وقالوا هذه الآية نظير قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة والضمير فى يدخلونها على هذا التأويل خاص بالمقتصد والسابق وباقى الآية بين والحزن فى هذه الآية عام فى جميع أنواع الاحزان وقولهم ان ربنا لغفور شكور وصفوه سبحانه بانه يغفر الذنوب ويجازى على القليل من الاعمال بالكثير من الثواب وهذا هو شكره لا رب سواه ودار المقامة الجنة والمقامة الاقامة والنصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن وقوله سبحانه والذين كفروا لهم نار جهنم قال ابن عطية هذه الآية تؤيد التأويل الاول من أن الثلاثة الاصناف هى كلها فى الجنة لان ذكر الكافرين افردها هنا قال الثعلبى قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لو أن ادنى أهل الجنة حليا عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله سبحانه فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا وقال ابن عباس والضحاك فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال اذا دخل أهل الجنة الجنة استقبلهم الولدان والخدم كأنهم اللؤلؤ المكنون قال فيبعث الله سبحانه ملكا من الملائكة معه هدية من رب العالمين وكسوة من كسوة الجنة فيلبسها المؤمن قال فيريد أن يدخل الجنة فيقول الملك كما أنت فيقف ومعه عشر خواتم من خواتم الجنة هدية من رب العالمين فيضعها فى أصابعه وذكر ما كتب فى كل خاتم ثم يقول الملك ادخلوها بسلام آمنين فلما دخلوا بيوتا مرتفعة قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن

الى آخر الآية قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم قال الثعلبى قال ابن عباس رضى الله عنهما فى شغل يعنى افتضاض الابكار وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة كلما جامعوا نساءهم عدن أبكارا وسئل يحيى بن معاذ أى الاصوات أحسن فقال مزامير أنس فى مقاصير قدس بالحان تحميد فى رياض تمجيد فى مقعد صدق

عند مليك مقتدر وقال ابن كيسان فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى قال ابن عطية قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون الآية هذا اخبار من الله عز وجل عن حال أهل الجنة بعقب ذكره أهوال القيامة واختلف الناس فى تفسير هذا الشغل فقال ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنهما وابن المسيب افتضاض الابكار وحكى النقاش عن ابن عباس سماع الاوتار وقال مجاهد معناه نعيم شغلهم وهذا هو القول الصحيح وتعيين شئ دون شئ لاقياس له قال ابن عطية وحكى الثعلبى عن طاوس انه قال لو علم أهل الجنة عمن شغلوا ماهنأهم ماشغلوا به قال وقال الثعلبى سئل بعض الحكماء عن قوله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله فقال لانهم شغلوا بالنعيم عن المنعم وقوله سبحانه فى ظلال روى البخارى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل قلبه متعلق بالمسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه وهذا الظل المذكور فى الحديث هو فى المحشر قال الشيخ ابن أبى جمرة رضى الله عنه وظلال الآخرة مافيها مباح بل كلها قد تملكت بالاعمال التى عملها العاملون الذين هداهم الله تعالى فليس هناك لصعلوك الاعمال ظل والارائك السرر المفروشة قيل ومن شرطها أن تكون عليها حجلة والا فليست بأريكة نقله الهروى عن أحمد بن يحيى وقاله ابن عباس وغيره قال وسمعت الازهرى يقول كل ماأتكئ عليه فهو أريكة أى سواء كانت عليه حجلة أولم تكن قال الجوهرى والحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهى بيت يزين بالثياب والاسرة والستور قال القرطبى فى تذكرته روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الرجل من أهل الجنة ليتزوج فى شهر واحد الف حوراء يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الرجل ليعانق الحوراء سبعين سنة لايملها ولاتمله كلما أتاها وجدها بكرا وكلما رجعت اليه عادت اليه شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلا لايكون منهما منى وقوله سبحانه ولهم مايدعون هو بمنزلة مايتمنون قال ابو عبيدة العرب تقول ادع علىّ ماشئت بمعنى تمن على وقوله سبحانه سلام قولا من رب رحيم قال الثعلبى قال جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم بينما أهل الجنة فى نعيمهم اذسطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم مادامو ينظرون اليه سبحانه الحديث وسيأتى ان شاء الله فى آخر الكتاب قال القرطبى فى تذكرته ومعنى قوله أشرف عليهم أى اطلع عليهم والله سبحانه لايوصف بالمكان قوله تعالى أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولاهم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عطية أولئك اشارة الى العباد المخلصين وقوله معلوم معناه معلوم عندهم فقد قرت أعينهم بعلم مايستدر عليهم من الرزق وبان شهواتهم تأتيهم لحينها قال الثعلبى رزق معلوم يعنى بكرة وعشيا كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وفواكه جمع فاكهة وهى كل طعام يؤكل للتلذذ لاللقوت الذى يحفظ الصحة يقال فلان متفكه بهذا الطعام وقوله وهم مكرمون ابن عطية هذا تتميم بليغ للنعيم لانه رب مرزوق غير مكرم وذلك من أعظم التنكيد والسرر جمع سرير وقوله متقابلين

جاء فى هذا التقابل حديث مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى أحيان ترتفع عنهم ستور فينظر بعضهم الى بعض وقوله يطاف عليهم بكاس قال الزجاج والطبرى وغيرهما الكاس هو الاناء الذى فيه خمر أو ما يجرى مجراه من الانبذة ونحوها وقوله من معين بيضاء الثعالبى أى صافية فى نهاية اللطافة ابن عطية قوله بيضاء يحتمل أن يريد الكاس و يحتمل أن يريد الخمر وهو الاظهر قال الحسن بن أبى الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن وفى قراءة ابن مسعود صفراء فهذا وصف للخمر وحدها وقوله لذة أى ذات لذة فوصفها بالمصدر اتساعا وقد استعمل هذا حتى قيل لذ بمعنى لذيذ والغول اسم عام فى الاذى وقال ابن عباس وغيره الغول وجع فى البطن وقال قتادة هو صداع فى الرأس و ينزفون من قولك نزف الرجل اذا سكر و باذهاب العقل فسره ابن عباس وقرأ حمزة والكسائى ينزفون بكسر الزاى من أنزف وله معنيان احدهما سكر والثانى نفد شرابه وهذا كله منفى عن أهل الجنة وقاصرات الطرف قال ابن عباس وغيره معناه على ازواجهن أى لا ينظرن الى غيرهم وعين جمع عيناء وهى الكبيرة العينين فى جمال وقوله كانهن بيض مكنون قال ابن جبير والسدى شبه ألوانهن بلون قشر البيضة الداخلى وهو المكنون أى المصون و رجحه الطبرى وقال الجمهور شبهه ألوانهن بلون قشر البيضة من النعام وهو بياض قد خالطته صفرة ومكنون اى بالريش وحكى الطبرى عن ابن عباس البيض المكنون ارادبه الجوهر المصون واستبعده ابن عطية من جهة تصريف اللفظ (قلت) وليس ببعيد من جهة المعنى لان فى الآية الاخرى وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون وقوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عطية هذا التساؤل الذى بين أهل الجنة هو تساؤل راحة وتنعم يتذاكرون أمورهم فى الجنة وأمر الدنيا وحال الطاعة والايمان وقوله قال قائل منهم انى كان لى قرين أى قرين سوء يكذب بالبعث والجزاء فالآية مثال لكل من له قرين سوء و يعطى هذا المثال التحفظ من قرناء السوء قال مجاهد كان هذا القرين شيطانا وقال آخرون كان من الانس كافرا يقول أئنك لمن المصدقين بالبعث أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون أى مجازون ومحاسبون استبعادا للبعث وقوله هل انتم مطلعون الآية فى الكلام حذف تقديره فقال لهذا الرجل المؤمن حاضروه من الملائكة ان قرينك هذا فى جهنم يعذب فقال عند ذلك هل انتم مطلعون يخاطب بانتم الملائكة او رفقاءه فى الجنة او خدمته قاله المهدوى وقرأ أبو عمرو فى رواية حسين مطلعون بسكون الطاء وفتح النون وقرئ شاذا مطلون بسكون الطاء وكسر النون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم أى فى وسط الجحيم فقال المؤمن عند ذلك تالله ان كدت لتردينى أى لتهلكنى باغوائك والردى الهلاك ولولا نعمة ربى و رحمته لكنت من المحضرين معك فى النار وقول المؤمن افما نحن بميتين الى قوله بمعذبين يحتمل أن تكون مخاطبة لرفقائه فى الجنة لما رأى ما نزل بقرينه ونظر الى حاله فى الجنة وحال رفقائه قدر النعمة قدرها فقال لهم على جهة التوقيف على النعمة افما نحن بميتين ولا معذبين و يجىء على هذا التأويل قوله ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون متصلا بكلامه خطابا لرفقائه و يحتمل قوله أفما نحن بميتين أن تكون مخاطبة لقرينه على جهة التوبيخ كانه يقول أين الذى تقول من أنا نموت وليس بعد الموت بعث ولا عقاب ولا عذاب و يكون قوله ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون يحتمل ان يكون من خطاب المؤمن لقرينه واليه ذهب قتادة و يحتمل أن يكون من خطاب الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته و يقوى هذا قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وهو حض على العمل والآخرة ليست بدار عمل قوله هل أنتم مطلعون قال الثعلبى قال ابن

عباس وذلك أن فى الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار واهلها فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه فى سواء الجحيم اللهم نجنا من عذابك فى الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد جنات عدن بدل من حسن مآب والمئاب المرجع فى الآخرة ثم بين ذلك المرجع فقال جنات عدن الآية تقدم تفسير نظيرها مفتحة لهم الابواب قال الثعلبى قيل تفتح لهم بالامر لا بالمس قال الحسن تكلم فتتكلم انفتحى انغلقى قوله اتراب أى لدات مستويات على ميلاد امرأة واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدتها ترب (قلت) هذا والله أعلم فى الآدميات فانه قد ورد أن الآدميات على سن واحد وأما الحوريات فهن صغار وكبار على أنواع كما يحب المؤمن ويشتهى وسيأتى ان شاء الله وباقى الآية بين مما تقدم ومما سيأتى ان شاء الله تعالى قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد قال ابن عطية هذه الآية معادلة وتحضيض على التقوى لمن فكر وازدجر وقوله سبحانه تجرى من تحتها الانهار أى تجرى من تحت الغرف وعادلت غرف من فوقها غرف مما تقدم فى قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والغرف ما كان من المساكن مرتفعا عن الارض وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أهل الجنة ليتراؤون الغرف من فوقهم كما تتراؤون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين رواه مسلم وغيره وسيأتى لهذا ان شاء الله تعالى مزيد بيان قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين قال ابن عطية قوله الذين اتقوا ربهم لفظ يعم كل من يدخل الجنة من المؤمنين الذين اتقوا الشرك والواو فى قوله وفتحت مؤذنة فانها قد فتحت قبل وصولهم اليها وكذا هى منازل الافراح والسرور قال الثعلبى والواو فى قوله وفتحت واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها من الآية الاولى عند مجىء الكفار الى جهنم لبيان انها كانت مغلقة قبل مجيئهم قال ابن عطية لان فى وقوف المعذبين قبل فتحها مذلة لهم وهكذا هى حال السجون ومواضع العتاب والعذاب نجانا الله من سخطه وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم أى كنتم طيبين فى الدنيا قاله الثعلبى (قلت) ويحتمل الاشارة الى تطييبهم وتطهير ظاهرهم وباطنهم بماء احدى العينين على ما سيأتى والله أعلم بما أراد سبحانه وقد روى ابن المبارك بسنده عن على رضى الله عنه انه تلا هذه الآية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها قال وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان فعمدوا الى احداهما كلما أمروا بها فاغتسلوا بها فلم تشعث رؤسهم بعدها أبدا ولم تتغير جلودهم بعدها أبدا كلما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربوا منها فطهرت أجوافهم وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجىء من الغيبة يقولون ابشر أعد الله لك كذا وأعد الله لك كذا ثم يذهب الغلام منهم الى الزوجة

فيقول

فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول له أنت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ثم ترجع فيجىء فينظر الى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فاذا زرابى مبثوثة وأكواب موضوعة ثم يرفع رأسه فلولا أن الله تعالى قدر ذلك لاذهب بصره انما هو مثل البرق ثم يقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقوله وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض أى أرض الجنة التى كانت للكافرين لو أطاعوا الله فهى لنا ميراث عنهم ونتبوأ معناه نتخذ منها امكنة ومساكن ثم وصف حال الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم من العرش وحفوفهم به فقال وترى الملائكة حافين من حول العرش أى محدقين ومحيطين به قاله الثعلبى يسبحون بحمد ربهم متلذذين بذلك لا متعبدين به لان التكليف يزول فى ذلك اليوم وقضى بينهم بالحق أى بين عباده وقيل الحمد لله رب العالمين قال ابن عطية ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس والمجتمعات فى العلم قال قتادة فتح الله تعالى أول الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم القيامة بالحمد فى هذه الآية قال ابن عطية وجعل سبحانه الحمد لله رب العالمين فاتحة كتابه فيه يبدأ كل أمر وبه يختم وحمد الله وتقديسه ينبغى أن يكون من المؤمن كما قيل

وآخر شئ أنت فى كل صحبة * وأول شئ أنت عند هبوب

(قلت) وذكر بعض من ألف فى بدء الدنيا أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضا عند باب الجنة ترده أمته قال قال مقاتل بن سليمان الخراسانى عند الباب الاول من أبواب الجنة حوض طوله وعرضه خمسمائة عام وقال آخرون طوله ألف عام وعرضه خمسمائة عام وهو حوض من ذهب وشرافاته من فضة وماؤه من نهر الحياة طينه مسك أذفر واقداحه من فضة عدد نجوم السماء تشرب منه هذه الامة قبل أن يصلوا الى منازلهم وقصورهم فاول ما يدخل بطون أهل الجنة ماء حوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ماء الحياة وهو الذى من الشهد وأحلى من السكر وأطيب رائحة من المسك وخلق الله سبحانه فى الجنة خلقا لا يصفهم وأصف ولا يعلم عددهم الا خالقهم سبحانه ولو اجتمع أهل السموات وأهل الارض على أن يكتبوا جميع ما هنالك من كرامات الله عز وجل ما قدروا أن يحصوا شيأ من ذلك فسبحان من أكرم أولياءه بهذا الملك الكبير ونعمة الدار الدنيا لمن اتخذها زادا للاخرة فبالدنيا أدرك العبد المطيع لربه خير الآخرة ولولا الدنيا لم يدرك ملك الآخرة وانما العمل فى الدنيا والجزاء فى الآخرة فالدنيا دار المتقين عملوا فيها أعمالا قليلة ونالوا بها فى الآخرة ملكا كبيرا وعمرا طويلا وخوفوا أنفسهم قليلا فادركوا أمنا طويلا فرحم الله عبدا اتعظ وحسن يقينه وأخذ بالجد والحذر من قبل أن يختم عمله ويجف قلمه وتطوى صحفه ويحذر أن يفوته هذا الملك العظيم فيتحسر وكيف بالعبد اذا زال من هذا الملك العظيم والنعيم الدائم وكانت داره والعياذ بالله دار الهوان ومستعر النيران أجارنا الله من عذابه وأنعم علينا بما أنعم به على أوليائه (قلت) وقد قدمنا فى باب الحوض أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما قبل الصراط وهو الذى يذاد عنه من بدل وغير والحوض الثانى بعد الجواز على الصراط وهذا لا يذاد عنه أحد بفضل الله لان من جاز الصراط نجا اللهم من علينا بالشرب منهما جميعا بفضلك يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم

وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقدرحمته وذلك هوالفوز العظيم قال ابن عطية أخبر الله تعالى فى هذه الآية المتقدمة بخبر يتضمن تشريف المؤمنين و يعظم الرجاء لهم وهوان الملائكة الحاملين للعرش والذين حول العرش وهؤلاء أفضل الملائكة يستغفرون للمؤمنين و يسئلون الله لهم الرحمة وهذا معنى قوله تعالى فى غير هذه الآية كان على ربك وعدا مسؤلا أى سألته الملائكة وفسر فى هذه الآية المجمل فى قوله تعالى و يستغفرون لمن فى الارض لانه معلوم ان الملائكة لاتستغفر لكافر قال ابن عطية و بلغنى ان رجلا قال لبعض الصالحين أدع لى واستغفر لى فقال له تب واتبع سبيل الله يستغفر لك من هوخير منى وتلا هذه الآية وقال معرف بن الشخير وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الآية وروى أبوداود عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك من حملة العرش مابين شحمة أذنيه وعاتقيه مسيرة سبعمائة سنة قال الداودى وعن هارون بن زياب قال حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن فاربعة يقولون سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك و بحمدك على عفوك بعد قدرتك وقولهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما معناه وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وقولهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم روى عن سعيد ابن جبير فى ذلك أن الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول أين أبى أين أمى اين ابنى أين زوجى فيلحقون به لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملائكة وقولهم وقهم السيآت معناه أجعل لهم وقاية تقيهم السيآت واللفظ يحتمل أن يكون الدعاء فى أن يدفع الله عنهم أنفس السيآت حتى لاينالهم عذاب من أجلها و يحتمل أن يكون الدعاء فى دفع العذاب اللاحق من السيآت فيكون فى اللفظ على هذا حذف مضاف كانه قال وقهم جزاء السيآت قال الفخر قوله تعالى ومن تق السيآت يومئذ فقدرحمته يعنى من تق السيآت فى الدنيا فقدرحمته فى يوم القيامة وهذا راجع الى التأويل الاول قال الثعلبى قال ابن عباس حملة العرش مابين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وقبل أرجلهم فى الارض السفلى و رؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء التى تليها والتى تليها أشد خوفا من التى تليها وذكر الثعلبى فى حديث الاسراء غرائب فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عمار أى قال قلت ياجبريل ومن الصف الواحد الذى فى البحر الاعلى فوق الصفوف كلها قدأحاطوا بالعرش قال هم الكروبيون أشراف الملائكة وعظماؤهم وما يجترى أحد من الملائكة أن ينظر الى ملك من الملائكة الكروبيين وهم أعظم شانا من أن أطيق صفتهم لك وكفى بما رأيت منهم قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم هذه الآية وعد للمؤمنين روى مسلم فى صحيحه عن سفيان بن عبدالله الثقفى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أخبرنى بامر اعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قال صاحب المفهم جوابه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم وكانه منتزع من قول الله سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وتلخيصه اعتدلوا على طاعته قولا وفعلا وعقدا قال ابن عطية ولايختلف ان المرشد المستقيم على الطاعة أتم حالا وأكمل بشارة من غيره يعنى أكمل من المخلط قال و بالجملة كلما كان المرء أشد استعدادا كان أسرع فوزا بفضل الله تعالى قال الثعلبى قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة

أى عند الموت ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا قال وكيع والبشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث وفى البخارى تتنزل عليهم الملائكة أى عند الموت قال ابن العربى فى أحكامه تتنزل عليهم الملائكة قال المفسرون عند الموت وأنا أقول كل يوم وأوكد الايام عند الموت وحين القبر ويوم الفزع الاكبر وفى ذلك آثار بيناها فى مواضعها قال ابن عطية قوله تعالى ألا تخافوا ولا تحزنوا المعنى لا تخافون ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم فى دنياكم وذكر أبو نعيم عن ثابت البنانى انه قرأ حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة فوقف وقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وابشر بالجنة التى كنت توعد قال فأمن الله خوفه وأقر عينه قال ابن المبارك وأخبرنا رجل عن منصور عن مجاهد فى قوله تعالى نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال قرناؤهم يلقونهم يوم القيامة فيقولون لهم لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة قال ابن عطية قوله تعالى نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة الآية المتكلم بنحن أولياؤكم هم الملائكة القائلون ألا تخافوا ولا تحزنوا أى يقولون للمؤمنين عند الموت وعند مشاهدة الحق نحن كنا أولياءكم فى الدنيا ونحن هم أولياؤكم فى الآخرة قال السدى المعنى نحن حفظتكم فى الدنيا وأولياؤكم فى الآخرة ولكم فيها أى فى الآخرة ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون أى ما تطلبون وما تتمنون وقد ذكر الثعلبى هنا كلاما حسنا لا رباب القلوب قال رحمه الله قال أهل الاشارات ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بالوفاء على ترك الجفاء تتنزل عليهم الملائكة بالرضى لا تخافوا من العنا ولا تحزنوا على الفنا وابشروا بالالتقاء مع الذى كنتم توعدون مع اللقاء الا تخافوا فلا خوف على أهل الاستقامة ولا تحزنوا فان لكم أنواع الكرامة وابشروا بالجنة التى هى دار المقامة الا تخافوا فعلى دين الله استقمتم ولا تحزنوا فبحبل الله اعتصمتم وابشروا بالجنة وان أذنبتم ألا تخافوا فطال ما رهبتم ولا تحزنوا فقد نلتم ما طلبتم وابشروا بالجنة التى فيها رغبتم قال محمد بن حيان تتنزل عليهم الملائكة يقولون لهم لا تخافوا من رد أعمالكم ولا تحزنوا من ترك غفران سيآتكم والدليل عليه نحن أولياؤكم الا تخافوا فأنتم أهل الايمان ولا تحزنوا فأنتم أهل العرفان وابشروا بالجنة التى هى دار الامان الا تخافوا فلستم من أهل الجحيم ولا تحزنوا فقد وصلتم الى الرب الرحيم وابشروا بالجنة التى هى دار النعيم قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال ابن عطية الروضات المواضع المونقة النضرة وهى مرتفعة فى الاغلب وهى الممدوحة عند العرب وغيرهم ومن ذلك قوله تعالى كمثل جنة بربوة وقوله تعالى ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى قوله تعالى فى الآية الاخرى و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قوله تعالى فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون قال ابن عطية رحمه الله تعالى وعظ الله تعالى عباده فى هذه الآية وحقر عندهم أمر الدنيا وشأنها فقال فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا ورغبهم سبحانه فيما عنده من نعيمهم والمنزلة الرفيعة لديه وعظم قدر ذلك فى قوله وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقوله والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الآية عطف على قوله الذين آمنوا قال الحسن الكبائر كل ما توعد عليه بنار وقوله سبحانه واذا ما غضبوا لهم يغفرون حض على كسر

الغضب والتدرب فى اطفائه اذهو جزء من جهنم وباب من أبوابها وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى قال لاتغضب قال زدنى قال لاتغضب وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من كف لسانه عن اعراض المسلمين أقاله الله عثرته يوم القيامة ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذابه يوم القيامة قال ابن المبارك وأخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ان الله تبارك وتعالى يقول من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم ومن ذكرنى حين يغضب ذكرته حين أغضب فلم أمحقه فيمن أمحق قال ابن عطية ومن جاهد هذا العارض يعنى الغضب حتى غلبه فقد كفى هما عظيما فى دنياه وآخرته قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون قال ابن عطية وصف الله سبحانه فى هذه الآية بعض حال القيامة وانها لهول مطلعها والخوف المطيف بالناس فيها يتعادى ويتباغض كل خليل كان فى الدنيا على غير تقى لانه يرى ان الضرر دخل عليه من قبل خليله وأما المتقون فيرون ان النفع دخل من بعضهم على بعض هذا معنى كلام على رضى الله عنه وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قيل يارسول الله أى جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزادكم فى علمكم منطقه وذكركم بالله عمله (قلت) فمن مثل هؤلاء تصلح الاخوة الحقيقية والله المستعان ومن حكم الشيخ أبى مدين رضى الله عنه قال دليل تخليطك صحبتك للمخلطين ودليل انقطاعك صحبتك للمنقطعين وقال ابن عطاء الله فى التنوير قل ماتصفو لك الطاعات أوتسلم من المخالفات مع الدخول فى الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد ومخالطة أهل الغفلة والبعاد وأكثر مايعينك على الطاعات رؤية المطيعين وأكثر مايدخلك فى الذنب رؤية المذنبين قال نبينا صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل والنفس من شأنها التشبيه والمحاكاة بصفات من قارنها فصحبة الغافلين معينة لها على وجود الغفلة وفى الحكم الفارقية من ناسب شيأ انجذب اليه وظهر وصفه عليه وفى سماع العتبية قال مالك لاتصحب فاجرا لئلا تتعلم من فجوره قال ابن رشد لاينبغى أن يصحب الامن يقتدى به فى دينه وخيره لان قرين السوء يردى قال الحكيم

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتد

(قلت) وحديث المرء على دين خليله رواه أبوداود وأبو بكر الخطيب وغيرهما وفى الموطا من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى قال أبو عمر فى التمهيد اسناده صحيح عن أبى ادريس الخولانى عن معاذ وقد رواه جماعة ثم أسند أبو عمر من طريق أبى مسلم الخولانى عن معاذ قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول المتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لاظل الاظله قال أبو مسلم فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ قال وأنا سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه عزوجل قال حقت محبتى على المتحابين فى وحقت محبتى على المتزاورين فى وحقت محبتى على المتباذلين فى والمتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لاظل الاظله وقد روى ابن وهب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يزور الاعلون من أهل الجنة الاسفلين ولايزور الاسفلون الاعلين الامن كان يزور فى الله فى الدنيا فذلك يزور

فى الجنة حيث شاء ذكره فى العنكبوت وقوله ياعبادى المعنى يقال لهم أى للمتقين وذكر الطبرى عن المعتمر عن أبيه أنه قال سمعت ان الناس حين يبعثون ليس منهم أحد الافزع فينادى مناديا عبادى لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قال فييأس منها جميع الكفار وقوله الذين آمنوا نعت للعباد قال الثعلبى قوله سبحانه بعضهم لبعض عدو الا المتقين أى الا المتحابين فى الله سبحانه على طاعته فليسوا بأعداء لمن خالفهم وقال على رضى الله عنه فى هذه الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى بأنى ملاقيك يارب فلا تضله بعد وأهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذامات خليله المؤمن جمع الله بينهما فيقول ليثن أحدكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك محمد ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك محمد ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قال ابن عطية وغيره قوله ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون معناه تنعمون وتسرون والحبرة السرور والاكواب ضرب من الاوانى كالاباريق الا أنها لاآذان لها ولامقابض وقوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب قال القرطبى ذكر القتبى فى عيون الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ادنى أهل الجنة منزلة الذى يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل خادم صحفتان واحدة من ذهب والاخرى فضة فى كل واحدة لون لايشبه الآخر وقال المفسرون يطوف على أدناهم سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها فى كل واحدة لون ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من اولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم اولها لايشبه بعضها بعضا ويراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة الف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها ألوان من الطعام ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لايشبه بعضها بعضا وقوله واكواب أى ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب قال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والابريق المستطيل الطويل العنق الطويل العروة وقال ابن عزيز أكواب أباريق لاعرى لها ولاخراطيم واحدها كوب وقاله الاخفش وقطرب وقال الجوهرى فى الصحاح الكوب كوز لاعروة له ونحوه قول مجاهد والسدى وهو مذهب أهل اللغة انها التى لاآذان لها ولاعرى وقال الثعلبى قال أبوهريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع درجات وان له ثلاثمائة خادم ويغدى عليه ويراح بثلاثمائة صحفة ولاعله الاقال من ذهب فى كل صحفة لون ليس فى الاخرى مثله وانه ليلذ آخره كما يلذ اوله ومن الاشربة ثلاثمائة اناء فى كل اناء شراب ليس فى الآخر شبهه وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره وانه ليقول لو أذنت لى يارب لاطعمت أهل الجنة وأسقيتهم ولاينقص مما عندى شئ وان له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه فى الدنيا وان الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الارض وقال عكرمة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لايدخل الجنة بعده أحد يفسح له فى بصره مائة عام فى قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس منها موضع شبر الا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس منها صحفة الا وفيها لون ليس فى الاخرى مثل شهوته فى آخرها كشهوته فى أولها ولو

نزل به جميع أهل الدنيا لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتى شيأ وقوله سبحانه وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين الآية قال الثعلبي قال أبو طبيبة السلمي ان الشرذمة من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول ماأمطركم فما يدعو داع من القوم بشئ الا أمطرتهم حتى ان القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أترابا وقال ابن سابط ان رجلا قال يارسول الله انى أحب الخيل فهل فى الجنة خيل قال أن يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء يطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت فقال اعرابى يارسول الله انى أحب الابل فهل فى الجنة ابل قال ياأعرابى ان يدخلك الله الجنة ففيها ماالشتهت نفسك ولذت عينك وقال أبو امامة ان الرجل من أهل الجنة يشتهى الطائر وهو يطير فيقع نضيجا فى كفه فيأكل منه ماتشتهى نفسه ثم يطير كما كان أول مرة ويشتهى الشراب فيقع الابريق فى يده فيشرب منه مايريد ثم يرجع الابريق الى مكانه وقال ثوبان قال النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها شيأ الا نبت مكانها مثلها قوله تعالى ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فى مقام أمين أى مأمون من الغير والسندس رقيق الحرير وقوله متقابلين قال ابن عطية هذا وصف لمجالس أهل الجنة لان بعضهم لا يستدبر بعضا فى المجالس وقرأ الجمهور بحور عين وقرأ ابن مسعود بعيس عين وهى جمع عيساء وهى البيضاء وكذلك هى من النوق قال الثعلبي ومنه قيل للابل البيض العيس والعين جمع عيناء وهى العظيمة العينين فى جمال وباقى الآية بين قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات (قلت) ولنذكر أولا ماجاء فى قوله تعالى سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم قوله تعالى سيهديهم أى الى طريق الجنة قاله ابن عطية قوله عرفها لهم قال ابن عطية قال أبو سعيد الخدرى وقتادة ومجاهد معنى عرفها أى بينها لهم أى جعلهم يعرفون منازلهم منها وفى نحو هذا المعنى هو قوله صلى الله عليه وسلم لاحدكم بمنزله فى الجنة أعرف منه بمنزله فى الدنيا قال القرطبي فى التذكرة وعلى هذا القول أكثر المفسرين قال وقيل ان هذا التعريف هو بالدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشى بين يديه وقالت فرقة معناه شرفها لهم ورفعها وعلاها وهذا من الاعراف التى هى الجبال ومنه أعراف الخيل وقالت فرقة معناه سماها لهم ورسمها كل منزل باسم صاحبه فهذا نحو من التعريف وقال مورج وغيره معناه طيبها مأخوذ من العرف ومنه طعام معرف أى مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل (قلت) والتاويل الاول يشهد له الحديث فلا يعدل عنه وبه صدر الثعلبي فقال عرفها لهم أى عرفهم منازلهم فيها حتى يهتدوا اليها من غير قائد كانهم قد سكنوها منذ خلقوا وان الرجل لاهدى الى منزله ودرجته وخدمه ونعمه منه الى أهله ومنزله فى الدنيا قاله أكثر المفسرين وقوله سبحانه مثل الجنة قال النضر بن شميل وغيره مثل الجنة معناه صفة الجنة كأنه قال صفة الجنة ماتسمعون فيها كذا وفيها كذا وقوله فيها انهار من ماء غير آسن معناه غير متغير قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وسواء أنتن أولم ينتن وقوله فى اللبن لم يتغير طعمه نفى لجميع أنواع الفساد فيه وقوله لذة للشاربين جمعت طيب الطعم وزوال الافات من الصداع وغيره وتصفية العسل مذهبة لومه وضرره (قلت) وروينا فى كتاب الترمذى عن حاكم بن معاوية عن أبيه رضى الله عنه عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقوله ولهم فيها من كل الثمرات ابن عطية من هذه الانواع لكنها بعيدة الشبه أى تلك لاعيب فيها ولاتعب قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما هذه الآية واضحة المعنى وقوله سبحانه ويكفر عنهم سيآتهم هو من ترتيب الجمل فى السرد لاترتيب وقوع معانيها لان تكفير السيآت قبل ادخالهم الجنة وقوله بعد هذا فسنؤتيه أجرا عظيما يريد الجنة قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد (قلت) ولنذكر اولا تفسير قوله تعالى وقال قرينه هذا ماالدى عتيد قال الثعلبى يعنى بقرينه الملك الموكل به يقول هذا ماالدى عتيد أى معد محفوظ قال مجاهد أى يقول هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله فيقول الله تعالى لقرينه القيا فى جهنم قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الصحيح أى يخاطب الواحد بلفظ الاثنين تقول ويلك ارحلا وازجرا وخذاه واطلقاه للواحد قال الفراء والعرب تقول للواحد قوما عنا واصل ذلك ان أدنى أعوان الرجل ورفقته فى سفره اثنان فجرى الكلام للواحد على صاحبيه ومنه قولهم للواحد خليلى كقول امرئ القيس

* خليلى مرابى على أم جندب * وقال أيضا * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

قال الفراء وأنشدنى أبو ثروان

فان تزجراني يابن عفان أنزجر * وان تدعانى احم عرضا ممنعا

وقال المبرد هو تثنية على التوكيد المعنى القى القى فغاب القيامغاب التكرار ويجوز أن يكون القيا تثنية حقيقة ويكون الخطاب للملقيين الملكين معا (قلت) هذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه وذلك ان هذا الكفار العنيد لما كان بهذا الوصف الذميم وكل الله سبحانه حفظته بعذابه لانهما اقرب الخلق اطلاعا على قبائحه فوكلهما الله بعذابه كما وكلهما الله بالرحمة والشفقة بالعبد المطيع وانهما لايفارقانه حتى يدخلاه الجنة وهم القائلون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولايبعد أن تكون صحبتهما معتادية معه فى الجنة أبد الآبدين لظاهر عموم قولهما نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فعمم فى الآخرة كما عم فى الدنيا وفى تعيين هذا القرين خلاف وهذا القول ارجحها عندى كما عول عليه الثعلبى قال ابن عطية ولفظ القرين اسم جنس اذ المقارنة على أنواع فسائقه قرين وصاحبه من الملائكة الزبانية قرين وكاتب سيآته فى الدنيا قرين والكل تحتمله هذه الآية والقرين الذى فى هذه الاية غير القرين الذى فى قوله قال قرينه ربنا ماأطغيته (قلت) ويحتمل أن يكون هو على ماذكره الثعلبى وأن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة قال قال ابن عباس ومقاتل قرينه الملك وذلك أن الوليد بن المغيرة يقول للملك الذى يكتب السيآت رب انه أعجلنى فيقول الملك ربنا ماأطغيته أى ماأعجلته قال سعيد بن جبير يقول الكافر رب ان الملك زاد على فى الكتابة فيقول الملك ماأطغيته أى مازدت عليه فى الكتابة حينئذ يقول الله تعالى لاتختصموا لدى فقد قضيت ماأنا قاض قوله وأزلفت الثعلبى معناه أدنيت الجنة للمتقين أى أدنيت حتى يروها قبل أن يدخلوها غير بعيد منهم وهو تأكيد ويقال لهم هذا ماتوعدون فى الدنيا على ألسنة رسلنا قال ابن عطية أزلفت الجنة معناه قربت وقوله غير بعيد تأكيد وبيان أن هذا التقريب هو فى المسافة

لان قربت كان يحتمل أن يكون معناه بالوعد والاخبار فرفع الاحتمال بقوله غير بعيد وقوله تعالى هذا ماتوعدون الآية يحتمل أن يكون معناه يقال لهم فى الآخرة عند ازلاف الجنة هذا هو الذى كنتم توعدون به فى الدنيا ويحتمل أن يكون المعنى انه خطاب لامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أى هذا الذى توعدون به أيها الناس لكل أواب حفيظ والاواب الراجع الى الطاعة والحفيظ معناه لاوامر الله تعالى فيمتثلها ولنواهيه فيتركها من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب قال الثعلبى قال أبو بكر الوراق علامة المنيب أن يكون عارفا بخدمة ربه موواليا له متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه ادخلوها أى يقال لاهل هذه الصفة ادخلوها بسلام آمنين من زوال النعم ولدينا مزيد من النعيم مما لم يخطر ببالهم وفى التفسير ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول الحور نحن اللواتى قال الله ولدينا مزيد قال ابن عطية قوله عز وجل لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد خبر بانهم يعطون آمالهم أجمع ثم أبهم تعالى الزيادة التى عنده للمؤمنين المنعمين وكذلك هى مبهمة فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وقد فسر ذلك الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر بله ماأطلعتم عليه قال ابن عطية وقد ذكر الطبرى وغيره فى تعيين هذا المزيد أحاديث مطولة وأشياء ضعيفة لان الله تعالى يقول فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وهم يعينونها تكلفا وتعسفا (قلت) ليس فيما ذكر الطبرى تكلفا ولا تعسفا بل ذكر ماورد من الحديث على وجه يجوز فلم يدع الحصر وانما ذكر ماذكر تأنيسا للنفوس وبسطا للرجاء وتنشيطا للعمل المبلغ الى هذه الخيرات وقد اتفق أئمة الحديث على جواز نقل الاحاديث الضعيفة فى باب الترغيب والترهيب الذى نحن الآن بسبيله نعم اذا كان الحديث موضوعا فلا يذكر والطبرى فارس علم الحديث وناهيك باعتراف الحفاظ له كابى بكر بن الخطيب وغيره نعم من الناس من يغلب عليه رقة القلب والشوق الى التطلع على علوم الآخرة فهو يكثر مما يناسب حاله ونعم الزاد للمعاد ذكر أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو نعيم فى الحلية قال سفيان بن عيينة فى قوله تعالى ولدينا مزيد قال ليس تكاد ابصارهم تسمو الى شئ هم فيه حتى يفتح لهم شئ يقال له المزيد فاذا فتح ذلك جاء شئ ليس كالذى كانوا فيه فيشرف عليهم المزيد فينادونه فيقولون من أنت فيقول أنا من الذى قال الله تعالى فيه ولدينا مزيد قوله تعالى ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ماآتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم قال ابن عطية رحمه الله تعالى لما ذكر الله سبحانه حال الكفار ومايلقون من عذاب الله عقب ذلك بذكر المتقين ومايلقون من النعيم وقوله آخذين ماآتاهم ربهم أى محصلين ماأعطاهم ربهم سبحانه من جناته ورضوانه وأنواع كراماته وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين يريد فى الدنيا بالطاعات والعمل الصالح ومعنى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون أى نومهم كان قليلا لاشتغالهم بالصلاة والعبادة والهجوع النوم وقد قال الحسن فى تفسير هذه الآية كابدوا قيام الليل لاينامون منه الا قليلا والمراد من كل ليلة وقال جمهور النحاة مامن قوله مايهجعون مصدرية وقليلا خبر كان والمعنى كان قليلا من الليل هجوعهم وعلى هذا الاعراب يجىء قول الحسن وغيره قال ابن عطية وهذا هو الظاهر عندى وذكر الطبرى عن الضحاك مايقتضى ان المعنى كانوا قليلا فى عددهم وتم خبر كان ثم ابتدأ من الليل مايهجعون فما نافية وقليلا وقف والاول أظهر ان مامصدرية قيل لبعض التابعين مدح الله قوما كانوا قليلا من الليل مايهجعون ونحن قليلا من الليل مانقوم فقال رحم الله أقواما رقد اذا نعس

وأطاع ربه اذا استيقظ وقوله تعالى و بالاسحار هم يستغفرون قال الحسن معناه يدعون فى طلب المغفرة و تروى ان أبواب الجنة تفتح سحر كل ليلة قال ابن زيد السحر السدس الآخر من الليل والباء فى قوله بالاسحار بمعنى فى قاله أبو البقاء قوله تعالى ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ قال ابن عطية لما ذكر الله سبحانه عذاب الكفار عقب ذلك بنعم المتقين ليبين الفرق و يقع التحريض على الايمان وقرأ جمهور الناس فاكهين ومعناه فرحين مسرورين وقال أبو عبيدة هو من باب لابن وتامر أى لهم فاكهة قال ابن عطية والمعنى الاول أبرع وقرأ خالد فيما روى أبو حاتم فكهين والفكه والفاكه المسرور المتنعم وقوله ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا ممكن فى متقى المعاصى الذى لايدخل النار ووقاهم مشتق من الوقاية وهى الحائل وقوله كلوا واشربوا أى يقال لهم كلوا واشربوا وقوله على سرر مصفوفة قال الثعلبى أى على نمارق على سرر مصفوفة أى قد صف بعضا الى بعض وقوبل بعضها ببعض وقيل ممدودة على صف واحد وزوجناهم بحور عين ابن عطية وغيره حور جمع حوراء وهى البيضاء القوية بياض العين وسواد سوادها والعين جمع عيناء وهى كبيرة العينين مع جمالهما وقوله سبحانه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم قال ابن عباس وابن جبير والجمهور أخبر الله تعالى ان المؤمنين الذين اتبعتهم ذريتهم فى الايمان يلحق الابناء فى الجنة بمراتب الاباء وان لم يكن الابناء فى التقوى والاعمال كالاباء كرامة للاباء وقد ورد فى هذا المعنى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فجعلوا الحديث تفسيرا للآية وكذلك وردت أحاديث تقتضى ان الله تعالى يرحم الاباء رعيا للابناء الصالحين وقوله وما ألتناهم أى نقصناهم ومعنى الآية ان الله سبحانه يلحق الابناء بالاباء ولاينقص الاباء من أجورهم شيأ هذا تأويل الجمهور وقال الثعلبى والذريات الاعقاب والنسل قال ابن عمر رضى الله عنهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة فيسأل الرجل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له لم يدركوا ما أدركت فيقول لقد عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به كل امرئ بما كسب أى من الخير والشر رهين أى مرتهن يؤخذ بذنبه ولايؤخذ بذنب غيره وروى أبو نعيم فى حليته عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ذرية المؤمن فى درجته فى الجنة وان كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قوله وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ابن عطية أمددت الشئ اذا سربت اليه شيأ يكثره وقوله مما يشتهون أشارة الى ماروى من ان المنعم اذا اشتهى لحما نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التى اشتهاه فيها وليس يكون فى الجنة لحم يحتز ولايتكلف فيه الذبح والسلخ والطبخ و بالجملة لاكلفة فى الجنة و يتنازعون معناه يتعاطون قال الفخر و يحتمل أن يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون نجاذبهم تجاذب ملاعبة لاتجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان لما عليه حال الشراب فى الدنيا فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولايتفاخرون بكثرة الاكل والكاس الاناء فيه الشراب ولايقال فى فارغ كاس قاله الزجاج قوله لالغو فيها ولاتأثيم اللغو الساقط من القول وهو ماحقه أى يلغى والتأثيم يلحق خمر الدنيا فى نفس شربها وفى الافعال التى تكون من شاربيها وذلك كله منتف فى الآخرة قوله و يطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون قال الثعلبى قال ابن عطاء أى لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن والساقى فيه الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله والقوم أضياف

الله ولا تأثيم أى فعل يؤثمهم ابن عطية واللؤلؤ المكنون أجل اللؤلؤ لان الصون والكن يحسنه قال ابن جبير أراد الذى فى الصدف لم تنله الايدى وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم اذا كان الغلمان كاللؤلؤ فكيف المخدومون قال هم كالقمر ليلة البدر قوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وصف تعالى حال أهل الجنة انهم يتسألون أى عن أحوالهم ومآل كل واحد منهم وانهم يتذكرون حال الدنيا وخشيتهم عذاب الآخرة والاشفاق أشد الخشية مع رقة القلب والسموم الحار والمراد به النار فى هذه الآية وندعوه يحتمل أن يريد به الدعاء على بابه ويحتمل أن يريد نعبده قوله تعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر قرأ الجمهور ونهر بفتح النون والهاء على انه اسم جنس يريد به الانهار أو على انه بمعنى سعة فى الارزاق والمنازل ومنه قول قيس بن الخطيم

ملكت بها كفى فانهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها

أى وسعت خرقها فجعلت فتقها كنهر وقرأ الاعمش وغيره ونهر بضم النون والهاء على انه جمع نهر اذ لا ليل فى الجنة هذا كلام ابن عطية والثعلبى ابن عطية وهذا قلق فى المعنى ويحتمل أن يكون جمع نهر وقال أبو حيان قرأ الاعمش بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن قوله تعالى فى مقعد صدق ابن عطية يحتمل أن يريد به الصدق الذى هو ضد الكذب أى المقعد الذى صدقوا فى الخبر به ويحتمل أن يكون من قولك عود صدق أى جيد ورجل صدق أى خير والمليك المقتدر هو الله سبحانه وقال الثعلبى فى مقعد صدق أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة عند مليك مقتدر وعند اشارة الى القربة والرتبة يعنى المعنوية وقال عبد الله ابن بريدة ان أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار سبحانه فيقرؤن عليه القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى يجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرذ والذهب والفضة على قدر أعمالهم فلم تقر أعينهم بشئ قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيأ أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم قريرة أعينهم الى مثلها من الغد قال المحاسبى واذا أخذ أهل الجنة مجالسهم واطمأنوا فى مقعد الصدق الذى وعده الله لهم فهم فى القرب من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده وقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان ضمير التثنية فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يعود على الجن والانس قال جابر رضى الله عنه قرأ علينا النبى صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى أراكم سكوتا الجن كانوا أحسن ردا منكم ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا لا بشئ من نعمة ربنا نكذب قوله مقام ربه أى خاف موقفه بين يدى ربه قيل فى هذه الآية ان كل خائف له جنتان قال الثعلبى قال محمد بن على الترمذى جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته قال صاحب التذكرة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الجنتان بستانان فى عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام فى وسط كل بستان دار من نور على نور وليس منها شئ الا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها ثابت ذكره المهدوى والثعلبى أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وقيل ان احدى الجنتين أسافل القصور والاخرى أعاليها وقال مقاتل هما

جنة عدن وجنة النعيم (قلت) ومن كتاب أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه المسمى بالبتيمة قال قال الفضيل بن عياض وعد من الله سبحانه لمن خافه أن يدخله الجنة وتلا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال ابن عطية والافنان يحتمل أن يكون جمع فنن وهو الغصن وهذا قول مجاهد فكأنه مدحها بظلالها وتكاثف أغصانها ويحتمل أن تكون جمع فن وهو قول ابن عباس فكأنه مدحها بكثرة فواكهها ونعيمها قال الثعلبي عن ابن عباس ذواتا أفنان أى ألوان من قولهم افن فلان فى حديثه اذا أخذ فى فنون منه وزوجان معناه نوعان ونقل الثعلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مافى الدنيا شجرة حلوة ولامرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو قوله سبحانه فيهما عينان تجريان قال الثعلبي قال ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة وعن ابن عباس أيضا تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل تجريان احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك وقال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت له عينان فى الدنيا تجريان من البكاء وقوله من كل فاكهة زوجان أى صنفان وقوله سبحانه على فرش بطائنها من استبرق ابن عطية روى فى الحديث أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق فكيف الظواهر قال هى من نور يتلألأ والاستبرق ماغلظ وحسن من الديباج والسندس مارق منه وقد تقدم الكلام فيه والضمير فى قوله فيهن للفرش وقيل للجنات اذ الجنتان جنات فى المعنى والجنا مايجنى من الثمار ووصفه بالدنو لانه يدنو الى مشتهيه فيتناوله كيف شاء من قيام أوجلوس أواضطجاع روى معناه فى الحديث وقاصرات الطرف هن الحور قصرن الحاظهن على أزواجهن لم يطمثهن أى لم يفتضهن لان الطمث دم الفرج وقوله ولاجان قال مجاهد الجن قد تجامع نساء البشر مع أزواجهن اذا لم يذكر الزوج اسم الله فنفى سبحانه فى هذه الآية جميع المجامعات قال الثعلبي فى الآية دليل على أن الجن يغشون النساء قال مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأى آلاء ربكما تكذبان لين عطية الياقوت والمرجان هى من الاشياء التى قد برع حسنها واستشعرت النفوس جلالتها فوقع التشبيه فيما يشبه ويحسن بهذه المشبهات فالياقوت فى املاسه وشفوفه ولو أدخلت فيه سلكا لرأيته من ورائه وكذلك المرأة من نساء الجنة يرى مخ ساقيها من وراء العظم والمرجان فى املاسه وجمال منظره وقوله سبحانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان الآية آية وعد وبسط لنفوس جميع المؤمنين لانها عامة قال ابن المنكدر وابن زيد وجماعة من أهل العلم هى للبر والفاجر والمعنى أن جزاء من أحسن بالطاعة أن يحسن اليه بالتنعيم وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآية هل جزاء التوحيد الا الجنة (قلت) ولو صح هذا الحديث لوجب الوقوف عنده وانتفى الخلاف ولكن الشأن فى صحته قال الفخر قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فيه أقوال كثيرة حتى قيل ان فى القرآن ثلاث آيات فى كل واحدة منها مائة قول احداها قوله تعالى فاذكرونى أذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولنذكر الاشهر منها والاقرب أما الاشهر فوجوه أحدها هل جزاء التوحيد الا الجنة أى هل جزاء من قال لا اله الا الله الا دخول الجنة ثانيها هل جزاء الاحسان فى الدنيا الا الاحسان فى الآخرة ثالثها هل جزاء من أحسن اليكم بالنعم فى الدنيا الا أن تحسنوا له العبادة والتقوى وأما الاقرب فهو التعميم أى لان لفظ الآية عام قوله تعالى ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأى

آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام قوله سبحانه ومن دونهما جنتان قال ابن عطية قال ابن زيد وغيره معناه أن هاتين دون تينك فى المنزلة فالاوليان للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابن عباس أن المعنى انهما دونهما فى القرب الى المنعمين وانهما أفضل من الاوليين قال ابن عطية وأكثر الناس على التأويل الاول (قلت) واختار الترمذى الحكيم التأويل الثانى وأطنب فى الاحتجاج له فى نوادر الاصول له وأولى ما يرجع اليه فى ذلك حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد خرج البخارى فى صحيحه هنا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما الحديث فهذا الحديث يرجح التأويل الثانى وكذا فهم الغزالى فى الاحياء ولفظه وان أردت أن تعرف تفصيل صفات الجنة من الاخبار فتامل الآن صفاتها من الاخبار وتامل أولا عدد الجنات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم ومابين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن (قلت) فتأمل هذا الحديث مع الآية فمعناهما الترقى لا التدلى فافهمه راشدا قال القرطبى فى تذكرته قال الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول ومعنى ومن دونهما جنتان أى دون هاتين الى العرش أى أقرب وأدنى الى العرش قال مقاتل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة الفردوس وجنة المأوى قال القرطبى ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس الحديث وقوله فيهما عينان نضاختان أى بانواع الفواكه والنعيم والجوارى المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجرى قال القرطبى وعلى هذا تدل أقوال المفسرين روى عن ابن عباس نضاختان أى فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء وعنه أيضا أن المعنى نضاختان بالخير والبركة وقاله الحسن ومجاهد وعن ابن عباس أيضا وابن مسعود تنضخ على أولياء الله بالمسك والكافور والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه وقوله مدهامتان قال ابن عطية معناه قد علا لونهما دهمة وسواد فى النضرة والخضرة وقال البخارى مدهامتان سودا وان من الرى والنضاخة الفوارة التى يهيج ماؤها وكرر النخل والرمان وهما من أفضل الفاكهة تشريفا لهما وقالت أم سلمة قلت يارسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه قال الترمذى الحكيم وصفهن الله بالحسن واذا وصف خالق الشئ شيأ بالحسن فمن ذا الذى يقدر أن يصف حسنهن قال الثعلبى قال الكسائى ذكر الله تعالى الجنتين والجنتين ثم جمعهن فقال فيهن خيرات حسان وقوله سبحانه حور مقصورات فى الخيام ابن عطية أى محجوبات مصونات فى الخيام وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ قال عمر رضى الله عنه هى درة مجوفة ورواه ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الداودى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الخيمة لؤلؤة مجوفة فرسخ فى فرسخ له أربعة آلاف مصراع والرفرف ماتدلى من الاسرة من عالى الثياب والبسط قاله ابن عباس وقيل غير هذا والعبقرى بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر وهو موضع يعمل فيها الوشى والديباج ونحوه وقال ابن عباس العبقرى الزرابى وقال ابن زيد هو الطنافس وقال الخليل والاصمعى العرب اذا استحسنت شيأ واستجادته قالت عبقرى قال ابن عطية

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه قال الثعلبى والعرب تسمى كل شئ من البسط عبقريا وقال النبى كل ثوب موشى عند العرب عبقرى قال القرطبى فى تذكرته وقيل الرفرف شئ اذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يلتذ به مع أنيسته واشتقاقه على هذا من رف يرف ومنه رفرفة الطائر اذا حرك جناحيه حول العرش يريد أن يقع عليه قال الترمذى الحكيم فالرفرف أعظم خطرا من العرش وذكر فى الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر قال الرفرف هو مستقر الولى اذا استوى عليه الولى رفرف به أى طار به (قلت) وروى ابن المبارك عن سعيد بن عامر قال لو أن خيرة من خيرات حسان اطلعت من السماء لاضاءت لها واقهر ضوءها الشمس والقمر ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها والنصيف القناع (قلت) وفى صحيح البخارى ومسلم مايشهد لهذا الحديث عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لروحة فى سبيل الله أوغدوة خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس أحدكم فى الجنة أوموضع قيد سوطه خير من الدنيا ومافيها ولو ان امرأة من أهل الجنة اطلعت الى أهل الارض لاضاءت مابينهما ولملاته ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها وقد رواه سهل بن سعد أيضا والنصيف الخمار كذا وقع مفسرا فى رواية أخرى وروى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو أن مايقل ظفرا مما فى الجنة بدا لتزخرف له مابين خوافق السموات والارض ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم حديث غريب وقال الترمذى الحكيم فى قوله تعالى حور مقصورات فى الخيام بلغنا فى الرواية ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا حل ولى الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله ان أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهى مقصورة قد قصرتها عن أبصار المخلوقين والله أعلم وروى الدار قطنى فى المدبج عن المعتمر بن سليمان أنه قال ان فى الجنة نهرا ينبت الجوارى الابكار والله أعلم قال الترمذى الحكيم والرفرف الذى سخره الله تعالى لاهل الجنتين الدانيتين هو متكؤهما وفرشهما يرفرف بالولى على حافات تلك الانهار وشطوطها حيث شاء الى خيام أزواجه الخيرات الحسان قال واذا ركب الرفارف أخذ اسرافيل فى السماع فيروى فى الخبر أنه ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل عليه السلام فاذا أخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم فاذا ركبوا الرفارف أخذ اسرافيل فى السماع بألوان الاغانى تسبيحا وتقديسا للملك القدوس سبحانه فلم تبق شجرة فى الجنة الا وردت ولم يبق ستر ولا باب الا أرتج وانفتح ولم تبق حلقة على باب الا طنت بألوان طنينها ولم تبق أجمة من آجام الذهب الاوقع هبوب الصوت فى مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون المزمر ولم تبق جارية من جوارى الحور العين الا وغنت بأغانيها والطير بألحانها ويوحى الله تبارك وتعالى الى الملائكة ان جاوبوهم واسمعوا عبادى الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير زجة واحدة ثم يقول الله جل ذكره ياداود قم عند ساق العرش فمجدنى فيندفع داود بتمجيده به بصوت يقمر الاصوات ويحليها فتتضاعف اللذة وأهل الخيام على تلك الرفارف تهوى بهم وقد حفت بهم أفانين اللذات والاغانى فذلك قوله تعالى فهم فى روضة يحبرون قال ابن عطية والدعاء بياذا الجلال والاكرام حسن مرجو الاجابة وقد قال صلى الله عليه وسلم والظوا بياذا الجلال والاكرام

﴿فصل﴾ قال ابن عطية وغيره روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من داوم على قراءة الواقعة لم تصبه فاقة قال ابن عطية لأن فيها ذكر القيامة وأمور الآخرة وفهم ذلك غنى لافقر معه ومن فهمه شغل بالاستعداد والواقعة اسم من أسماء القيامة قال ابن عباس ليس لوقعتها كاذبة أى ليس لوقعتها كاذبة أى ليس لها تكذيب ولا يرد ها شئ خافضة رافعة قال قتادة تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ابن عطية الخطاب فى قوله وكنتم لجميع العالم والازواج الانواع قال قتادة هذه منازل الناس يوم القيامة قوله سبحانه فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة فى الكلام معنى التعظيم كما تقول زيد ما زيد ونظير هذا فى القرآن كثير والسابقون ابتداء والسابقون الثانى هو خبر الاول قاله سيبويه وهذا على معنى تفخيم الامر وتعظيمه وقال بعض النحاة السابقون الثانى نعت للاول ومعنى الصفة أن تقول والسابقون السابقون الى الجنة والرحمة أولئك المقربون ويتجه هذا المعنى على الابتداء والخبر وقوله أولئك المقربون ابتداء وخبر وهو فى موضع الخبر على قول من قال السابقون الثانى صفة قال الثعلبى المعنى السابقون الى طاعة الله السابقون الى رحمة الله ويكون أولئك المقربون من صفتهم قال ابن عطية والمقربون معناه من الله سبحانه فى جنات عدن فالسابقون معناه الذين سبقت لهم السعادة وكانت أعمالهم فى الدنيا سببا الى أعمال البر والى ترك المعاصى فهذا عموم فى جميع الناس وخصص المفسرون فى هذه أشياء تفتقر الى سند قاطع وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن السابقين فقال هم الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم والمقربون عبارة عن أعلى منازل البشر فى الآخرة قال جماعة من أهل العلم هذه الآية متضمنة ان العالم يوم القيامة على ثلاثة أصناف قال الثعلبى قال شمير الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فذلك سابق مقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم راجع بتوبة فهذا صاحب يمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال وقوله سبحانه ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما قال ابن عطية الثلة الجماعة قال الحسن بن أبى الحسن وغيره المراد السابقون من الامم والسابقون من هذه الامة وروى ان الصحابة حزنوا لقلة سابقى هذه الامة على هذا التأويل فنزلت الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فرضوا وروى عن عائشة رضى الله عنها انها تأولت ان الفرقتين فى أمة كل نبى هى فى الصدر ثلة وفى آخر الامة قليل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه الفرقتان فى أمتى فسابق أول الامة ثلة وسابق سائرها الى يوم القيامة قليل قلت والوجود يشهد لهذا القول من غير شك فالمتمسك اليوم بظاهر الشريعة كما ينبغى قليل والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فى غاية القلة وليس الامر على هذا فى صدر الاسلام وقوله سبحانه على سرر موضونة أى منسوجة بتركيب بعض اجزائها على بعض كحلق الدرع ومنه وضين الناقة وهو حزامها قال ابن عباس موضونة مزمولة منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت (قلت) ولما تكلم الثعلبى على قوله تعالى والسابقون السابقون قال وقال كعب قوله تعالى والسابقون هم أهل القرآن وهم

المتوجون يوم القيامة قال الثعلبي وقيل اذا خرج رجل من السابقين المقربين من مسكنه في الجنة كان له ضوء يعرفه من دونه وقوله تعالى متكئين عليها متقابلين الثعلبي أي على السرر متقابلين في الزيارة لا ينظر بعضهم في قفا بعض يطوف عليهم للخدمة ولدان أي غلمان مخلدون عن مجاهد لا يموتون وعن الحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ابن عطية يطوف عليهم للخدمة ولدان وهم صغار الخدمة ووصفهم سبحانه بالخلد وان كان جميع ما في الجنة كذلك اشارة الى انهم في حال الولدان مخلدون لا تكبر لهم سن أي لا يتحولون من حالة الى حالة وقاله ابن كيسان وقال الفراء مخلدون معناه مقرطون بالخلدات وهي نوع من الاقراط والاول أصوب لان العرب تقول للذي كبر ولم يشب انه لمخلد قلت وفي استخدام الصغار نوع من خدامة الملك فهم أخف في التصرف من الكبار ويلجون القصور ويتصرفون الحريم وهكذا رأيتهم عند ملوك العرب بالمشرق بأرض النوبة واذا رأيت حالهم تذكرت الآيات الواردة في استخدام الولدان وأكثر تصرفهم في تناول الاطعمة والاشربة ومناولة الصحاف وخدمة الاضياف والامور الخفيفة الطريفة تجدهم يقفون بين يدي الملك يبادرون الى خدمته ممتثلين لاشاراته فاخبر الله سبحانه بما ألفوه في الدنيا ولا الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا جعلنا الله ممن أنعم عليه بهذا الخير بمنه والاكواب ما كان من أواني الشرب لا أذن له ولا خرطوم قال قتادة ليست لها عرى والابريق ماله خرطوم والكأس الآنية المعدة للشرب بشريطة أن يكون فيها خمر ولا يقال لآنية فيها ماء أو لبن كاسا وقوله لا يصدعون عنها ذهب أكثر المفسرين الى أن المعنى لا يلحق رؤسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا وقال قوم معناه لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الاسباب كما يفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق ولا ينزفون معناه لا تذهب عقولهم سكرا قاله مجاهد وغيره والتزيف السكران وقد قدمنا أكثر هذه المعاني وفاكهة مما يتخيرون أي مما يختارون ولحم طير مما يشتهون هذا واضح وقد تقدم ما فيه كفاية قال الثعلبي قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صحفة رجل من أهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون مثل الثلج والبرد الين من الزبد وأحلى من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه ثم يذهب فيطير وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون مثلهن باللؤلؤ المكنون لان اللؤلؤ المكنون في صدفه أصفى لونا وأبعد عن الغير وسألت أم سلمة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤهن كصفاء الدر في الاصداف الذي لا تمسه الايدي وجزاء بما كانوا يعملون أي ان هذه الرتب هي مقتسمة على قدر الاعمال وأما نفس دخول الجنة فهو برحمة الله وفضله والكل على الحقيقة من فضل الله سبحانه ورحمته لان من فضله ورحمته توفيقهم لعمل الصالحات وتيسيرها لهم كما قال صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يوم الخندق

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لقينا

قال الثعلبي قال ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم سطع نور في الجنة فقالوا ما هذا قال ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها ويقال ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلخال من ساقيها وتحمد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصوتان بالتسبيح وقوله سبحانه لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما تقدم ان اللغو هو سقط القول وما حقه أن يلقى من الكلام قال أبو حيان الا قيلا سلاما سلاما الظاهر ان

الاستثناء منقطع لانه لايندرج فى اللغو والتأثيم وقيل متصل وهو بعيد قال الزجاج وسلاما مصدر كأنه يذكر أنه يقول بعضهم لبعض سلاما سلاما قال الثعلبي والسدر شجر النبق مخضود أى مقطوع الشوك قال ابن عطية ولاهل تحرير النظر هنا اشارة فى ان هذا الخضد بازاء أعمالهم التى سلموا منها اذاهل اليمين توابون لهم سلام وليسوا بسابقين قال الامام الفخر وقد بان لى بالدليل ان المراد باصحاب اليمين الفاجون الذين أذنبوا وأسرفوا وعفا الله تعالى عنهم بسبب أدنى حسنة لا الذين غلبت حسناتهم وكثرت قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وروى أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال أنتم ربع أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة قال القرطبي فى تذكرته قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين يعنى أهل الجنة من غير السابقين وأصحاب الجنة كلهم أصحاب يمين فى سدر مخضود أى نزع شوكه وطلح منضود أى منضود بعضه على بعض وانما خص بالذكر لان قريشا كانوا يعجبون من وج وكثرة ظلاله من طلح وسدر فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله قاله مجاهد وغيره ابن عطية الطلح من العضاه شجر عظيم كثير الشوك وصفه الله سبحانه فى الجنة على صفة مباينة لحال الدنيا ومنضود معناه مركب ثمره بعضه على بعض من أرضه الى أعلاه الثعلبي فى سدر مخضود أى لاشوك له كأنه خضد أى قطع قال سعيد بن جبير ثمرها أعظم من القلال قال أبو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطائف مخصب فأعجبهم سدرة وقالوا ياليت لنا مثل هذا فنزلت الآية وقوله سبحانه وظل ممدود ابن عطية والظل الممدود معناه هو الذى لاتنسخه شمس وتفسير ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر فى ظلها مائة سنة لايقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود قال الثعلبي فى قوله تعالى وطلح منضود هو شبه طلح الدنيا ولكنه له ثمر أحلى من العسل والمنضود المتراكم الذى قد نضد بالحمل من أوله الى آخره ليس له شوك بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها ثمر كله ثم ذكر فى الظل الممدود أقوالا منها ماتقدم وذكر عن الربيع انه ظل العرش قال وقال ابن عباس رضى الله عنهما وظل ممدود شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة يجلسون فى أصلها يتحدثون ويشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا (قلت) وقد قدمنا كثيرا من هذا المعنى وسيأتى مايسر الله منه ومن نزه سمعه فى الدنيا عن سماع ملاهيها عوضه الله سبحانه خيرا منها ومن عجل شيأ من محرماتها يخاف عليه أن لا يسمعها فى الآخرة الا أن يموت تائبا فيرجى له الخير قال القرطبي وقد روى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين فقيل ومن الروحانيون يارسول الله قال قراء أهل الجنة خرجه الترمذى الحكيم وقوله تعالى وماء مسكوب ابن عطية أى جار فى غير أخاديد وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة ابن عطية أى لامقطوعة بزوال الابان كحال فاكهة الدنيا ولا ممنوعة ببعد التناول ولا بشوك يؤذى فى شجرها ولا بوجه من الوجوه التى تمتنع بها فاكهة الدنيا وقال الثعلبي لامقطوعة بالازمان ولاممنوعة بالاثمان وقيل لامحظورة كما يحظر على بساتين الدنيا وقيل لاتنقطع الثمرة اذا جنيت بل يخرج مكانها مثلها قال ثوبان قال النبى صلى الله عليه

وسلم ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله مكانها ضعفين وقيل لاتمنع من أحد أراد أخذها (قلت) وقدمنا هذا المعنى عند قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل الآية وهذا غاية النعيم حتى ان أقل أهل الجنة لو أراد أن يضيف جميع أهل الجنة الزمان الطويل لكفاهم لان ثمارها على هذا الوصف لاتنتقص وكذلك اذا اشتهى الطير كما روى ان العبد يرى الطائر يطير فيشتهيه فينزل كما اشتهى وربما أكل منه ألوانا بحسب شهوته ثم يطير ذلك الطائر الى كثير مما ورد من هذا المعنى وقد شوهد من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا من بركة طعام لمسه أودعا فيه بالبركة ماهو معلوم وبالجملة فمن نجاه الله من عقوبات يوم القيامة وادخله الجنة فلا تكيف العقول مايعطيه المولى سبحانه من الخيرات وقوله سبحانه وفرش مرفوعة الفرش الاسرة وروى من طريق أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان فى ارتفاع السرير منها خمسمائة عام وهذا ان ثبت فلا بعد فيه اذ احوال الآخرة كلها خرق عادة وقد وجه الامام الفخر ذلك فقال وذلك لاجل أن يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ماأعطاه الله تعالى فى الجنة من النعيم والملك وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى وقال ابو عبيدة وغيره أراد بالفرش النساء أى بقرينة قوله انا أنشأناهن انشاء (قلت) وحديث أبى سعيد رواه الترمذى ولفظه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لانعرفه الامن حديث رشدين بن سعد ومرفوعة معناه على هذا التاويل فى الاقدار والمنازل والاول أصوب قال الثعلبى قال ابو هريرة وأبو سعيد رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ان ارتفاعها لكما بين السماء والارض وان مابين السماء والارض لمسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال ابن عطية قال قتادة الضمير فى أنشأناهن عائد على الحور العين المذكورات وأنشأناهن معناه خلقناهن شيأ بعد شئ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية هن عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا وقال لعجوز ان الجنة لايدخلها العجز فحزنت فقال انك اذا دخلت الجنة أنشئت خلقا آخر وقوله سبحانه فجعلناهن أبكارا قال ابن عطية قيل معناه دائمات البكارة متى عاود الوطئ وجدها بكرا وقوله عربا اترابا الثعلبى عربا أى عواشق متحببات الى أزواجهن قاله الحسن وغيره ابن عطية العرب جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها باظهار محبته قاله ابن عباس وعبر عنه ابن عباس أيضا بالعواشق وقال ابن زيد العروب الحسنة الكلام (قلت) قال الجوهرى والعروب يسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة وقوله أترابا معناه فى الشكل والقد قال قتادة أترابا يعنى سنا واحدا ويروى أن أهل الجنة هم على قدر ابن أربعة عشر عاما فى الشباب والنضرة وقيل على مثال ابناء ثلاث وثلاثين سنة مردا بيضا مكحلين زاد الثعلبى على خلق آدم طوله ستون ذراعا فى سبعة اذرع وتقدم بيان قوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وروى ابن المبارك فى رقائقه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أمتى ثلثا أهل الجنة والناس يومئذ عشرون ومائة صف وان أمتى من ذلك ثمانون صفا (قلت) وقد قدمنا هذا المعنى وبالله التوفيق قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين قال ابن عطية ذكر الله سبحانه فى هذه الآية حال الازواج الثلاثة المذكورين فى أول السورة وحال كل امرئ منهم فأما المرء من السابقين المقربين فيلقى عند موته روحا وريحانا والروح الرحمة والسعة والفرح ومنه

روح الله والريحان الطيب وهو دليل النعيم وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الريحان الاستراحة قال ابن عطية الريحان ماتنبسط اليه النفوس ونقل الثعلبي عن أبي العالية قال لايفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمها ثم يقبض روحه فيها ونحوه عن الحسن قال الثعلبي قوله تعالى فأما ان كان من المقربين الآية ذكر الله تعالى في هذه الآيات طبقات الخلق عند الموت وفي البعث وبين درجاتهم فقال فأما ان كان هذا المتوفى من المقربين وهم السابقون فروح وريحان قال الترمذي الروح الراحة في القبر والريحان دخول الجنة وقال مجاهد فراحة وريحان وقيل الريحان الرزق وقال آخرون الريحان هو الريحان المعروف الذي يشم قاله الحسن وقتادة قال أبو العالية لايفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمها ثم يقبض روحه فيها وقد تقدم الآن (قلت) وقد دلت الآية الكريمة ان من كان من المقربين يلقى ثلاث كرامات الروح والريحان وجنة نعيم والخير كله برمته قد أحتوت عليه هذه الكرامات الثلاث وقد أكثر الثعلبي هنا من كلام أرباب الاشارات كقولهم الروح السلامة والريحان الكرامة والروح معاينة الابكار والريحان موافقة الابرار وقال الخراز الروح كشف الغطاء والريحان الرؤية واللقاء وقيل الروح كشف الكروب والريحان غفران الذنوب وقيل الروح الثبات على الايمان والريحان نيل الامن والامان وقيل الروح فضله والريحان وصله وقيل الروح تخفيف الحساب والريحان تضعيف الثواب وقيل الروح عفو بلاعتاب والريحان رزق بلا حساب وقيل فروح للسابقين وريحان للمقتصدين وجنة للظالمين أي التائبين وقيل الروح لارواحهم والريحان لقلوبهم والجنة لابدانهم والحق لاسرارهم (قلت) وهذه الكلمات صادرة عن أرباب القلوب ومعانيها في المعنى متفقة وليست بخلاف والثعلبي من أهل الذوق فلهذا تجده يميل الى أرباب القلوب أعاد الله علينا من بركاتهم ابن عطية وقوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين عبارة تقتضي جملة مدح وصفة تخلص وحصول عال من المراتب والمعنى ليس في أمرهم الا السلام والنجاة من العذاب وهذا كما تقول في مدح رجل اما فلان فناهيك به فهذا يقتضي جملة غير مفصلة من مدحه وقد اضطربت عبارات المتأولين في قوله تعالى فسلام لك فقال قوم المعنى فيقال له سلام لك انك من أصحاب اليمين وقال الطبري فسلام لك أنت من أصحاب اليمين وقيل المعنى فسلام لك يامحمد أي لاترى فيهم الا السلامة من العذاب قال ابن عطية فهذه الكاف في لك اما أن تكون للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الاظهر ثم لكل معتبر فيها من أمته واما ان تكون لمن يخاطب من أصحاب اليمين وغير هذا مما قيل تكلف وعبارة الثعلبي قال قوله تعالى وأما ان كان من أصحاب اليمين أي ان كان المتوفى من أصحاب اليمين فسلام لك أي فسلامة لك يامحمد فلاتهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله تعالى وقيل فسلام لك أيها الانسان الذي من أصحاب اليمين من عذاب الله وقيل فسلام لك أيها الانسان انك من أصحاب اليمين وقال الزجاج فسلام لك أي انك ترى فيهم ماتحب من السلامة وقد علمت ماأعد الله لهم من الجزاء بقوله في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب الآيات ثم ذكر سبحانه ماأعد للظالمين المكذبين من نزل من حميم وتصلية جحيم نجانا الله سبحانه من الجحيم وعذابه الاليم قال ابن عطية ولما كمل تقسيم أحوالهم يعني أحوال الازواج الثلاثة وانقضى الخبر بذلك أكد تلك الاخبار بان قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مخاطبة تدخل معه امته فيها ان هذا الذي أخبرنا به لهو حق اليقين أي هو نفس اليقين وحقيقته قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم أى سارعوا بالاعمال الصالحات الى مغفرة الآية ابن عطية ندب الله سبحانه فى هذه الآية الى المسارعة والمسابقة وذكر سبحانه العرض من الجنة اذ المعهود أنه أقل من الطول وقد ورد فى الحديث ان سقف الجنة العرش وورد فى الحديث ان السموات السبع فى الكرسى كالدرهم فى الفلاة وان الكرسى فى العرش كالدرهم فى الفلاة الثعلبى وجنة عرضها كعرض السماء والارض أى لو وصل بعضها الى بعض قال ابن كيسان عنى به جنة واحدة من الجنان الثعلبى وفى الآية دليل على انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله والله ذو الفضل العظيم

﴿فصل﴾ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ابن عطية قوله تؤمنون معناه الامر ولذلك جاء يغفر مجزوما وفى قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقوله ذلكم اشارة الى الايمان والجهاد ومساكن عطف على جنات وطيب المساكن سعتها وجمالها وقيل طيبها المعرفة بدوام أمرها وقد قدمنا حديث عمران بن حصين وأبى هريرة رضى الله عنهما فى براءة

﴿فصل﴾ قوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية قوله هاؤم اقرؤا كتابيه معناه تعالوا وقوله اقرؤا كتابيه هو استبشار وسرور وقوله انى ظننت أنى ملاق حسابيه عبارة عن ايمانه بالبعث وغيره قال قتادة ظن هذا ظنا يقينا فنفعه وظننت هنا واقعة موقع تيقنت وراضية بمعنى مرضية والقطوف جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف ودنوها هوانها تأتى طوع المتمنى فيأكلها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها وبما أسلفتم معناه من الاعمال الصالحات والايام الخالية أيام الدنيا الثعلبى الخالية أى الماضية قال يعقوب الحنفى بلغنا ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا أولياءى طال ما انتظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية الماضية فى الدنيا

﴿فصل﴾ قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا الابرار جمع بار قال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر قال قتادة نعم قوم يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك قال الفراء يقال ان فى الجنة عينا تسمى كافورا وقوله عينا قيل هو بدل من قوله كافورا وقيل نصب عينا على المدح أو باضماره أعنى وقوله سبحانه يشرب بها بمنزلة يشرب بها فالباء زائدة قال الثعلبى قال الواسطى لما اختلفت أحوالهم فى الدنيا اختلفت أشربتهم فى الآخرة (قلت) وليس هذا خاصا بالاشربة وقوله يفجرونها الثعلبى وابن عطية أى يقودونها حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم كما يفجر أحدكم نهره فى الدنيا هنا وهنا ابن عطية فهى تجرى عند كل أحد منهم ورد بهذا الاثر وقيل عين فى دار النبى صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء والمؤمنين قال ابن عطية وهذا قول حسن ثم وصف حال الابرار فقال يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا أى ممتدا متصلا شائعا وقوله على حبه يحتمل أن يعود الضمير على

الطعام وهو قول ابن عباس ويحتمل أن يعود على الله تعالى قاله أبو سليمان الدارانى وقوله أسيرا قال الحسن ما كان أسراهم الا مشركين لان فى كل ذى كبد رطبة أجرا وكذا قال مالك فى العتبية انهم مشركون قال ابن رشد والاظهر حمل الآية على كل أسير مسلما كان أو كافرا قال القشيرى وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة والقمطرير هو فى معنى العبوس وعبر ابن عباس عن القمطرير بالطويل وعبر عنه غيره بالشديد وذلك كله قريب فى المعنى قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ابن عطية والنضرة جمال البشرة وذلك لا يكون الا مع فرح النفس وقرة العين وقوله بما صبروا عام فى الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد وفى هذا يدخل كل ما خصصه المفسرون من صوم وفقر ونحوه وقوله سبحانه لا يرون فيها شمسا الآية عبارة عن اعتدال هوائها وذهاب ضرى الحر والقر والزمهرير أشد البرد وقوله سبحانه وذللت قطوفها تذليلا ابن عطية التذليل ان تطيب الثمرة فتتدلى وتنعكس نحو الارض والتذليل فى الجنة هو بحسب ارادة ساكنيها قال قتادة ومجاهد وسفيان ان كان الانسان قائما تناول الثمر دون كلفة وان كان قاعدا فكذلك وان كان مضطجعا فكذلك فهذا تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك والقطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ابن عطية قوله قواريرا قواريرا من فضة يقتضى انها من زجاج ومن فضة وذلك ممكن لكونه من زجاج فى شفوفه ومن فضة فى جوهره وكذلك فضة أهل الجنة شفافة قال القرطبى فى تذكرته قوله من فضة أى اجتمع فيها صفاء القوارير فى بياض الفضة وذلك ان لكل قوم من تراب أرضهم قواريرو ان تراب الجنة فضة فهى قوارير من فضة قاله ابن عباس قال ابن عطية وقوله قدروها تقديرا أى على قدر ريهم قاله مجاهد وعلى قدر الاكف قاله الربيع وضمير قدروها يعود اما على الملائكة أو على الطائفين أو على المنعمين قوله ويسقون فيها كاسا أى من كاس كما قال فى الآية الاخرى ان الابرار يشربون من كاس يعنى الخمر كان مزاجها زنجبيلا قال القرطبى كانت العرب تستطيب الزنجبيل وتضرب به المثل وبالخمر ممتزجين لخاطبهم الله سبحانه بما كانوا به عارفين عينا فيها تسمى سلسبيلا السلسبيل اسم للعين والسلسبيل فى اللغة صفة لما كان غاية فى السلاسة قال الثعلبى تقول العرب هذا شراب سلس وسلسبيل وقال أبو العالية ومقاتل لانها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان وشراب أهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك ابن عطية وسلسبيلا قيل هو اسم بمعنى السلس المنقاد الجرية وقال مجاهد حديدة الجرية وقال آخرون سلسبيلا صفة لقوله عينا وتسمى بمعنى توصف وكونه مصروفا مما يؤيد كونه صفة للعين لا اسما قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا الثعلبى أى يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون لا يشيبون اذا رأيتهم حسبتهم فى بياضهم وصفاء ألوانهم لؤلؤا منثورا ابن عطية ولدان مخلدون قال جمهور الناس معناه باقون فى هيئة الولدان فى السن لا يتغيرون عن تلك الحال وقال أبو عبيدة وغيره مخلدون معناه مقرطون بالخلدات وهى حلى يعلق بالاذان ومنه قول الشاعر

ومخلدات باللجين كانما * أعجازهن أفاوز الكثبان

وهذه اللغة شهيرة في حيرحسبتهم لؤلؤا منثورا شبههم باللؤلؤ المنثور في بياضهم وانتشارهم في المساكن يجيئون و يذهبون في أعمالهم في جمالهم قال الامام الفخر وفي كيفية التشبيه وجوه أحدها انهم شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم في أنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ولو كانوا صفا لشبهوا باللؤلؤ المنظوم الاترى انه تعالى قال و يطوف عليهم ولدان فاذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين الثاني أن هذا من التشبيه العجيب لان اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض الثالث انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه أحسن وأجمل وقوله واذا رأيت ثم قال الفراء التقدير واذا رأيت ما ثم رأيت نعيما لحذفت ما وكررت الرؤيا مبالغة وملكا كبيرا هو ان أدناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه رواه الترمذي وفي الترمذي أيضا من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وقال سفيان الملك الكبير هو استئذان الملائكة وتسليمهم عليهم وتعظيمهم لهم قال الثعلبي وقال محمد ابن علي الترمذي يعني ملك التكوين اذا أراد شيأ كان ابن عطية وقال أكثر المفسرين الملك الكبير اتساع مواضعهم فروى عن عبد الله بن عمرو أنه قال مامن أهل الجنة أحد الا يسعى عليه الف غلام كلهم مختلف شغله من شغل أصحابه قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا قرأ نافع وحمزة عاليهم وترأ الباقون عاليهم بالنصب والمعنى فوقهم قال الثعلبي وتفسير ابن عباس قال أما رأيت الرجل عليه ثياب يعلوها أفضل منها وقرأ حمزة والكسائي خضر واستبرق بالخفض فيهما قال القرطبي وخص الاخضر بالذكر لانه الموافق للبصر لان البياض يمدد النظر و يؤلم والسواد يورم والخضرة لون بين السواد والبياض وذلك يجمع الشعاع والله أعلم وقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وفي آية أخرى أساور من ذهب قال الثعلبي قيل تارة يحلون الفضة وتارة يحلون الذهب وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال أبو قلابة وابراهيم يعني لا يصير بولا نجسا بل يرشح مسكا وان الرجل من أهل الجنة ليعطى شهوة مائة رجل في اكله ونهمته فاذا أكل ماشاء سقي شرابا طهورا فيطهر بطنه ويصير ما أكل رشحا من جلده أطيب من ريح المسك و يضمر بطنه وتعود شهوته وقال جعفر يطهرهم سبحانه به عن كل شئ سواه وقال ابو يزيد البسطامي يطهرهم به عن محبة غيره ثم قال تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا (قلت) وهذه الخاتمة هي جنة الجنات جعلنا الله وايا كم ممن شملهم هذا الخطاب الكريم من المولى الرؤف الرحيم قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ابن عطية ذكر تعالى حالة المتقين بعقب ذكر حالة أهل النار ليبين الفرق بين المنزلتين والظلال في الجنة عبارة عن تكاثف الاشجار وجودة المباني والا فلا شمس تؤذي هناك حتى يكون ظل يجير من حرها والعيون الماء النابع وقوله مما يشتهون اعلام بان المأكل والمشرب هنالك انما يكون بحسب شهواتهم (قلت) وقوله سبحانه انا كذلك نجزي المحسنين فيه قوة في الرجاء وبسط الامل في فضله سبحانه أخبر سبحانه ان هذه عادته مع عباده المحسنين أن يثيبهم باحسانهم فسبحانه ما أكثر فضله قوله تعالى ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا

لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا قال ابن عطية لما ذكر تعالى حال أهل النار عقب بذكر حال أهل الجنة ليبين الفرق بينهما والمفاز موضع الفوز لانهم زحزحوا عن النار ومن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والحدائق البساتين التى عليها حلق وجدرات وحظائر وأعناب معناه على سن واحدة والدهاق المترعة الممتلئة قاله الجمهور وقال ابن جبير ومجاهد معناه المتتابعة وقال عكرمة الصافية واللغو سقط الكلام ولا كذابا أى لايكذب بعضهم بعضا قال البخارى وكواعب أى نواهد وقوله حسابا أى كافيا قاله الجمهور من قولهم احسبنى هذا الامر أى كفانى وقرأ ابن عباس عطاء حسنا بالنون من الحسن قوله تعالى والناشطات نشطا قال ابن عطية اختلف فى الناشطات فقال ابن عباس ومجاهد هى الملائكة تنشط النفوس عند الموت أى تحلها كحل العقال وتنشط بأمر الله الى حيث شاء وقال ابن عباس أيضا الناشطات النفوس المؤمنات تنشط عند الموت للخروج (قلت) زاد الثعلبى عنه وذلك انه ليس مؤمن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فيرى فيها أشباها من أهله وأزواجه من الحور العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشيطة ان تخرج فتأتيهم وقيل غير هذا قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة مسفرة أى نيرة باد ضوءها وسرورها الثعلبى وجوه يومئذ مسفرة أى مضيئة مشرقة يقال اسفر الصبح اذا أضاء قال عطاء مسفرة من طول ماغبرت فى سبيل الله قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون الثعلبى قال البراء رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم عليون فى السماء السابعة تحت العرش وعن ابن عباس هو الجنة قال ابن عمر رضى الله عنهما ان أهل عليين لينظرون الى أهل الجنة من كوى فاذا أشرف رجل منهم أشرقت له الجنة وقالوا قداطلع علينا رجل من أهل عليين الابرار أهل الطاعة والصدق وقال ابن عطية اختلف الناس فى الموضع المعروف بعليين ماهو فقال قتادة قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس السماء السابعة تحت العرش وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك هو عند سدرة المنتهى وقال ابن عباس عليون الجنة والمعنى ان كتابهم الذى فيه أعمالهم هنالك تهمما بها وترفيعا لها وما أدراك ماعليون الثعلبى أى ماأعلمك ماعليون كيف هى يشهده المقربون أى يحضره الملائكة لان عليين محل الملائكة فى التفسير تشهد الملائكة عمل الابرار وقوله على الارائك ينظرون الثعلبى الارائك الاسرة فى الحجال ينظرون قيل الى ماأعد الله لهم من الكرامة وقيل الى أهل النار قال مقاتل قال ابن عطية الارائك جمع أريكة وهى السرر فى الحجال وينظرون يعنى الى ماعندهم من النعيم ويحتمل أن يريد ينظر بعضهم الى بعض وقيل عن النبى صلى الله عليه وسلم ينظرون الى أعدائهم فى النار كيف يعذبون وقرأ الجمهور تعرف على مخاطبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والنضرة النعمة والرونق والرحيق الخمر الصافية ومختوم يحتمل أنه يختم على كؤسه التى يشرب بها تهمما وتنظفا والظاهر أنه مختوم شربه بالرائحة المسكية حسبما فسره قوله تعالى ختامه مسك قال ابن عباس وغيره خاتمة شربه مسك ثم حرض سبحانه على الجنة بقوله وفى ذلك فليتنافس المتنافسون قال الثعلبى قال ابو الدرداء رضى الله عنه ختامه مسك قال شراب ابيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها (قلت) رواه ابن المبارك عن أبى الدرداء وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب

بها المقربون قال القرطبي أي ومزاج ذلك الشراب من تسنيم عينا يشرب بها المقربون قال قتادة يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة قال ابن عطية المزاج الخلط قال ابن عباس وغيره تسنيم أشرف شراب في الجنة وهو اسم مذكر لماء عين في الجنة وهي عين يشرب بها المقربون صرفا ويمزج رحيق الابرار بها وهذا المعنى في صحيح البخاري وقال مجاهد ما معناه أن تسنيما مصدر من سنمت اذا علیت ومنه السنام فكانها عين قد علیت على أهل الجنة فهي تنحدر وقاله مقاتل وجمهور المتأولين على أن منزلة الابرار دون منزلة المقربين وان الابرار هم أصحاب اليمين وان المقربين هم السابقون وقوله يشرب بها بمعنى يشرب بها قال الثعلبي وفي التفسير ان التسنيم أشرف شراب أهل الجنة وخلط ذلك الرحيق من هذا التسنيم قال مقاتل سمي تسنيما لانه يتسنم فينصب عليهم انصبابا من فوقهم في غرفهم ومنازلهم تجري من جنة عدن الى أهل الجنة قال ابن عباس وابن مسعود هو للمقربين صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وقيل عين تجري في الهواء فتنصب في أواني أهل الجنة على مقدار ملئها فاذا امتلأت أمسك الماء فلا تقع منه قطرة على الارض قال الغزالي في الاحياء من خلص لله حبه صفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن مزج بحبه حب غيره تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في المقربين ان الابرار لفي نعيم الى قوله ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وانما طاب شراب الابرار بمزجه بالشراب الصرف الذي للمقربين قال الغزالي والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان يعني انه لا يقصر هذا على الشرب خاصة بل يعم جميع النعيم كما أن الكتاب عبارة عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انها ارتفعت الى حيث يشهدها المقربون وكما كان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا أي وافق الجزاء أعمالهم فعومل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا ورجاؤه لنعيم الجنة والحور والقصور ممكن من الجنة يتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخرة لانه انما يعطى كل انسان في الجنة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق أنزل مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البستان ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة مما هم فيه فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللجالسة قوم آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وما أدراك ما عليون قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون ابن عطية معناه الى أعدائهم في النار قال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها وقال غيره بينهم جسم عظيم شفاف يرون معه حالهم قوله تعالى فاما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحساب اليسير أن ينظر العبد في كتابه ويتجاوز الله عنه ابن عطية وقوله تعالى وينقلب الى أهله أي الذين أعدهم الله له في الجنة اما من نساء الدنيا واما من الحور العين واما

من الجميع قوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة أكثر ألفاظ الآية تقدم بيان نظيرها قال ابن عطية وصف الله سبحانه الجنة بالعلو وذلك يصح من جهة المسافة والمكان ومن جهة المكانة والمنزلة أيضا لاتسمع فيها لاغية قيل المعنى كلمة لاغية وقيل جماعة لاغية واللغو سقط القول قال الفخر والثعلبى قوله تعالى فيها سرر مرفوعة أى عالية فى الهواء وذلك لاجل أن يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما أعطاه الله تعالى فى الجنة من النعيم والملك قال خارجة بن مصعب بلغنا انها بعضها فوق بعض فترتفع ماشاء الله فاذا جاء ولى الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت وأكواب موضوعة أى باشربتها معدة والنمرقة الوسادة والزرابى واحدها زربية وهى الطنافس لها خمل قاله الفراء وهى ملونات ومبثوثة معناه كثيرة متفرقة قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قال ابن عطية قال جماعة من الصحابة الكوثر نهر فى الجنة حافتاه قباب من درمجوف وطينه مسك وحصباه ياقوت جعلنا الله من الشاربين منه بلا محنة بفضله وقد تقدم لستيعاب الكلام عليه فى باب ما جاء فى حوض النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى كتاب ذكر الجنة على ما ورد فى الآثار

﴿ باب فى اكرام الله سبحانه لعباده الصالحين وادخالهم الجنة بغير حساب ﴾

ذكر أبو نعيم عن على بن الحسين رضى الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد أيكم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى أين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من أنتم قالوا أهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا يسىء الينا غفرنا قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك فيقولون نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى مناد ليقم جيران الله فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك قالوا وبم جاورتم الله فى داره قالوا كنا نتزاور فى الله ونتجالس فى الله ونتباذل فى الله عز وجل قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين وذكر من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد ينادى مناد من بطنان العرش أين أهل المعرفة بالله أين المحسنون قال فيقوم عنق من الناس حتى يتقفوا بين يدى الله عز وجل فيقول وهو أعلم بذلك من أنتم فيقولون نحن أهل المعرفة الذين عرفتنا اياك وجعلتنا أهلا لذلك فيقول صدقتم ثم يقول ماعليكم من سبيل ادخلوا الجنة برحمتى ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد نجاهم الله من هوال القيامة قال أبو نعيم هذا طريق مرضى لولا بعض من ذكر بكثرة الوهم وذكر أبو نعيم فى الحلية عن أبى سليمان الدارانى أنه قال قرأت فى بعض الكتب يقول الله عز وجل بعينى مايتحمل المتحملون من أجلى وكابد المكابدون فى طلب مرضاتى فكيف بهم وقد صاروا فى جوارى وتبجحوا فى رياض خلدى فهنالك فليبشر المصفون فى أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب أترون أنى أضيع لهم ماعملوا فكيف وأنا أجود على المولين عنى فكيف بالمقبلين على ماغضبت على أحد كغضبى على من أذنب ذنبا فاستعظمه فى جنب عفوى فلو كنت معجلا أحدا أوكانت العجلة من شأنى لعاجلت

القانطين من رحمتي فأنا الديان الذي لاتحل معصيتي ولاأطاع الابفضل رحمتي ولولم أشكر عبادي الا على خوفهم من المقام بين يدي لشكرتهم على ذلك و جعلت ثوابهم الامن بما خافوا فكيف بعبادي لوقد رفعت قصورا تحار لرؤيتها الابصار فيقولون ربنا لمن هذه القصور فأقول لمن أذنب ذنبا ولم يستطعمه في جنب عفوي الاوانى مكاف على المدح فامدحوني و روى ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون و يسرحون الى الجنة ثم ينادي ثانية ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون و يسرحون الى الجنة ثم ينادي ثالثة ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين كانوا لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون و يسرحون الى الجنة و روى انه اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب فيقومون كان وجوههم البدر أوالكوكب الدري ركبانا على نجائب من نور أزمتها من الياقوت تطير بهم على رؤس الخلائق حتى يقومون بين يدي العرش فيقول الله لهم السلام على عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب أنا اصطفيتكم وأنا اجتبيتكم اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فلاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح لهم أبوابها ثم ان الخلائق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض ياقوم أين فلان وفلان وذلك حين يسئل بعضهم بعضا فينادي مناد ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون و روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر و يسمعهم الداعي فينادي مناد سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم يقول أين الذين كانت لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله الى آخر الآية ثم ينادي مناد سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ثم يقول أين الحامدون الذين يحمدون ربهم مختصر وله طرق عن أبي اسحاق وقد تقدم من طريق ابن عباس و روى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينادي مناد يوم القيامة لايقوم أحد الاأحد له عند الله يد فتقول الخلائق سبحانك بل لك اليد فيقول ذلك مرارا فيقول بلى من عفا في الدنيا بعد قدرة و روى الطبراني في كتابه مكارم الاخلاق عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا وقف العباد للحساب ينادي مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ثم ينادي الثانية ليقم من أجره على الله فيقال ومن الذي أجره على الله فيقول العافون عن الناس فقام كذا وكذا فدخلوها بغير حساب

﴿ باب في ذكر أشياء من فعلها أجاره الله من النار ﴾

قال القرطبي روى البيهقي عن ابن جميرة الاكبر عن أبي سعيد الخدري أوعن أبي هريرة رضي الله عنهما ان أحدهما حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الارض فاذا قال العبد لااله الاالله ماأشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر جهنم قال الله عز وجل لجهنم ان عبدا من عبادي استجارني منك وأنا أشهدك اني قد أجرته واذا كان يوم شديد البرد ألقى سمعه و بصره الى أهل السماء وأهل الارض فاذا قال العبد لااله الاالله ماأشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم ان عبدا من عبادي استجارني

من زمهريرك وأنا أشهدك انى قد أجرته قالوا ومازمهريرجهنم قال جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض وروى النسائى والترمذى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار قال القرطبى رحمه الله تعالى قد تقرر من الكتاب والسنة ان الاعمال الصالحة والاخلاص فيها مع الايمان موصلة بفضل الله الى الجنان ومباعدة بفضله من النيران وذلك يكثر ايراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغنى عن ذكر ذلك ويكفيك الآن من ذلك ماثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يصوم يوما فى سبيل الله الاباعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا وخرجه النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفا وخرجه أبو عيسى الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين المشرق والمغرب ويروى كما بين السماء والارض وخرج الطبرانى سليمان بن أحمد حدثنا عمارة بن وثيمة المصرى قال حدثنا أبى وثيمة بن موسى بن الفرات قال حدثنا ادريس بن يحيى الخولانى عن رجاء ابن أبى عطاء عن واهب بن عبد الله المعافرى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق مابين كل خندقين مسيرة مائة عام وفى بعض النسخ خمسمائة عام وذكره ابن دقيق العيد فى الالمام فى احاديث الاحكام وفيه مائة عام وروى ابو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بوعد من جهنم سبعين خريفا (قلت) ياأبا حمزة وما الخريف قال العام وروى ابو نعيم وابن أبى الدنيا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق مابين الخندق والخندق مابين السماء والارض وذكر ابن دقيق العيد فى الالمام فى احاديث الاحكام عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عزوجل من الرحيق المختوم أخرجه أبو داود من حديث أبى خالد هو الدولابى عن نبيح وقد وثق أبو حاتم أبا خالد وسئل أبو زرعة عن نبيح فقال هو كوفى ثقة وروى أبو يعلى الموصلى والبزار عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح له بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وفى رواية عن أنس كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة

﴿فصل﴾ روى الطبرانى وابن حبان وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة وروى احمد بن عدى فى كتابه الكامل عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عزوجل ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى

﴿فصل﴾ اعلم رحمك الله انه يجب على العبد أن يسعى فى خلاص نفسه من هذه الاهوال ويغتنم صالح الاعمال ويصلح الزاد ليوم المعاد ولا يحتقر شيأ من فعل الخيرات ولا يتهاون بشئ من

السيئات قال النووى رحمه الله تعالى ينبغى لمن بلغه شئ من فضائل الاعمال أن يعمل به ولو مرة ليكون من أهله ولاينبغى أن يتركه جملة وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بامر فاتوا منه ماستطعتم اللهم وفقنا لصالح القول والعمل وجنبنا القبائح ومواقع الزلل وفى الصحيحين عن عدى ابن حاتم رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل هذا لفظ مسلم قال القرطبى رحمه الله فمن أطاع الله مولاه وجاهد نفسه وهواه وخالف شيطانه ودنياه كانت الجنة نزله ومأواه ومن تمادى فى غيه وعصيانه وأرخى فى الدنيا زمام طغيانه وانهمك فى متابعة هوى نفسه وشيطانه كانت النار أولى به قال الله سبحانه فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى

﴿باب ما جاء فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار﴾

روى ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما منكم الا من له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون قال القرطبى اسناده صحيح قال وهذا بين فى أن لكل انسان منزلا فى النار ومنزلا فى الجنة وقد قال صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث منكم فخاطب أصحابه الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران

﴿باب ما جاء فى ذبح الموت على الصراط﴾

روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناديا أهل الجنة لاموت و ياأهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء يوم القيامة بالموت كانه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال ياأهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون و ينظرون فيقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح قال ثم يقال ياأهل الجنة خلود بلاموت و ياأهل النار خلود بلاموت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذقضى الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون وأشار بيده الى الدنيا وأخرجه أبو عيسى الترمذى عن أبى سعيد يرفعه وفيه فيذبح وهم ينظرون فلو ان أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو ان أحدا مات حزنا لمات أهل النار قال هذا حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجه فى حديث فيه طول عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال ياأهل الجنة فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ثم يقال ياأهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه فيقال هل تعرفون هذا قالوا نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كليهما خلود فيما تجدون لاموت فيه أبدا وخرجه الترمذى بمعناه عن أبى هريرة وفيه فاذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أوتى بالموت ملببا فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال ياأهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال ياأهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة

فيقال لاهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا فيقولون هؤلاء وهؤلاء عرفناه هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح على السور ثم يقال ياأهل الجنة خلود لاموت ويا أهل النار خلود لا موت قال هذا حديث حسن صحيح قال القرطبى والمعنى ان الله سبحانه يخلق كبشا يسميه الموت ويلقى فى قلوب الفريقين عليا ضروريا ان هذا الموت والله سبحانه أعلم ويكون ذبحه دليلا على الخلود الابدى فى الدارين (قلت) والواجب علينا الايمان بما جاء به الكتاب والسنة ولا سبيل لنا الى الكيف

﴿فصل﴾ وروى أبو بكر البزار عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال يأتى على النار زمان تخفق الرياح بابوابها ليس فيها أحد قال القرطبى وغيره يعنى ليس فيها أحد من الموحدين وليس هذا عاما فى جميع من فى النار كما ذهب اليه بعض من لايعتد بقوله وقد أشبعنا الكلام عليه فى تفسيرنا المسمى بالجواهر الحسان فى سورة الانعام عند قوله سبحانه قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله وفى سورة هود عند قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك الآية

﴿باب ماجاء ان لكل مسلم فداء من النار﴾

روى ابن ماجه عن أبى بردة عن أبيه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لامة محمد صلى الله عليه وسلم فى السجود فسجدوا طويلا ثم يقال ارفعوا رؤسكم فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار وروى ابن ماجه أيضا بسنده عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة أمة مرحومة عذابها بايديها فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار قال القرطبى رحمه الله تعالى هذان الحديثان وان كان اسنادهما ليس بالقوى فان معناهما صحيح بدليل حديث مسلم عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفى رواية أخرى لايموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه من النار يهوديا أو نصرانيا قال فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا اله الاهو ثلاث مرات ان أباه حدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم

﴿فصل﴾ ولما تكلم الغزالى فى الاحياء على النار وما فيها من الاهوال قال واعلم أن الله تعالى خلق النار باهوالها وخلق لها أهلا لايزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه والعجب منك كيف تضحك وتلهو ولست تدرى أن القضاء بما ذا سبق فى حقك (فان قلت) فليت شعرى ما الذى اليه مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فاعلم ان لك علامة تستأنس بها وبصدق رجاؤك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد تيسر لك سبيل الخير فابشر بانك مبعد عن النار وان كنت لاتقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا وتتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك بها فان دلالة هذا الامر على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار وقد قال تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين وقد قدمنا هذا الفصل واعدناه لفائدة تترتب عليه وكذا كل مانعيده فلغرض ما وروى مالك فى الموطأ بسنده عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى

آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى الآية فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال رسول الله ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار قال ابن العربي في أحكام القرآن سأل شابان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أم في شئ مستأنف فقال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذن فقال اعملوا فكل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالآن نجد ونعمل (قلت) فاذا كره الغزالي رحمه الله تعالى هو معنى حديث الموطا وهو معنى حديث البخاري والترمذي وغيرهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس ثم جعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من أحد أوما من نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة والنار الا وقد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير الى أهل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآية الى قوله العسرى وفي الحديث طرق وفي الترمذي فقال القوم يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا قال بل اعملوا فكل ميسر أما من كان من أهل السعادة فانه ييسر لعمل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه ييسر لعمل الشقاء ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح جعلنا الله واياكم ممن ختم له بالسعادة وييسره لعمل السعداء وأنعم عليه بمرافقة الانبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا اللهم انفعني بكتابي هذا وبسائر كتبي وانفع بها من طالعها أوسعى في تحصيلها واجعلها مبلغة جميعنا الى حضيرة قدسك وبلغنا بها جميعا المقعد الصدق مع أوليائك وأشرف اصفيائك آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ كتاب ذكر الجنة على ما ورد في الآثار ﴾

﴿ باب ماجاء في صفة الجنة واصناف نعيمها جعلنا الله واياكم من أهلها بلا محنة بفضله ﴾

قد وصف الله سبحانه الجنان في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وصفا يقوم مقام العيان لمن نور الله قلبه بالايمان وأكثر ذلك في الزخرف والطور والدخان وسورة الواقعة والرحمن وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الانسان وقد أشرقت أنوار الجنة في البقرة وآل عمران وسورة الحج وفاطر والصافات وص فيها ذكر قاصرات الطرف الاتراب الحسان وفي الحجر والكهف ومريم وسورة الفرقان وفي مواضع كثيرة من آي القرآن وقد بين ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم احسن بيان ونحن نذكر ان شاء الله تعالى في ذلك ماتيسر من الاحاديث الصحيحة

والحسان وماجاء فى الاثر مما أورده السلف الصالح أهل العرفان قال المحاسبى رحمه الله تعالى فان كنت ممن عفا عنك مولاك فتوهم نفسك ومرك على الصراط ونورك يسعى بين يديك وكتابك فى يمينك وقد ابيض وجهك وأنت مع زمرة الفائزين وأنت تنادى معهم ربنا أتم لنا نورنا فتوهم مرك عليه على قدر خفة أوزارك حتى اذا جزته وخلفته وراء ظهرك التفت اليه ونظرت وقد اشتد اضطرابه والخلائق من فوقه وجهنم من تحته تثب وتزفر على من زل فيها فطار قلبك فرحا اذ رأيت عظيم ماانجاك الله منه ثم خطرت آمنا الى الجنة وقد ملئت سرورا اذ وافيت الجنة بغبار قبرك فنظرت الى العينين اللتين أعدهما الله لاوليائه فاغتسلت فى احداهما فوجدت له بردا اذهب عنك كرب الحر المقام فتوهم فرحة قلبك لما باشر من برد مائها بدنك وجسمك يزداد نضرة وبهجة ونعيما ثم تخرج منها فى أحسن صورة وأتم نور وأنت موقن بانك انما تنتظر الدخول الى جوار ربك ثم شربت من العين الاخرى فتطهر جوفك من كل غل وحسد فنقى ووجدت طعم شراب لم تذق مثله قط فطار قلبك سرورا وفرحا لما وجدت من لذته ووجدت لذة طهارة قلبك من الغل والهم والحزن ثم أمر مولاك الخزنة أن يفتحوا أبواب الجنان لاوليائه فلما سمعت حس ذلك طار قلبك وعلاك السرور فياعظيم سرورك وسرور قلوب المفتوح لهم أبواب الجنان فلما فتحت أبوابها فاح منها طيب نسيم الجنان من أنواع الزعفران والكافور والمسك والعنبر ونظرت الى حسن قصورها وحسن بنيانها بطرائف الذمرذ والدر والياقوت والزبرجد فتوهم نفسك وأنت فى هذه الحالة وقد سمت عليك الخزنة وهم يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فتوهم نفسك حسن كلامهم وحسن تسليمهم فلما سمعت ذلك كاد قلبك أن يطير فرحا وقد ازدحمت على باب الجنة مسرورا مع مسرورين ومبادرا مع مبادرين بأبدان قد طهرت ووجوه قد اشرقت فبينما أنت تتخطى فى اعراض الجنان ورياض الزعفران وكثبان المسك اذ نودى فى أزواجك وخدمك وولدانك وقهارمتك وغلمانك الا ان فلانا قد أقبل فاجلبوا وتبشبشوا لقدومك وقد استخف أزواجك العجلة فبعثت كل واحدة منهن رسولا لينظر اليك ويسرع الرجعة اليها فلما أخبرها بقدومك قالت لرسولها أنت رأيته لشدة فرحها بك وقد كاد الشوق أن يستخفها فتخرج اليك لولا انهن قصرن فى الخيام كما قال الله تبارك وتعالى حور مقصورات فى الخيام فوضعن أيديهن على عضائد أبوابهن واشرفن برؤسهن مطلعات ينتظرن صفحة وجهك أن يبدو لهن فبينا أنت تمشى فى كثبان المسك ورياض الزعفران وأنت تنظر الى قصورك ومنازلك اذ استقبلك بعض قهارمتك فأعظمت شأنه وظننت أنه من ملائكة ربك فقال لك يا ولى الله أنا قهرمانك ولك مثلى سبعون ألفا ثم أقبلت عليك قهارمتك بالتسليم والتعظيم ثم اتبعتهم الوصفاء والخدم كأنهن اللؤلؤ المكنون فسلموا عليك ثم أقبل بين يديك قهارمتك وخدمك يزفونك الى قصرك وما أعد الله لك فلما دخلت قصرك وثبن أزواجك اليك مستعجلات قد استخفهن الطرب والشوق الى رؤيتك فياحسن تلك الابدان الرخيمة والشكل العجيب والوجوه الناعمة والحلى والحلل فتوهم نفسك بجمالها مسرعة اليك بكمال بدنها نازلة من سريرها الى صحن قبتها قد امتلأت بقدومك فرحا وسرورا وقد حار طرفك وهاج شوقك حين عاينت تلك الوجوه فى كمال تلك الابدان ونعمة تلك الاجسام فبقيت كالمبهوت وقد أقبلن نحوك يزهين فى السندس والحرير شوقا الى لقائك بأبدان قد خلقت من المسك والكافور فلما وضعت يدها مسلمة عليك وجدت لين مجسة كفها فكاد عقلك أن يزول فرحا ثم مضيت اليها وضممتك الى جسمها الرخيم ونحرها الجميل ثم عانقتك فعرفت السرور ثم تتابعن عليك بمثل ذلك واحدة بعد واحدة فتكامل

السرور فى قلبك وعمت لذة الفرح جميع بدنك وذكرت عند ذلك موعد ربك فناديت بالحمد لسيدك
نقلت الحمد لله الذى صدقنا وعده قال الله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون ثم نظرت الى سريرك
وارتفاعه وعليه فرش الحرير وبطائنها من استبرق وقد علاظوا هرها النور المتكفف وحسن الزفرف
ونصول المجالس ونظرت الى حسن الحجلة فوق السرير اذا دنوتما منها تطامنت لكما حتى اذا
استويتما عليها رجعت الى ارتفاعها فياحسن منظرك اليها جالسة معك فى حليها وحللها بضياء
وجهها ونعيم جسمها والاسورة فى معصميها والخواتم فى أصابعها والخلاخل فى ساقيها والوشاح على
نهديها والقلائد فى عنقها والاكليل من أنواع الجوهر على قصتها والتاج من فوق ذلك على رأسها
والذوائب من تحت التاج قد حللن منا كبها وصارت الى أردافها وأنت مقابلها ترى وجهك فى
نحرها وهى تنظر وجهها فى نحرك وقد أحدق الولدان بقبتك وقام الوصفاء بين يديك من كرامتك
وقد تهدلت ثمار الاشجار من جوانب حجلتك واطردت الانهار حول قصرك وجرت الجداول
بالخمر والعسل واللبن والسلسبيل فى خيمتك وقد كمل حسنها مع حسنك والتاج مكلل على جبينك وقد
أشرق قصرك من نور وجهك وأنت تعاين من صفاء قصورك جميع أزواجك وخدمك وكل آنية
وطرفة فى مقاصيرك ودورك وأنت جالس مع زوجتك وقد أرخيت عليك حجال خيمتك وسمعت صوت
ولدانك بالتقديس لربك وقد اطلعوا على ضمير قلبك فسارعوا الى ما حدثتك به نفسك من أنواع
سرورك وكرامتك فأتوك بأمنيتك وقد تعاطيتما الخمر والسلسبيل والتسنيم فى كؤس القوارير قوارير
من فضة قد طافت بك وأنت شاب أمرد قد أكمل خلقك ونور وجهك وأنت أخضر الشباب
أصفر الحلى من ذهب الجنان يشوبه حمرة الياقوت وبياض الدر فأتتك عروسة طفلة فى جمال وجه
وكمال قد تكسر التأنيث وتنظر اليك بغنج الحور وتكلمك بالملاحة وتلاعبك بالدلال بيدها كاس من
در لا ظل له أو ياقوت لا فىء له قد جملته حمرة الشراب وقد اجتمع فى الكاس نور الشراب ونور
وجهها مع نور وجهك فتوهم نفسك الى اجتماع هذه الالوان فى صفاء الكاس قدت اليك به
يدها فياحسن تعاطيكما لكاسات الخمور فى دار الامن والسرور والولدان بين أيديكما يمر عليكما فى ذلك
حقب الدهور وما تشعران اشتغالا من قلوبكما بالنعيم الذى أنتما فيه فبينما أنتما كذلك اذ هجمت
الملائكة عليكما بالتحف من ربك فيستأذنون عليك حجبتك وقهارمتك ثم استأذنوا عليك فدخلوا
عليك وأنت متكئ على أرائك من كل باب سلام عليك ياولى الله ربك يقرئك السلام وقد أرسل اليك
بهذه الهدايا والتحف فتوهم سرور قلبك وقد جاءتك التحف من ربك وأنت فى نعيمك معز وجاءتك
اذ سمعت صوتا بأحسن نغمة وأحلى كلام من بعض أزواجك التى أعدهن الله لك تقول لك ياولى
الله أمالنا فيك من دولة أمالك أن تنظر الينا فتجيبها حين وقع الصوت فى مسامعك بحسن نغمتها من
أنت بارك الله فيك فردت الجواب عليك أنا من اللواتى قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا يعملون فوثبت اليها على سريرك والولدان بين يديك حتى أتيتها فى قبتها وقد
استخفها الشوق اليك حين استقبلتك بالترحيب والتبجيل وصافحتك بالتعنيق والتقبيل فرأيت بين
كفها وتلألؤ النور فى عوارضها ونعيم جسمها وقد عانقتك على فرشها فضت بكما الازمنة لا تملك
ولا تملها فتوهم نفسك وقد وضعت الموائد وأوتيتما بأنواع الطرائف من الثمار ثم أقبلت الولدان
بالكؤس والاكواب فأدرتموها سكبا فبينما أنت كذلك على ذلك الحال اذ نادتك أخرى من قصرها
أياولى الله أمالنا فيك من دولة فتجيبها أنت ومن أنت بارك الله فيك فردت عليك جوابها أنا من
اللواتى قال الله تعالى ولدينا مزيد فترحلت اليها وأنت تنتقل بين أزواجك وفى قصورك وخدمك

وولدانك فى غاية النعيم وقد زالت عنك الهموم فلا تخطر بقلبك وقد أمنت الموت فلا تخافه وأمنت السقم فلا يعترض عليك أبدا واطمأن بك المنزل فلا تشخص عنه أبدا فأعظم بدار الله دارا وبجوار الله جوارا العرش يظلك والملائكة تختلف اليك بالهدايا من عند ربك فى حياة دائمة وسلامة راتبة فتوهم نفسك وأنت جالس فى ظل طوبى تتحدث مع أولياء الله سبحانه اذ نادى مناديا أولياء الرحمن ان الله يأمركم أن تزوروه فزوروه ثم أقبلت الملائكة يقودون نجائب الياقوت مزمومة بسلاسل من ذهب كان وجوهها المصابيح نضارة وحسنا نجبا من غير رياضة ذللا من غير صعوبة فركبوها سارعين الى زيارة سيدهم ومولاهم فتوهم نفسك وأنت راكب تسير فى كثبان المسك ورياض الزعفران صفا واحدا معتدلا موكبا لا عوج فيه فأعظم به من موكب لا يتقدم بعضه بعضا على رؤسهم الاشجار الزاهرة على الوجوه النضرة فلو توهمت ذلك على حقيقته وزهقت نفسك لكنت بذلك حقيقا فتوهم تلك النجائب وهى تثير بأخفافها المسك وتهز بأرجلها رياض الزعفران وقد دنت منهم الاشجار بأثمارها وهى فى أكفهم وهم يسيرون على نجائبهم وتزول الاشجار بأصولها عن طريقهم امثلا يتثلم صفهم وقد تعلقت قلوبهم بسيدهم والملائكة تزفهم زمرا الى ربهم حتى ينتهوا بهم الى خصة العرش وقد وضعت لهم الزرابى والنمارق والمنابر والكراسى فأعظم به من منزل كريم وفضل عظيم من رب رحيم فلما أخذوا مجالسهم وأطمأنوا فى مقعد الصدق الذى وعدهم به فهم فى القرب منه سبحانه على قدر منازلهم عنده فتوهم نفسك بقلب فارغ وعقل جامع لعلك تنال تلك الرحمة وتوهم الزوار وقد وضعت لهم الموائد وقامت الملائكة على رؤسهم فوضعت الصحاف من ذهب فيها ألوان الاطعمة فمدوا أيديهم وأكلوا فرحين مسرورين حتى اذا فرغوا من أكلهم قال الجليل جل جلاله للملائكته اسقوا عبادى وأوليائى فسقوا شرابا من الرحيق شاع نوره فى وجوههم ثم يقول سبحانه اكسوا عبادى واحبائى فتأتيهم الملائكة بأنواع الحلل فيلبسونهم ثم يقول لهم سبحانه طيبوا عبادى واصفيائى فترتفع عليهم سحائب تنثر عليهم المسك فاذا أكلوا وشربوا ولبسوا وطيبوا تعلقت قلوبهم برؤية ربهم سبحانه فيرونه سبحانه عيانا من غير تشبيه ولا تكييف ويكلمهم ويقول لهم السلام عليكم ياعبادى كيف وجدتم وعدى فيردون عليه أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام ثم يقول لهم مرحبا بكم ياعبادى وزوارى وخيرتى من خلقى الذين رعوا عهدى وحفظوا وصيتى وخافونى بالغيب وراقبونى فتمنوا ياعبادى ماشئتم فلو رأيتهم وقد سمعوا كلام ربهم وقد داخل قلوبهم السرور وقد بلغوا غاية الكرامة ومنتهى الرضى والغبطة فما ظنك بنظرهم الى العزيز العظيم الذى لا تقع عليه الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا تحده الفطن ولا تكيفه الفكر الازلى القديم الذى حارت العقول عن ادراكه وكلت الالسن عن صفاته المنفرد بذاته المتعالى بجلاله عن سمات المخلوقين فلما سر أولياء الله برؤيته وأكرمهم بقربه ونعم قلوبهم بمناجاته أذن لهم بالانصراف الى منازلهم وما أعد الله لهم من كرامته والنعيم فى جنته فما ظنك بوجوه نظرت الى الله تعالى وسمعت كلامه كيف أضعف حسنها وزاد فى جمالها ونورها فلما رجعوا الى منازلهم وأزواجهم وقد ازداد بعضهم فى أعين بعض حسنا وجمالا فرجعوا الى نعيمهم ولذاتهم واشتاق بعضهم بعضا فركب بعضهم الى بعض وتزاوروا على النجائب والتقوا على أنهار الجنان وعليها النمارق الحسان والزرابى والارجوان فجلسوا على السرر وقامت الولدان بكؤس الاكواب يغترفون من أنهار الخمر والسلسبيل والتسنيم فأعظم به من مجلس وأكرم بهم من منادمين فى ظل طوبى يأكلون ويشربون ويتنعمون كما قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية فهم فى الجنة

منعمون تلك أجر العاملين وسرور المحزونين وثواب المتقين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم انتهى كلام المحاسبي رحمه الله تعالى وسأذكر ان شاء الله تعالى ما أمكنني ذكره من الآثار الصحيحة والغريبة والحسان وماجاء في ذلك من أنوار السنة والقرآن وماتقله المفسرون والعلماء الراسخون وأولياء الله العارفون وبالله نستعين وعليه نتوكل في كل وقت وحين

﴿ باب صفة الجنة وصفة أهلها وصفة نعيمهم وبيان قوله تعالى ومساكن طيبة وذكر جمل مما أنعم الله به على أوليائه ﴾

قال الغزالي في الاحياء أشعر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستشعر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الايمان وسق نفسك بسوط الخوف وزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في أهل الجنة تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر ومتكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل واللبن محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن أنس قبلهم ولاجان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيتها حل اعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من أطراف الحرير الابيض ماتتحير فيه الابصار مكللة بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبوس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين لم يطمثهن أنس قبلهم ولاجان ويطوف عليهم وعليهن خدم وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في مقعد صدق عند مليك مقتدر وينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم لايرهق وجوههم قتر ولاذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون لهم فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون لايخافون فيها ولايحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أرضها فضة وحصباؤها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمارون من سحائب فيها ماء التسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب وأي أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان أكواب فيها من الرحيق المختوم ممزوج بماء السلسبيل العذب كوب يشرق نورا من ضياء جوهريته بيد والشراب من ورائه لدقته وحرته لم يصغه آدمي فيقصر في تسوية صياغته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهها الشمس في اشراقها ولكن أين الشمس مثل حلاوة صورتها وحسن اصداغها وملاحة احداقها فياعجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لايموت فيها أهلها ولاتحل الفجائع بمن نزل في فنائها فكيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها فوالله لو لم يكن فيها الا السلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن تهجر الدنيا بسببها وأن لايؤثر عليها ماالتصرم والتنغص من ضروراتها فكيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متنعمون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم في فناء العرش يحضرون والى وجه الكريم سبحانه ينظرون وينالون بالنظر اليه من السرور مالا ينظرون معه الى سائر نعم الجنان

ولا يلتفتون وهم على الدوام مابين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوال هذه النعم آمنون قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى منادان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا وذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (قلت) هذا الحديث رواه مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما ثم قال الغزالى رحمه الله تعالى وتامل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجزون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد الآن أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك سبحانه بالمسابقة والمنافسة فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله وفى الآية الاخرى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الآية وقال سبحانه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (قلت) ونقل أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حلقة من أصحابه اذ قال ليطلعن معكم غدا رجل من أهل الجنة قال أبوهريرة فطمعت أن أكون أنا ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم فاقمت فى المسجد حتى انصرف الناس فبقيت أنا وهو فبينا نحن كذلك اذ أقبل رجل اسود مترر بخرقة ومرتد برقعة فجاء حتى وضع يده فى يد النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال يانبى الله ادع الله لى فدعا له صلى الله عليه وسلم بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك فقلت يارسول الله أهو هو قال نعم وان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك أهل الجنة يا أباهريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود من ملوك الجنة وسادتهم ياأبا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الحديث وحدث أبو نعيم عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه فقال النبيون والمرسلون سادة أهل الجنة والشهداء قواد أهل الجنة وحملة القرآن عرفاء أهل الجنة قال الغزالى ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء القرآن بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور فان فيها البيان وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتأمل أولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما ان أبواب النار بحسب أصول المعاصى قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر رضى الله عنه والله ماعلى أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها فقال نعم وأرجو أن تكون منهم (قلت) وذكر الغزالى هذه الاحاديث غير معزوة وأنا أذكرما تيسر من الاحاديث معزوة لناقلها ان شاء الله تعالى

﴿ باب منه وفى ذكر الغرف وصفة بناء الجنة ﴾

روى مسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراؤن الغرفة فى الجنة كما تراؤن الكوكب فى السماء وفى رواية كما تراؤن الكوكب الدرى فى الافق الشرقى أوالغربى وفى رواية لمسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراؤن أهل الغرف من فوقهم كما تتراؤن الكوكب الدرى الغابر من الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لايبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وروى مسلم عن أبى بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا وفى رواية عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن عبدالله بن قيس هو أبوموسى الاشعرى رضى الله عنه وروى الترمذى الحكيم بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وقوله وهم فى الغرفات آمنون قال الغرفة من ياقوتة حراء أو زبرجدة خضراء أودرة بيضاء ليس فيها قصم ولا وصل وان أهل الجنة ليتراؤن الغرفة منها كما تتراؤن الكوكب الشرقى أو الغربى فى أفق السماء وان أبابكر وعمر منهم وأنعما وذكر صاحب روضة الحقائق عن كعب الاحبار أن من قال سبحان الله وبحمده بنى الله له ثلاث مدائن مدينة من ياقوتة حراء ومدينة من لؤلؤة بيضاء ومدينة من زمردة خضراء طول كل مدينة مائة عام (قلت) ولايستغرب هذا ان صح به الحديث ففضل الله عظيم ولم أقف على صحة سند هذا الحديث والله أعلم بصحته وروى أبو نعيم فى حليته بسنده عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن ملاب الا بى ماعن يمينه وشماله من حجر ومدر أو شجر حتى تنقطع الارض من هاهنا ومن هاهنا وان أهل الدرجات العلا ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب فى السماء واسند الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المتحابين فى الله تعالى لهم عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون الف غرفة يضىء حسنهم أهل الجنة كما تضىء الشمس أهل الدنيا يقول أهل الجنة بعضهم لبعض انطلقوا بنا حتى ننظر الى المتحابين فى الله عز وجل فاذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل وخرج الترمذى الحكيم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ و زبرجد و ياقوت كما بين الجابية الى صنعاء زاد الغزالى وان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضىء مابين المشرق والمغرب وخرج الترمذى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها فقام اليه اعرابى فقال لمن هى يارسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام وروى أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن واسع عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ألاأخبركم بغرف الجنة ان فى الجنة غرفا من ألوان الجوهر وعند الغزالى من أصناف الجوهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم والثواب والكرامات مالا عين رأت ولاأذن سمعت وعند الغزالى فيها من النعيم واللذات والسرور نقلنا بأبينا أنت وأمنا يارسول الله لمن تلك الغرف فقال لمن

أفشى السلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام فقلنا بأبينا أنت وأمنا يارسول الله ومن يطيق ذلك فقال أمتى تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقى أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الاخيرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس قال القرطبى اعلم ان هذه الغرف مختلفة فى العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها فى الاعمال وفى صحيح مسلم فى حديث الاسراء من رواية ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك قال ابن الاعرابى الجنابذ قباب اللؤلؤ وهى جمع جنبذة وذكر الغزالى فى الاحياء عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الابصلاة أو قراءة كان حقا على الله تعالى أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غرسا لو أضاف أهل الارض لوسعهم

﴿فصل﴾ روى الترمذى وأبو داود الطيالسى واللفظ للترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله الجنة مابناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم لايبأس ويخلد لايموت لاتبلى ثيابهم ولايفنى شبابهم ولفظ الطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلنا يارسول الله اما اذا كنا عندك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فاذا فارقناك وشممنا النساء والاولاد أعجبتنا الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم كنتم تكونون اذا فارقتمونى كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة بأكفها ولزارتكم فى بيوتكم ولو كنتم لاتذنبون لجاء الله بقوم يذنبون كى يستغفرون فيغفرلهم قلنا يارسول الله أخبرنا عن الجنه مابناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها الدر والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لايبأس ويخلد لايموت ولاتبلى ثيابه ولايفنى شبابه قلت وصدر هذا الحديث قد خرج مسلم معناه عن حنظلة الاسيدى رضى الله عنه قال لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال كيف أنت ياحنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ماتقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار حتى كانا رأى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كانا رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات وفى طريق عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار قال ثم جئت الى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المراة قال فخرجت فلقيت أبا بكر رضى الله عنه فذكرت ذلك له فقال وأنا قد فعلت مثل ما تذكر فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله نافق حنظلة فقال مه فحدثته بالحديث فقال أبو بكر وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال ياحنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرقات (قلت)

هذا حديث عظيم يقف على بحر معانيه أهل السلوك فانهم يجدونه كذلك حقيقة لا مجاز فيه وانظر كتابنا الذى القناه فى الاذكار تقف فيه على السر المكنون والعلم المصون جعلنا الله واياكم ممن نفعه علمه وختم لجميعنا بالسعادة آمين وقوله عافسنا اى عالجنا وقيل معناه لاعبنا

﴿فصل﴾ فى قوله تعالى ومساكن طيبة خرج الآجرى فى كتاب النصيحة والطبرى عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة رضى الله عنهما عن هذه الآية ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين وفى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفى كل بيت سبعون وصيفا و وصيفة ويعطى الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة فى كل غداة مايأتى على ذلك اجمع

﴿باب فى ذكر الغرف فوق الغرف وتفاوت الدرجات﴾

قال الله سبحانه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله لايخلف الله الميعاد قال القرطبى روى زاهر بن طاهر بن محمد بن الشحامى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان فى الجنة لغرفا ليس لها معاليق من فوقها ولا عماد من تحتها قيل يارسول الله وكيف يدخلها أهلها قال يدخلونها اشباه الطير قيل هى يارسول الله لمن قال لاهل الاسقام والاوجاع والبلوى وذكر الثعلبى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أهل عليين لينظرون الى أهل الجنة فاذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة لضياء وجهه فيقولون ماهذا النور فيقال أشرف رجل من أهل عليين الابرار أهل الطاعة والصدق قال الثعلبى وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أهل الغرف ليتراؤن عليين كما تتراؤن الكوكب الدرى فى أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وروى ابن وهب بسنده ان رجلا قال يارسول الله كم الجنة من درجة قال مائة درجة بين كل درجتين مابين السماء والارض أول درجة منها دورها و بيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة والدرجة الثانية دورها و بيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب والدرجة الثالثة دورها و بيوتها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد وسبع وتسعون لايعلم ماهى الا الله سبحانه وروى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة مائة درجة يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ و يصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شئ منه وخرجه أبوداود عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها وذكر أبوحفص عمر بن عبد المجيد الميانشى فى كتاب الاختيار فى الملح من الاخبار والآثار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال درج الجنة على عدد آى القرآن لكل آية درجة فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والارض فينتهى به الى أعلى عليين وقالت عائشة رضى الله عنها ان عدد آى القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل من قراء القرآن ذكره مكى رحمه الله تعالى قال القرطبى رحمه الله تعالى قال العلماء رحمة الله عليهم حملة القرآن

وقراؤه هم العاملون به الواقفون عند حدوده وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كمابين السماء والارض فاذا سألتم الله فأسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال القرطبى فالجهاد يحصل مائة درجة وقراءة القرآن تحصل جميع الدرجات والله المستعان على ذلك وعلى الاخلاص فيه بمنه وكرمه (قلت) وهذا كما قال لان قارئ القرآن العامل به قد جمع خصال الخير وروى أبو الليث السمرقندى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين والذى نفس محمد بيده مامن متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وتشهد له الملائكة هذا معتق من النار قال الشيخ أبو القاسم البرزلى وابن رشيد وعن ابن يسار أنه قال بلغنى أن حملة القرآن عرفاء أهل الجنة ورأيت فى الكتاب الذى يقال انه الزبور قال للآمرين بالمعروف أرأيتم لو أن سلطانا أعطاكم عقد شبر من لؤلؤ رطب لا بالمفرغ ولا بالمخروط ولا بالمعجون ولا بالمعمول ا كنتم تعرفون له قيمة فكيف وأنا أعطيكم بالكلمة بالامر بالمعروف مائة ألف عام مسيرة قصور اللؤلؤ اذا أمرتم بما تعملون فأما ان تنهى عن مراودة النساء وأنت فيها كذلك الاعمى لايكون كحالا للاحداق روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة لوأن العالمين اجتمعوا فى احداهن لوسعتهم قال أبو عيسى هذا حديث غريب وروى ابن ماجه عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه الامشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها هى ورب الكعبة نور تتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة فى مقام أبدى فى حبرة ونضرة فى دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يارسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه (قلت) قال الهروى وفى الحديث ألا هل من مشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها أى لاعوض عنها ولامثل لها وذكر ابن وهب قال أخبرنا ابن زيد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليجاء للرجل بالقصر من لؤلؤة واحدة فى ذلك القصر سبعون غرفة فى كل غرفة سبعون زوجة من الحور العين فى كل غرفة سبعون بابا يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التى تدخل عليه من الباب الآخر وقرأ قول الله عز وجل فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين قلت يريد والله أعلم ان هذا العدد المذكور من الحور انما هو من النوع النفيس المرتفع وكذلك ماجاء من هذا المعنى كما جاء فى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ومافى الجنة أعزب فقوله لكل امرئ منهم زوجتان يعنى والله سبحانه أعلم من المرتفعات فى الحسن والجمال فى أعلى رتبة فى الجمال يكون للرجل الواحد العدد الكثير منهن على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وروى الترمذى عن بريدة بن حصيب رضى الله عنه قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يابلال بم سبقتنى فما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك امامى فأتيت على قصر مشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا لرجل عربى فقلت أنا عربى لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش قلت أنا قريشى لمن هذا القصر قالوا لرجل من أمة محمد قلت أنا محمد لمن هذا

القصر

القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال بلال يارسول الله ماأذنت قط الاصليت ركعتين وما أصابنى حدث الاتوضأت عنده ورأيت ان الله تعالى على ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما دخلت أوكما قال صلى الله عليه وسلم وخرجه الطبرانى مختصرا من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب وروى الدارمى فى مسنده قال حدثنا عبدالله بن يزيد قال حدثنا حياة قال أخبرنى أبوعقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور فى الجنة فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه أذن تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك قال الدارمى أبوعقيل زهرة بن معبد وزعموا أنه كان من الابدال وقد تقدم حديث سمرة فى الرؤيا أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل دار الشهداء ودار عامة المؤمنين وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم اذا قبض الله عز وجل ابن عبده المؤمن قال للملائكته ماذا قال عبدى قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد (قلت) وهذا الخير كله نتيجة تقوى الله والرضى بقضائه سبحانه ومن حلية الانوار للصامغانى رحمه الله تعالى قال قال حميد ابن هلال قال لى الربيع بن خثيم عليك بكثرة الصمت وطول الصلاه والخشوع لله سبحانه فيها والخضوع له واعلم ان فى الجنة دارا مابين بابيها كما بين المشرق والمغرب من لؤلؤة صفراء مجوفة فيها قصور وبيوت من ياقوت أخضر وأحمر وأبيض أعدها الله للمتقين قلت ومن المتقون قال الذين اتقوا سخط ربهم ثم قال لى ياأخابنى عدى عليك بتلاوة القرآن وأكثر الفكرة فيه فان فيه عبرا وامثالا لمن اعتبر واتعظ وخاف وحذر واعلم ان أعلم الخلق بالله أشدهم خوفا منه سبحانه وكان الربيع أخشع الناس وكان لسانه لايفتر عن ذكر الله سبحانه

﴿باب فى ذكر بعض مارآه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء من آيات ربه الكبرى وصفة الجنة﴾

قال ابن القطان ومما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أسرى بى الى السموات رأيت عجائب من عجائب الله تعالى ثم ذكر اختراقه صلى الله عليه وسلم الحجب حجابا بعد حجاب وجبريل عليه السلام معه قال صلى الله عليه وسلم فلم أزل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوز بى سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم وصل بى الى العرش فلما رأيت العرش اتضع لى كل شئ عند العرش ثم ان الله سبحانه بحوله وقوته وتمام نعمته قربنى الى سند العرش فرأيت أمرا عظيما لاتناله الالسن فسألت الله عز وجل أن يمن على بالثبات حتى استتم به نعمته فمن الله على وقوانى لذلك وتدلى لى قطرة من العرش فوقعت على لسانى فاذا ذاقت الذائقون شيأ قط أحلى منها فانبأنى الله بها نبأ الاولين والآخرين ونور قلبى وغشى نور عرشه بصرى ثم قال بعد كلام طويل قال لى يعنى جبريل انطلق ياجبريل الى الجنة حتى أريك مالك فيها وماأعد الله لك فيها فتعرف الى مايكون معادك بعد الموت فتزداد بذلك فى الدنيا زهادة الى زهادتك فيها وتزداد رغبة فى الآخرة الى رغبتك فيها قلت نعم فسرت مع جبريل عليه السلام بحمد ربى يسير بى أسرع من السهم والريح حتى وصلنا باذن الله الى الجنة فلما دخلتها هدأت نفسى وذهب روعى وثاب الى فؤادى وكلمت جبريل

عليه السلام وانشأت أسأله عما رأيت فى عليين ثم طاف بى فى الجنة باذن الله فما ترك منها مكانا الا رأيته وأخبرنى عنه فرأيت القصور من الدر والياقوت والزبرجد والاشجار من الذهب الاحمر وقضبانها من اللؤلؤ وعروقها من الفضة راسخة فى المسك فلا أعرف بكل درجة و بيت وقصر وغرفة وخيمة وثمرة فى الجنة منى بمنى مسجدى هذا ثم انتهيت الى سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها كل ملك مقرب ونبى مرسل فرأيت شجرة فنظرت اليها فاذا ساقها فى كثافة لا يعلمها الا الله سبحانه وان أغصانها لاكثر من تراب الارض وان الورقة الواحدة لتغطى الدنيا كلها وعليها من أصناف ثمار الجنة ضروب شتى وطعوم شتى فقلت ياجبريل ماهذه قال شجرة لك ولازواجك ولاولادك ولكثير من أمتك تحت هذه الشجرة ملك كبير وعيش عظيم فى يوم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ورأيت نهرا يخرج من أصلها ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل على رضراض در وياقوت ومسك أذفر فى بياض الثلج فقال لى جبريل عليه السلام هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل وهو التسنيم يخرج من تحت العرش الى دور أمتك وقصورهم وغرفهم يمزجون به أشربتهم من العسل واللبن وذلك قوله تعالى عينا يشرب بها المقربون ثم انطلق بى يطوف فى الجنة حتى انتهيت الى شجرة من الجنة لم أر فى الجنة مثلها فلما وقفت تحتها رفعت رأسى فاذا أنا لا أرى شيأ من خلق ربى غيرها لعظمها وتفرق أغصانها و وجدت منها ريحا طيبة لم أشم فى الجنة ريحا أطيب منها فقلبت بصرى فيها فاذا أوراقها حلل طرائف من ثياب أهل الجنة من بين أبيض وأحمر وأصفر وأخضر وثمارها مثل القلال العظام من كل ثمرة خلق الله فى السموات والارض فى ألوان شتى وريح شتى فعجبت من تلك الشجرة وما رأيت من حسنها فقلت ياجبريل ماهذه الشجرة فقال هذه التى ذكر الله تعالى فيما أنزل عليك قوله عز وجل طوبى لهم وحسن مآب هذه طوبى لك يارسول الله ولكثير من أمتك وزهطك لك فى ظلها مقيل ونعيم طويل ثم انطلق بى جبريل عليه السلام يطوف بى فى الجنة فاذا قصر فى الجنة من ياقوتة حمراء لا فصم فيها ولا صدع وفى جوفه سبعون ألف قصر فى كل قصر سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب يرى باطن تلك الخيام من ظاهرها وظاهرها من باطنها وفى أجوافه سرر من ذهب لذلك الذهب شعاع كشعاع الشمس تحار الابصار دونها وهى مكللة بالدر والجوهر وعليها فرش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور يتلالأ فوق السرر حلى كثير لا أطيق وصفه لكم وهو فوق وصف الواصفين تقصر عنه الالسن وأمانى القلوب وحلى النساء على حدة وحلى الرجال على حدة قد ضرب عليها الحجاب دون الستور فى كل قصر منها وفى كل دار شجر كبير سوقها الذهب وأغصانها الجوهر وثمرها مثل القلال فى كل خيمة منها الازواج من الحور العين لو دلت أحداهن كفا من السماء لاذهب نورها ضوء الشمس فكيف بوجهها لا يوصف بشئ من الحسن الاوهن فوق ذلك جمالا ولكل واحدة منهن سبعون الف غلام وهم خدمها سوى خدم زوجها والخدم فى النظافة كما وصف الله سبحانه فى كتابه اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وقوله و يطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وفى تلك القصور من النعيم والنضارة والبهجة والسرور والشرف والكرامة مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أصناف الخير والنعم كل ذلك مفروغ معد ينتظر به صاحبه من أولياء الله تعالى فتعاظمنى كثرة ما رأيت فقلت ياجبريل وفى الجنة مثل هذا قال نعم يارسول الله فى كل قصر من الجنة مثل ما رأيت وقصور كثيرة أفضل مما رأيت ظاهرها و باطنها وأكثر حتى قلت لمثل هذا فليعمل العاملون ثم انطلق بى يطوف فى الجنة فما ترك مكانا الا رأيته باذن الله ثم اخرجنى من الجنة

فررت بالسموات فتحدر من سماء الى سماء فرأيت آدم ونوحا وابراهيم وموسى وعيسى فسلمت عليهم كلهم فتلقوني بالتحية والبشر الحديث (قلت) وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان في الجنة مدائن يكون للمؤمن الواحد منها ألف مدينة في كل مدينة ألف قصر في كل قصر ألف دار في كل دار ألف حجرة في كل حجرة ألف بيت في كل بيت الف سرير ومن أعلى السرير الى أرض الجنة مسيرة سبعين عاما على كل سرير زوجة من الحور العين يرى أقصى ملكه كما يرى أدناه وفي تلك القصور من الخير والسرور مالا يعلمه الا الله سبحانه

﴿فصل﴾ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المتحابين في الله تعالى على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود ألف غرفة يتشرفون على أهل الجنة اذا اطلع أحدهم بدا حسنه لاهل الجنة كما تضيء الشمس بيوت أهل الدنيا فيقول أهل الجنة اخرجوا وانظروا الى المتحابين في الله عز وجل فيخرجون وينظرون في وجوههم مكتوب هؤلاء المتحابون في الله عز وجل

﴿باب ماجاء في صفة الجنة وأنهارها وما أعد الله فيها لاوليائه﴾

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قوله بله معناه غير وقيل هو اسم فعل بمعنى دع وروى البخاري عن أنس رضى الله عنه في حديث الاسراء قال ثم مضى صلى الله عليه وسلم في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب صلى الله عليه وسلم بيده فاذا هو مسك أذفر قال ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك (قلت) ورأيت كلاما لبعض العلماء أنه قال ليس في الجنة قصر الا ويشقه أربعون نهرا من الماء واللبن والخمر والعسل والزنجبيل والسلسبيل والرحيق المختوم ويشق بعضها بعضا ويدخل بعضها على بعض لايختلط شئ مع شئ وعن أنس رضى الله عنه انه قال أنهار الجنة تجري في غير اخدود الماء واللبن والخمر والعسل وهو أبيض كله وطينة النهر مسك أذفر (قلت) ورأيت في الكتاب الذي يقال فيه انه الزبور قال بعد ان ذكر وعيد الزناة وآكلي الربا الا من لقيني منهم بتوبة وتطهير فاني أدخله جنة عرضها كعرض السماء والارض أعددتها للمتقين والصديقين ولو لا ان أشغل جوارحكم معشر الانبياء لاشغلتكم في صفة الجنة مثل أعماركم ألف ضعف لاتصفون منها الا كاقتدار رجل يأخذ شعرة فيجعلها في مائتي قامة من الماء فتكون صفتكم كلكم للجنة معشر الانبياء كوزن ماعلق من الماء وروى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يارسول الله أفلا نبشر الناس قال ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة اراه وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقد تقدم بعض هذا الحديث واعدناه مكملا لزيادة فائدة وقد خرج هذا الحديث ابن ماجه وغيره قال أبو حاتم البستي معنى قوله وانه أوسط الجنة يريد ان الفردوس في وسط الجنان يريد في الارتفاع (قلت) قال الجلي الجنة فوق السموات دون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء جعلنا الله من خيار أهلها بلا محنة بفضله وروى الترمذي عن حكيم بن معاوية عن أبيه

رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد ذلك قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (قلت) وحكيم ابن معاوية هو والد بهز بن حكيم وروى العقيلى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أوجبال مسك وروى البزار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وبلاطها المسك وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال الملائكة طوبى لك منزل الملوك وقد خرج البغوى فى المسند المنتخب هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غراسها بيده وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال طوبى لك منزل الملوك وروى مسلم من حديث ابن صياد انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وروى ابن المبارك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة ودرجها اللؤلؤ والياقوت قال وكنا نحدث ان رضراضها اللؤلؤ وترابها الزعفران

﴿ باب فى وصف أهل الجنة وسنهم وشبابهم وفى صفة الحور وما هنالك من الخير والسرور ﴾

روى أبو بكر الشافعى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردا مردا مكحلين ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم وراه الترمذى قال عبد الحق وحديث أبى بكر أكمل وروى الترمذى أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون من ثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار قال عبد الحق كذا قال ثلاثين والاول أحسن اسنادا وعند الغزالى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة جرد مرد بيض مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين سنة على خلق آدم عليه السلام طولهم ستون ذراعا عرض سبعة أذرع وروى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول زمرة يدخلون الجنة وفى رواية من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة وفى رواية ثم هم بعد ذلك منازل لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وفى رواية آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم من الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية وفى رواية يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية قال ويلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس قال أبو على

الالوة

الالوة وهو العود قال القرطبي قوله لكل واحد منهم زوجتان يعني من الآدميات وأما الحورا لعين فكثيرات على ماهو معلوم فى الاحاديث وروى الترمذى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله سبحانه يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء مابين المشرق والمغرب (قلت) ورأيت لبعض العلماء قال كل شئ فى الجنة كثير الا بنات آدم فانه ليس فى الجنة أعلى منهن وليس فى الجنة أعظم لذة من بنات آدم وان نور الآدمية يفتق حجبها وحيطان قصورها وحجرها وينفذ نور حديقتها حتى يذهب فى الجنة مسيرة ألف عام وان بنات آدم بهن يفتخر أهل الجنة قال القرطبي روى مرفوعا ان الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لروحة فى سبيل الله أوغدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم فى الجنة أوموضع قيد سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت الى أهل الارض لاضاءت مابينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وفى رواية أخرى فى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس أحدكم أوموضع قده من الجنة خير من الدنيا ومافيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى أهل الارض لاضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولنصيفها على رأسها يعنى خمارها خير من الدنيا وما فيها ويريد بالقد الشراك قال الترمذى القد سير يقد من جلد (قلت) وقال الهروى فى الحديث موضع قده فى الجنة خير من الدنيا ومافيها يعنى موضع سوطه ويقال للسوط القد فاما القد بفتح القاف فهو جلد السخلة وكلها بالدال المهملة وذكر الميانشى من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة مرد الا موسى عليه السلام فان له لحية الى سرته وروى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن مايقل ظفرا مما فى الجنة بدا لتزخرف له مابين خوافق السموات والارض ولو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدا اساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم وذكر ابن وهب عن محمد بن كعب القرظى أنه قال والله الذى لااله الا هو لو أن امرأة أطلعت سوارها لاطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر فكيف المسورة الحديث

﴿باب ما جاء أن فى الجنة مجتمعا للحور ورفع أصواتهن واستئذان الملائكة بالهدايا﴾

قال القرطبي ذكر أن الآدميات فى الجنة على سن واحد وأما الحور فاصناف مصنفة صغار وكبار وعلى ماشتهت أنفس أهل الجنة وروى الترمذى عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قال يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وفى الباب عن أبى هريرة وأنس وقالت عائشة رضى الله عنها ان الحور اذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة فغلبتهن والله قال الغزالى فى الاحياء قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه مامن عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن ليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه (قلت) وفى الكتاب العزيز ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون قال ابن عطية قال ابن عباس وغيره قوله فى شغل فاكهون الآية هو افتضاض الابكار وقال ابن عباس أيضا هو سماع الاوتار وقال مجاهد معناه نعيم شغلهم قال ابن عطية وهذا هو القول الصحيح وتعيين شئ دون شئ لاقياس له قال شاكر بن مسلم تغنيهم الحور العين باصوات مطربة ونغمات معجبة ويسمعون من تغريد تلك الاطيار وخرير تلك الانهار وصرير ابواب المجالس واصطفاق أغصان الاشجار مالا يشبهه لهو ولامزمار اصوات بنغمات وترنيم وترجيع وترخيم وترصيع كأنها مزامير يسمع منها كل صوت عجيب وكل لهو غريب بتحنين وتطريب تستميل عقول السامعين وتطرب نفوس الناعمين فلاتسئل عن حسن ذلك التقطيع ولذة سماع ذلك الترجيع لوسمعه أهل الدنيا لطاروا من لذة ذلك الطرب ولحار وامن تفاوت لهو ذلك الامر المعجب تقول الحور العين فى ترجيعهن سبحان ذى العزة والملكوت سبحان الحى القديم الذى لم يمت ولا يموت سبحان من خلقنا للبقاء فلا نموت سبحان من جعلنا لذة للاولياء فلا نفنى ولا نفوت سبحان من خلقنا ثوابا للابرار وجعلنا خولا للاخيار الملك لله الواحد القهار نحن الباقيات فلا نفنى ولا نبلى ونحن الدائمات فلا زوال ولا بلى نحن الناعمات فلا نبأس ونحن المرجعات فلا نبخس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن قال شاكر بن مسلم قال محمد بن هلال ذكر لنا ان الرجل اذا دخل الجنة صور بصور أهل الجنة وألبس لباسهم وحلى بحليهم وارى أزواجه وخدمه وملكه فيأخذه من الفرح مالو كان ينبغى أن يموت أحد هنالك لمات من شدة فرحه فيقال له ان فرحك هذا لك قائم ابدا دائم لاينفصل ونحوه فى كتاب ابن المبارك (قلت) ورأيت هذا المعنى حديثا قال شاكر بن مسلم وقد جاء ان أحدهم اذا اشتهى أن يسير من مكان الى مكان سار به كرسيه أو سريره أو طار به فرسه على ماسيأتى قال وللرجل من أهل الجنة كل يوم عند ربه رسالة بالتحية والسلام وهدية من أنواع التحف وأصناف الطرب مالا يتوهم المؤمن أن يكون ذلك فى الجنة ولا يقوم بباله ولا رأى مثله قبله فيأتى الملك رسولا من رب العالمين الى ولى الله فيقف على باب قصره أو بستانه فيستأذن عليه ويقول لقيمه وحاجبه استأذن لى على ولى الله ادخل عليه فانى رسول رب العزة اليه فيأذن له ولى الله بالدخول فيدخل اليه ويقول ياولى الله ان السلام يقرئك السلام ويحييك بالتحية ويقول لك انه عنك راض فكيف رضاك عنه ياولى الله فاذا سمع ذلك ولى الله صغر عنده كل شئ فى الجنة مما أعطيه وحقر عنده كل جليل مما أوتيه فى جنب رضوان الله عز وجل عنه فيقول مرحبا بك يارسول ربى ان الحمد لله غاية الحمد ولله العزة والعظمة والمجد والكبرياء ولقد عظمت نعمه على وجلت فواضله لدى وزادنى الرضا فوق الرضا وأعطانى فوق العطاء أعطانى مالا أقوم بشكره الا برضاه فيخرج اليه الملك حلة تلمع نورا ساطعا وضياء لامعا فيقول ياولى الله ان هذه تحفة من الله اليك حباك بها من الكون فيأخذها المؤمن مسرورا بها مبتهجا بما يراه منها فينشرها فاذا هى حلة لم ير فى الجنة قط مثلها فيقول مرحبا بك يارسول ربى وأهلا وكرامة وسهلا ومرحبا بتحية ربى وبتحفته وهديته ولقد أعطانى ربى قرة عينى وأرضانى فوق الرضا فعلى الحمد

والشكر لربي وان هذه حلة لم أر فيما أعطاني ربي مثلها فيقول له الملك ياولي الله ابشر بالبشرى من الله ان لك في كل يوم من الله مثلها أوخيرا منها ثم ينادي الملك ياأشجار الجنة وثمارها ان الله سبحانه يأمركن أن تجبن ولي الله فيما يريده لاينسئل منكن شيأ مما تشتهيه نفسه ويلتمسه عندكن الاوجده حاضرا كما يريد بقدرة الله سبحانه فلا يقوم ببال المؤمن شئ يريده ويشتهيه الامديده الى شجرة أوثمرة يشير اليها بيده الاأجابته وخضر ماأراد فهذا هو النعيم المقيم والملك الكبير (قلت) قال مولانا سبحانه واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا قال سفيان الملك الكبير هو استئذان الملائكة وتسليمهم على أولياء الله سبحانه في الجنة وتعظيمهم لهم وقال محمد بن علي الترمذي الملك الكبير ملك التكوين اذا أرادوا شيأ كان قال القرطبي قال سفيان بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فاذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية وروى ابن المبارك عن ابن شهاب نحوه

﴿ باب منه في وصف الحور وما في الجنة من السرور ﴾

ذكر القرطبي بأثر كلام نقله عن ابن وهب في وصف الحور قال قال ابوهريرة رضي الله عنه ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى حولها سبعون الف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك وهي تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان في الجنة حوراء يقال لها لعبة لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر كله مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصف حوراء ليلة الاسراء فقال ولقد رأيت جبينها كالهلال في طول البدن منه الف وثلاثون ذراعا في رأسها مائة ضفيرة مابين الضفيرة والضفيرة سبعون الف ذؤابة والذوائب أضوأ من البدر خلخالها مكلل بالدر وصنوف الجواهر على جبينها سطران مكتوبان بالدر والجوهر السطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم وفي السطر الثاني من أراد مثلي فليعمل بطاعة ربي فقال لي جبريل ياأحمد هذه وأمثالها لامتك فابشر ياأحمد وبشر امتك وأمرهم بالاجتهاد وحدث الخلي أبو القاسم بسنده عن عطاء السلمي أنه قال لمالك بن دينار يا أبا يحيى شوقنا قال ياعطاء ان في الجنة حوراء يتباهى بها أهل الجنة من حسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لايموتوا لماتوا عن آخرهم من حسنها قال فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك اربعين يوما وروى ابن المبارك بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب في الزجاجة البيضاء وقد تقدم هذا المعنى واسند أيضا عن حبان ابن أبي جبلة قال ان نساء الدنيا من دخل منهن الجنة يفضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا (قلت) وروى أبو نعيم في حليته أن رجلا قال لسفيان الثوري عجبا منك ليس لك مأوى تأوي اليه فقال سفيان يابن اخي أي الرجل كان المغيرة عندك قال رجل صالح قال فابراهيم النخعي قال بخ بخ قال فعلقمة قال لاتسئل قال فابن مسعود قال الثقة الصدوق قال سفيان حدثني المغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يقتحم على أهل الجنة نور من فنائهم يكاد يخطف نور أبصارهم فنظروا فاذا نور من حوراء ضحكت في وجه وليها ما كنت لادع هذا الخير أبدا قل لربك ثم أنشأ سفيان يقول

ماضر من كانت الفردوس منزله * ماذا تضمن من بوس واقبال

تراه يمشي حزينا خائفا وجلا * الى المساجد في ذل واطمار
يانفس مالك من صبر على النار * قدحان أن تقبلي من بعد ادبار

وروى أبو نعيم أيضا عن سفيان الثوري عن المغيرة عن ابراهيم عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سطع نور في الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها

﴿ باب في الاعمال الصالحة وانها مهور الحور العين ﴾

قال الله سبحانه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار الى قوله وأزواج مطهرة وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن أبي مسعود الغفاري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد يصوم يوما من رمضان الا زوج زوجات من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله حور مقصورات في الخيام على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون أخرى وتعطى سبعين لونا من الطيب ليس منها لون على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوته حمراء موشحة بالدر على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب تجد لا آخر لقمة منها لذة لم تجد لاولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر هذا بكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ماعمل من الحسنات قال القرطبي قال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة ويقال مهور العين كنس المساجد رفعه الثعلبي من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد مهور العين وعن أبي قرصافة أيضا قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهور العين القمامة هي الكناسة والجمع قمام قاله الجوهري وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور العين قبضات التمر وفلق الخبز ذكره الثعلبي أيضا وقال أبو هريرة رضي الله عنه يتزوج أحدكم بفلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسوة وقال محمد بن النعمان المقرى كنت قاعدا عند الجلاء المقرى بمكة في المسجد الحرام اذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه اطمار فقام اليه الجلاء ووقف معه ساعة ثم انصرف الينا فقال أتعرفون من هذا الشيخ فقلنا لا فقال ابتاع من الله تعالى حوراء باربعة آلاف ختمة فلما أكملها رآها في المنام في حليها وحللها فقال لمن أنت فقالت أنا الحوراء التي ابتعتني من الله تعالى باربعة آلاف ختمة هذا الثمن فما نحاتي منك قال ألف ختمة قال الجلاء فهو يعمل فيها بعد وروى عن سحنون أنه قال كان بمصر رجل يقال له سعيد وكان له أم من المتعبدات وكانت اذا قام يصلي بالليل تقوم والدته خلفه فاذا غلبه النوم ونعس تناديه والدته ياسعيد انه لاينام من خاف الوعيد ويخطب الحور العين فيقوم مرعوبا وروى عن ثابت انه قال كان أبي من القوامين لله في سواد الليل قال رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لاتشبه النساء فقلت لها من أنت فقالت حوراء أمة الله فقلت لها زوجيني نفسك فقالت اخطبني من عند ربي وامهرني فقلت وما مهرك فقلت طول التهجد وانشدوا

ياخاطب الحوراء في خدرها * وطالبا ذلك على قدرها
انهض بجد لاتكن وانيا * واجهد النفس على صبرها

وجانب الناس وارفضهم * وطالف الوحدة فى ذكرها
وقم اذا الليل بدا وجهه * وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك اقبالها * وقد بدت رمانتا صدرها
وهى تماشى بين أترابها * وعقدها يشرق فى نحرها
لهان فى نفسك هذا الذى * تراه فى دنياك من زهرها

وقال مطر القارى غلبنى النوم ليلة فنمت عن حزبى فرأيت فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت أتقرأ أيها الشيخ قلت نعم قالت اقرأ هذا الكتاب ففتحته واذا فيه مكتوب فوالله ماذكرته قط الا ذهب عنى النوم

أ ألهتك اللذائذ والامانى * عن الفردوس والظل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش * مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقران

وقال مالك بن دينار كانت لى أجزاء أقرأها كل ليلة فنمت ذات ليلة فاذا أنا فى المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة فقالت لى أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت الى الرقعة فاذا فيها مكتوب هذه الابيات

لهاك النوم عن طلب الامانى * وعن تلك الاوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيها * وتلهو فى الخيام مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقران

وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدى وكان قد بكى شوقا الى الله ستين عاما قال رأيت كأن صفة نهر يجرى بالمسك الاذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب واذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد سبحان المسبح بكل لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم فى كل زمان سبحانه سبحانه قال قلت من أنتن قلن خلق من خلق الله سبحانه قلت ماتصنعن ههنا فقلن

ذرانا اله الناس رب محمد * لقوم على الاقدام بالليل قوم
يناجون رب العالمين الههم * وتسرى هموم القوم والناس نوم

فقلت بخ بخ لهؤلاء من هؤلاء لقد أقر الله أعينهم فقلن أما تعرفهم فقلت لا والله ماأعرفهم قلن هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر ذكر أبو نعيم فى حليته ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله مر برجل فى يده حصاة يلعب بها وهو يقول اللهم زوجنى من الحور العين فقام اليه وقال بئس الخاطب أنت الا ألقيت الحصاة وأخلصت لله الدعاء وقال لاينفع القلب الا ماخرج من القلب

﴿ باب صفة الحور العين ومن أى شئ خلقن ﴾

قال القرطبى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الحور العين من أى شئ خلقن فقال من ثلاثة أشياء أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلاهن من الكافور وحواجبهن سواد خط فى نور وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت جبريل عليه السلام فقلت أخبرنى كيف يخلق الله الحور العين فقال ياأحمد يخلقهن من قضبان العنبر والزعفران مضروبا عليهن الخيام أول مايخلق منهن نهدا من مسك أذفر أبيض عليه يلتئم البدن وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال خلق الله الحور العين من أصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها

من المسك الاذفر ومن ثديها الى عنقها من العنبر الاشهب ومن عنقها الى رأسها من الكافور الابيض عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان اذا أقبلت يتلألأ وجهها نورا ساطعا كما تتلألأ الشمس لاهل الدنيا واذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها فى رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الاذفر لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهى تنادى هذا ثواب الاولياء جزاء بما كانوا يعملون قلت هذه الاحاديث ان صح سندها فليست بمختلفة وانما تدل على انهن أنواع خلقن من أنواع جعلنا الله سبحانه ممن أنعم الله عليه بتلك الخيرات ووفقه فى الدنيا لعمل الصالحات قلت ومن مستحسن ماأنشد فى الحض على الاعمال الصالحات المبلغة الى روضات الجنات هذه الابيات

يامن يبيت على اللذات معتكفا * هل أنت عن طلب اللذات مزدجر
ان الذين أطاعوا الله ربهم * فيما اشتهوه من اللذات قد ظفروا
دار المقامة حلو لا يمسهم * فيها لغوب ولا بؤس ولا غير
من الجحيم نجوا وفى الجنان نووا * مع الحسان لهوا فنعم ماتجروا
طوبى تظلهم والرب فوقهم * والحور حولهم وتحتهم سرر
أسرة نصبت وكل ماطلبت * نفوسهم وجدت فيها بما صبروا
قصورهم ذهب تعلوهم قبب * نالوا الذى طلبوا فى الخلد فافتخروا
فلو رأيت ولى الله متكئا * على الارائك لا بؤس ولا كدر
يلهو بغانجة حسنا وراضية * فى الخلد عالية داريها حور
القد معتدل تمشى وتنتقل * وريقها عسل وثغرها درر
لباسها حلل وشعرها رجل * بالبان منسدل يزهو به الصدر
من حسن صورتها ونور بهجتها * وغنج مشيتها تكاد تنفطر
الحسن دللها والغنج زينها * والله فضلها فالدر ينتثر
منها اذا ضحكت من مسكة خلقت * فى خيمة قصرت بالنور تتزر
لو أنها برزت للشمس ماطلعت * بحليها انكسفت كسفا له عبر
فثغرها درر ووجها قمر * سبحان من سبحته الشمس والقمر

قلت ورأيت فى الكتاب الذى يذكر انه الزبور يقول الله سبحانه لم أدع فى كتبى نهاية وان الحجارة لتبكى مما خاطبتكم به فكما تبكون على رحمتى خافوا سطوتى ويحكم بنى آدم لا تكثروا الالتفات الى ماحرمت عليكم فلو رأيتم تراكب مجارى الدم من الادميات لاستقذرتموهن ولو كنتم الى المسكيات العطرات اللواتى أجسامهن مسك واحداقهن لؤلؤ وعرقهن نور ترفل الجارية منهن فى كل ساعة من نهار الآخرة فى اثنين وسبعين ألف حلة قد عوفين من هيجان الطبائع فهن الراضيات فلا يسخطن وهن الباقيات فلا يمتن قد حجب بينهن وبين مخالفة الازواج كلما افتضها صاحبها رجعت بكرا اذا افتضها لم يبصر ما بين فرشهن وبين سررهن أنهار تتلاطم أمواجهن على جناح قبابهن أكواب مرصعة للخمر تقديس خلاف تقديس العسل وللعسل تقديس سوى تقديس اللبن وللبن تقديس سوى تقديس الماء يختار ولى الله من كان ألذهن تغنجا فى تقديسه هذا الملك الاكبر والنعيم الاطول والحياة الرغدة والسرور الدائم والتنعم بى ألذمن ذلك كله عجبا لمن أحبنى كيف يهدأ قلبه كأنه لا يصدق بما وعدته أو كأنه لا ينظر الى الموت كيف ينقل الآدميين واحدا بعد واحد ستعلمون بنى آدم اذا صرتم الى أنى بكل شئ محيط انتهى من المزمور السابع من مزامير داود عليه السلام وهو موافق لما

جاء عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قلت) ورأيت فى موضع آخر من هذا الكتاب الذى يقال انه الزبور يقول سبحانه ماغفلتكم عن المقصورات فى الخيام اللواتى يرفلن فى الحلل والديباج أنادى رضوانا نادى أهل الجنة فليشرفوا فاذا أشرفوا قلت أين الذين ظهرت لهم المعاصى وهجروها من النساء والرجال فيؤتى بهم فتندفع اعكانهم وفروجهم بزجل الثناء والتسبيح فيخرج منها رائحة مسك لولا انها دار لاموت فيها لماتوا من شدة رائحة الجنة ثم اقول أين البيوت التى شهدت كراهتكم للمعصية ولواقعتها فيؤتى بها فاجعل طولها مائتى الف عام من اعوام الآخرة ثم ينادى المنادى يامعشر أهل الجنة من أحب أن يرتفع عند الله بالزيادة فليهاد الذين هموا بالمعاصى ثم تركوها فيهدى اليهم مثل ملك الدنيا مالا تقوم به الاعين ولاتحذه القلوب ثم يجلس رضوان على كرسى من نور له أربع قوائم كطول السماء الى بطن الحوت الذى يحمل الارضين فيقول أنتم الذين أردعكم عن الفسق خشية الله وذكرتم صولة جهنم فيقولون الله أعطانا ووفقنا فلوجه ربنا الحمد فلو تنظر اليهم ياداوود قد تكفت بهم كراسيهم بريح سخرتها لها حتى قربوا من الحجاب الباطن الذى بينى وبين خلقى فقلت طلبتكم اياى فانا أمتعكم منى ومن النظر الى أشد الامتاع فاتجلى وابرز زوائد واعطى ثم أقول أين القطف التى حبسوها فلم يطلقوها للحرام فتحضر وتجمد فتكون سلك درفى أعناقهم يفتخرون به على أهل الجنة فيقولون هممتم ففعلتم واستغفرتم فغفر لكم ونحن هممنا فلم نفعل ففضلنا عليكم فيقول الله عز وجل اكسوهم جلبابا من جلالى ونورا فتكسى وجوههم حتى انهم ليخلق لهم وصائف ووصفاء من لمع نور يخرج من وجوههم ذلك الجزاء الوافر وهم عندى فى موضع التمكين فى مقعد صدق عند ملى وفى رحيم ثم قال فى مزمور بعده ادعوارب السموات قدسوه وهللوه ومجدوه ولا تفتروا من ذكره فانه العواد بالخيرات القديمة لايخيب من توكل عليه فقد أفلح من مازج الحزن قلبه كانه امرأة أعدمت ولدها بل المرأة تتعزى وساكن النار لاعزاء له ضع خدك فى التراب متضرعا وناجنى خاضعا فلو رأيت المنقطعين الى ودرجاتهم وما أعددت لهم فى الجنة من أكواب تطرب بالتقديس خورهم وتنعطف بحسن النغم طيرهم دار أمنوا فيها ريب الحدثان وصروف الازمان فنعيمها لاينفد وعيشها لايتغير أعددتها لعباد هجروا المضاجع ولذات الحرام من أجلى اذا كظهم البرد كان فى صلاتهم وذكرى دفء أوصالهم أولئك العباد حقا الذين لم تلههم الدنيا ولم يشتغلوا بالتجارات والبيوع عن ذكرى كان ذنوب الناس أجمعين فوق ظهورهم أوكان جهنم أعدت لهم دون الناس فهم راضون عنى وأنا راض عنهم اذا نزلت بهم العلل اتخذوها ألطافا من ربهم لايشكون أمور الله الى خلقه علماء برة اتقياء ترحب بهم السحاب ان مرت بهم ملوك يحف بهم ملك

﴿باب اذا ابتكر الرجل المرأة فى الدنيا كانت له فى الآخرة﴾

روى مالك عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها شكت زوجها الزبير بن العوام رضى الله عنه الى أبيها أبى بكر رضى الله عنه فقال لها أى بنية ان الزبير رجل صالح ولعله أن يكون زوجك فى الآخرة ولقد بلغنى ان الرجل اذا ابتكر بالمرأة تزوجها فى الجنة انتهى مختصرا قال أبو بكر بن العربى فان كانت المرأة ذات ازواج فقيل ان من مات عنها من الازواج آخرا هى له قال حذيفة لامرأته ان سرك أن تكونى زوجتى فى الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تتزوجى من بعدى فان المرأة لآخر أزواجها وقالت ام الدرداء رضى الله عنها سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه

يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المراة لآخر أزواجها فى الآخرة قالت وقال لى ان أردت أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا تتزوجى بعدى وروى أبو بكر النجاد بسنده عن أم حبيبة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله المراة يكون لها الزوجان فى الدنيا ثم يموتان لايهما تكون للاول أو للآخر قال لاحسنهما خلقا كان معها يأم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقيل انها تخير اذا كانت ذات ازواج والله سبحانه أعلم وهذه الاقوال لاتدرك بالعقل ولا تنال بالقياس فلابد أن تكون مسندة الى صاحب الشريعة وقد أسند بعضها والقول بانها تخير يحتمل أن يرجع الى القول بانها تكون لاحسنهم خلقا معها والله سبحانه أعلم

﴿باب ماجاء ان فى الجنة أكلا وشربا وجماعا وانه لاقذر فيها أولا نقص ولا نوم﴾

وقد تقدم حديث مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وروى الترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قالوا يارسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة وفى الباب عن زيد بن أرقم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وروى الدارمى فى مسنده عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع والشهوة فقال رجل من اليهود ان الذى يأكل ويشرب تكون منه الحاجة قال ثم تفيض من جلده عرقا فاذا بطنه قد ضمر وروى النسائى أيضا عن زيد بن أرقم قال جاء رجل من اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ياأبا القاسم أتزعم ان أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال أى والذى نفسى بيده ان الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع والشهوة قال الرجل فان الذى يأكل تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى فقال النبى صلى الله عليه وسلم حاجة أحدهم رشح يفيض من جلده فاذا بطنه قد ضمر وقال هناد بن السرى فى كتابه حاجتهم عرق يسيل من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وروى البزار فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أنفضى الى نسائنا فى الجنة قال أى والذى نفسى بيده ان الرجل ليفضى فى اليوم الواحد الى مائة عذراء ورواه أيضا غير البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قلنا يارسول الله انفضى الى نسائنا فى الجنة كما نفضى اليهن فى الدنيا قال أى والذى نفسى بيده ان الرجل ليفضى فى الغداة الى مائة عذراء وخرج البزار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا وروى ابن المبارك بسنده عن ابى قلابة قال يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان فى آخر ذلك أوتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر لذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم أطيب من ريح المسك ثم قرأ شرابا طهورا وروى أبو محمد الدارمى عن أبى امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يدخل الجنة الا زوجه الله ثنتين وسبعين زوجة ثنتين من الحور العين وسبعين ميراثه من أهل النار ما منهن واحدة الا لها قبل شهى وله ذكر لاينثنى قال هشام بن خالد ميراثه من أهل النار يعنى رجالا دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون وروى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى

صلى الله عليه وسلم هل يمس أهل الجنة أزواجهم فقال نعم بذكر لايمل وفرج لايحفى وشهوة لاتنقطع قال الثعلبي قال مجاهد الحور العين يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن يرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه فى كعب أحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وروى الدارقطنى والبزار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قيل يارسول الله أينام أهل الجنة قال لاالنوم أخو الموت والجنة لاموت فيها

﴿ باب هل يكون فى الجنة توالد أم لا ﴾

روى أبو عيسى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى قال حديث حسن غريب وخرجه ابن ماجه وقال فى ساعة واحدة قال الترمذى وقد اختلف أهل العلم فى هذا فقال بعضهم فى الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا يروى عن طاوس ومجاهد وابراهيم النخعى وقال محمد يعنى البخارى قال اسحاق بن ابراهيم فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم اذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ولكن لايشتهى وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد

﴿ باب ماجاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا فى الدنيا ﴾

وروى ابن وهب عن ابن زيد قال يقال للمرأة من نساء أهل الجنة وهى فى السماء أتحبين أن نريك زوجك من أهل الدنيا فتقول نعم فيكشف لها عن الحجب وتفتح الابواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى تستبطئ قدومه وتشتاق اليه كما تشتاق المرأة الى زوجها الغائب ولعله يكون بينه وبين زوجته فى الدنيا ما يكون بين النساء وازواجهن فتغضبه زوجته فيشق ذلك عليها وتقول ويحك دعيه من شرك انما هو معك ليال قلائل وخرجه الترمذى بمعناه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وخرجه ابن ماجه أيضا

﴿ باب فى ذكر طعام أهل الجنة ﴾

روى مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان رضى الله عنه فى سؤال الحبر وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غداؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت وفى صحيح البخارى من حديث انس رضى الله عنه أن عبد الله بن سلام لما بلغه مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاتاه يسأله عن أشياء فقال انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الا نبى الحديث وفيه ماأول طعام يأكله أهل الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت الحديث وفى العتبية عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال يقال أول ما ينزله أهل

الجنة بلام ونون قال يلبث الثور نافشا فى الجنة يأكل من ثمار الجنة فاذا أضحى ذكاه الحوت فاكلوا منه و يظل الحوت يسبح فى أنهار الجنة يأكل من ثمار الجنة فاذا أمسى نهزه الثور بقرنه فأكلوا من لحمه قال ابن رشد البلام الثور والنون الحوت والمعنى فى هذا الحديث ان صح سنده ان الله سبحانه يعيد الثور بعد ان ذكاه الحوت وأكلوا منه حيا كما كان فينهز الحوت بقرنه فيأكلون منه ويحتمل أن يكون الثور الذى ينهز الحوت غير الذى ذكاه الحوت فأكلوا منه والنفس الرعى بالليل والجنة لاظلام فيها ولا ليل ولا ضحى ولا مساء روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة بيضاء تلألأ وأهلها بيض لا ينام أهلها وليس فيها شمس ولا ليل مظلم ولا حر ولا برد يؤذيهم وروى عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه ان رجلا قال يارسول الله أفى الجنة ليل فقال انه ليس فى الجنة ظلمة ان شجرها نور ونوارها نور وثمرها نور وخزمها نور قال ابن رشد يروى انه يغدى على أدنى أهل الجنة منزلة كل يوم بسبعين ألف صحفة من ذهب فى كل واحدة منها لون ليس فى الاخرى يأكل من آخرها كما يأكل من أولها و يراح عليه بمثلها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قلت) وقد تقدم ما رواه الدارقطنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال قيل يارسول الله أينام أهل الجنة قال لا النوم أخو الموت والجنة لاموت فيها وتقدم أيضا حديث مسلم ان أهل الجنة يأكلون و يشربون ولا يتغوطون

﴿ باب ماجاء فى طير الجنة ﴾

روى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزر قال عمر رضى الله عنه ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها أنعم منها قال أبو عيسى هذا حديث حسن ومن مسند البزار عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيجىء مشويا بين يديك وخرج الثعلبى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يدى ولى الله فيقول أحدها ياولى الله رعيت فى مرج تحت العرش وشربت من عين التسنيم فكل منى فلا يزال يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ماأراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى فى الجنة حيث شاء فقال عمر يانبى الله انها لناعمة قال آكلها أنعم منها

﴿ باب ما جاء فى شجر الجنة وثمارها وثيابها وخيلها ونجبها ﴾

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مافى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب قال هذا حديث حسن وروى ابن المبارك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تفتقى لعبدى عما يشاء فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن النجائب والثياب وروى أبو بكر بن الخطيب البغدادى عن شيخه الحافظ أبى نعيم الاصفهانى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى فقال له

رجل يارسول الله ماطوبى قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وخرج أيضا أبو بكر بن الخطيب بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لاتروث ولاتبول ذوات أجنحة فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين اسفل منهم ياأهل الجنة ناصفونا يارب مابلغ هؤلاء هذه الكرامة فقال الله تعالى انهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا يقومون الليل وأنتم نائمون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون وروى النسائى عن عبدالله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فقال يارسول الله أخبرنى عن ثياب أهل الجنة أخلقا تخلق أونسجا تنسج فضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل يسئل عالما فجلس يسيرا أوقال قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين السائل عن ثياب الجنة قال هاهو ذا يارسول الله قال لابل يتفتق عنها ثمر الجنة قالها ثلاثا ورأيت فى كتاب البدء ليعض من عاصر مقاتل بن سليمان الخراسانى لماوصف الجنة ذكر أن بين قصور الجنة رياضا كثيرة وفيافى وكثبان مسك قال وفى تلك الرياض مرعى خيولهم فى كل روضة منها ألف ألف فرس فى جلد كل فرس منها ألف ألف لون من كل لون خلقه الله تعالى تجر شعورها وشعورها ألوان شتى لايعلمها الاالله سبحانه منها ألوان من نور أبيض وأحمر واخضر وأصفر وغير ذلك ولها سرج من در وياقوت مكللة باصناف الجوهر وفى تلك الرياض ابل لم ير مثلها على ألوان شتى لها رحائل من الذهب مكللة باصناف الدر والياقوت مطلقة فى مراعيها اذا سهلت الخيل باصواتها لو سمعها الخلائق لسلبت عقولهم من حسن اصواتها معدة لارباب فى رياضها وفى تلك الرياض فيافى وصحارى فيها صيدهم من أصناف الوحش فلاشئ من الصيد الا وهو فيها من جميع ماخلق الله من الوحش الا الكلب والقرد والخنزير والقنفذ قال مؤلف هذا الكتاب حكاية عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى الجنة مدائن يكون للمؤمن الف ألف مدينة فى كل مدينة الف ألف قصر فى كل قصر ألف ألف دار فى كل دار ألف ألف حجرة من مسك فى كل حجرة ألف ألف بيت فى كل بيت ألف ألف سرير على كل سرير منها سبعون فراشا من سندس وغلظ كل فراش مسيرة سنة ومن أعلى السرير الى أرض الجنة مسيرة سبعين سنة على كل سرير زوجة من الحور العين وفى بعض تلك المدائن الوحش والغزلان شئ كثير وان الفقير من أهل الجنة ليبلغ ملكه ألف عام فى ألف عام وله فى ملكه مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وان من فى الجنة يعنى من الحور العين والخدم والقهارمة ليعرفونه لمن خلقهم الله عز وجل فاذا كان يوم القيامة استقبل كل مؤمن منهم قهارمته وجواريه وعبيده وكل من فى ملكه كانه كان معهم من يوم خلقه الله تعالى بقدرته وان المؤمن اذا أراد الركوب فى نواحى ملكه ولزيارة اخوانه عرف جميع خيله ذلك من قبل أن يأمر باسراجها فتصهل الخيل باصواتها من كل ناحية فعند ذلك تأتى قهارمته وولدانه وجميع من فى ملكه ويعلم أزواجه فيعلون القصور ينظرن الى ركوبه والى عظيم ملكه جعلنا الله ممن أنعم عليه بهذا النعيم والملك المقيم روى ابن المبارك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرانيفها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم وروى ابن وهب عن ابى زيد قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة من نخل فانى أحب النخل قال أى والذى نفسى

بيده لها جذوع من ذهب وكرانيف من ذهب وسعف كأحسن حلل يراها الرجل من العالمين وعراجين من ذهب وشماريخ من ذهب وأقماع من ذهب وثمار كالقلال اللبن من الزبد واحلى حلاوة من العسل وذكر أبو الفرج الجوزى عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخذ عودا بيده فقال ياجرير لو طلبت فى الجنة مثل هذا لم تجده قال فقلت فاين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر وروى الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها الحديث قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وروى ابن المبارك عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو قال مائة سنة وهى شجرة الخلد وأسند ابن المبارك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذى انزل التوراة على لسان موسى والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم لوأن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار فى أصل تلك الشجرة مابلغها حتى يسقط هرما وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر الا ويخرج من أصل تلك الشجرة الحديث (قلت) وقد خرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة زاد فى رواية لايقطعها وروى مسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها قال أبو حازم فحدثت به النعمان بن أبى عياش الزرقى فقال حدثنى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام مايقطعها وروى الترمذى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول وذكر له سدرة المنتهى قال يسير الراكب فى ظل الغصن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب شك يحيى فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما رفعت لى سدرة المنتهى فى السماء السابعة فاذا نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت ياجبريل ماهذا قال أما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات قال القرطبى هذا كله لفظ مسلم الا قوله نبقها مثل قلال هجر فانه أخرجه الدارقطنى فى سننه قال حدثنا أبو بكر النيسابورى قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره وخرجه البخارى من حديث قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الحديث حديث الاسراء وفيه فرفعت لى سدرة المنتهى فاذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول فى أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان وذكر الحديث (قلت) ولفظ مسلم عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ماغشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من

حسنها فأوحى الى ماأوحى الحديث وفى صحيح مسلم من رواية ابن عباس وأبى حبة الانصارى رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام وفى رواية لمسلم عن أنس قال ثم انطلق بى جبريل حتى نأتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لاأدرى ماهى قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك الحديث وقد تقدم قال عياض فى الاكمال وحديث أنس ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة هو الاصح وقول الاكثر وهو الذى يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى قال كعب هى فى أصل العرش اليها ينتهى علم كل ملك مقرب ونبى مرسل وما خلفها غيب لايعلمه الا الله تعالى وفى صحيح مسلم من رواية ابن مسعود فى سدرة المنتهى قال اليها ينتهى مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال عياض وفى رواية ابن جريج غشيها فراش من ذهب وأرخيت عليها ستور من لؤلؤ وياقوت وزبرجد وروى البزار فى مسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة مستقلة على ساق واحد عرض ساقها ثنتان وسبعون سنة وروى ابن المبارك عن صفوان عن سليم بن عامر قال كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقولون انه لينفعنا الله سبحانه بالاعراب ومسائلهم قال أقبل اعرابى يوما فقال يارسول الله لقد ذكر الله سبحانه فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماهى قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمرا تفتق الثمر منها على اثنين وسبعين لونا من طعام مافيه لون يشبه الآخر ويروى التمر بالتاء باثنين فيها كلها وروى عبد الرزاق بسنده عن عتبة بن عبد الرحمن السلمى قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الجنة وذكر له الحوض فقال فيها فاكهة قال نعم شجرة تدعى طوبى قال يارسول الله أى شجر أرضنا تشبه قال لاتشبه شيأ من شجر أرضك ولكن أتيت الشام قال لايارسول الله قال هناك شجرة تدعى الجوز تنبت على ساق ويفرش اغلاها وفى نسخة وينتشر اعلاها قال يارسول الله فما عظم أصلها قال لوارتحلت جذعة من أبل أهلك ماأحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما قال هل فيها عنب قال نعم قال فما عظم العنقود منها قال مسيرة الغراب شهرا لايقع ولايفتر قال فما عظم الحبة منه قال أما عمد أبوك وأهلك الى جذعة فذبحها وسلخ اهابها فقال افرو الينا منها دلوا فقال يارسول الله ان تلك الحبة لتشبعنى وأهل بيتى قال نعم وعامة عشيرتك ورواه أبو عمر فى التمهيد باسناد صحيح وروى مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى صلاة الكسوف قالوا يارسول الله رأيناك تناولت فى مقامك شيأ ثم رأيناك تكعكعت فقال انى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لاكلتم منه مابقيت الدنيا قوله تكعكعت معناه تأخرت يقال كع يكع أى تأخر وروى ابن المبارك عن المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وان ماءها ليجرى فى غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا الحديث وروى ابن وهب عن شهر بن حوشب عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال طوبى شجرة فى الجنة ليس منها دار الافيها غصن منها ولاطير حسن الاهو فيها ولاثمرة الاهى فيها وذكر الخطيب أبو بكر أحمد عن ابراهيم بن نوح قال سمعت مالك بن أنس رحمه الله تعالى يقول ليس فى الدنيا من ثمارها شئ يشبه ثمار الجنة الا الموز لان الله تعالى يقول أكلها دائم وأنت تجد الموز فى

الصيف والشتاء وروى الثعلبي باسناده من حديث الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال حدثني الثقة عن أبي ذر رضي الله عنه قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من السماء قلت هذه لان فاكهة الجنة بلاعجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وذكره القشيري أبو نصر وهذا أتم (قلت) وأسند القرطبي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ياعلي تفكهوا بالبطيخ وعظموه فان ماءه من الجنة وحلاوته من حلاوة الجنة ومامن عبد اكل منه لقمة الاأدخل الله جوفه سبعين دواء وأخرج سبعين داء وكتب الله له بكل لقمة عشر حسنات ومحى عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال الدباء والبطيخ من الجنة (قلت) ذكر القرطبي هذا الحديث ولم يذكر في سنده مطعنا والله أعلم بصحته وقد ذكر بعض المحدثين ان أكثر أحاديث الخضراوات ضعيفة ولايخفى عليك ان مثل هذا فجزى الله نقاد الائمة عنا خيرا وما أعظم مصيبة من يكذب على الله ورسوله وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من الافتراء على الله أو الافتراء على رسوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ونقل الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مافي الدنيا شجرة حلوة ولامرة الاوهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو

﴿فصل﴾ في لباس أهل الجنة وخيل الجنة ونجبها قد تقدم كثير من هذا المعنى وفي كتاب الله تعالى و يلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق وقال سبحانه ولباسهم فيها حرير وحدث هناد ابن السري بسنده عن البراء بن عازب قال اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرقة من حرير فجعلوا يدا ولونها بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون منها فقالوا نعم يارسول الله قال والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وحدث هناد أيضا بسنده ان عطارد بن حاجب أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا من ديباج كساه اياه كسرى فاجتمع اليه الناس فجعلوا يلمسونه و يعجبون و يقولون يارسول الله أنزل عليك هذا من السماء فقال ماتعجبون فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا ياغلام اذهب بهذا الى أبي جهم و جئنا بأنبجانيته (قلت) و روى ان ولي الله يلبس في الجنة حلة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح يقول الوجه الاعلى للادنى أنا أكرم على ولي الله منك لاني أرى وجهه و يقول الآخر أنا أكرم على ولي الله منك لاني أمس جسمه وأنت لاتمسه و روى الترمذي عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل في الجنة من خيل قال ان الله تبارك وتعالى اذا أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت قال وسأله رجل فقال يارسول الله هل في الجنة من ابل قال فلم يقل له ماقال لصاحبه فقال أن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك وخرج مسلم عن أبي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة وروى ابن وهب عن ابن زيد عن الحسن البصري أنه كان يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب اذا زأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا وذكر ابن المبارك عن شفي بن ماتع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وانهم يؤتون يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لاتروث ولاتبول

فركبوها حتى ينتهوا حيث شاء الله وذكر الحديث وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ذكر مراكبهم ثم تلا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا وحكى ان ابن المبارك رحمه الله تعالى خرج فى غزو فرأى رجلا حزينا قد مات فرسه فبقى محزونا فقال له بعنى اياه بأربعمائة درهم ففعل فرأى فى المنام كان القيامة قد قامت وفرسه فى الجنة وخلفه سبعمائة فرس فأراد أن يأخذه فنودى أن دعه فانه لابن المبارك وكان لك بالامس فلما أصبح جاء الى ابن المبارك وطلب الاقالة فقال له ولم قال فقص عليه القصة فقال له اذهب فما رأيته فى المنام رأيناه فى اليقظة قال القرطبى وهذه الحكاية صحيحة لانها فى معنى ماثبت فى صحيح مسلم عن أبى مسعود كما تقدم وبالله التوفيق

﴿ باب ماجاء فى زرع الجنة وماجاء فى الحناء ﴾

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا من أهل الجنة استأذن ربه سبحانه فى الزرع فقال له أولست فيما شئت قال بلى ولكنى أحب أن أزرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله دونك يا ابن آدم فانه لايشبعك شئ فقال الاعرابى يارسول الله لاتجد هذا الا قرشيا أو أنصاريا فانهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن المبارك بسنده عن عبد الله بن عمر وانه قال الحناء سيد ريحان أهل الجنة وان فيها من عتاق الخيل وكرائم النجائب يركبها أهلها قال القرطبى وقد تقدم عن أبى هريرة موقوفا ان شجرة طوبى تتفتق عن النجائب والثياب ومثل هذا لايقال من جهة الرأى وانما هو توقيف فاعلمه وروى أبو بكر بن الخطيب بسنده عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة حفها بالريحان وحف الريحان بالحناء الحديث وفى سنده مجهولون وروى الترمذى بسنده فى كتاب الشمائل عن أبى عثمان النهدى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فانه خرج من الجنة

﴿ باب ماجاء ان الجنة رضاورياحا وكلاما ﴾

روى النسائى عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت له فى ربض الجنة وببيت فى وسط الجنة وببيت فى أعلى غرف الجنة من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت وقال عمر بن عبد العزيز والزهرى ومجاهد والكلبى مؤمنوا الجن حول الجنة فى ربض وحائب وليسوا فيها وأما ريح الجنة فانه يوجد من مسيرة خمسمائة عام وقع ذلك فى الحديث الصحيح فى الموطا وغيره وتقدم كلام الجنة وخرج البزار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال طوبى لك منزل الملوك وروى البيهقى عن عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون

﴿ باب ماجاء ان فى الجنة قيعانا وان غراسها سبحان الله والحمد لله ﴾

روى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة اسرى بى فقال يا محمد اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة

الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال وفي الباب عن أبي أيوب وهذا حديث حسن غريب وروى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذي تغرس قال غراسا قال أدلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة وروى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب وروى الطبري في كتاب آداب النفوس عن حكيم بن محمد الاحسي قال بلغني ان الجنة تبنى بالذكر فاذا جلسوا عن الذكر كفوا عن البناء فيقال لهم فيقولون حتى تجيئنا نفقة قال القرطبي حقيقة الذكر طاعة الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه دليله ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكر الله وان قل صلاته وصومه وصنيعه للخير وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكره وان كان ساكتا ومن عصى الله فقد نسيه وان كان ذاكرا مسبحا

﴿باب لا يدخل أحد الجنة الا بجواز﴾

خرج أبو بكر بن الخطيب بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل أحد الجنة الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانيه ورواه أحمد ابن حنبل في مسنده قال القرطبي لعل هذا فيمن يدخل الجنة بغير حساب

﴿باب أول الناس يسبق الى الجنة الفقراء﴾

روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا رسول الله بجلساء الله تعالى يوم القيامة قال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا قال يا رسول الله أفهم أول الناس يدخلون الجنة قال لا قال فمن أول الناس يدخل الجنة قال الفقراء يسبقون الناس الى الجنة فيخرج اليهم منها ملائكة فيقولون ارجعوا الى الحساب فيقولون على م نحاسب فوالله ما أفيضت علينا الاموال في الدنيا فنقبض فيها ونبسطها وما كنا امراء فنعدل ونجور ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين وقد تقدم في باب الشفاعة فيما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا أكثر الانبياء تبعا وأنا أول من يقرع باب الجنة الحديث فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أول من يفتح له باب الجنة على ما تقدم وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابن لهيعة بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام بشر النبي صلى الله عليه وسلم بعشر لم يؤتها نبي قبله فعدها الى أن قال في آخر الحديث ويبعثني الله يوم القيامة في أول زمرة فادخل الجنة وسبعين ألفا من أمتي لا يحاسبون ويرفعني يوم القيامة في أقصى غرفة في جنات النعيم ليس فوق الا الملائكة الذين يحملون العرش الحديث وهذا حديث عظيم راويه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم مشهود له بالفضل وقد قال فيه عياض في المدارك قال أبو زرعة الرازي هو رجل صالح من أفضل المسلمين قال عبد الرحمن بن أبي حاتم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم يقال انه من الابدال وهو صدوق نفع الله به وخرج هذا الحديث في كتاب فتح مصر وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم

المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الالعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أناهو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة و روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الله فانه يقول سبحانه أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة من هم بارينا فيقول الفقراء الصابرون الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة قال فيدخلون الجنة يأكلون و يشربون والاغنياء فى الحساب يترددون و روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام نصف يوم قال هذا حديث حسن صحيح وفى طريق أخرى يدخل فقراء المسلمين قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام قال حديث حسن صحيح قال القرطبى وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فضل الفقر على الغنى وقد اختلف الناس فى هذا المعنى يعنى فى الفقير الصابر والغنى الشاكر أيهما أفضل وطال فيه الكلام بينهم حتى صنفوا فيه كتبا قال القرطبى والامر فى هذا قريب ان شاء الله تعالى و بالجملة فالفقير بالحقيقة العبد وان كان له مال وانما يكون غنيا اذا عوّل على مولاه ولم يتعلق بشئ سواه فان تعلق بالله بشئ من الدنيا و رأى نفسه أنه فقير اليه فهو عبده قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار الحديث خرجه البخارى وغيره وانما شرف العبد افتقاره الى مولاه فالغنى المتعلق البال بالمال الحريص عليه هو الفقير حقيقة وعادمه الذى يقول لاأبالى به انما هى ضرورة العيش فاذا وجدتها فغيرها زيادة تشغل عن الارادة فهو الغنى حقيقة قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى كثرة العرض انما الغنى غنى النفس قال القرطبى و بقيت هنا درجة ثالثة رفيعة وهى الكفاف التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية كفافا خرجه مسلم وغيره ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لايسئل الا أفضل الاحوال وأسنى المقامات والاعمال وقد اتفق الجميع على أن ماأحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم (قلت) وهذا كما قال وللغزالى نحو هذا ولفظه فى الاحياء بعد ذكره الكلام قال واقد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الافى موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضى الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له و يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين ونفعهم والثانى الفقر على مقدار الضرورة فان ذلك يكاد يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه قلت فقد أوضح الغزالى هذا الامر غاية الايضاح فتحصل من كلامه وكلام غيره ان محل الخلاف المتقدم انما هو فى مازاد على الكفاف وأما الكفاف فلاملام على صاحبه وان الفقر عن مقدار الضرورة لاخير فيه بوجه وقد خرج مسلم والترمذى ولفظهما سواء عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولاتلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قلت وخرج مسلم والترمذى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقنعه الله قال أبو عيسى هذا حديث صحيح وخرج الترمذى عن أبى امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أغبط أوليائى عندى المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لايشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض يديه فقال عجلت منيته قلت نوادره قل تراثه قال القرطبى وفى سنن ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما من غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه أوتى من الدنيا قوتا قال القرطبي فالكفاف حالة متوسطة بين الغنى والفقر وقد قال صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وهي حالة سليمة من آفات الغنى المطغي وآفات الفقر المدقع اللذين كان يتعوذ منهما النبي صلى الله عليه وسلم فكانت أفضل منهما ثم ان حالة صاحب الكفاف حالة الفقير اذ لا يترفه في طيبات الدنيا ولا في زهرتها وكانت حاله الى الفقر أقرب فقد حصل له ما حصل للفقير من الثواب على الصبر وكفى مرارته وآفاته وعلى هذا فأهل الكفاف هم ان شاء الله صدر كتيبة الفقراء الداخلين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لانهم وسطهم والوسط العدل وليسوا من الاغنياء كما ذكرنا قلت واذا تأملت هذا وجدت حالة الكفاف هي حالة أكثر الناس سيما أهل البادية والله سبحانه أعلم

﴿باب أول طعام أهل الجنة ونزلهم وتحفتهم﴾

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمها الا نبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه قال أخبرني بهن جبريل آنفا قال ابن سلام ذاك عدو اليهود من الملائكة قال أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد قال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة قال فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم الا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال بلى قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظر الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك حتى بدت نواجذه قال ألا أخبرك بادامهم قال بلى قال ادامهم بلام ونون قالوا وما هذا قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا وخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني فقلت الا تقول يا رسول الله فقال اليهودي انما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسمي محمد الذي سماني به أهلي فقال اليهودي جئت أسألك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شيء ان حدثتك قال أسمع باذني فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال سل فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غداؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين تسمى سلسبيلا قال صدقت قال القرطبي هذا الحديث انفرد به مسلم وهو أبين من الحديث الذي قبله لان هذا الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لليهودي والذي قبله من قول اليهودي الا أنه داخل في المسند لاقرار النبي صلى الله عليه وسلم عليه أي لانه صلى الله عليه وسلم لا يقر أحدا على باطل والجبار اسم من أسماء الله سبحانه ويكفأها أي يقلبها من قولك كفأت الاناء اذا كببته قلت وقد تقدم أنها تكون خبزة للمؤمن أي يأكل منها ويدل على أنها

خاصة بالمؤمن قوله نزلا لاهل الجنة فهذا صريح والنزل مايهيأ للنزيل وهو الضيف والتحفة مايتحف به الانسان من الفواكه والطرف محاسنة وملاطفة وزيادة كبد النون قطعة منه كالاصبع والنون هو الحوت ولعله الحوت المستطيل الشبيه بحرف النون وهى لفظة عربية وبلام قد جاء مفسرا فى متن الحديث ولعل اللفظة عبرانية وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيد أدام الدنيا والآخرة اللحم رواه أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد وروى ابن المبارك عن كعب أنه قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة اذا دخلوها ان لكل ضيف جزورا وانى أجزركم اليوم حوتا ونورا فيجزر لاهل الجنة اللهم بجودك لاتحرمنا من خيرك ومن علينا من خزائن فضلك تأمل رحمك الله هذه الرحمة العظيمة لانا قدمنا أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون الحلائق يوم القيامة مائة وعشرين صفا طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة وعرض كل صف عشرون ألف سنة قيل يارسول الله كم المؤمنون قال ثلاثة صفوف فقيل له والمشركون قال مائة وسبعة عشر صفا فتأمل وحمك الله كثرة المؤمنين الداخلين الجنة وهم على مقتضى هذا الحديث ثلاثة صفوف طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة وعرض كل صف عشرون ألف سنة ثم ان طول كل واحد من أهل الجنة ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع ثم انهم كلهم تكفيهم زيادة كبد النون وتشبعهم وقد قدمنا حديث مالك المذكور فى العتبية وأن الحوت يظل يسبح فى أنهار الجنة يا كل من ثمار الجنة فاذا أمسى نهزه الثور بقرنه فاكلوا من لحمه وانظر عظم هذه الانهار التى يسبح فيها هذا الحوت العظيم فسبحان الله القادر على كل شئ ما أعظم عجائب قدرته جعلنا الله ممن انتفع بفكرته فى عجائب ملكوته اللهم بفضلك لاتحرمنا من هذا الخير المتسع قال شاكر بن مسلم أول طعام يا كله أهل الجنة عند دخولهم اياها من زيادة كبد الحوت الذى عليه قرار هذه الارض ومن زيادة كبد الثور حسبما جاء فى الحديث يعنى المتقدم ثم ذكر حديث كعب المتقدم اللهم من علينا بخير الدارين بلا محنة بفضلك كما يليق بفضلك والزيادة من فضلك كما يليق بفضلك فى عافية بلا محنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

﴿ باب مايعطى لادنى أهل الجنة منزلة ولاعلاهم ﴾

قد قدمنا حديث مسلم والترمذى عن المغيرة بن شعبة فى سؤال موسى ربه ماأدنى أهل الجنة منزلة وحديث ابن مسعود وحديث أبى سعيد فى باب ماجاء فى آخر من يخرج من النار وأدنى أهل الجنة منزلة فأغنى عن اعادة ذلك وقدمنا أيضا حديث أبى هريرة فى أول باب ماجاء فى الجواز على الصراط فى الرجل الذى هو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فلينظر هنالك فقد استوعبناه ولنذكر الآن مالم نذكره روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال أبو عيسى وقد روى هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا ورواه ابن المبارك بسنده عن مجاهد قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه ألف سنة ويرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم الذى ينظر الى ربه بالغداة والعشى قلت ولما ذكر أبو عيسى الترمذى أحاديث الرؤية قال وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم روايات كثيرة مثل هذا ماينكر فيه أمر الرؤية وان الناس يرون ربهم سبحانه وذكر القدم وماأشبه هذه الاشياء والمذهب فى هذا عند

أهل العلم من الائمة مثل سفيان الثورى ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم انهم رووا هذه الاشياء ثم قالوا نروى هذه الاحاديث ولا يقال كيف وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن نروى هذه الاشياء كما جاءت ونؤمن بها ولا نفسر ولا نتوهم ولا يقال كيف وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا اليه قلت وهذا طريق الاقدمين الامساك عن التأويل مع اعتقاد التنزيه ومن مراسيل الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه الحديث وقد تقدم وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء قال القرطبى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع قصور قصر من ذهب وقصر من فضة وقصر من درّ وقصر من زمرذ وقصر من ياقوت وقصر لاتدركه الابصار وقصر على لون العرش فى كل قصر من الحلى والحلل والحور العين مالا يعلمه الا الله عز وجل ذكره القتيبى فى عيون الاخبار له

﴿ باب ماجاء فى أبواب الجنة وكم هى ولمن هى ﴾

قال الله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها قال جماعة من العلماء هذه واو الثمانية فللجنة ثمانية أبواب واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لااله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الافتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء خرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجاء تعيين بعض هذه الابواب فى الموطا وصحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين فى سبيل الله نودى من الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ماعلى أحد يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الابواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم قال عياض فهذه أربعة أبواب معينة وزاد غيره بقية الثمانية فذكر منها باب التوبة وباب الكاظمين وباب الراضين والباب الايمن الذى يدخل منه من لاحساب عليه وذكر الترمذى الحكيم من أبواب الجنة باب محمد صلى الله عليه وسلم وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فهو منذ خلقه الله مفتوح لايغلق فاذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح الى يوم القيامة قال وسائر الابواب مقسومة على أعمال البر فباب منها للصلاة وباب للصوم وباب للزكاة والصدقة وباب للحج وباب للجهاد وباب للصلة وباب للعمرة فزاد باب الحج وباب العمرة وباب الصلة فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر بابا وقد روى الآجرى أبو الحسين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن فى الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوا ذكره فى كتاب النصيحة وروى أبو عيسى الترمذى عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وعلى هذا الحديث يكون

ثلاثة عشر بابا قال القرطبي وقوله باب أمتي يدل على أنه لسائر أمته ممن لم يغلب عليه عمل يدعى به ولهذا يدخلون من ثمانية أبواب قلت وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة الطويل المتقدم في باب الشفاعة العامة أنه صلى الله عليه وسلم قال فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه لاحد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يارب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب والذي نفس محمد بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصرى الحديث وخرج مسلم عن خالد بن عمير قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على البصرة فحمد الله وأثنى عليه وذكر الحديث وفيه ولقد ذكرلنا ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام الحديث وقوله من أنفق زوجين في سبيل الله قال الحسن البصري يعني اثنين من كل شئ دينارين درهمين ثوبين خفين قال القرطبي هذا أولى مايفسر به الحديث وقد جاء هذا التفسير مرويا عن النبي صلى الله عليه وسلم أي فلا يعدل عنه فقد روى الآجري عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم بعيرين درهمين ترسين نعلين وأما ماجاء من سعة أبواب الجنة فيحتمل أن يكون بعضها سعته كذا وبعضها سعته كذا كما ورد في الاخبار فلا تعارض والحمد لله (قلت) قال شاكر بن مسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم ان للجنة ثمانية أبواب مابين المصراعين من كل باب منها كمابين السماء والارض وجاء كمابين المشرق والمغرب والحديث في ذلك صحيح انتهى كلام شاكر بن مسلم ولم أذكر الآن ماذكره فالله أعلم بصحة ماذكره وفضل الله عظيم اسأل الله سبحانه أن ينعم علينا وعليكم بالثبات عند الممات ويجعلنا وايا كم ممن أنعم عليه بهذه الخيرات

﴿باب ماينذكر انه مكتوب على باب الجنة﴾

خرج أبو داود عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انطلق برجل الى باب الجنة فرفع رأسه فاذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر أمثالها والقرض الواحد بثمانية عشر لان صاحب القرض لايأتيك الا وهو محتاج والصدقة ربما وضعت في غني ورواه ابن ماجه في سننه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل مابال القرض أفضل من الصدقة قال ان السائل يسئل وعنده والمستقرض لايستقرض الا من حاجة

﴿باب ماجاء ان الخمر شراب أهل الجنة﴾

ومن شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة وفي لباس أهل الجنة وآنيتهم روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة قال القرطبي يعني انه يحرم هذه الاشياء في الآخرة وان دخل الجنة اذا لم يتب منها يبينه حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من

يشرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب حرمها فى الآخرة وقد روى أبو داود الطيالسى فى مسنده قال حدثنا هشام عن قتادة عن داود السراج عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو وهذا نص صريح واسناده صحيح فان كان قوله وان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو من قول النبى صلى الله عليه وسلم فهو الغاية فى البيان وان كان من قول الراوى على ما ذكر انه موقوف فهو أعلم بالمقال واقعد بالحال

﴿ باب جامع لفصول شتى من أنواع نعيم اللؤلؤ والجنة ﴾

قال أبو الليث السمرقندى قال مجاهد أرض الجنة فضة وترابها مسك وأصول شجرها ذهب وفضة وأغصانها لؤلؤ وزبرجد والورق والثمر تحت ذلك فمن أكل قائما لم يؤذه ومن أكل مضطجعا لم يؤذه ثم قرأ وذللت قطوفها تذليلا يعنى قربت ثمارها حتى ينالها القائم والقاعد قال ابو الليث وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال والذى أنزل الكتاب على النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليزدادون حسنا وجمالا كما يزدادون فى الدنيا هرما وضعفا

﴿ فصل ﴾ ومن كتاب روضة الحقائق لابن الخلال قال قال وهب بن منبه لن يبرح المتهجدون من عرصة يوم القيامة حتى يؤتوا بنجائب من لؤلؤ سرجها ولجمها منها وفيها قد نفخ فيها الروح يقال لهم اركبوها وانطلقوا الى منازلكم من الجنة فيركبونها فتطير بهم متعالية حتى تنتهى بهم الى منازلهم من الجنة والناس ينظرون اليهم يقول بعضهم لبعض مابال هؤلاء من الله عليهم من بيننا فيقال لهم هؤلاء المتهجدون فى ظلم الليالى

﴿ فصل ﴾ فى سماع أهل الجنة قد تقدم بعض الكلام فى السماع وتذكر الآن ماتيسر قال صاحب روضة الحقائق روى ان اعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أفى الجنة سماع فسكت النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم أين السائل عن سماع الجنة فقام الاعرابى فقال ها أنا ذا يارسول الله فقال ان فى الجنة لمدينة لها حافتان من لؤلؤة حمراء يسير الراكب فيها سبعين عاما فيها جوار أبكار قد علمن القرآن فاذا أراد أهل الجنة أن يتنزهوا ويتلذذوا ركبوا دوابهم فمنهم الراكب على فرس من ياقوتة حمراء ومنهم الراكب على نجيبة من زمردة خضراء فاذا أتوا المدينة نزلوا عن دوابهم فتوضع لهم منابر من نور ويصف الجوارى بين أيديهم يقرأن القرآن باصوات لم يسمع السامعون أفرح للقلوب ولا أشهى للاسماع من أصواتهن فقال الاعرابى هل أنت مزوجى واحدة منهن يارسول الله ان أنا أطعتك قال على أن أزوجك ثنتين وسبعين زوجة فقال الاعرابى لاطيعنك ولا أعصيك أبدا يامحمد

﴿ فصل ﴾ قال شاكر بن مسلم قال حماد بن سلمة ليس فى الجنة ليل ولا سواد فى شئ من الاشياء الا كحل العيون وسواد شعور الرأس وليس ثم ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ولا حر ولا قر وانما شأنها كلها بياض فى ضياء ونور فى نور يضئ الكل من نور عرش رب العالمين ضياء لا يأخذ بالابصار قال وانهم ليعرفون الزمان والوقت والساعة واليوم والليلة والشهر والعام والجمعة مع انه ليس فيها ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ولكن الله عز وجل قد جعل لهم علامات على ذلك يعرفونها بها قال الله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال فيعرفون الساعة بالذكر لله تعالى والثناء عليه يذكره الملائكة فى السماء عند حلول كل ساعة بنوع من الذكر ولا يكون ذلك منهم الا هنالك

على صوت واحد لهم بذلك زجل وضجيج ودوى وعجيج بالترنيم والترجيع والصوت الحنين الرفيع فيجيبهم عند ذلك جميع ما فى الجنة من الحيوانات والاطيار وتهتز لذلك أغصان الاشجار وتصفق له أبواب القصور كأنها حنين مزمار ويكون البداية من حملة العرش فيتصل الصوت الى من دونهم وكذلك من سماء الى سماء حتى تجيبهم ملائكة الجنان ويعرفون المساء والصباح بريح طيبة لينة يشمون منها أذكى طيب عرفوه وأطيب فوح ألفوه تهب عليهم من تحت العرش ويزداد بذلك نعيمهم ويتلذذون به ويعرفون أوقات الصلوات بالتهليل والتكبير والتحميد ويعرفون يوم الجمعة بالزيارة التى يزورون ربهم فى كل يوم جمعة للنظر اليه سبحانه تجيئهم الملائكة بالرسالة من عند الله بالبشرى فيدعونهم فهم يتحينون ذلك ويعرفونه ويعرفون لذلك سائر الايام فرحا بالجمعة لفرحهم بالزيارة ويعرفون الشهور بالهدايا والتحف تأتيهم الملائكة من الله عز وجل بهدايا وتحف من أنواع لايهدونها الا من شهر الى شهر كرامة من الله يكرمهم بها ويعرفون العام بالطعام يدعوهم الله اليه ويجمعهم عليه من عام الى عام فهو لهم عيد تدعوهم الملائكة فيجمعونهم الى طعام يكرمهم الله به ويزوجون هنالك من الحور العين مالم يكونوا يعرفونه الافى ذلك الموطن وقيل اذا كان مقدار فراغ اليوم واقبال الليل تغلقت عليهم أبواب القصور والبساتين والمساكن والقباب فعلموا ذلك واذا كان فراغ الليل واقبال النهار انفتحت الابواب وأخذت الملائكة فى الذكر والتسبيح وأخذ فى ذلك أهل الجنة ثم يخلون الى لذاتهم قال شاكر بن مسلم فاما السماع بالاصوات المطربة والنغمات الحسان المعجبة فانه فى الدنيا من لذيذ الشهوات وهو كائن فى الآخرة وقد قيل فى قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هو سماع الاوتار وافتضاض الابكار كما تقدم قبل هذا وقال يحيى بن أبى كثير فى قول الله عز وجل أنتم وازواجكم تحبرون قال هو السماع يسمعون نغمات تلك الالحان المطربة والاصوات المعجبة فيطربون طربا ليس بعده طرب وهذا داخل فى عموم قول الله عز وجل ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم وقوله أيضا وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقد قيل ان تغريد الاطيار وصرير الابواب عند انفتاحها وانغلاقها واصطفاق أغصان الاشجار كل ذلك يغنيهم عن كل طبل وبوق ومزمار ويكون لكل ذلك ترنيم وترجيع وتطريب وتسجيع بكل صوت بديع وقد يكون ذلك من أصواتهم وأصوات الولدان والملائكة بالذكر والثناء ونحو ذلك وقيل انهم يقرؤن القرآن بهذه النغمات والترجيع والترنيمات وقيل ان داود عليه السلام يكون قارئ أهل الجنة اذا وفدوا للزيارة يوضع له كرسى من نور عن يمين العرش فيقرأ للناس الزبور بالمزامير المطربة والنغمات المعجبة وقيل يحفظه الله القرآن فيقرؤه فيجتمعون اليه ويستمعون اليه

﴿فصل﴾ ولما تكلم الفقيه شاكر بن مسلم على نعيم أهل الجنة وانهم اذا استقروا فيها وتنعموا بما أنعم الله سبحانه عليهم تذكروا اخوانهم فيتذكر الرجل منهم اخوانه الذين كانوا معه فى الدنيا الذين عرفهم وعرفوه وألفهم والفوه فيحن اليهم ويشتاق الى مجالستهم ومشافهة مالديهم فيتكلم بذلك فى ملكه وسلطانه وخدمه وخوله فيقول لقد كان لى فى الدنيا اخوان وأصحاب وأخلاء فى الله تعالى نتصاحب فى ذاته وطاعته ليت شعرى ماذا صاروا اليه وأى شئ من الامور وردوا عليه وأين منازلهم من الجنة ان كانوا احلوها ومساكنهم منها ان كانوا دخلوها وددت أنى لقيتهم فعرفت مكانهم وبلوت شأنهم انى اليهم متشوق وعليهم مشفق فيقولون له ياولى الله نحن لك بهم وبخبرهم على رسلك حتى نبحث عنهم فان كانوا من أهل الجنة عرفناهم ونسير معك اليهم فيتفرقون فى الجنة يسئلون عنهم ويبحثون

عن نبأهم حتى ياتوا رضوان خازن الجنة فيقولون له أيها الامين دلنا على فلان بن فلان فيعلمهم بمكانه ويعرفهم بشأنه ويأمر من معه من ملائكة الرحمة من يدلهم عليه فيقفون على محله ومسكنه ويرجعون الى ولى الله فيخبرونه فيلبس من حلل الجنة وحليها من أحسن ماعنده ويركب مركبه الرفيع ويسير فى أزقة الجنة وروحابها والولدان بين يديه يهدونه السبيل قد حفوا به من حواليه يقصدون به على دليل رافعى أصواتهم بالذكر والثناء والتهليل فما ينفصل ولى الله من حد ملكه وسلطانه ولا يخرج من حدائقه وجنانه الا ويلقى صاحبه فى الله ومحبه فى طاعته اذ قد أصابه من الشوق اليه مثل ما أصابه ونابه من التمنى به ماناب وارتاد بالبحث والسؤال عن مكانه حتى دل عليه وخرج يريد الوصول اليه قد ركب فى خدمه وخوله وقدم فى زينته حريصا عليه فيلتقيان ويتصافحان ويتعانقان ويتذاكران من أمرهما وما صارا اليه من ملكهما ومكانهما ماشاء الله أن يتذاكراه ويسير كل واحد منهما بصاحبه ويفرح به فرح المحب بحبيبه بالتبجيل والتفضيل ويقول أحدهما لصاحبه أتذكر صاحبنا فى الدنيا فلانا يالبتنا عرفناله مكانا ليت شعرى ماذا صار اليه فيقول له صاحبه نعم والله انى لمن أجلكما ركبت وما أرى الا أنه فى مثل حالنا لانه كان فى الدنيا على نحو ماكنا عليه فسر بنا اليه فان من معنا من الولدان وملائكة الجنان يهدوننا اليه ويدلوننا عليه فيسيران غير بعيد فاذا هما بصاحبهما قد تذكر من شأنهما مثل ماتذاكرا من شأنه واستدل على مكانهما كما استدلا على مكانه فيلتقون جميعا على مثل ما التقى عليه الرجلان ويتذاكرون من شأنهم وحالهم وشأن اخوانهم ماشاء الله عز وجل فلا يزالون كذلك حتى يجتمع منهم العدد الكثير ثم يشتاق كل واحد منهم الى رؤية ما أعطى أخوه فى الله فيعزم كل واحد منهم على صاحبه فى المسير معه والنزول عنده فلا يزالون يطوفون على قصورهم وملكهم من رجل الى رجل يتجالسون فى نعيم ويتحدثون فى محل كريم ويقيمون كذلك ماشاء الله ثم يتفرقون عن فرح وسرور ويرجع كل منهم الى ملكه وسلطانه مع من معه من خدمه وولدانه ويتزاورون بعد ذلك ويتجالسون ويتذاكرون فذلك قوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا الآية وقوله تعالى ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين الآية ونظائرها وروى أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن سماع النميرى قال بينما عيسى ابن مريم عليه السلام يسيح فى الارض فى بعض بلاد الشام اذ اشتد به المطر والرعد والبرق فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فى الكهف أسد فوضع يده عليه ثم قال الهى جعلت لكل شئ مأوى ولم تجعل لى مأوى فأجابه الجليل تعالى مأواك عندى فى مستقر رحمتى لازوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتهن بيدى ولاطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولاسقين منادیا ينادى أين الزاهدون فى دار الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم

﴿فصل﴾ ومن روضة الحقائق قال جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة بنى له قصر فى الجنة من ياقوتة حراء وياقوتة بيضاء وزبرجدة خضراء فيه سبعون ألف بيت وسبعون ألف غرفة فى كل بيت منها وفى كل غرفة من النعيم مالا تبلغه صفة الواصفين ويكتب له بكل حرف عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيآت ويرفع له بها عشر درجات ولا يكون لها منتهى دون العرش تصطك حوله تذكر بقارئها الى يوم القيامة ومن قرأها عشر مرات دبر كل صلاة لم يصل الشيطان اليه ذلك اليوم ولو جهد فى ذلك وقد تقدم حديث الدارمى عن

النبى

النبي صلى الله عليه وسلم أن من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور في الجنة فقال له عمر رضي الله عنه يارسول الله اذا تكثر قصورنا في الجنة فقال له الله أوسع من ذلك أي فضل الله أوسع من ذلك

﴿فصل﴾ ذكر الجوزي في الصفوة وابن آجروم في شرحه لحرز الاماني عن سليمان بن عيسى أو قال عن أبي سليم بن عيسى قال دخلت على حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة قال فوجدته يمرغ خديه في الارض و يبكي فقلت له أعيذك بالله فقال لي لم استعذت (قلت) فماذا قال رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قدقامت وقد دعي بقراء القرآن فكنت فيمن حضر فسمعت قائلا يقول بكلام عذب لايدخل عليّ الا من عمل بالقرآن فرجعت القهقرى فهتف باسمي أين حمزة بن حبيب الزيات فقلت لبيك داعي الله لبيك فبادرني ملك فقال قل لبيك اللهم لبيك فقلت كما قال قال فأدخلني دارا سمعت فيها ضجيج القرآن فوقفت أرعد فسمعت قائلا يقول لابأس عليك اقرأ وارق فادرت وجهي فاذا أنا بمنبر من در أبيض دفتاه من ياقوت أصفر مراقيه من زبرجد أخضر فقال لي ارق واقرأ فقرأت فقال لي اقرأ سورة الانعام فقرأت وأنا لاأدري على من اقرأ حتى بلغت ستين آيه فلما بلغت وهو القاهر فوق عباده قال لي ياحمزة ألست القاهر فوق عبادي فقلت بلى قال صدقت اقرأ فقرأت حتى أتممتها ثم قال لي اقرأ فقرأت الاعراف حتى بلغت آخرها فاومئت بالسجود فقال لي حسبك ماضى لاتسجد ياحمزة من أقرأك هذه القراءة فقلت سليمان قال صدقت فمن اقرأ سليمان (قلت) يحيي قال صدق يحيي على من قرأ يحيي (قلت) على أبي عبد الرحمن السلمي قال صدق ابو عبد الرحمن السلمي فمن اقرأ أبا عبد الرحمن (قلت) ابن عم نبيك على قال صدق على فمن أقرأ عليا (قلت) نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال ومن اقرأ نبي قال قلت جبريل قال ومن اقرأ جبريل قال فسكت فقال لي ياحمزة قل أنت قال ماأحسن أن أقول أنت قال لي قل أنت فقلت أنت فقال لي صدقت ياحمزة وحق القرآن لاكرمن أهل القرآن لاسيما ان عملوا بالقرآن ياحمزة القرآن كلامي وما أحببت أحدا كحبي لاهل القرآن ادن ياحمزة فدنوت فضمني بالغالية وقال لست أفعل بك وحدك قد فعلت ذلك بنظرائك من فوقك ومن دونك ومن قرأ القرآن كما قرأته لم يرد به غيري وما خبأت لك ياحمزة أكثر فاعلم أصحابك بمكاني من حبي لاهل القرآن وفعلي بهم فهم المصطفون الاخيار ياحمزة وعزتي وجلالي لاأعذب لسانا تلا القرآن ولا قلبا وعاه ولاأذنا سمعته ولاعينا نظرته أفتلومني ان أبكي وأتمرغ في التراب (قلت) وعند ابن أجروم لاعذبت لسانا تلا القرآن بالنار وقوله ولاعينا نظرته أي نظرت في المصحف كذا وقعت الاشارة اليه في سياق الجوزي زاد في آخره فاذا لقوني يعني يوم القيامة رفعت لهم بكل آية درجة

﴿فصل﴾ حدث مالك في الموطا عن أبي حازم عن أبي ادريس الخولاني انه قال دخلت مسجد دمشق فاذا فتى شاب براق الثنايا واذا الناس معه اذا اختلفوا في شئ اسندوه اليه وصدروا عن قوله فسألت عنه فقيل لي هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي قال فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت له والله اني لاحبك فقال آلله قال فقلت آلله فقال الله فقلت الله قال فاخذ بحبوة ردائي فجذبه اليه وقال ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت

محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وفى جامع العتبية حدث ابن وهب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يزور الاعلون من أهل الجنة الاسفلين ولايزور الاسفلون الاعلين الا من كان يزور فى الله فى الدنيا فذلك يزور فى الجنة حيث شاء

﴿فصل﴾ قال عز الدين بن عبد السلام اعلم أن درجات الجنة مختلفة بحسب اختلاف الاعمال فليس من عبد الله تعالى مقدرا انه يرى الله كمن عبد الله تعالى مقدرا ان الله يراه وليس من عبد الله تعالى على خلاف ذلك كمن عبد الله كان الله يراه وللمؤمنين درجات فى الايمان عاليات ودانيات ومتوسطات وللمجاهدين مائة درجة فى الجنة يترتب أعلاها على أعلى رتب الجنان وأدناها على أدناها وكذلك رتب المصلين والصائمين والولاة المقسطين والشهود الصادقين والصابرين على الطاعات والبليات وعن المعاصى والمخالفات وعلى بر الآباء والامهات والبنين والبنات وعلى هذه الدرجات يترتب سبقهم الى الجنات فاذا تساوى اثنان فى الايمان والعرفان مثلا فان استويا فى مقادير الايمان الحقيقى أو الحكمى فدرجتهما واحدة فيما استويا فيه وان تفاوتا فى الكثرة والقلة كانت درجة ذى الكثرة أعلى من درجة ذى القلة ولو استوى اثنان فى عدد الصلاة فان استويا فى كمالها بسنتها وخضوعها وخشوعها وفهم اذكارها وقراءتها فهما فى درجة واحدة وان تفاوتا فى ذلك كان أكملهما أعلاهما درجة من أنقصهما ومعنى تفاوت الدرجات أن يكون لكل واحد من العاملين فى نصيبه من الجنة درجات عاليات ودانيات ومتوسطات يتردد بينها على ماتشتهيه نفسه وتلذ عينه ولو آمن انسان قبل موته بلحظة لم يكن أجره كأجر من آمن قبل موته بيوم ولا أجر من آمن قبل موته بيوم كأجر من آمن قبل موته بشهر ولا أجر من آمن قبل موته بشهر كأجر من آمن قبل موته بعام فليس من طال عمره فى الطاعات والايمان كمن قصر عمره ولمثل هذا شح الاولياء على الاوقات أن يصرفوها فى غير الطاعات وكذلك يترتب عذاب جهنم على ترتب المفاسد وكثرتها وقلتها فالعذاب على الرياء دون العذاب على القتل والعذاب على أكبر الكبائر دون العذاب على الكفر وليس من كفر قبل موته بلحظة كمن أقام على الكفر يوما أو شهرا أو سنة عام اللهم عافنا من عذابك وموجبات سخطك قوله يكون لكل واحد من العاملين فى نصيبه من الجنة درجات عاليات ودانيات ومتوسطات يتردد بينها كلام حسن يشهد له ما رواه النسائى عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت له فى ربض الجنة وببيت فى وسط الجنة وببيت فى أعلى غرف الجنة من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت قال الغزالى وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة

﴿باب ماجاء ان فى الجنة سوقا وفى تعارف أهل الجنة وحديثهم ورؤيتهم لربهم سبحانه﴾

روى مسلم عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا

وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا وذكر عبد العظيم المنذري حديثا طويلا عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا كان يوم الجمعة في الحين الذى يخرج أهل الجمعة الى جمعتهم نادى مناديا أهل الجنة اخرجوا الى دار المزيد وفي حديث أنس انه واد أفيح أعده الله لاهل الجنة قال في حديث حذيفة لا يعلم سعته وعرضه وطوله الا الله سبحانه فيخرجون في كثبان من مسك ويخرج غلمان الانبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت قال فاذا أخذوا مجالسهم بعث الله سبحانه ريحا تسمى المثيرة تثير عليهم المسك الابيض وفيه فيكون أول مايسمعون منه سبحانه أن يقول أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى فاسألونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة واحدة رب رضينا عنك فارض عنا فيقول سبحانه ياأهل الجنة لولم أرض عنكم ماأسكنتم جنتى فاسألونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة واحدة رب وجهك أرنا ننظر اليه قال فيكشف الحجب ويتجلى لهم سبحانه فيغشاهم من نوره سبحانه شئ لولا انه قضى عليهم الا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره قال ثم يقال لهم ارجعوا الى منازلكم فيرجعون الى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى قال فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها قال فيقولون ذلك بان الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا اليه قال فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ماكانوا عليه انتهى مختصرا رواه البزار وذكر الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء ان شوق العارفين الى الله سبحانه على نوعين شوق فى الدنيا وشوق فى الآخرة قال فالشوق الاول ينتهى فى الدار الآخرة الى المعنى الذى يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن فى الدنيا نعم هذا الشوق يسكن فى الآخرة وأما الشوق الثانى فسببه ألا يكون له نهاية فى الآخرة اذ نهايته أن ينكشف للعبد فى الآخرة من جلال الله وصفاته وحكمته وأفعاله ماهو معلوم لله وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجلال والجمال مالم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه شوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصل فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون الطاف المكاشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة تتزايد أبد الآباد ويكون لذة ماتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى مالم يحصل (قلت) ومن تأليف محمد بن عبد الله ابن عيشون حدث بسنده عن حماد بن سليمان السدوسى انه قال ان أهل الجنة ليس يشتاقون الى شئ أشد شوقا منهم الى يوم المزيد قال وهو مقدار كل يوم جمعة فى دار الدنيا وذلك لانه اليوم الذى يرون فيه ربهم سبحانه فينظرون اليه سبحانه فينسون كل نعمة كانوا فيها بالنظر اليه سبحانه ثم حدث عن مقاتل عن جرير بن يزيد عن ابيه عن جده جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أهل الجنة ينظرون الى وجه الله تعالى كما ينظر أهل الارض الى الشمس والقمر فى غير سحاب قال ثم ينصرف المؤمنون الى منازلهم ويدخلون على أزواجهم فتقول الحوراء للمؤمن ياولى الله لقد ازددت بعدنا حسنا وجمالا ثم قال ابن عيشون فى اثناء كلامه ان الله تعالى يزيد اهل الجنة فى كل يوم جمالا لم يكن قبل ذلك ويزددن أزواجهم به ولاهل الجنة كل يوم من الله سبحانه فوايد وتحف ولطائف ونقل أبو الليث السمرقندى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال والذى أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليزدادون حسنا وجمالا كما يزدادون فى الدنيا هرما وضعفا وروى ابو هدبة ابراهيم بن هدبة قال

حدثنى انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة أسواقا لاشراء فيها ولا بيع ان أهل الجنة لما أفضوا الى روح الجنة جلسوا متكئين على لؤلؤ رطب وترابها مسك يتعارفون فى تلك الجنان كيف كانت الدنيا وكيف كانت عبادة الرب سبحانه وكيف نحيى الليل ونصوم النهار وكيف كان فقر الدنيا وغناها وكيف كان الموت وكيف صرنا بعد طول البلى من أهل الجنة قال الغزالى فى الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر أهل الجنة فى الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما فى دار الدنيا فيقول ياأخى تذكر يوم كذا فى كذا فدعونا الله تعالى فغفرلنا

﴿فصل﴾ وأسند الامام الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى فى تاريخه الكبير فى أخبار دمشق بسند يرفعه الى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليحتاجون الى العلماء فى الجنة وذلك انهم يزورون الله عز وجل فى كل جمعة فيقول لهم سبحانه تمنوا على ماشئتم فيلتفتون الى العلماء فيقولون ماذا نتمنى فيقولون تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون اليهم فى الجنة كما يحتاجون اليهم فى الدنيا وعن مقاتل بن سليمان أنه قال ان فى الجنة أسواقا فيها مالبس فى مدائنها ولافى قصورها فيها حوانيت من الدر والياقوت الاحمر والياقوت الاصفر والاخضر وحوانيت من الذهب والفضة على كل حانوت منها قهرمان تحت كل قهرمان ألف من الولدان تحت كل خادم من الولدان ألف وصيف من خدم الجنة اذا زاروا ربهم سبحانه ورجعوا من عنده فتنادى القهارمة فى الاسواق والولدان الا ان فى هذه الاسواق لرب العالمين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وهذه الاسواق ليس فيها بيع ولا شراء قال فيقومون على خيولهم وابلهم فينظرون الى مالم يرالرأون مثله ثم يقول المؤمن احملوا هذا فيبادر الولدان اليه فيسوقونه الى دار ملكه ولايزال يتمنى حتى يظن انه لم يبق شيأ فاذا أراد أن ينقلب عن الحوانيت نظر الى مافيها فكأنه لم يمس شيأ ويرى فيها مالم يرقط فيعجب ويسير على فرسه وتسير فرسانه الى مدائنه ويبشرون الازواج بقدومه من عند رب العالمين سبحانه لااله الاهو اللهم اجعلنا ممن أنعمت عليهم بهذا النعيم ياأرحم الراحمين وعن مقاتل بن سليمان أنه قال فى دار السلام شجرة يقال لها الاسفاط من ذهب وفضة ومن أصناف الجوهر فيقول بعضهم لبعض هذه أيضا لم نرمثلها فى الجنة فاذا فتحوا تلك الاسفاط فاذا فيها اسورة من الدر والياقوت سوار منها يضىء مسيرة ألف عام فينظرون فيها مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فلا يبقى لهم مفصل الاوضعت عليه الملائكة سوارا ثم يوحى الله سبحانه الى شجرة تحت العرش ان تلقى عليهم المسك الذى لم يروا فى الجنة مثله فتلقى عليهم الشجرة مسكا يذهب ريحه فى جميع نواحى تلك الشجرة ماشاء الله عز وجل وان المؤمن ليجلس على سريره فينظر الى الثمرة فى الشجرة فيشتهيها فيأتيه الغصن فيقول خذ ياولى الله فيقول له من أعلمك بما فى نفسى فيقول الذى رضى لك جواره أعلمنا غيب مافى نفسك لاتشتهى شيأ الا أوقع الله عز وجل ذلك فى نفوسنا تكلمت به أولم تتكلم وروى الترمذى وابن ماجه عن سعيد بن المسيب انه لقى أبا هريرة رضى الله عنه فقال أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر

من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم ومافيهم دنئ على كثبان المسك والكافور مايرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة رضى الله عنه قلت يارسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلت لا قال كذلك لاتتمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل الا حاضره الله تعالى محاضرة حتى يقول للرجل منهم يافلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول يارب أفلم تغفر لى فيقول بلى فسعة مغفرتى بلغت بك منزلتك هذه فبينما هم على ذلك اذ غشيتهم سحابة فامطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط ويقول ربنا عز وجل قوموا الى ماأعددت لكم من الكرامة فخذوا ماشتهيتم فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة مالم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الاذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ماشتهينا ليس يباع فيها ولايشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه ومافيهم دنئ فيروعه مايرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل له ما هو أحسن منه وذلك انه لاينبغى لاحد أن يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله وبحقنا أن ننقلب بمثل ماانقلبنا قال القرطبى قوله ويتبدى لهم فى روضة أى وهم فى روضة اذلا يحويه سبحانه مكان تأمل رحمك الله ماذكرناه من الآثار وصحيح الاخبار من أول الكتاب الى هذا المحل واحمل نفسك رحمك الله على ماتحمد عاقبته واجهد نفسك فى أيام قليلة لتستريح راحة طويلة وعند الصباح يحمد القوم السرى ولله در القائل

أيقظ جفونك ان القلب وسنان * وصم العزم ان العزم كسلان
وحن شوقا الى أخراك مبتدرا * ان اللبيب الى أخراه حنان
واعمل لدار بها اللذات قاطبة * راح وروح وراحات وريحان
ظل وماء وأزهار مفتقة * عن الكمائم أشكال وألوان
قيعان مسك بها الانهار جارية * خمر وماء وماذى وألبان
فى جنة من نضار راق منظرها * ترابها المسك والجدران عقيان
مرأى أنيق وأكواس مشعشعة * من الرحيق وطاسات وولدان
بها المقاصير والخيمات عالية * من اللآلئ فيها الحور سكان
بيض نواعم أبكار منعمة * تحار فيهن ألباب وأذهان
يرفلن من سندس الفردوس فى حلل * من فوقها حلل من تحتها بان
نشأن وسط مقاصير مزخرفة * لم يصبهن بها انس ولاجان
يبسمن عن درر راقت لمبصرها * كالسيف شيم ونصل السيف عريان
ريق زلال وأنفاس معطرة * ومنطق ساحر الالفاظ فتان
سورن من حلى دار الخلد اسورة * فيهن در وياقوت ومرجان
فى مثل ذاك فنافس كل ذى ورع * وجاهد النفس ان النفس شيطان
مهورهن صلاح دائم وتقى * زهد وصبر واخلاص وايمان
جزاء كل على ماكان من عمل * ان الجزاء على الاحسان احسان
اذاك خير أم الدار التى خلقت * دار الهوان فلا عز ولاشان

أفنت قرونا وأفنت بعدها أمما * بادوا جميعا وجفن الدهر يقظان
أهون بدار غرور نفعها ضرر * في صفوها كدرفي الوفر حرمان
لا يربح المرء من آمالها أملا * الا سيعقب ذاك الربح خسران
ولا يزيد ثراء المال من طمع * الا يليه بدار الحق نقصان
لا يشبع المرء من خفض ومن أشر * الا غدا وهو يوم الحشر جوعان
من كان يضحك في دنياه من فرح * فسوف تبكيه في أخراه أحزان
أمانة وعهود ليس يحملها * الا جرىء على الخيرات معوان
لا تحسب النظم أقوالا ملفقة * كل يصدقه نص وقرآن
فاختر لنفسك ما تبغيه من بدل * وزن بعقلك ان العقل ميزان

﴿ باب ما جاء أن رؤية أهل الجنة لله سبحانه أحب اليهم مما هم فيه من النعيم ﴾

روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفي رواية لمسلم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وخرج النسائي عن صهيب قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيأ أحب اليهم من النظر ولا أقر لاعينهم وخرجه أبو داود الطيالسي أيضا قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله تعالى موعدا فيقولون ما هو أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة قال فيقال لهم ذلك ثلاثا قال فيتجلى الرب تبارك وتعالى فينظرون اليه فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا وحدث القرطبي بسنده عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا ألم تروه قالوا وما هو ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم منه أي من النظر اليه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وكذا خرجه الامام أحمد بن حنبل والحارث بن أبي اسامة ورواه نوح بن أبي مريم عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة قال والزيادة النظر الى وجه الله الكريم قلت وفي سند حديث أنس ضعف وأسند ابن المبارك عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أنه قال وهو على منبر البصرة ان الله سبحانه يبعث يوم القيامة ملكا الى أهل الجنة فيقول هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والثمار والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا فيقول الملك هل أنجزكم ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيأ مما وعدوا فيقول بقي لكم شيء ان الله تعالى يقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر الى

الله تعالى قال القرطبي وقوله فيكشف الحجاب معناه انه يرفع الموانع عن أبصارهم حتى يروه على ماهو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والجمال والرفعة والكمال لااله الا هو سبحانه وتعالى عما يقول الزائغون والمبطلون علوا كبيرا فذكر الحجاب انما هو فى حق المخلوق لافى حق الخالق فهم المحجوبون والبارى جل اسمه وتقدست أسماؤه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بماشاء وكيف شاء قلت وهذا المعنى يعقل فى الخلق فيما بينهم فانا حجبنا عن ادراك الملائكة وعن الجان وعن كثير من الاولياء بحجب هى على أبصارنا وبصائرنا لاعليهم هذا مالايختلف فيه العقلاء واذا عقل هذا فى المخلوق فيما بينهم فلان يعقل فى حق الخالق سبحانه المنزه عن التشبيه والتكييف من باب أولى ولما تكلم المازرى على قوله حجابه النور قال الحجاب بمعنى الساتر الذى يكون على الاجسام المحدودة والبارى جلت قدرته ليس بجسم ولامحدود والحجاب فى اللغة المنع ومنه سمى المانع من الامير حاجبا لمنعه الناس عنه ومنه الحاجب فى الوجه لانه يمنع الاذى عن العين والانسان ممنوع من رؤية الخالق سبحانه فى الدنيا فسمى منعه حجابا قال القرطبي روى فى صحيح الاحاديث ان الله سبحانه اذا تجلى لعباده ورفع الحجب عن أعينهم فاذا رأوه تدنقت الانهار واصطفقت الاشجار وتجاوبت السرر والغرفات بالصرير والعيون المتدفقات بالخرير واسترسلت الريح المسيرة وبثت فى الدور والقصور المسك والكافور وغردت الطيور وأشرقت الحور ذكره أبو المعالى فى كتاب الرد على السجزى قال وكل ذلك بقضاء الله وقدره

﴿باب منه فى الرؤية﴾

روينا فى صحيح مسلم عن أبى بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقد ذكرناه عن البخارى فيما تقدم عند قوله سبحانه ولمن خاف مقام ربه جنتان قال القرطبي قوله الارداء الكبرياء على وجهه الرداء هنا مستعار كناية عن كبريائه وعظمته سبحانه يبينه الحديث الآخر الكبرياء ردائى والعظمة ازارى يريد صفتى وفى آخر الحديث فمن نازعنى واحدا منهما قصمته وقوله فى جنة عدن أى وهم فى جنة عدن قال معناه البيهقى (قلت) وقد أطنب هنا شاكر بن مسلم وأنا أذكر من كلامه ماتيسر قال رحمه الله ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال سارعوا الى الجمعة فان رب العزة سبحانه يبرز لعباده يوم الجمعة فى الجنة فى كثيب من كافور أبيض فيكون أولياء الله فى القرب على قدر مسارعتهم الى الجمعة ونحوه فى رقائق ابن المبارك قال ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان يوم الجمعة هو يوم المزيد فى الجنة لانه فضل يزيده الله أهل الجنة فيزورون فيه ربهم فينظرون الى ربهم وانهم ليشتاقون الى الله عز وجل أن يزوره ويروه فيتحينون ذلك اليوم وينتظرونه شوقا اليه وحرصا عليه لانه يوم الزيارة ويوم الرضى ويوم الكرامة ويوم الرؤية قال حماد بن سليمان اذا دخل أهل الجنة الجنة وقاموا بها فى لذة ونعيم وملك عظيم ومقام كريم آمنين مطمئنين فينسون هنالك ماوعدوا فى الدنيا من النظر الى الله تعالى وزيارته اشتغالا منهم بما هم فيه من النعمة واللذة فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم ملك من قبل الله عز وجل على سور عظيم هنالك من أسوار الجنة مشرف عالى لايغيب عنه شئ مما فى الجنة من لؤلؤ يتلألأ نورا طرف منه بحذاء العرش وطرف على أعلى

الجنة فينادى الملك بأعلى صوته ياأهل الجنة سلام عليكم بصوت حنين رفيع تميل اليه الاسماع وتقبل عليه الوجوه وتحن اليه النفوس طربا اليه وحرصا عليه فيسمع الصوت جميعهم ويقع ببالهم انه مناد من قبل الله عز وجل لايرتابون فيه فيجيبونه لبيك لبيك داعى الله ربنا قد سمعنا وأجبناك فيقول مرحبا بكم ياأولياء الله وأهلا وسهلا ان الله عز وجل يقرئكم السلام ويقول لكم انه عنكم راض فهل رضيتم عنه فيقولون الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وله الحمد كما رضى عنا وأرضانا وله الحمد والشكر كما فضلنا وأعطانا فيقول ياأولياء الله ان الله سبحانه يقرئكم السلام ويقول هل نجزتكم الوعد الذى وعدتكم به فى الدنيا أم هل نقصتكم شيأ من ذلك فيقولون الحمد لله والمن والفضل له لقد أنجزنا وعده وأعطانا الفضل من عنده وهذه الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فيقول لهم فان الله سبحانه يقرئكم السلام ويقول لكم انه وعدكم فى الدنيا الزيارة فى الجنة اليه والوفادة عليه والنظر اليه وانه منجز كم ماوعدكم وقد أذن لكم الآن فى التجهز اليه لتستوفوا حظكم لديه فاذا سمعوا ذلك صغر عندهم كل شئ هم فيه من النعيم وكل شئ نالوه من الجنة دون ذلك الحظ الوافر الجسيم وهان عليهم جميع مافى الجنة لانه دون رضى الله عنهم وزيارتهم اياه ونظرهم اليه فيتأهبون لزيارة ربهم فى أحسن هيئة وأجمل زينة يلبسون من الحلى والحلل أنفس ماعندهم ويتطيبون باعطر طيب حضرهم ويركبون من جياد الخيل وعتاق النجب أنفس شئ عندهم ويضعون التيجان على رؤسهم ويخرج كل رجل منهم من قصره وبستانه حتى يأتى على أقصى أقطار ملكه حتى يفضى الى أزقة الجنة تقدمه ولدانه ويهدونه السبيل الى زيارة الملك الجليل يرفعون أصواتهم بالذكر والثناء والتهليل وكلما أفضى رجل منهم الى زقاق من أزقة الجنة لقى أخاه قد خرج لمثل ماخرج هو اليه وحضر على مثل ماحضر هو عليه فيسيرون كذلك حتى يفضوا الى صحراء من أطراف الجنة فى أرض خالية قفراء بيضاء كافورية ترابها كافور قد ديف بمسك وعنبر وحصباؤها لؤلؤ وياقوت فيجتمعون بها قد سبقهم الملك الذى ناداهم اليها يسير بهم يقدمهم حتى يأتى بهم الى جنة عدن ويأذن الله للجنة أن تزينى فانى قد أذنت لاوليائى أن يزورونى فيك فتتزين الجنة بأحسن الزينة واجملها وتتأهب كذلك خزنتها وولدانها فاذا جاء أولياء الله باب الجنة والملك يقدمهم ومعه جميع أهل الجنة فينادون باجمعهم السلام عليكم ياملائكة ربنا فيفتح لهم باب مابين المصراعين كما بين المشرق والمغرب فى الدنيا من زمردة خضراء وعليه حجاب من نور يكاد يخطف الابصار فيدخلون ويفضون الى بطن واد هنالك عظيم لايعلم عظمه سعة وطولا وعرضا الا الذى خلقه بقدرته وصنعه بحكمته طينه من المسك الاذفر وترابه من الزعفران والمسك والعنبر وحصباؤه من الياقوت والجوهر ورضراضه وسهالته من الذهب على حافاته أشجار قد تدلت أغصانها ودنت أفنانها وتناهت ثمارها وغردت أطيارها وزهرت أنوارها وابتهجت أزهارها وهب منها نسيم يصغر دونه كل نعيم لو أرسل منه على الدنيا خرت ابرة لشفى السقيم وتحت الاشجار كراسى ومنابر من نور يزهر وكراسى ومنابر من ياقوت وجوهر ومثل ذلك من الذهب الاحمر ومثل ذلك من الزمرذ الاخضر ومثل ذلك من المسك والعنبر قد وضعت هنالك للأنبياء والمرسلين ثم للاولياء والصالحين ثم للشهداء والصديقين ثم للسعداء من سائر الناس أجمعين عليها فرش من الديباج والاستبرق والسندس الاخضر ونفيس نسج الحرير المكفوف بالياقوت والجوهر ونمارق من الديباج الاحمر فيؤذن لهم بالنزول على قدر منازلهم من الكرامة يلقون بالترحيب والتبجيل والاكرام والتفضيل فيأخذ كل رجل منهم منزلته بقدر كرامته على ربه ومكانته وقربه منه ومن رضوانه والملائكة

والولدان يحيونهم و يتزاورونهم فاذا أخذ كل رجل منهم منزلته وحل فى مرتبته أمر لهم باطيب الطعام فيأكلون و يتلذذون و ينعمون فيتسون لذلك كل طعام طعموه قبله وتهون عليهم لذة كل شئ علموه فى صحاف لم يروا قبلها مثلها على موائد لم يروا مثلها ثم يؤمر لهم باطيب فاكهة لم يروا قبل ذلك مثلها فيتفكهون و يتلذذون فيما يشتهون ثم يؤمر لهم باطيب شراب لم يكونوا قط شربوه فى آنية من اللؤلؤ والياقوت المجوف يتلألأ و يتوقد نورا لم يروا قبل ذلك مثله حسنا وجمالا فيشربون و يتلذذون ثم يؤمر لهم بطيب لم يباشروا قبله مثله فيتطيبون ثم يؤمر لهم فيكسون حللا لم يروا فى الجنة مثلها ولا باشروها فى حسنها وجمالها و يحلون كذلك فلا تسئل عن سرورهم وبهجتهم هنالك و يهون عليهم ما كانوا فيه قبل ذلك فيقول الله سبحانه ياأوليائى و ياعبادى هل وفيت لكم ماوعدتكم فى الدنيا وهل نجزتكم وعدى فيقولون نعم ربنا وعزتك لقد وفيت لنا بوعدك ونجزت لنا ماوعدتنا فيقول سبحانه بلى وعزتى لقد بقيت لكم واحدة هى أشهى اليكم وأحظى لديكم وهل بعد الوفادة على الا النظر الى لتهم الكرامة لدى فيأمر سبحانه بالحجب من النور فترفع وبالمهابة فتوضع ثم يتجلى سبحانه لهم فينظرون اليه و يرونه لا يضامون فى ذلك ولا يضارون فلا يعدل سرورهم بذلك سرور ولا يقوم لفرحهم بذلك فرح ولا حبور فيخرون لربهم سجودا وخضعانا يقولون سبحانك ربنا وبحمدك تباركت وتعاليت وتبارك اسمك وجل ثناؤك لك الحمد كله لا نحصى ثناء عليك لك الحمد كله كما أنعمت ربنا وأفضلت وأتممت نجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة فى جوارك خير جوار وملكتنا فيها ملك الخلود والدوام والقرار ونعمتنا بنعيم ليس معه تنكيد ولا ننفك من مزيد وفضلتنا بالزيارة اليك والنظر اليك فاكلت الكرامة لديك رضينا وفوق الرضى فيقول سبحانه ياأوليائى وياعبادى ارفعوا رؤسكم من سجودكم واسمعوا ماتقص عليكم ليس هذا موطن عمل ولا عبادة وانما هو موطن عطاء وجزاء وزيادة اسئلوا أعطكم وتمنوا على من فضلى أزدكم فيقولون ربنا أعطيتنا فوق العطاء وتفضلت علينا بعد الجزاء فارض عنا فقد رضينا فيقول سبحانه أنتم عبادى وأوليائى وخيرتى من خلقى وأهل ثوابى وجزائى وسكان جنتى الخصوصون بنعمتى والمفضلون بجوارى والوفادة على أسكنتكم جنتى وأولبتكم نعمتى وأحللت عليكم كرامتى فما فعلت ذلك بكم الا رضى منى عنكم وقد رضيت فارجعوا الى منازلكم آمنين وانعموا فى قصوركم مطمئنين وانصرفوا مكرمين ولكم منى مثل هذا المقام فى كل جمعة بمثل هذا الاكرام لانكم أطعتمونى حين عصيت وذكرتمونى حين نسيت وأتعبتم أنفسكم فى طاعتى حين استراح أهل البطالة ووجلتم حين أمن أهل الجهالة ووصلتم مابينى وبينكم حين قطعوا وجعتم حين شبعوا وظمأتم حين ارتووا وعريتم حين اكتسوا وحزنتم حين فرحوا ونصحتم وما نصحوا وعملتم لهذا المقام وما عملوا واجتهدتم حين أهملوا فوعزتى وجلالى لقد أحللت عليكم رضائى وأجزلت لكم عطائى وجعلتكم صفوتى من خلقى المختصين بافضل رزقى فارجعوا مكرمين فيرجعون الى منازلهم فرحين بقدر مدة انصرافهم فى الدنيا من الجمعة الى منازلهم وان أحدهم لهو أهدى بمنزله حينئذ فى الجنة عند رجوعه اليه منه بمنزله فى الدنيا بعد رجوعه اليه من الجمعة فيأتون أهليهم فى أحسن حال وأنعم بال وأتم حسن وجمال قد تضاعف حسنهم وجمالهم وازدادوا على ما كانوا عليه قبل ذلك من الجمال فيقول لهم أهلوهم ياأولياء الله ماذا نلتموه من النعمة بعدنا فلقد ازددتم حسنا وجمالا فيقولون لقد زرنا ربنا ووفدنا عليه فطعمنا من مكرمته ونظرنا اليه فيقولون لهم هنيئا لكم الكرامة فلا يزالون كذلك فى كل جمعة دائمين والحمد لله رب العالمين انتهى كلام شاكر بن

مسلم قلت فرؤيتهم فى مقدار كل جمعة هو لجميع أهل الجنة وأما خواص أولياء الله تعالى وأنبياؤه فمنهم من يرى الله غدوة وعشية كما قدمناه عن الترمذى فى باب ما يعطى لادنى أهل الجنة وهذا موضع يليق به تكرار الحديث وقد روى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وأخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال أبو عيسى وقد روى هذا الحديث مرفوعا وموقوفا قال صاحب شعب الايمان عبد الجليل اعلم رحمك الله تعالى ان أعلى أهل الجنة منزلة ونعيما وأكثرهم سرورا ولذة أكثرهم نظرا الى الله سبحانه وهو النعيم الذى لامثله نعيم والناس فى ذلك درجات على قدر مراقبتهم لربهم والايثاره والاشتياق اليه ثم قال والزيارة فى الجنة لها أوقات ومواسم وبعضها أكبر من بعض وبعضها عموم وبعضها خصوص على قدر أوقات الصلوات والجمعات والاعياد والمواسم وعلى قدر الشغل بالله سبحانه والشغل بغيره والبارى سبحانه يتجلى فى كل مرة يراه أولياؤه فيها بصفة من صفاته فمرة بصفة الكمال ومرة بنعوت الجمال واخرى بمعاسن الكلام ومرة باوصاف الرحمة والحنان ومرة بصفة الكرم والامتنان ومرة بصفة العلم ومرة بصفة الحلم هكذا أبد الآبدين ويحدث تجليه أبدا فى الملك من الحسن والجمال والنعيم والبهجة والسرور والبركة والنور والزيادة والخيرات مالم يكن قبل ذلك فيه قلت وهذا بين من الاحاديث ان لاهل الجنة من الله سبحانه فى كل وقت زيادات من الخيرات لاتحيط بها العقول قال عبد الجليل عند ذكره لحديث النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه قال فالنظر الى الله عز وجل فى الآخرة هو ثواب مقام الاحسان فى الدنيا على قدر تخلق العبد ونظره فى مقام الاحسان فى الدنيا يكون نظره الى مولاه فى العقبى جزاء وفاقا والاحسان مقام الروحانيين وأهل العقول الراجحة النورانيين فالاحسان مقام الزيارة والنظر والرؤية فان أردت أن تكون فى الآخرة من أهل النظر الى الله سبحانه مع أهل عليين فاحرص أن تكون هنا من المحسنين على عمر أوقاتك فى ليلك ونهارك وعليك بطلب العلم بالله والمعرفة به سبحانه والنظر والفكر فانه ورد فى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة أى من عبادة سنة بلا تفكر وأى فضل أعظم من أن يكون العبد مع من ليس كمثله شئ ويكون هو معه الآتراه كيف أثبت سبحانه المعية للمحسنين فى قوله وان الله لمع المحسنين وأكد المعية بلام التأكيد لتحقيق ثبوت المعية لهم ولم تثبت لام التأكيد فى المعية فى شئ من القرآن الا للمحسنين

﴿ باب منه فى الرؤية ﴾

روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وخرج أبو داود عن أبى رزين العقيلى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أكلنا يرى الله مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال ياأبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم وروى يحيى بن سلام بسنده عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة لينظرون الى ربهم فى كل جمعة على كثيب من كافور

لا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه جوار يقرأن القرآن بأحسن أصوات سمعها الاولون والآخرون فاذا انصرفوا الى منازلهم أخذ كل رجل بيد ماشاء منهن ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ الى منازلهم فلولا ان الله تعالى يهديهم الى منازلهم ماهتدوا اليها لما يحدث الله لهم فى كل جمعة وقال الحسن ليس شئ أحب الى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد لانهم يرون فيه الجبار جل جلاله وذكر أبو نعيم الحافظ عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال ان من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماتريدون ان أمطركم فلا يتمنون شيأ الا مطروا قال خالد بن معدان يقول كثير لئن أشهدنى الله ذلك لاقولن لها امطرينا جوارى مزينات وقد تقدم من حديث ابن عمر وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية قال القرطبى وهذا يدل على ان أهل الجنة فى الرؤية يختلفوا الحال وروى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال ان لله تعالى عبادا لو حجبهم فى الجنة ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها وخرج يحيى بن سلام عن بكر بن عبد الله المزنى قال ان أهل الجنة ليزورون ربهم فى مقدار كل عيد لهم كانه يقول فى كل سبعة أيام مرة فيأتون رب العزة فى حلل خضر ووجوه مشرقة وأساور من ذهب مكللة بالدر والزمرذ عليهم أكاليل الذهب ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم فيأمر لهم ربنا بالكرامة وذكر هو وابن المبارك جميعا قالا حدثنا المسعودى عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال تسارعوا الى الجمعة فان الله يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة فى كثيب من كافور أبيض فيكونون معه فى القرب قال ابن المبارك على قدر تسارعهم الى الجمعة فى الدنيا وقال يحيى بن سلام لمسارعتهم الى الجمع فى الدنيا قال يحيى وسمعت غير المسعودى يزيد فيه وهو قوله تعالى ولدينا مزيد قال القرطبى قوله على كثيب يريد أهل الجنة هم على كثيب كما جاء فى مراسيل الحسن ومن كتاب أبى الليث السمرقندى قال روى فى الخبر أن جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل ماهذه المرآة البيضاء قال هى الجمعة وقال فما هذه النكتة السوداء التى فيها قال هى الساعة تقوم فى يوم الجمعة وقد فضلت بها أنت وامتك على من كان قبلك فالناس لكم تبع اليهود والنصارى وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يسئل الله من خير الدنيا والآخرة شيأ الا استجاب له ولا استعاذه من شر الا أعاذه منه قال جبريل وهى عندنا يوم المزيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يوم المزيد قال ان ربك اتخذ واديا فى الفردوس فيه كثب من مسك فاذا كان يوم الجمعة حفت بمنابر من نور زعليها النبيون وحفت بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الصديقون والشهداء وينزل أهل الغرف فيجلسون من ورائهم على تلك الكثب فيجتمعون الى ربهم سبحانه فيحمدونه ويمجدونه ويثنون عليه فيقول لهم سبحانه سلونى فيقولون نسئلك الرضى فيقول لقد رضيت عنكم ورضائى أدخلكم دارى وأحلكم كرامتى فيتجلى لهم حتى يرونه سبحانه من غير تحديد ولا تكييف ولا تشبيه فليس يوم أحب اليهم من يوم الجمعة لما يزيدهم سبحانه من الكرامة قال السمرقندى وفى خبر آخر ان الله تعالى يقول اطعموا أولياءى فيؤتى بألوان الاطعمة فيجدون لكل لقمة لذة غير ما يجدون للآخرى فاذا فرغوا من الطعام يقول سبحانه اسقوا عبادى فيؤتى بأشربة فيجدون لكل نفس لذة بخلاف الاخر فاذا فرغوا يقول لهم سبحانه أنا ربكم صدقتكم وعدى فاسئلونى أعطكم فيقولون ربنا نسئل رضوانك مرتين أو ثلاثا فيقول سبحانه قد رضيت عنكم ولدى المزيد اليوم أكرمكم بكرامة هى أعظم من ذلك كله فيكشف الحجاب فينظرون اليه كما شاء سبحانه فيخرون له سجدا فيمكثون فى السجود ماشاء الله

ثم يقول لهم سبحانه ارفعوا رؤسكم ليس هذا وقت عبادة فينسون كل نعمة كانوا فيها و يكون النظر اليه أحب اليهم من جميع النعم ثم يرجعون فتهب ريح من تحت العرش على تل من مسك أبيض فتنتشر المسك على رؤسهم ونواصى خيلهم فاذا رجعوا الى أهاليهم فيرون بأزواجهم من الحسن والبهاء أفضل مما تركوهن و يقلن أزواجهم انكم قد رجعتم الينا أحسن مما كنتم اللهم من علينا بالنظر الى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين وروى عن عمار بن ياسر رضى الله عنه أنه قال كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أسئلك النظر الى وجهك والشوق الى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة قال ابن عطية فى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة معناه ناعمة والنضرة النعمة و جمال البشرة قال الحسن وحق لها أن تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وقوله تعالى الى ربها ناظرة حمل هذه الآية جميع أهل السنة على انها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى وهى رؤية من غير محاذاة ولا تكييف ولا تحديد كما هو سبحانه معلوم موجود لا يشبه الموجودات كذلك سبحانه هو مرئى لا يشبه المرئيات فى شئ فانه ليس كمثله شئ لا اله الا هو و رأيت فى بعض كتب التذكير مانصه يروى أن الله سبحانه جعل لاهل الجنة يوما يزورونه فيه وهو يوم الجمعة قال النبى صلى الله عليه وسلم ينبعث الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام الى أهل الجنة فيأمرهم برؤية الله سبحانه فيخرج آدم عليه السلام والملائكة معه لهم زجل بالتسبيح والتهليل قال فيمد أهل الجنة أعناقهم فيقولون من هذا الذى لم نر أحسن من موكبه فيقال لهم هذا آدم أبو البشر يمضى الى زيارة ربه قال ثم يخرج بعده ابراهيم عليه السلام فى مثل هيئته وموكبه ثم يخرج من بعده موسى عليه السلام فى مثل موكبه وهيئته ثم يخرج من بعده عيسى عليه السلام فى مثل هيئته وموكبه قال ثم يخرج محمد صلى الله عليه وسلم فى مثل موكب آدم وابراهيم وموسى وعيسى و جميع مواكب أهل الجنة وحوله من تسبيح الملائكة مالا يعلمه الا الله سبحانه ثم يؤذن بعدهم لسائر النبيين والمرسلين و يخرج كل نبى مع أمته و يخرج الصديقون والشهداء حتى يحدقوا بالعرش فيقول الجبار جل جلاله مرحبا بعبادى ووفدى وزوارى و جيرانى وأوليائى يا ملائكتى اكرموهم فتهبط الملائكة فيطرحون للانبياء منابر النور وللصديقين سرر النور والشهداء كراسى النور ولسائر الناس كثبان المسك ثم يقول سبحانه للملائكة أطعموهم فيأتون بأنواع الطعام فيوضع بين يدى أسفل أهل الجنة منزلة سبعون ألف صحفة من ذهب فى كل صحفة ألوان لا يشبه بعضها بعضا فيأكل ولى الله من تلك الالوان و يجد لآخرها طعما كما يجد لاولها ثم يقول سبحانه أسقوهم فيؤتون بالشراب وانه ليقوم على رأس أسفل أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام شبه اللؤلؤ المنثور بأيديهم أوانى الفضة وأباريق الذهب فيها أشربة ليس فيها انا آن على لون واحد كلهم يبتدرون اليه أيهم يأخذ الاناء منه ثم يقول سبحانه اكسوا عبادى فيستبقون فيأتون بحلل مطوقة مصقولة بنور الرحمن سبحانه ثم يقول سبحانه طيبوهم فتثير ريح فى الجنة تسمى المثيرة فتثر عليهم المسك الاذفر ثم يقول سبحانه مرحبا بعبادى وعزتى وجلالى لارينكم وجهى فيتجلى لهم سبحانه و يكشف الحجاب أى عن أبصارهم فيرونه سبحانه من غير تكييف وتنصدع قصور الجنة و يضج أهلها وجميع مافيها من الثمار والاشجار والانهار يقولون سبحانك سبحانك فلولا الابصار من النظر الى العزيز الجبار سبحانه فاذا رأوه سبحانه خروا له سجدا فيمكثون فى السجود ماشاء الله ثم يقول لهم سبحانه ارفعوا رؤسكم فقد رضيت عنكم فيرفعون رؤسهم وقد زادهم سبحانه بهاء ونورا وجمالا ثم تقدم اليهم خيلهم فيركبونها فيرجعون الى قصورهم وقد رضوا عن ربهم ورضى عنهم فبينما هم فى الطريق اذ

خرجت عليهم الريح المثيرة من تحت العرش فتهب فينزل عليهم المسك الابيض فتنثره على وجوههم وعلى نواصى خيلهم فيدخلون على أزواجهم وقد أوتوا من الحسن من رؤية مولاهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد فتقول لهم أزواجهم ياأولياء الله لقد زينتكم كرامة الله فزادتكم نورا الى نوركم وبهاء الى بهائكم

﴿باب منه﴾

وفى سلام الله تعالى على أهل الجنة قال القرطبى روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوقهم فاذا الرب سبحانه قد أشرف عليهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة وذلك قوله سبحانه سلام قولا من رب رحيم قال فاذا نظروا اليه نسوا نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم فاذا احتجب عنهم بقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم (قلت) هذا الحديث رواه البزار ففى العاقبة لعبد الحق قال وذكر البزار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة فذلك قوله سبحانه سلام قولا من رب رحيم قال فينظر اليهم و ينظرون اليه لايلتفتون الى شئ من النعيم و يبقى نوره فى ديارهم قال القرطبى قوله أشرف عليهم أى اطلع كما يقال فلان مشرف عليك أى مطلع عليك والله سبحانه لا يوصف بالمكان وقوله فاذا نظروا اليه نسوا نعيم الجنة أى لهوا عنه بلذة النظر الى وجه المولى الكريم الرؤف الرحيم سبحانه لا اله الا هو ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ونسوا نعيم الجنة لان مادون الله سبحانه لايقاوم تجليه سبحانه جلت عظمته ولولا انه سبحانه يثبتهم و يبقيهم برحمته ورأفته لحل بهم ماحل بالجبل حين تجلى له فصار دكا من جلاله فسبحانه ماأرحمه بعباده نسأله جلت عظمته أن يرزقنا النظر اليه ويجزل حظنا من ذلك الخير انه ولى كريم رؤف رحيم وقوله حتى يحتجب عنهم يجوز أن يكون معناه حتى يردهم الى نعيم الجنة الذى نسوه والى حظوظ أنفسهم وشهواتها التى سهوا عنها فانتفعوا بنعيم الجنة الذى وعده لهم وتنعموا بشهوات النفوس التى أعدت لهم وليس ذلك ان شاء الله على معنى الاحتجاب عنهم الذى هو بمعنى الغيبة عنه حتى يكونوا له ناسين وعن شهوده محجوبين والى نعيم الجنة ساكنين ولكنه سبحانه بلطفه يردهم الى التنعم بما نسوه ولا يحجبهم عما شاهدوه حجبة غيبة عنه ويدل على ذلك قوله بقى نوره و بركته عليهم فى ديارهم وكيف يحجبهم سبحانه عنه وهو بنعت المزيد و يعدهم بتجديد النعيم الذى لايفنى ولا يبيد واذا ارتفعت الحجب وزالت الموانع لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق ولا بين حال الشهود والغيبة بون بل تتفق الاوقات وتتساوى الحالات فيكون فى كل حال شاهدا و بعين البصر والبصيرة ناظرا ولا يكون فى حال محجوبا ولا بالغيبة موصوفا قال الغزالى رحمه الله تعالى وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وهى غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ماذكر من النعيم عنده ينسى وليس شئ عند أهل الجنة يعدل سعادة اللقاء بل هو الغاية والمنتهى بل لانسبة لشئ من لذات الجنة الى لذة رؤية المولى فلا ينبغى أن تكون همة العبد من الجنة شيأ سوى رؤية المولى سبحانه وأما سائر نعيم الجنة فانه يشاركه فيه البله وسائر بهائم الجنة المسرحة فى المرعى (قلت) وقد آن لنا أن نختم الكتاب ومن الله سبحانه نرتجى حسن المآب وكمل تاليفه بحمد الله فى جمادى الاولى من عام خمسين

وعامنا جعله الله لنا ولكم نورا فى الدنيا والآخرة

﴿ باب ماجاء أن رضوان الله سبحانه أفضل من الجنة ﴾

قال الله سبحانه ورضوان من الله أكبر أى أكبر من جميع ماأعطاهم فى الجنة قال الحسن بن أبى الحسين وصل الى قلوب أهل الجنة برضوان الله من السرور ماهو ألذ عندهم وأقر لاعينهم من كل شئ أصابوه من نعيم الجنة قال الامام الفخر وانما كان الرضوان أكبر لانه عند العارفين نعيم روحانى وهو أشرف من النعيم الجسمانى ومعرفة أهل الجنة بان الله راض عنهم أزيد عندهم فى السرور وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يقول لاهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك

* فيقول الا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون ياربنا وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل
* عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا تم كتابنا المسمى (بالعلوم الفاخرة فى
* النظر فى أمور الآخرة) ختم الله لى ولكم بالسعادة وأنعم على وعليكم
* بالحسنى وزيادة اللهم انفعنى به وانفع به من حصله أوطالعه واجعله
* لنا حجة عندك ولا تجعله علينا حجة اللهم انك تعلم أن قصدى
* فى جمعى له انتفاعى فى نفسى ونفع عبادك فانفعنا
* اللهم بما فيه بفضلك ورحمتك ياأرحم الراحمين
* ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين وصلى الله
* على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى
* آله وصحابته الطاهرين
* صلاة ندخر أنوارها
* ليوم الدين

﴿ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يقول مصحح هذا الكتاب العذب المستطاب وهو العبد الضعيف وخديم العلم الشريف
محمد بن مصطفى بن الخوجه المدرس بجامع سفير عامله الله بمحض فضله وأناله سعادة الدارين
وجعل له لسان صدق فى الآخرين آمين بجاه الامين

الحمد لله رب العالمين لا أبغى به بدلا الذى خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا القائل فى محكم
كتابه العزيز المعجزة الكبرى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ليجزى
الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى عدلا منه وفضلا جل شأنه وله المثل الاسنى
والصلاة والسلام على أول من تنشق عنه الارض والشفيع المشفع فى يوم العرض سيدنا محمد
صاحب الحوض والكوثر وحامل لواء الحمد فى المحشر وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار الذين
هم فى روضات الجنات يحبرون ولهم فيها ماتشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم جزاء بما كانوا يعملون
وبعد فان كتاب العلوم الفاخره فى النظر فى أمور الاخرة من تصانيف العلامة الامام والفهامة الهمام
قطب الدوائر وفخر الجزائر سيدى عبد الرحمن الثعالبى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى فراديس
الجنان متقلبه ومثواه كتاب جليل ليس له فى بابه مثيل موضعه رفيع وأسلوبه بديع وفائدته
كبرى فيما يتعلق بالنشأة الاخرى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ولا غر وفؤلفه بلغ من غايات
التحقيق أقصاها الا أنه بقى عدة قرون كالكنز المدفون والدر المكنون عزيزا تناوله قليلا تداوله
ولذلك عزم على طبعه بعد استنساخه لتعميم نفعه الشاب النبيه والتاجر الوجيه السيد احمد بن
مراد بلغه الله المراد وقد تم الآن على يدى مقابلة وتصحيحا وتهذيبا لمواضع منه
وتنقيحا مع مراجعة الاصول والمظان بقدر الطاقة والامكان الامازاغ عنه البصر أو
قصر عنه الفهم والنظر وذلك لان النسخ التى بين يدى وان تعددت بمنة
الله لدى قد ألحقت بها الاقلام من الاغلاط والاوهام ماأفسد
المبنى وغير المعنى لكن الحمد لله على التوفيق الى سلوك أقوم
طريق هذا وقد ساعدنى فى المقابلة الفاضل المحترم
السيد قدور الامام الاول بالمسجد الاعظم
حفظه الله وأدام علاه وجعل عملنا مبرورا
وسعينا مشكورا وصلى الله وسلم
على نبيه وآله وصحبه والتابعين
لهديه وسلام على المرسلين
والحمد لله رب
العالمين

(م)

﴿ حرر بمدينة الجزائر فى غرة شعبان سنة ١٣١٧ ﴾

﴿ يقول مصحح طبعه الفقير الى ربه البارى علي بن أحمد الشهير بالهوارى ﴾

سبحان من وفق من اختاره من عباده لسلوك سبيل الرشاد وحفهم بجميل لطفه فنالوا فوق المراد وأنهلهم من عباب سره المصون ماترتاح اليه الانفس وتقربه العيون فرويت أفئدتهم وتدبروا كتابه المنزل وجالت أفكارهم فى رياض سنة رسوله الاكمل فاستنارت بصائرهم بمصابيحها الزاهرة وسطعت لهم بوارق عوارف معارفها الفاخرة فانتصبوا لاحياء علوم الدين ابتغاء مرضات رب العالمين نحمده ماأجاد واعظ موعظة وعبره ومادبج نابغة من حلل الترغيب والترهيب حبره ونصلى ونسلم على سيدنا ومولانا محمد سيدالخلق أجمعين وامام العاملين البشير النذير والسراج المنير الداعى الى انتهاج سبيل المجد الاخر المخصوص بالشفاعة العظمى يوم الفزع الاكبر وعلى آله وأصحابه الائمة الهداة الباذلين مهجهم فى الطاعة ونصرة دين الله ﴿أما بعد﴾ فان أولى مايتنافس فيه المتنافسون وأغلى مايتسابق اليه المتسابقون طاعة الرب الكريم مفيض النعم بارئ النسم المنشئ من العدم عملا بما أنزل سبحانه فى كتابه المكنون وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد صنف فى الدعوة اليها والحث عليها الائمة الثقات الاسفار المطولات والمختصرات ولما كان أفضل كتاب فى ذكر الموت وما بعده من الحساب والحث على الطاعه والترغيب فيها بقدر الاستطاعة هو الكتاب الموسوم ﴿ بالعلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة ﴾ للامام الاوحد والهمام الامجد العلامة النحرير والولى الصالح الشهير سيدى عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى الجعفرى سقى الله بوابل رحمته ثراه وأكرم نزله وأحسن قراه انتدب لطبعه رغبة فى نشر فوائده للراغبين وتسهيلا لايصال عوائده للطالبين حضرة السيد أحمد التركى ابن الحاج مراد وفقه الله للصالحات وبلغه من الامانى ماأراد وكان هذا الطبع اللطيف والشكل الظريف بالمطبعة الحميدية المصرية الكائنة بشارع الحلوجى بجوار الرياض الازهريه لصاحبها عالى المقدار الشيخ محمود الحلبى الشهير بالبيطار وقد بدر بدر هذا الكتاب فى دارة التمام وفاح من أردانه عبير الختام سنة ١٣١٨ من هجرة سيد الانام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام آمين

(٢)

صحيفة

٢ باب ماينجى من أهوال يوم القيامة
٨ باب منه
٩ باب ماجاء فى شهادة جوارح الانسان عليه يوم القيامة
١١ فصل قال القرطبى والغزالى واذا عرف أمر الحساب فيجب على كل مسلم البدار الى محاسبة نفسه الخ
١١ فصل (قلت) وجدت فى بعض كتب التذكير الخ
١٢ باب ماجاء فى شهادة هذه الامة للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذا سئلوا
١٣ باب ماجاء فى عقوبة مانعى الزكاة وفضيحة الغادر والغالى يوم القيامة
١٦ باب ذكر حديث لقيط بن عامر الجامع لجل من أحوال الآخرة
١٧ باب ماجاء فى حوض النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الكوثر
٢١ فصل روى مسلم عن أنس رضى الله عنه الخ
٢١ فصل قال القرطبى يقال ان على أحد أركان الحوض أبا بكر الخ
٢٢ باب ماجاء فى الميزان وانه حق
٢٥ باب ماجاء فى الجواز على الصراط ودرجات الناس فى المرور عليه بحسب أعمالهم
٢٧ فصل قال العلماء الضحك من الله تعالى الخ
٢٨ باب منه وفى ذكر الشفاعة
٢٩ باب منه
فصل القضاء وذكر الحديث
٣٠ باب ماجاء فيمن لا يوقف على الصراط طرفة عين
٣١ فصل قال القرطبى أحاديث هذا الباب تبين الخ
٣٢ فصل روى أبو نعيم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه
باب فى شعار المؤمنين على الصراط وتلقى الملائكة الخ
باب ذكر الصراط الثانى وهو القنطرة التى بين الجنة والنار
٣٣ باب فيمن يشفع لهم قبل دخول النار
٣٤ باب ماجاء فى صفة جهنم نجانا الله منها برحمته
٣٥ باب ماجاء انه لا يجوز جهنم الا من عنده جواز
٣٦ باب ماجاء فى بعد قعر جهنم
فصل وقد جاءت آثار ان فى جهنم جبالا وخنادق الخ
٣٧ باب منه وفى عذاب من يؤذى المؤمنين
باب ماجاء فى عذاب أهل الكبر وشاربى الخمر
٣٨ باب ماجاء فى عظم جسد الكافر وتنويع عذاب العاصى المؤمن
٣٩ باب ماجاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون
باب منه

٣٩ باب ماجاء فى العرفاء والامناء والامراء
باب فى بكاء أهل النار
٤١ فصل اعلم وفقنا الله واياك ان آيات القرآن جاءت مصرحة بانواع من عذاب المعذبين
٤٢ باب ماجاء أن الموحدين يميتهم الله اماتة الخ
٤٣ باب فى حسرة أهل النار
باب ماجاء فى الشفاعة
٤٤ باب منه
٤٦ باب فى اخراج الموحدين من النار بالشفاعة
٤٨ باب منه
٥٠ فصل فيجب على العبد أن ينصح نفسه ويترك هواه
٥١ باب ماجاء فى آخر من يخرج من النار وأدنى أهل الجنة منزلة
٥٣ باب حفت الجنة بالمكاره الخ
٥٤ باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما
٥٥ باب فى أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار
باب روى البخارى عن أبى هريرة
٥٦ باب ماجاء فى أول من تسعر به النار
باب ماجاء فى قاطع الرحم وواصلها والمكاس
باب روى البخارى عن أبى هريرة
٥٧ كتاب ذكر الجنة على ترتيب آى القرآن
٥٨ فصل قوله سبحانه زين للناس حب الشهوات
٦٠ فصل قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها
٦٣ فصل قوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
٦٤ فصل قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم
فصل وجدت فى بعض الكتب مانصه
٦٥ فصل قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
٦٦ فصل قوله عز وجل والله يدعو الى دار السلام الآية
فصل قوله سبحانه أولئك لهم عقبى الدار
٦٨ فصل قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم
٦٩ فصل قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا
فصل قوله تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
٧٠ فصل قوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فصل قوله تعالى قد أفلح المؤمنون
فصل قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد

صحيفه

٧١ فصل قوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون

٧٢ فصل قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث

فصل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع

٧٣ فصل وهذا المحل ينبغى لنا أن نذكر فيه شيأ الخ

فصل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا

٧٤ فصل قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله

٩٢ فصل قال ابن عطية وغيره روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من داوم على قراءة الواقعة

٩٧ فصل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة

فصل قوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه

فصل قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس

١٠٢ باب فى اكرام الله سبحانه لعباده الصالحين وادخالهم الجنة

١٠٣ باب فى ذكر أشياء من فعلها أجاره الله من النار

١٠٤ فصل روى الطبرانى وابن حبان وأبو داود

فصل اعلم رحمك الله انه يجب على العبد أن يسعى فى خلاص نفسه

١٠٥ باب ماجاء فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

باب ماجاء فى ذبح الموت على الصراط

١٠٦ فصل وروى أبو بكر البزار عن عمرو بن ميمون

باب ماجاء ان لكل مسلم فداء من النار

فصل ولما تكلم الغزالى فى الاحياء على النار وما فيها من الاهوال

١٠٧ كتاب ذكر أهل الجنة على ما ورد فى الآثار

١١١ باب صفة الجنة وصفة أهلها

١١٢ باب منه وفى ذكر الغرف وصفة بناء الجنة

١١٤ فصل روى الترمذى وأبو داود الطيالسى

١١٥ باب فى ذكر الغرف فوق الغرف وتفاوت الدرجات

١١٧ باب فى ذكر بعض ما رآه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء

١١٩ فصل وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المتحابين فى الله الخ

باب فى صفة الجنة وأنهارها وما أعد الله فيها لاوليائه

١٢٠ باب فى وصف أهل الجنة وسنهم وشبابهم

١٢١ باب ماجاء ان فى الجنة مجتمعا للحور

١٢٣ باب منه فى وصف الحور وما فى الجنة من السرور

١٢٤ باب فى الاعمال الصالحة وانها مهور الحور العين

١٢٥ باب صفة الحور العين ومن أى شئ خلقن

١٢٧ باب اذا ابتكر الرجل المرأة فى الدنيا كانت له فى الآخرة

صحيفه

١٢٨ باب ماجاء أن فى الجنة أكلا وشربا وجماعا
١٢٩ باب هل يكون فى الجنة توالد أم لا
باب ماجاء ان المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا فى الدنيا
باب فى ذكر طعام أهل الجنة
١٣٠ باب ماجاء فى طير الجنة
باب ماجاء فى شجر الجنة وثمارها
١٣٤ فصل فى لباس أهل الجنة وخيل الجنة
١٣٥ باب ماجاء فى زرع الجنة وماجاء فى الحناء
باب ماجاء أن للجنة ريضا وريحانا وكلاما
باب ماجاء أن فى الجنة قيعانا وان غراسها سبحان الله والحمد لله
١٣٦ باب لايدخل أحد الجنة الا بجواز
باب أول الناس يسبق الى الجنة الفقراء
١٣٨ باب أول طعام أهل الجنة ونزلهم وتحفهم
١٣٩ باب مايعطى لأدنى أهل الجنة منزلة ولاعلاهم
١٤٠ باب ماجاء فى أبواب الجنة وكم هى ولمن هى
١٤١ باب مايذكر انه مكتوب على باب الجنة
باب ماجاء ان الخمر شراب أهل الجنة
١٤٢ باب جامع لفصول شتى من أنواع نعيم اللؤلؤ
فصل ومن كتاب روضة الحقائق لابن الخلال
فصل فى سماع أهل الجنه
فصل قال شاكر بن مسلم قال حماد بن سلمة ليس فى الجنة ليل
١٤٣ فصل ولما تكلم الفقيه شاكر بن مسلم على نعيم أهل الجنة
١٤٤ فصل ومن روضة الحقائق قال جاء النبى صلى الله عليه وسلم
١٥٤ باب منه فى الرؤية
١٥٧ باب منه وفى سلام الله تعالى على أهل الجنة
١٥٨ باب ماجاء ان رضوان الله سبحانه أفضل من الجنة

تمت الفهرست